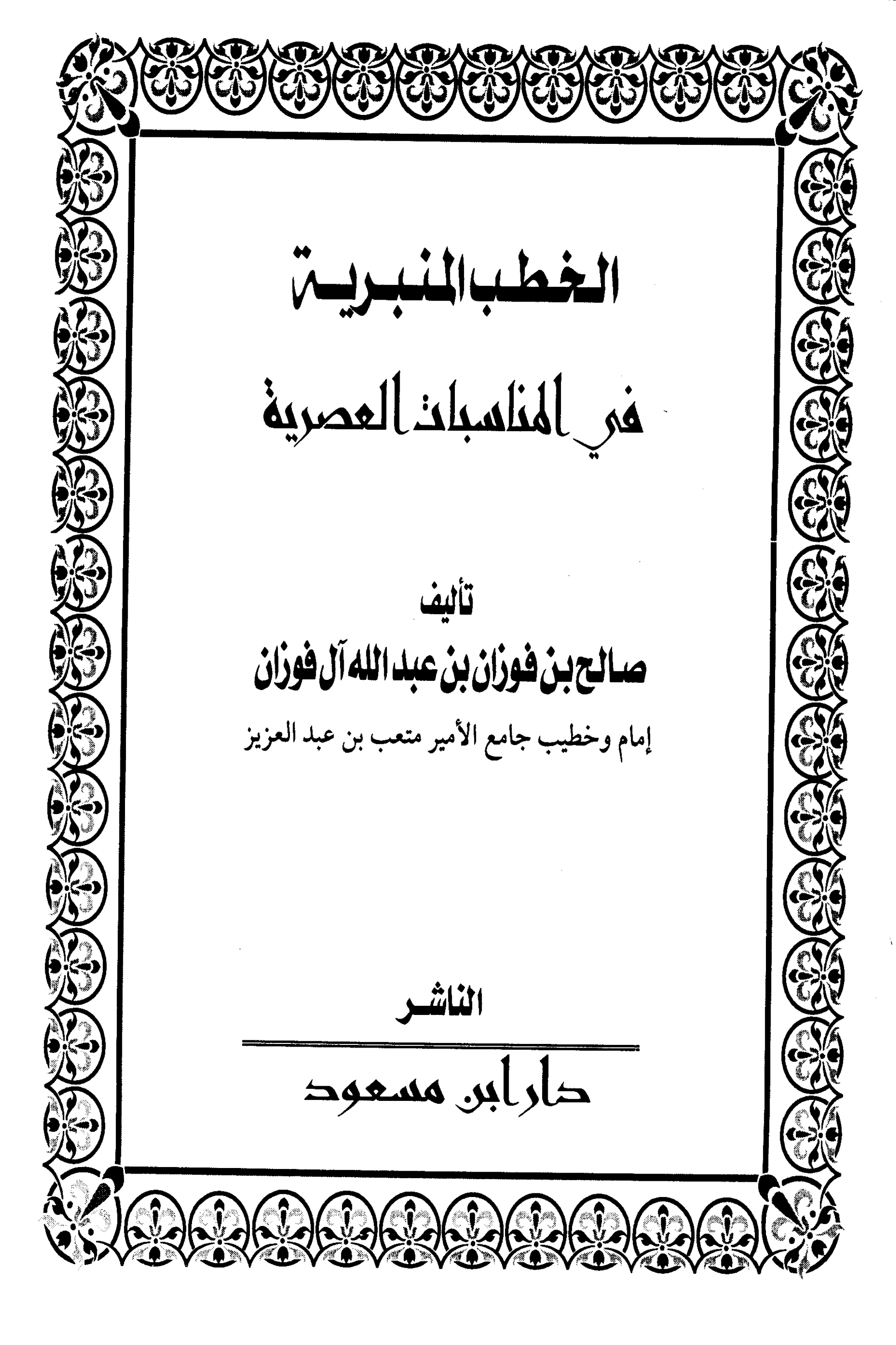


الخطب المنبرية في المناسبات العصرية

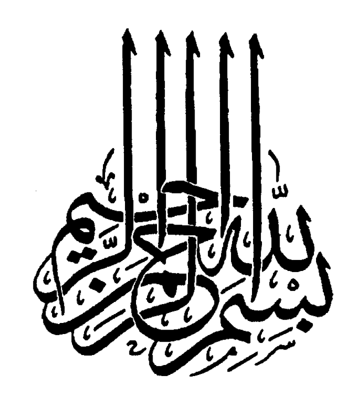
تأليف

صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان

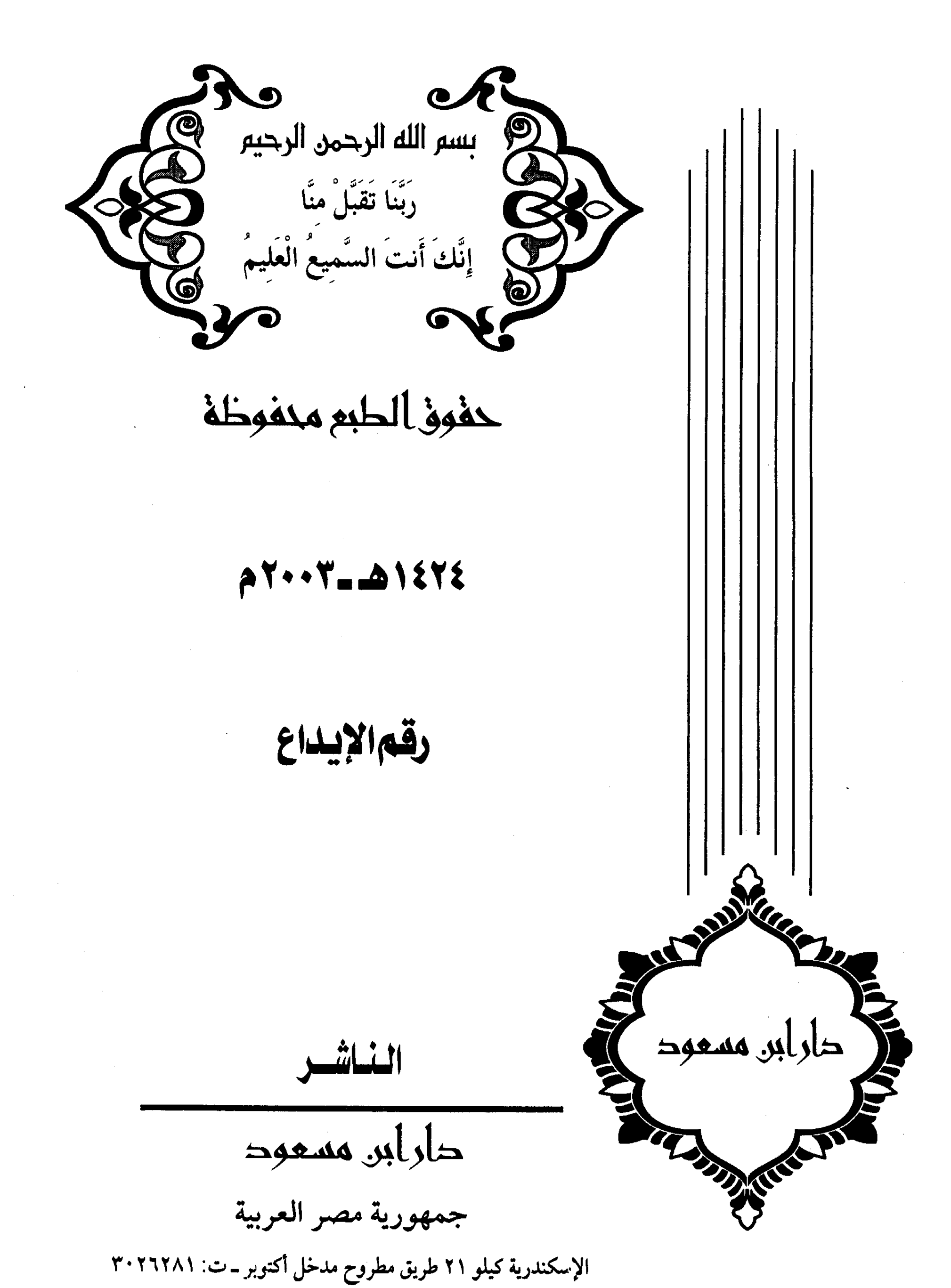
إمام وخطيب جامع الأمير متعب بن عبد العزيز

الناشر

دار ابن مسعود




الخطب المنبرية
في المناسبات العصرية



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع

دار ابن مسعود

الناشر

دار ابن مسعود

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية كيلو ٢١ طريق مطروح مدخل أكتوبر - ت: ٣٠٢٦٢٨١



المقدمة

الحمدُ للَّه ربِّ العالمين، أمر بالتذكير، وأخبر أن الذكرىٰ تنفع المؤمنين، وأنكر علىٰ الذين يعرضون عن التذكير قال: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، فدعا إلىٰ اللَّه وذكر بأيام اللَّه وبلَّغ البلاغ المبين، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين ـ وبعد:

فهذا هو الجزء الثالث من **«الخطب المنبرية في المناسبات العصرية»** والتي أحببت نشرها رجاء أن ينفع اللَّه بها من يقرؤها. كما أرجو أن يكون قد انتفع بها من سمعها، وسيلاحظ القارئ الكريم أنه ربما تتكرر عدة خطب في موضوع واحد. وهذا راجع لأهمية هذا الموضوع ووجوب العناية به، ولأن تنويع التذكير وتكراره قد يكون أبلغ في التأثير، وخطبة الجمعة لها أهمية كبرىٰ. وقد أمر اللَّه سبحانه بالسعي لحضورها واستماعها ونهىٰ النبي ﷺ عن الكلام وقت إلقائها، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩] والذكر هو الخطبة ـ قال القرطبي رحمه اللَّه تعالىٰ في تفسيره: قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] أي: الصلاة ـ وقيل الخطبة والمواعظ ـ قاله سعيد بن جبير، والصحيح أنه واجب في الجميع، وأوله الخطبة وبه قال علماؤنا إلا عبد الملك بن الماجشون فإنه رآها سنة.

والدليل علىٰ وجوبها أنها تُحرِّم البيعَ، ولولا وجوبها ما حرمته؛ لأن المستحب لا يحرِّم المباح، وإذا قلنا إن المراد بالذكر الصلاة، فالخطبة من الصلاة، والعبد يكون ذاكراً للَّه بفعله كما يكون مسبحًا للَّه بفعله. فإن قلت: كيف يفسر ذكر اللَّه بالخطبة وفيها غير ذلك؟ قلت: ما كان من ذكر رسول اللَّه ﷺ والثناء عليه وعلىٰ خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر اللَّه. انتهىٰ.

* * *

قـال علمـاؤنا: يُشترط لصحة صلاة الجمعة تقدم خطبتين لمواظبة النبي ﷺ عليهما، وقال ابن عمر: «كان النبي ﷺ يخطب خطبتين وهو قائم، يفصل بينهما بجلوس». متفق عليه.

هذا، ويجب الاعتناء بموضوع خطبتي الجمعة بحيث يكون علاجًا لمشاكل المجتمع الإسلامي.

قال الإمـام ابن القيم: ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدىٰ والتوحيد، وذكر صفات الرب جلَّ جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلىٰ اللَّه، وذكر آلائه تعالىٰ التي تحببه إلىٰ خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه. فيذكرون من عظمة اللَّه وصفاته وأسمائه ما يحببه إلىٰ خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه. فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد وخفي نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسومًا تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فجعلوا الرسوم والأوضاع سننًا لا ينبغي الإخلال بها، وأخلُّوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع، فنقص، بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها. انتهىٰ.

أقـول: هذا ما قاله الإمام ابن القيم في طابع الخطب في عصره، وقد زاد الأمر علىٰ ما وصف حتىٰ صار الغالب علىٰ الخطب اليوم أن تكون حشوًا من الكلام قليل الفائدة، فبعض الخطباء أو كثيرٌ منهم يجعل الخطبة كأنها موضوع إنشاء مدرسي يرتجل فيه من حضره من الكلام بمناسبة وبدون مناسبة، ويطيل الخطبة إطالة مملة حتىٰ إن بعضهم يهمل شروط صحة الخطبة أو بعضها ولا يتقيد بمواصفاتها الشرعية؛ فهبطوا بالخطب إلىٰ هذا المستوىٰ الذي لم تعد معه مؤدية للغرض المطلوب من التأثير والتأثر والإفادة، وبعض الخطباء يقحم في الخطبة مواضيع لا تتناسب مع موضوعها وليس من الحكمة ذكرها في هذا المقام، وقد لا يفهمها غالب الحضور؛ لأنها أرفع من مستواهم.

فيأيهـا الخطباء: عودوا بالخطبة إلىٰ الهدي النبوي ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ركزوا مواضيعها علىٰ نصوص القرآن والسُّنَّة التي تتناسب مع المقام وضمنوها الوصية بتقوىٰ اللَّه والموعظة الحسنة. عالجوا بها أمراض مجتمعاتكم بأسلوب واضح مختصر، أكثروا فيها من قراءة القرآن العظيم الذي به حياة القلوب ونور البصائر.

إذ ليس المقصود وجود خطبتين فقط، بل المقصود أثرهما في المجتمع، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه: لا يكفي في الخطبة ذم الدنيا وذكر الموت؛ لأنه لا بد من اسم الخطبة عرفًا بما يحرك القلوب ويبعث بها إلى الخير، وذم الدنيا والتحذير منها مما تواصى به منكرو الشرائع، بل لا بد من الحث على الطاعة والزجر عن المعصية والدعوة إلى اللَّه والتذكير بآلائه . . . ولا تحصل الخطبة باختصار يفوت به المقصود، وقد كان النبي ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه، حتَّى كأنَّه منذر جيش يقول صبحكم ومسَّاكم. اهـ. هذه هي العناصر المهمة في الخطبة.

وقد ذكر الفقهاء رحمهم اللَّه أنه يُسنّ في خطبتي الجمعة أن يخطب على منبر ؛ لفعله عليه الصلاة والسلام، ولأن ذلك أبلغ في الإعلام، وأبلغ في الوعظ حينما يشاهد الحضور الخطيب أمامهم. قال النووي رحمه اللَّه: واتخاذه سنة مجمع عليها، ويسن أن يُسلِّم الخطيب على المأمومين إذا أقبل عليهم، لقول جابر: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا صعد المنبر سلَّم» رواه ابن ماجه، وله شواهد.

ويُسَنُّ أن يجلس على المنبر إلى فراغ المؤذن؛ لقول ابن عمر: «كان رسول اللَّه ﷺ يجلس إذا صعد المنبر حتَّى يفرغ المؤذن، ثم يقوم فيخطب» رواه أبو داود.

ومن سنن خطبتي الجمعة أن يجلس بينهما، لحديث ابن عمر: «كان النبي ﷺ يخطب خطبتين وهو قائم، يفصل بينهما بجلوس» متفق عليه، ومن سننهما أن يخطب قائمًا لفعل الرسول ﷺ، ولقوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١] وعمل المسلمين عليه.

ويُسَنّ أنْ يعتمد على عصا ونحوه، ويسن أن يقصد تلقاء وجهه، لفعله ﷺ، ولأن التفاته إلى أحد جانبيه فيه إعراض عن الآخر ومخالفة للسُّنَّة؛ لأنه ﷺ كان يقصد تلقاء وجهه في الخطبة، ويستقبله الحاضرون بوجوههم، لقول ابن مسعود رضي اللَّه عنه: «كان إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا» رواه الترمذي، ويُسن أن يقصر الخطبة تقصيراً معتدلاً بحيث لا يطيلها حتى يملوا وتنفر نفوسهم، ولا يقصرها تقصيراً مخلاً فلا يستفيدون منها. فقد روى الإمام مسلم عن عمار مرفوعًا: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة**» ومعنى قوله: «**مئنة من فقهه**» أي: علامة على فقهه.

ويُسن أن يرفع صوته بها؛ لأنَّه ﷺ كان إذا خطب علا صوته واشتدَّ غضبه، ولأنَّ ذلك

أوقع في النفوس، وأبلغ في الوعظ، وأن يلقيها بعبارات واضحة قوية مؤثرة، وبعبارات جزلة.

ويُسنُّ أن يدعو للمسلمين بما فيه صلاح دينهم ودنياهم، ويدعو لإمام المسلمين، وولاة أمورهم بالصلاة والتوفيق، وكان الدعاء لولاة الأمور في الخطبة معروفًا عند المسلمين، وعليه عملهم.

قال الإمام أحمد: لو كان لنا دعوةٌ مستجابةٌ لدعونا بها للسلطان، ولأن في صلاحه صلاح المسلمين.

أقول: وقد تركت هذه السُّنَّة حتَّى صار الناس يستغربون الدعاء لولاة الأمور ويسيئون الظنَّ بمن يفعله.

ويُسنُّ إذا فرغ من الخطبتين أن تُقام الصلاة مباشرة، وأن يشرع في الصلاة من غير فصل طويل.

* * *

صلاة الجمعة وما يقرأ فيها

وصلاة الجمعة ركعتان بالإجماع يُجْهَر فيها بالقراءة، ويُسنّ أن يُقْرَأ في الركعة الأولى منهما بسورة الجمعة بعد الفاتحة ويُقْرَأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة بسورة المنافقين؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ بهما كما رواه مسلم عن ابن عباس، أو يقرأ في الأولى بـ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] وفي الثانية بـ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١] فقد صحَّ أنَّه ﷺ كان يقرأ أحيانًا بالجمعة والمنافقين، وأحيانًا بسبح والغاشية، ولا يقسم سورة واحدة من هذه السور بين الركعتين، ولا يقرأ من وسط السورة أو آخرها؛ لأن ذلك خلاف السُّنَّة.

والحكمة في الجهر بالقراءة في صلاة الجمعة كون ذلك أبلغ في تحصيل المقصود وأنفع للمسلمين الحاضرين للصلاة، ففي ذلك تبليغ كلام اللَّه إليهم، والحكمة في قراءة سورة الجمعة والمنافقين؛ لأن «سورة الجمعة» قد تضمنت الأمر بصلاة الجمعة وإيجاب السعي إليها وترك العمل العائق عنها، والأمر بالإكثار من ذكر اللَّه ليحصل لهم الفلاح في الدارين، وأما سورة المنافقين فَلِمَا فيها من التحذير للأمة من النفاق والتحذير من الاشتغال بالأموال والأولاد عن صلاة الجمعة وعن ذكر اللَّه. والحث على الإنفاق الذي به سعادتهم وتذكيرهم بالموت للاستعداد له قبل نزوله. وأما سبح والغاشية فَلِمَا فيهما من التذكير بأحوال الآخرة والوعد والوعيد، لكن مع الأسف كثير من أئمة الجوامع في هذا الزمان يتكاسلون عن قراءة هذه السور ويقصرون القراءة جدًا، وهذا خلاف السنة، وتفويت للمصلحة العظيمة التي تحصل بقراءة هذه السور، فينبغي لهم أن يتقوا اللَّه ويحرصوا على الاقتداء برسول اللَّه ﷺ

وفَّق اللَّهُ الجميعَ لفعل الخير والعمل بالسُّنَّة واجتناب البدعة . . .

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبينا محمد وآله وصحبه

المؤلف

في فضل لا إله إلا الله وبيان ما تقتضيه

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

أيهـــا الناس: اتقوا الله كما أمركم أن تتقوه، وأطيعوا أمره ولا تعصوه. واذكروه يذكركم واشكروه ولا تكفروه...

عبـاد الله: لقد أمرنا الله بذكره في عموم الأوقات، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٢] وخص بعض الأوقات كأدبار الصلوات وبعد الانتهاء من أداء العبادات، فأمر بذكره فيها لمزيتها على غيرها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وذكر الله تعالى يتناول جميع الطاعات القولية والفعلية، وكل الطاعات ذكر لله عزَّ وجلَّ، كما يتناول ذكره باللسان والقلب، فالمؤمن دائمًا يذكر الله ولا سيما الذكر القولي بالتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير؛ لأن هذا النوع مُتَيسَّر للإنسان في كل أحواله. سواء كان راكبًا أو ماشيًا أو وهو قائم أو قاعد، أو مضطجع، ولأن اللسان لا يتعب من تحركه بالذكر. بخلاف بقية الأعضاء، فإنها تتعب من كثرة الحركة، وأفضل الذكر: «لا إله إلا الله» فينبغي الإكثار منها، قال عليه الصلاة والسلام: «**خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**».

ولما كانت هذه الكلمة العظيمة بهذه المنزلة العالية من بين أنواع الذِّكْر تعلق بها أحكام، وصار لها شروط ولها معنى ومقتضى. فليست كلمة تقال باللسان فقط، وهذه الكلمة يعلنها المسلمون في الأذان والإقامة والخطب، وهي كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت من أجلها جميع المخلوقات، وبها أنزل الله كتبه، وأرسل رسله، وشرع شرائعه، ولأجلها نُصِبَت الموازين، ووُضِعَت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وانقسمت الخليقة من أجلها إلى مؤمنين وكفار، وعنها وعن حقوقها يكون السؤال والجواب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصِبَت القبلة، وأُسِّسَت الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد،

وهي حق اللَّه على جميع العباد.

فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وهي كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وهي كلمة الإخلاص، وبها تكون النجاة من الكفر والنار والخلاص، من قالها عصم دمه وماله في الدنيا، وإذا كان مُوقنًا بها من قلبه نُجِّيَ من النار في الآخرة ودخل الجنة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**فإنَّ اللَّهَ حرَّمَ على النار من قالَ لا إلهَ إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه**» وهي كلمة وجيزة اللفظ قليلة الحروف خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، فقد روى ابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قال موسى عليه السلام: يا رب، علِّمني شيئًا أذكُرك وأدعوك به. قال: يا موسى، قل: لا إله إلا اللَّه. قال: يا ربِّ، كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أنَّ السموات السبع وعامرهنَّ غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا اللَّه في كفة مالت بهنَّ لا إله إلاَّ اللَّه**». وهذه الكلمة العظيمة لها ركنان:

الركن الأول: النفي: وهو نفي الإلهية عمَّا سوى اللَّه من سائر المخلوقات.

الركن الثاني: الإثبات: وهو إثبات الإلهية للَّه سبحانه، وبهذا يتضح معناها وأنَّه البراءة من الشرك والمشركين، وإخلاص العبادة للَّه وحده، وهذا معنى قول الخليل عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا**﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالمسلم عندما يقول هذه الكلمة يعلن البراءة من الشرك والمشركين ويلتزم بعبادة اللَّه وحده مخلصًا له الدين، فإنْ وَفَّى بهذا الالتزام فقد حقق دين الإسلام، وفاز بدار السلام، وإلا فمجرد النطق بها من غير عمل بمدلولها ومقتضاها لا يفيد الإنسان شيئًا، فإن المنافقين كانوا يقولونها بألسنتهم ولا يعتقدونها بقلوبهم فصاروا في الدَّرْك الأسفل من النار، وكذلك من يقولها اليوم بلسانه وهو يدعو الموتى ويطوف بالأضرحة تقربًا إلى الأموات ويطلب المدد من الأولياء والصالحين وينذر لقبورهم ويذبح لها، فهذا لا تنفعه لا إله إلا اللَّه؛ لأنه لم يعمل بمقتضاها وهو البراءة من الشرك والمشركين، وإخلاص العبادة للَّه رب العالمين؛ لأنَّ معنى لا إله إلا اللَّه ترك عبادة القبور وترك التقرب إلى الأموات، كما تترك عبادة الأوثان من اللات والعُزَّىٰ ومناة، لا فرق بين عبادة الأصنام وعبادة القبور،

هذا هو معنى: «لا إله إلا الله».

ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قولوا لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فالمشركون فهموا أن معنى لا إله إلا الله، ترك الشرك وإخلاص العبادة لله وحده، وهؤلاء القبوريون اليوم لا يفهمون هذا، ولهذا يجمعون بين الشرك والنطق بلا إله إلا الله، وربما يفسرون لا إله إلا الله بأن معناها: الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق ويقولون إن من أقر بأن الله هو الخالق الرازق فقد حقق التوحيد وشهد أن لا إله إلا الله. ولا مانع بعد ذلك عندهم أن يذبح للأموات ويتقرب إليهم بأنواع العبادات. وكأنَّ هؤلاء لم يعلموا أن المشركين الذين طلب منهم النبي ﷺ أن يقولوا لا إله إلا الله كانوا مقرين بأنَّ الله هو الخالق الرازق، كما قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

وإن هذا الفهم الخاطئ لمعنى لا إله إلا الله لو كان صادراً من عوام لهان الأمر؛ لأن العوام يمكن تعليمهم، ويمكن قبولهم للحق أكثر من غيرهم، ولكن المصيبة أن يكون هذا الفهم الخاطئ لمعنى لا إله إلا الله صادراً عن قوم يدَّعون العلم ويتصدرون للفتوى والتدريس، فهؤلاء يصعب تفهيمهم وإقناعهم؛ لأن جهلهم مركب، والجاهل المركب هو الذي لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري. وهو أبعد عن قبول الحق من الجاهل البسيط الذي يعترف بجهله، أولئك هم علماء الضلال الذين أهلكوا أنفسهم وأهلكوا غيرهم من الجهلة الذين أحسنوا بهم الظنّ، وقلدوهم في الضلال، أولئك هم الذين حذرنا منهم رسول الله ﷺ بقوله: «وإنما أخشى على أمتي الأئمة المُضلين» إن هؤلاء وإن كانوا علماء في فقه فروع الدين، فإنهم يجهلون الأصل ويفقدون الفقه الأكبر الذي هو معرفة التوحيد الذي جاءت به الرسل، ولذلك يعادونه ويعادون أهله، ويؤلفون المؤلفات في الصد عنه وعن معنى لا إله إلاَّ الله ومقتضاها ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

عباد الله: وإن من مقتضى لا إله إلا الله وحقها على من نطق بها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً، والعمل بطاعة الله وترك معاصيه. وقد وجد في الناس اليوم خلق كثير يقولون هذه الكلمة ولكنهم لا يقيمون

الصلاة، أو لا يؤتون الزكاة، وقد دل الكتاب والسنة على أن من لا يصلي فليس بمسلم، وإن قال: لا إله إلا اللَّه؛ قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقال في الآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، فدلت الآيتان الكريمتان على أن الذي لا يقيم الصلاة لا يُخلَّى سبيله، بل يُقتل على أنه ليس من إخواننا في الدين؛ لأنَّه كافر.

وقال النبي ﷺ: «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**» رواه مسلم، وقد منع جماعة بعد وفاة النبي ﷺ الزكاة وهم يقولون: «لا إله إلا اللَّه» فقاتلهم أبو بكر الصديق والصحابة رضي اللَّه عنهم، ولم يمنعهم من قتالهم نطقهم بهذه الكلمة؛ لأنهم اعتبروا الزكاة من حق لا إله إلا اللَّه؛ لأن النبي ﷺ قال: «**فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».

وقد قيل للحسن رحمه اللَّه: إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا اللَّه دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا اللَّه فأدى حقَّها وفرضها دخل الجنة. وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا اللَّه مفتاح الجنَّة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك. فاتقوا اللَّه عباد اللَّه وكونوا من أهل لا إله إلا اللَّه حقًا، جعلنا اللَّه وإياكم من أهلها. أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في معنى لا إله إلا اللَّه ومقتضاها

الحمد للَّه رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين...

أما بعد: عباد اللَّه، ومن معنى لا إله إلا اللَّه ومقتضاها التحاكم إلى شريعته وتحريم ما حَرَّمَهُ وتحليل ما أحلَّه، وأن لا يطاع مخلوق بمعصيته، فيجب على من قال لا إله إلا اللَّه الحكم بشرع اللَّه، والكفر بأحكام الطواغيت واجتنابها؛ لأن التشريع حق للَّه وحده، فمن وضع قوانين يحكم بها بين الناس بَدَل شريعة اللَّه فقد جعل نفسه شريكًا للَّه، ومن أطاعه

في ذلك مختاراً فقد أشرك بالله، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ولما سمع عدي بن حاتم رضي الله عنه هذه الآية قال: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم، فقال ﷺ: «أليسوا يحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه، ويحرِّمون ما أحلَّ اللهُ فتحرِّمونه» قال: بلى. قال: فتلك عبادتهم. وهذا يتمثل اليوم في الولاة الذين يحكمون بالقوانين الوضعية بدلاً من الشريعة الإسلامية، ويتمثل في بعض المتفقهة المتعصبين الذين يقلدون أئمتهم ولو أخطئوا في الاجتهاد وخالفوا الدليل، ويتمثل في المتصوفة الذين يطيعون مشايخ الطرق في فعل الأمور الشركية والبدعية، كل ذلك داخل في عبادة الأحبار والرهبان من دون الله، وهذا مما يوجب على المسلم الذي يريد النجاة لنفسه أن يتعلم معنى لا إله إلا الله، ويفهم مقتضاها ويعمل بذلك حتى يكون من أهلها.

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فأمر سبحانه بالعلم قبل القول والعمل؛ لأن العمل الذي لا يؤسس على علم صحيح يكون ضلالاً، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] أي: شهد بالتوحيد بأن قال: لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] بقلوبهم ويفهمون ما شهدت به ألسنتهم.

فاتقوا الله عباد الله وتفقهوا في معنى لا إله إلا الله لتعملوا بمقتضاها، وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله، والزموا جماعة المسلمين، فإن خير الحديث كتاب الله... إلخ.

في التحذير من المضللين والمشعوذين

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبِّر تكبيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق كل شيءٍ فقدَّره تقديراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعه على دينه، وتمسك بسنته وسلَّم تسليماً كثيراً... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى وتمسَّكوا بعقيدة التوحيد التي هي معنى لا إله إلا الله،

ومدلولها ومقتضاها، واحذروا مما ينافي هذه العقيدة أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر، والوسائل المفضية إلى الشرك؛ فإن العقيدة لا تكون صحيحة سليمة إلا بالتوحيد والابتعاد عن الشرك، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

عباد الله: أنه يجب على كل مسلم أن يعرف ما هو التوحيد حتى يتمسك به، ويعرف ما هو الشرك حتى يتجنبه؛ لأنه لا نجاة له إلا بذلك، وكيف يعمل بالتوحيد من هو جاهل به؟ وكيف يتجنب الشرك وهو لا يعرفه؟ إن الأمر خطير والواجب كبير، وما زال أعداء الإسلام يخططون لإفساد عقيدة التوحيد خصوصًا في هذا الزمان الذي قلَّ فيه العلماء وإن كثر فيه القراء - كما أخبر بذلك النبي ﷺ - والتبس فيه الحق بالباطل وكثر فيه دعاة الضلال، وقلَّ دعاة الحق حتى أصبحوا غرباء بين الناس، كثير من يدَّعي الإسلام اليوم، لكن كثيراً من هؤلاء المدعين يريد أن يجمع بين الإسلام وضده، يريد أن يجمع بين الإسلام والكفر وبين التوحيد والشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، هناك من يقول إنه مسلم، لكنه لا يريد الحكم بما أنزل الله، وإنما يريد الحكم بالقوانين الوضعية التي يحكم بها الكفار؛ لأنه يراها أحسن مما أنزل الله وأصلح للناس في هذا الزمان، وحال هؤلاء كحال الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ وقد ردَّ الله على هؤلاء دعواهم وتناقضهم في ختام ما بعدها من الآيات بقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وهناك فريق آخر يدَّعي الإسلام ويقول: لا إله إلا الله بلسانه ثم يناقض ذلك بفعله فيدعو الموتى ويذبح للقبور وينذر لها، ويستغيث بالأولياء لقضاء حاجته وشفاء مرضه، ويطلب منهم المدد ويسمي هذا توسلاً إلى الله وتقربًا إليه بواسطتهم فيكون كالذين قال الله فيهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، والذين

قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وهناك علماء ضُلال يحسنون لهم هذا ويدعون إلى هذا الشرك ويبررونه بشبهات يلفقونها، وهي ما بين حديث موضوع أو حكاية باطلة أو رؤيا من الشيطان، فيجمعون تلك الشبهات في كتب يطبعونها ويوزعونها على الناس يدعونهم بها إلى الشرك وعبادة المخلوقين باسم التوسل والتبرك بالنبي ومحبة الأولياء والصالحين. ويقولون أن الذين ينهون عن هذا مفاهيمهم خاطئة يجب أن تصحح.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من هؤلاء المضللين الذين يخدعون الناس باسم العلم والصلاح وهم في الحقيقة دعاة ضلال وقادة فتنة، قال ﷺ: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلّين**» رواه البرقاني في صحيحه، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» رواه أبو داود والطيالسي، فحصر ﷺ في هذين الحديثين خوفه على أمته من علماء الضلال لشدة خطرهم على الأمة لأنهم يلبسون الحق بالباطل ويغررون بالعَوَام لا سيما وأن كثيراً من الناس يقبلون الباطل أكثر من قبولهم للحق. فالواجب الحذر والتحذير من هؤلاء؛ لأن خطرهم على المسلمين عظيم، ومن هؤلاء المضللين من يكتب بعض المنشورات المشتملة على أحاديث مكذوبة وقد يخلطها بشيء من الأحاديث الصحيحة أو الآيات القرآنية، ويقول: من نسخ منها كذا وكذا ووزعه على الناس يحصل له من الثواب والخير كذا وكذا، فيبادر بعض الجهال إلى نسخها وتوزيعها اغتراراً بهذا الترغيب، فيكون متعاوناً على الإثم والعدوان مع أصحابها.

وهناك مشعوذون وسحرة دجالون يظهرون على الناس بين الحين والآخر بأعمال بهلوانية، ويعرضون سحرهم وشعوذتهم وتقميرهم في أندية ومحافل يجتمع فيها جموع غفيرة من الدهماء والسذج ينظرون إلى تلك الأعمال السحرية الشيطانية التي يقوم بها هؤلاء المشعوذون، مثل سحب السيارة بشعرة ووضع الصخرة العظيمة على بطن أحدهم وتحته المسامير الحادة، ومرور السيارة من فوقه، وطعن عينه بأسياخ الحديد ولا يتأثر بذلك، وبعضهم يتظاهر أمام الناس بطعن نفسه بالسكين، أو يدخل النار ولا تحرقه، وبعضهم يمشي على الحبل أو الخيط، وأمثال هذه الشعوذات التي حقيقتها التدجيل، والكذب على الناس لسلب أموالهم وإفساد عقيدتهم وترويج السحر بينهم، وقد حذرنا الله في كتابه من السحر، وأخبر أنه كفر، وأنه من تعليم الشياطين، وعمل المفسدين،

والعجيب أن هؤلاء السحرة والمشعوذين يجدون منا من يشجعهم ويبذل لهم الأموال الطائلة على ما يقدمونه من سحر وباطل، مع أن هذا من أعظم المنكر الذي يجب إنكاره ومعاقبة من يتعطاه بالقتل. وقد قال النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول اللَّه، وما هنَّ؟ قال: «**الشرك باللَّه، والسحر...**» الحديث، رواه البخاري ومسلم.

فعدَّ ﷺ السحرَ قرين الشرك، وأمر باجتنابه، فكيف يليق بالمسلم أن يحضره ويشجعه، ويدفع المال للسحرة مع أنه يجب قتلهم، قال الإمام أحمد: صحَّ قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ، وقد مرَّ جندب بن كعب بن عبد اللَّه الأزدي رضي اللَّه عنه على ساحر يلعب بحضرة بعض الأمراء ويقمر على أعين الناس فيظهر لهم أنه يقطع رأس إنسان ويميته ثم يعيده ويحييه، فيتعجبون منه، فضربه جندب رضي اللَّه عنه بالسيف فقتله، وقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسه، وهكذا يجب أن يكون موقف المسلم الموحد من السحرة والمشعوذين والدجالين، يقف من هؤلاء موقف الاستنكار والقوة والشجاعة ودحض الباطل، لا موقف المسالم السلبي أو المشجع الذي يدفع الجوائز لهؤلاء المشعوذين الدجالين.

وقد يقول بعض المتحذلقين: إن هؤلاء يقومون بأعمال رياضية وحركات خفيفة تدربوا عليها وليست سحرًا ولا شعوذة، فلا بأس بها ولا مانع من حضورها والتشجيع عليها.

ونرد على هؤلاء:

أولا: بأن هناك فَرْقًا بين الأعمال الرياضية والأعمال السحرية، فالأعمال الرياضية لها حدود لا تصل إلي الطعن بالسكاكين والعبث بالنيران وتحمُّل الصخرة الكبيرة على الصدر ومرور السيارة من فوق الشخص وجذبها بالشعرة وما شابه ذلك، وإنما هذا من باب السحر التخييلي المسمى بـ«القمرة» بحيث يخيل للناس شيئًا وهو بخلافه، أو من باب الاستعانة بالجن والشياطين ليعملوا له هذه الأشياء ويظهر للناس أنه هو الذي يعملها.

ثانيًا: يمكن أن يكون في هذه الأعمال شيء من الحركة الرياضية المخلوطة بأشياء من الأعمال السحرية لأجل التغرير بالناس ولبس الحق بالباطل، حتَّى يظنوها كلها أعمالاً رياضية فلا يستنكروها.

ثالثًا: لو أجزنا مثل هذه الأعمال على أنها أعمال رياضية خالصة فإن هذا يفتح الباب للأعمال السحرية؛ لأن أهل الشر ينتهزون الفرص، والناس لا يقفون عند حد، وميلهم

إلى الباطل أكثر من رغبتهم في الحق، فيجب الحذر من هؤلاء الدجالين والضرب على أيديهم؛ لأنهم يفسدون في الأرض، والله لا يُصْلح عمل المفسدين.

عباد الله: ومن الناس من يذهب إلى الكهان والسحرة لأجل العلاج والتداوي عندهم يلتمسون عندهم الشفاء ولو على حساب عقيدتهم ودينهم، يأمرهم هؤلاء الكهان والسحرة بالذبح لغير الله فيذبحون، ويدّعون علم الغيب فيصدّقون، ويأمرونهم بأشياء يتلقونها عن الجن والشياطين فيصدقونهم، ويعملون بتوجيهاتهم وإن كانت كفرًا وشركًا، ويتجاهلون قول النبي ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**» وقوله ﷺ: «**من أتى كاهنًا فصدَّقَهُ بما يقول فقد كفر بما أُنزلَ على محمد ﷺ**» رواه أبو داود. وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا: «**ليس منّا مَن تَطَيَّر أو تُطير له، أو تَكَهَّن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتَى كاهنًا فصدَّقَهُ بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**» رواه البزار بإسناد جيد.

وكل من فعل هذه الأمور أو فُعلت له راضيًا بها فقد كفر بالقرآن وبرئ منه رسول الرحمن؛ لأن هذه الأمور كفر وشرك فمن رضي بها فهو كالفاعل لها، فالأمر خطير، وقد يتسمى هؤلاء بالأطباء الشعبيين، وهم في الحقيقة كهنة ومشعوذون يستخدمون الجنَّ ويغررون بالناس باسم الطب الشعبي، والطب الشعبي بريء من هذه الجرائم؛ لأن الطب الشعبي حقيقته المعالجة بأمور مباحة مجربة كالكي والفصد والحجامة ونحو ذلك من استعمال الأدوية النباتية المباحة.

أما الكهانة والسحر وما شابههما فليست طبًا شعبيًا، وإنما هي أعمال شيطانية وادِّعَاء لعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فالواجب الحذر والتحذير من ذلك وأن يبلغ ولاة الأمور عن هؤلاء المشعوذين لتأديبهم والأخذ على أيديهم... فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على عقيدتكم من الفساد أكثر مما تحافظون على صحة أبدانكم من الأمراض، فماذا يستفيد الإنسان إذا عاش سليم الجسم مريض العقيدة، فإن صحة البدن مع فساد العقيدة خسارة في الدنيا والآخرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١١٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في موضوع التحذير من الشرك والشعوذة

الحمد للَّه رب العالمين، أمرنا أن نعبده مخلصين له الدين، ونهانا عن طاعة الكفار والمشركين، والانخداع بأعمال السحرة والمشعوذين، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، القائل: «**إنَّ اللَّه أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام**» صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا. . . أما بعد:

عباد اللَّه: اتقوا اللَّه تعالىٰ في جميع أحوالكم، وفي حال صحتكم ومرضكم فخذوا ما أحلَّ اللَّه لكم ودعوا ما حرَّم اللَّه عليكم. ففي الحلال غنية من الحرام، واعلموا أن اللَّه سبحانه بمنِّه وفضله جعل لكل داء دواء أباح لعباده التداوي به، فقد روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن اللَّه عزَّ وجلَّ**» والتداوي بالأدوية المباحة من جملة الأسباب التي أمر اللَّه بالأخذ بها، قال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه: وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه رفع الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها اللَّه مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، إلىٰ أن قال: وفي قوله ﷺ: «**لكل داء دواء**» تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث علىٰ طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه. . . انتهىٰ.

وفي عصرنا هذا تطور الطب، وعثرنا علىٰ كثير من الأدوية النافعة المباحة، وأعظم منها وأنفع العلاج بالرقية من القرآن الكريم الذي جعله اللَّه شفاء ورحمة للمؤمنين من الأمراض الحسِّية والمعنوية، وكذلك العلاج بالأدعية الشرعية النبوية، أما المحرمات فإن اللَّه لم يجعل فيها شفاء كما قال عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه: «إنَّ اللَّه لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم» رواه البخاري.

قال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه: المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلاً وشرعًا، أما الشرع فما ذكرنا من هذه الأحاديث وغيرها، وأما العقل فهو أن اللَّه سبحانه إنما حرم ما حرم لخبثه، فإنَّه لم يحرم علىٰ هذه الأمة طيبًا عقوبة لها كما حرَّم علىٰ بني إسرائيل بقوله: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ**﴾ [النساء: ١٦٠]، وإنما حرَّم علىٰ هذه الأمة ما حرَّم

لخبثه، وتحريمه له حمية لهم وصيانة عن تناوله، فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثر في إزالتها لكنه يعقِّب سقمًا أعظم منه في القلب، بقوة الخبث الذي فيه فيكون المتداوي به قد سعىٰ في إزالة سقم البدن بسقم القلب، وأيضًا فإنَّ تحريمه يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق، وفي اتخاذه دواء حض علىٰ الترغيب فيه وملابسته، وهذا ضد مقصود الشارع، وأيضًا فإنه داء كما نصَّ عليه صاحب الشريعة فلا يجوز أن يتخذ دواء. . . قلت: وهذا الذي ذكره ابن القيم من الأضرار التي تنشأ عن التداوي بالمواد المحرمة كالخمر والنجاسات وغيرها، فكيف بأضرار التداوي بالأمور الشركية التي يعملها السحرة والكهان، فهذه تفسد العقيدة وتجعل الإنسان يعيش بلا عقيدة إن شفي بها. وإن مات مات مشركًا، إن لم يتب منها قبل موته.

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، وعليكم بالتمسك بكتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ وما عليه جماعة المسلمين. . . فإن خير الحديث كتاب اللَّه. . . إلخ.

في التذكير باليوم الآخر والعمل له

الحمد للَّه رب العالمين، يقبل توبة التائبين، ولا يضيع أجر المحسنين، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أرسله رحمة للعالمين، فأوضح به المحجة للسالكين، وأقام به الحجة علىٰ المعاندين، صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه التابعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا ودائمًا إلىٰ يوم الدين. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ وزكوا أنفسكم بفعل الطاعات، ولا تدنسوها بالسيئات والمخالفات، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٧-١٠] فما تعمله أيها الإنسان في هذه الحياة من خير أو شر فإنما تعمله لنفسك، ولا تجزىٰ إلا بعملك، قال تعالىٰ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت: ٤٦].

والإنسان ما دام حيًا يعقل فلا بد أن يعمل ويتحرك ويتكلم وينوي ويقصد ولا يبقىٰ معطلاً، ولا بد أن تحصىٰ أعماله وأقواله ونياته ومقاصده وتكتب في ديوان أعماله، قال تعالىٰ: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، وعلم اللَّه تعالىٰ محيط بجميع ذلك ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ**

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الانعام: ٦٠]، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]، وفي يوم القيامة يحضر للعبد كتابه بما فيه من خير أو شر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] وتشهد عليه الملائكة الكرام الكاتبون، وتشهد عليه الأرض التي عمل على ظهرها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤، ٥] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّ أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها**» رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي. ومع شهادة الملائكة وشهادة الأرض على ابن آدم يشهد عليه سمعه وبصره وجلده وأعضاؤه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ١٩ ـ ٢٣].

روى البزار بسنده عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: ضحك رسول اللَّه ﷺ وتبسم، فقال ﷺ: «**ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت؟**» قالوا: يا رسول اللَّه، من أي شيء ضحكت؟ قال: «**عجبت من مجادلة العبد ربَّه يوم القيامة، يقول: أي ربي أليس وعدتني أن لا تظلمني، قال: بلى. فيقول: فإني لا أقبل عليّ شاهداً إلا من نفسي، فيقول اللَّه تبارك وتعالى: أوليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين. قال: فيردّد هذا الكلام مراراً قال: فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول: بعداً لكنَّ وسحقًا؛ عنكُنَّ كنت أجادل**» فتأمَّل حالك أيها العبد حين تواجه هذا الموقف، الكتاب يحصي أعمالك، واللَّه مطّلع عليك والملائكة تشهد، والجلود والأعضاء تنطق وتشهد، فلا مجال للإنكار، ولا مناص من الحساب، فاتقوا هذا الموقف بإصلاح الأعمال ما دمتم في زمن الإمهال، ولا تُملُوا على الكاتبين وتُطْلعُوا الشاهدين إلا على ما ينفعكم يوم الدين ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] إنه بإمكان الإنسان اليوم أن يحاسب نفسه ويخلّصها مما أوقعها فيه من الخطر بأن يكثر من الحسنات ويتوب من

السيئات قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] وقال ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تَمحُها» لكن في يوم القيامة لا يمكنه التخلص من سيئاته بأي وسيلة، لا بالفدية، ولا بدفاع القرابة عنه، ولا بالجاه والنسب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ومعنى الآية الكريمة: أنَّه في ذلك اليوم لا يُباع أحد من نفسه، ولا يفادَىٰ بمال لو بذله ولو جاء بملء الأرض ذهبًا، ولا تنفعه خلّة أحد، أي صداقته ولا شفاعته. فانسدّت طرق الحيل كلها، وقال النبي ﷺ: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا» وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

أي في هذا اليوم يرىٰ الإنسان أقرب الناس إليه في الدنيا، فيفرّ منهم ويبتعد عنهم؛ لأن الهول عظيم، قال عكرمة: يلقىٰ الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه أيّ بعل كنت لك؟ فتقول: نعمَ البعل كنت، وتثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلّي أنجو مما ترين. فتقول له: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئًا أتخوف مثل الذي تخاف، قال: وإن الرجل ليلقىٰ ابنه فيتعلق به فيقول: يا بني، أي والد كنت لك؟ فيثني بخير، فيقول له: يا بني إني احتجت إلىٰ مثقال ذرّة من حسناتك لعلّي أنجو بها مما ترىٰ، فيقول ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت! ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا. يقول اللَّه تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦]، وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلىٰ كلٍّ من أُولي العزم أن يشفع عند اللَّه في الخلائق، يقول: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، حتَّىٰ إن عيسىٰ ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني. وقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] أي: كلٌّ منهم يكون في هول شاغل له عن أحب الناس إليه، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «تُحشرون حفاة عُراة غُرلا» فقالت امرأة: «أيبصر أو يرىٰ بعضنا عورة بعض؟» قال: «يا فلانة، لكلِّ امرئ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

عِبَاد اللَّه: استحضروا هول هذا اليوم واستعدوا له، ولا تغفلوا عنه، أرأيتم لو أن أحدكم أخبر في هذه الدنيا أنه سيلقىٰ عدواً أو يواجه خطراً، ماذا يكون تخوُّفه واستعداده للتخلص من ذلك. مع أنه قد لا يتحقق هذا الخطر أو إذا تحقق فعنده من المال ما يفدي به

نفسه، ومن الأعوان والعشيرة من يدافع عنه. أما يوم القيامة فخطر محقق لا يُنجِّي منه أهل ولا عشيرة ولا جاه ولا مال، فلماذا لا يستعد الإنسان له بما ينجيه من مخاطره وأهواله. والاستعداد له اليوم ميسور وسهل لمن وفَّقه اللّه، وذلك بأن يحافظ على الطاعات ويتجنب المحرمات، تصور أيها الإنسان موقفك في هذا اليوم. يا من ضيَّعت الصلوات واتبعت الشهوات، وأكلت المال الحرام، وارتكبت الإثم والإجرام، يا من ظلمت نفسك بالمعاصي، وظلمت الناس بالتعدي عليهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ما الذي يخلّصك من أهوال هذا اليوم إذا نُصِبَ الميزان وأُزلِفَتِ الجنان، وسعرت النيران، وتبرأ منك الآباء والأبناء والإخوان؟

أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨١].

بارك اللّه لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية
في التذكير باليوم الآخر والعمل له

الحمد للّه رب العالمين، حذَّر من أهوال يوم القيامة، وأمر الإنسان بالاستعداد لما أمامه، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان، وسلّم تسليمًا كثيراً، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللّه تعالى وأطيعوه، يقول اللّه تعالى: ﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ**﴾ [الليل: ٤] أي: مختلف. فمنكم من يفعل خيراً ومنكم من يفعل شراً، ويقول النبي ﷺ: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**» ومعناه: أن كل إنسان إمَّا ساعٍ في هلاك نفسه أو في فكاكها، فمن سعى في طاعة اللّه فقد باع نفسه للّه أعتقها من عذابه، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٠٧]، ومن الناس من يبيع نفسه للشيطان، ويملكها بالعذاب، فالإنسان إذا خرج من بيته وذهب إلى المسجد لأداء الصلاة فقد باع نفسه للّه، وإذا خرج من بيته إلى دور اللهو وأمكنة الفساد فقد باع نفسه للشيطان، وإذا ذهب إلى

عمله الوظيفي ونصح فيه وقام به على ما يرام فقد باع نفسه للّه، وإذا خان في عمله الوظيفي وضيّعه، أو أخذ الرشوة فيه فقد باع نفسه للشيطان، وإذا ذهب إلى متجره فصدق في تعامله مع الناس وتجنب الغش والخديعة والربا فقد باع نفسه للّه، وإذا غشّ في البيع وطفف الميزان وكذب على الزبائن وتعامل بالربا فقد باع نفسه للشيطان، وإذا دُعِيَ إلى الصلاة فبادر بالإجابة ولبّى الدعوة فقد باع نفسه للّه، وإذا لم يجب داعي اللّه ولم يحضر لأداء الصلاة وآثر شهوة نفسه على طاعة ربِّه فبقي على فراش نومه أو على لهوه ولعبه فقد باع نفسه للشيطان.

وهكذا الإنسان طول حياته لا يزال بين داعيين: داعي الرحمن وداعي الشيطان، فأيهما أجاب فقد باع نفسه له، والنفس أعزّ شيء لدى الإنسان. إذا عرف قدرها لم يبعها إلا بأنفس الأثمان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]، وإذا لم يعرف قدر نفسه باعها بالخسران، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥] إن أهل الإيمان لَمّا عرفوا قدر أنفسهم باعوها بالجنان التي هي أغلى الأشياء وباعوها للّه الذي هو أرحم بهم من أمهاتهم والذي هو الغني الوفي الذي يضاعف الحسنات ويعفو عن السيئات، أما أهل الطغيان فقد باعوا أنفسهم لعدوهم الشيطان بأرخص الأثمان، باعوها بشهوة عاجلة ولذة زائلة وذلة دائمة، ونار حامية ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٣] فاتقوا اللّه عباد اللّه ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩]، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ. . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة ثانية في وجوب التذكر والاستعداد للدار الآخرة

الحمد للّه رب العالمين، حكم بانقضاء الأعمار وفناء هذه الدار، وأخبر أن الآخرة هي دار القرار، وأشهد أن لا إله إلا اللّه الواحد القهّار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين منهم والأنصار، وسلّم تسليمًا كثيراً. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللّه تعالى وانظروا في أعمالكم وتأهبوا لرحيلكم وانتقالكم، فإن

أمامكم المخاطر والأهوال، والجزاء على ما قدَّمتم من الأعمال، فإنكم لم تُخلَقوا عبثًا ولم تُتركوا سُدًى، بل تحصَى عليكم أعمالكم، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]. أمامكم الموت وسكرته، والقبر وظلمته، والحساب وشدته، وسؤال الملك وروعته. فما هو استعدادكم لهذه المخاطر، لقد ذكَّر اللَّه العباد بالموت ليستعدوا له قبل نزوله، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٩-١١].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: **«أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتَّى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، وقد كان لفلان»** رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وقد حثَّ النبي ﷺ على تذكُّر الموت وتقصير الأمل، فقال عليه الصلاة والسلام: **«أكثروا من ذكر هادم اللذات»** يعني: الموت، رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه، وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين - وفي رواية: ثلاث ليال - إلا ووصيته مكتوبة عنده»** رواه مالك والبخاري ومسلم. عند الموت يختم العمل ولا تقبل التوبة، فعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ اللَّه يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر»** رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن.

وعند الموت يتكشف للإنسان خطأه وصوابه وتتضح له عاقبته، فالمؤمنون عند الموت ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، والكافر يتألَّم ويُعذَّب عند الموت، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

الْهُون بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وعند ذلك يتمنى الرجوع إلى الدنيا ليصلح ما أفسد ويستدرك ما ضيَّع فلا يمكّن من الرجوع، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] إن الموت لا تمنع منه حصون ولا تدفعه جنود، ولا يقبل فدية، ولا يتأخر عن موعده، يأخذ الغني والفقير، والكبير والصغير، والشريف والحقير، يأخذ المؤمن والكافر، والتقي والفاجر، يأخذ المالك والمملوك، والملك والصعلوك، ويسوّي بينهم في القبور. بعد عالي القصور ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [لقمان: ٢٣] ﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٣٠].

وبعد الموت مواجهة القبر وأهواله، فهو أول منزل من منازل الآخرة، وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، يوسع للمؤمن مد البصر، ويضيق على الكافر حتى تختلف أضلاعه ويتحسر، وقد ثبت عذاب القبر بالسنَّة المتواترة عن النبي ﷺ؛ ففي «صحيح مسلم» والسنن عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليقل: أعوذ باللَّه من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**». ولعذاب القبر أسباب كما في «الصحيحين» عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين فقال: «**إنَّهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**» وعذاب القبر يكون للكافر والمؤمن.

فالكافر يعذب لكفره، والمؤمن يعذب لمعصيته، وعذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكلّ من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه من قُبِرَ أو لم يُقبَر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو صُلب أو غرق في البحر، فإنه يصل إلى بدنه وروحه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وعذاب القبر من أمور الآخرة؛ نؤمن به ولا نعلم كيفيته. . .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه: وقد تواترت الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له في هذه الدار، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا. إلى أن قال: فإذا تأملت ذلك حقّ التأمل ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار

مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان اللّٰه تعالىٰ يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه والتي تحته حتىٰ تكون أعظم حراً من نار الدنيا ولو مسّها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلىٰ جنب صاحبه وهذا في حفرة من حفر النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، ولا يصل من هذا إلىٰ جاره شيء من حَرِّ ناره ولا من هذا إلىٰ جاره شيء من نعيمه، وقدرة اللّٰه أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بتكذيب ما لم تُحط به علماً.

وقد أرانا اللّٰه في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من ذلك بكثير، وإذا شاء اللّٰه أن يطلع بعض عباده علىٰ شيء من ذلك أطلعه وغيبه عن غيره، فلو أطلع اللّٰه العباد كلهم علىٰ ذلك لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافَن الناس، كما في «الصحيح» عنه ﷺ: **«لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللّٰه أن يُسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»**.

عباد اللّٰه: وبعد القبر ما هو أشد منه وأبقىٰ، وهو قيام الساعة والبعث من القبور والحشر والحساب، ذلك اليوم الذي تذهل فيه كل مرضعة عمَّا أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترىٰ الناس سُكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب اللّٰه شديد، يوم تذوب فيه الجبال وتكون كثيبًا مهيلاً، وتسير فتكون سرابًا، ويشيب فيه الولدان وتشخص فيه الأبصار ﴿**يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ**﴾ [القمر: ٦-٨]. يقفون في صعيد واحد، وتدنو منهم الشمس حتَّىٰ تكون قدر ميل أو ميلين، فيصهرهم حرُّها ويعرقون علىٰ قدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه العرق إلىٰ عقبيه، ومنهم من يأخذه إلىٰ حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا، وهذا الوقوف للحساب فيحاسبون علىٰ أعمالهم، فمنهم من يكون حسابه عسيرًا، ومنهم من يكون حسابه يسيرًا. ويعطون صحائف أعمالهم، فمنهم من يُعطىٰ كتابه بيمينه، ومنهم من يُعطىٰ كتابه بشماله، ومن وراء ظهره، وتُوزن أعمالهم فتوضع حسنات العبد في كفّة الميزان وسيئاته في الكفة الأخرىٰ، فإن رجحت حسناته فاز وأفلح، وإن رجحت سيئاته خابَ وخسر، قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

ثم لا بد من المرور على الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنَّم يرده الأوّلون والآخرون كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]. قال ابن كثير عن ابن مسعود قال: «يرد الناس جميعًا الصراط وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتَّى إن آخرهم مرًا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه، يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلّة، عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس» رواه ابن أبي حاتم، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢] أي: إذا مرَّ الخلائق كلهم على النار وسقط من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم نجّى اللَّه تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، كان السلف يخافون من هذه الآية، فكان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني ثم يبكي. فقيل له ما يُبكيك يا أبا ميسرة فقال: أخبرنا أنَّا واردوها ولم نخبر أنَّا صادرون عنها، وقال عبد اللَّه بن المبارك عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك؟!

فاتَّقوا اللَّه واستعدوا لهذا اليوم بتقوى اللَّه، يقول اللَّه تعالى: بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في التذكير بالآخرة

الحمد للَّه رب العالمين ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الأنعام: ١٢]، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، صلى اللَّه عليه وسلَّم، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللّه واعلموا أن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان باللّه المذكورة في الكتاب والسنة، والتي أجمعت عليها الأديان السماوية، والإيمان باليوم الآخر يعني الاستعداد له؛ لأن الإيمان بهذا اليوم يحمل الإنسان على العمل الصالح والتوبة من الأعمال السيئة، قال تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠].

والإيمان باليوم الآخر يحمل الإنسان على الصبر على طاعة اللّه والابتعاد عن محارم اللّه، ويحمله على المحافظة على الصلاة وأنواع الطاعات، قال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]، وقال تعالى عن الأبرار: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾ [الإنسان: ٧-١٢].

كما أن الإيمان بهذا اليوم يحمل على الثبات في مواقف الجهاد والاستشهاد في سبيل اللّه، كما أخبر اللّه عن قوم طالوت أنهم لما قال بعضهم: ﴿**لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وعدم الإيمان باليوم الآخر يحمل على الكفر والمعاصي وعلى الظلم والعدوان، والبغي والفساد، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يونس: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾ [ص: ٢٦]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا**﴾ [النبأ: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ [الماعون: ١-٣].

فاتقوا اللّه عباد اللّه، ولا تنسوا هذا اليوم الذي لا بد لكم من لقائه ولا يتخلف أحد عن حضوره، فاستعدوا له بصالح الأعمال والتوبة من الذنوب، والإهمال، واتبعوا ما أُنزل إليكم من ربك وتمسكوا بسنّة نبيّكم واحذروا البدع والمخالفات، فإنَّ خير الحديث كتاب اللّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ . . . إلخ.

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

الحمد للَّه رب العالمين، خلق كل شيء فقدَّره تقديراً، وقال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢، ٣].

والحمد للَّه الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبِّره تكبيراً، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، سبحانه وتعالى عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه اللَّه شاهداً ومبشِّراً ونذيراً، وداعيًا إلى اللَّه بإذنه وسراجًا منيراً، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيراً... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه واعلموا أن الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي بيّنها النبي ﷺ بقوله: «**الإيمان أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

والقــدر: مصدر من قدَّرت الشيء إذا أحطت بمقداره، والمراد به هنا تعلق علم اللَّه بالكائنات وإرادته لها قبل وجودها، فلا يحدث شيء إلا وقد علمه اللَّه وقدَّره، وأراده وأوجده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا رادّ لقضائه ولا معقِّب لحكمه، والإيمان بالقدر يتضمن أربع درجات:

الأولى: الإيمان بأنَّ اللَّه عَلِمَ الأشياء قبل وجودها.

الثانية: الإيمان بأن اللَّه كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

الثالثة: الإيمان بمشيئة اللَّه لكل حادث وقدرته التامّة عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] في موضعين من كتابه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤].

الرابعة: الإيمان بانفراد اللَّه بإيجاد كل المخلوقات، فهو الخالق وحده وما سواه مخلوق،

كما قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ فاطر:٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦].

وتقدير اللَّه سبحانه للأشياء على نوعين:

النوع الأول: التقدير العام الشامل لكل كائن، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ، فقد كتب اللَّه فيه مقادير كل شيء إلىٰ أن تقوم الساعة، كما في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره عن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**أول ما خلق اللَّه القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتَّى تقوم الساعة**» وهذا التقدير يعم جميع المخلوقات.

النوع الثاني: تقدير مفصّل لهذا التقدير العام، وهو أنواع:

النوع الأول: التقدير العمري، وهو ما يجري علىٰ كل إنسان في مدة عمره في هذه الحياة، كما في حديث ابن مسعود في شأن ما يكتب علىٰ الجنين وهو في بطن أمه من كتابة أجله ورزقه وعمله وشقاوته، أو سعادته.

النوع الثاني: التقدير الحولي، وهو ما يقدّر في ليلة القدر من وقائع العام، كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤].

النوع الثالث: التقدير اليومي، وهو ما يُقدَّر من حوادث اليوم من حياة وموت وعز وذل، وغير ذلك، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]، ولا بد للمسلم من الإيمان بالقدر بجميع تفاصيله كما عليه أهل السنة والجماعة، فمن جحد منها شيئًا لم يكن مؤمنًا بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر فقد جحد ركنًا من أركان الإيمان، وكان من الفرق الضالّة المنحرفة.

ومع الإيمان بالقدر لا بد من الإيمان بأنَّ اللَّه جعل للعبد مشيئة وقدرة واختيارًا وتمييزًا بين الضارّ والنافع، يعرف الخير ويستطيع أن يفعله بإرادته واختياره، ويعرف الشر ويستطيع أن يتركه بإرادته واختياره، ولذلك صار يُثاب علىٰ فعل الخير، ويعاقب علىٰ فعل الشر، لأن الكل فعله وكسبه بإرادته واختياره، والعاجز والمكره والناسي لا

يؤاخذون، إما لعدم القدرة وإما لعدم الإرادة.

ومشيئة العبد وإرادته لا تخرجان عن مشيئة الله وإرادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] فأثبت للعبد مشيئته وربطها بمشيئته سبحانه وجعلها تابعة لها، وأمر سبحانه بالأعمال الصالحة التي هي سبب للسعادة، ونهى عن الأعمال السيئة التي هي سبب للشقاوة، وقال النبي ﷺ: «اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلق له» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]، رواه البخاري، والله سبحانه رتَّب الجزاء على العمل لا على القدر الذي قدَّره على العبد، فقال: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۞ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩، ٩٠].

وبعض الناس قد يغالطون في مسألة القضاء والقدر ويفهمونه على غير مقصوده، فإذا أُمروا بالأعمال الصالحة ونُهوا عن المعاصي قالوا: إن كان الله قد قدَّر أننا من أهل السعادة فسنكون من أهلها، وإن كان قدَّر أننا من أهل الشقاوة فسنكون من أهلها، ولا يفعلون أسباب السعادة ولا يتركون أسباب الشقاوة، وهؤلاء جهلة مغالطون؛ لأن الله جعل لكل شيء سببًا، وربط النتائج بأسبابها، فإذا لم تعمل هذه الأسباب لم تحصل النتائج، فجعل الطاعة سببًا للثواب وجعل المعصية سببًا للعقاب، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

وهؤلاء الذين يعطلون الأسباب النافعة ويحتجُّون بالقدر يتناقضون مع أنفسهم، فإنه لو قيل لأحدهم اترك الأكل والشرب؛ لأنَّ الله إن كان كتب لك أن تعيش فستعيش بلا أكل ولا شرب، واترك الزواج؛ لأنَّ الله إن كان كتب لك ذرية فتحصل لك بلا زواج، فإنَّه يستنكر هذا القول ويعتبره ضربًا من الهذيان، فكيف إذًا يترك الطاعة ويقول إن كان الله قدَّر لي السعادة فسأحصل عليها بدون طاعة، إن الواجب على المسلم أن يُباشر الأسباب النافعة ويترك الأسباب الضارّة، كما أنَّه يأكل ويشرب ويتداوى ليعيش ويسلم من الأمراض، وكما أنه يتجنب المخاطر ليسلم من الهلاك ويعترف بأن هذه المقاصد لا تحصل إلا بتعاطي أسبابها، فكذلك يجب عليه أن يتعاطى أسباب السعادة ليحصل عليها، ويتجنب أسباب الشقاوة ليسلم منها.

عباد الله: اعلموا أنَّ من أعظم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر صحة إيمان الشخص وتكامله؛ لأنه بذلك يكون قد آمن بكل ما يجب الإيمان به، واستكمل أركان الإيمان، ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر طمأنينة القلب وارتياحه وعدم القلق في هذه الحياة، خصوصًا عندما يتعرض الإنسان لمشاق الحياة؛ لأن العبد إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فإنه عند ذلك تسكن نفسه ويطمئن باله، بخلاف مَن لا يؤمن بالقدر فإنه عندما تصيبه مصيبة أو يفوته شيء مما يحب، فإنه يجزع ويسخط ويقلق ويضيق من حياته ويحاول الخلاص منها، وربما ينتحر ويقتل نفسه، وقد كثرت في هذا الزمان حوادث الانتحار من الرجال والنساء الذين لا يؤمنون بالقضاء والقدر، فيفرّون من واقعهم ويتشاءمون بمستقبلهم ويأخذهم اليأس، وقد أخبر اللَّه سبحانه أن الذي يؤمن بالقضاء والقدر يثبت عند المصائب ويصبر عند النوازل ويحتسب الأجر والثواب على مصيبته، فتكون مصيبته خيرًا له وتكون عاقبته حميدة.

قال اللَّه تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]. قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند اللَّه فيرضى ويسلم، ومعنى الآية الكريمة: أن من أصابته مصيبة فعلم أنها من عند اللَّه وأن اللَّه قدَّرها فصبر واحتسب هدى اللَّه قلبه وعوَّضه عمَّا فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينًا صادقًا في نفسه، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرًا منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فأخبرنا سبحانه أنَّه قدَّر ما يجري من المصائب في الأرض والأنفس، وكتبه في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ثم بيَّن سبحانه أن الحكمة في إخباره لنا بذلك لأجل أن نطمئن فلا نجزع ولا نأسف عند المصائب، ولا نفرح عند حصول النِّعَم فرحًا ينسينا العواقب ونأمن به من مكر اللَّه، بل نصبر عند الشدائد والضراء، ونشكر عند الرخاء والسراء، قال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا، والحزن صبرًا، وليس معنى هذا أن نعطل الأسباب الجالبة للخير، والواقية من الشر، ولكن نكون مع إيماننا بالقدر

نتخذ الأسباب التي أمر اللَّه بها .

فإذا أخفقنا في عدم الحصول على المطلوب فعلينا أن نرضى بقضاء اللَّه وقدره ، ولا نجزع ، ونعلم أنَّه لو قدّر لنا غير ما حصل لكان ، كما قال النبي ﷺ : «**احرص على ما ينفعك، واستعن باللَّه ولا تعجز، فإنْ أصابك شيء فلا تقل: لو أنِّي فعلت كذا لكان كذا، أو كذا، لكنْ قُلْ قدَّر اللَّه وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**» رواه مسلم . وعلى العبد أن يحاسب نفسه ، ويصحح أخطاءه ويعلم أنه لا يصيبه شيء إلا بسبب ذنوبه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٣٠] .

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في الإيمان بالقدر

الحمد للَّه على فضله وإحسانه ، قدّر فهدى ، وأخبر أن الإنسان لن يترك سُدًى ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ** ﴾ [النجم:٣٩-٤١]، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، له الحمد في الآخرة والأولى ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أنزل عليه ﴿ **وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ** ﴾ [الأعلى:٨، ٩] فامتثل أمر ربه وذكر أمته وأمر ونهى ، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه أولي الفضائل والنهى ، ومن تبعهم بإحسان واقتفى ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا ، أما بعد :

أيها الناس: اتقوا اللَّه واعلموا أن العاقبة للتقوى .

عباد اللَّه: مما يجب التنبيه عليه أنَّ بعض الناس يخطئ في موضوع القدر خطأً فاحشًا ويضلّون ضلالاً مبينًا حينما يحتجّون بالقضاء والقدر على تبرير فعلهم للمعاصي وتركهم للتوبة منها ، ويقولون هذا مقدّر علينا ، كما قال المشركون إذا نُهوا عن الشرك ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وهذا فهم سيئ للقضاء والقدر ؛ لأنَّه لا يحتجّ بهما بعد فعل المعاصي والمعائب ، وإنما يحتجّ بهما بعد نزول المصائب . فالاحتجاج بالقدر بعد فعل المعاصي قبيح ؛ لأنَّه يُفوت التوبة منها ويكسل العبد عن العمل الصالح ، والاحتجاج بالقدر بعد حصول المصائب حسن ومفيد ؛ لأنه يحمل على الصبر والاحتساب .

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أنه يدفع الإنسان إلىٰ العمل والإنتاج والقوة والشهامة والشجاعة، فالمجاهد في سبيل اللَّه يمضي في جهاده ولا يهاب الموت؛ لأنه يعلم أن الموت لا بد منه وأنَّ المقدَّر لا بدّ أن يقع، وأنَّ الأجل لا يؤخر ولا يمنع منه حصون ولا جنود، كما قال تعالىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا﴾ [التوبة: ٥١].

فحينما يستشعر المجاهد في نفسه هذه الدفعات القوية من الإيمان بالقضاء والقدر يمضي في جهاده حتىٰ يتحقق له النصر علىٰ الأعداء وتتوفر القوة للإسلام والمسلمين، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر يوفّر الإنتاج والثراء للفرد والجماعة؛ لأن المؤمن إذا علم أن الناس لا يضرّونه إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليه، ولا ينفعونه إلا بشيء قد كتبه اللّه له، فإنَّه لن يتواكل ولا يهاب المخلوقين ولا يعتمد عليهم، وإنما يتوكل علىٰ اللَّه ويمضي في طريق الكسب وطلب الرزق، وإذا أصيب بمصيبة أو لم يتوفر له مطلوبه فإنَّ ذلك لا يثنيه عن مواصلة الجهود ولا يقطع منه باب الأمل ولا يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا أو كذا، وإنما يقول: (قدر اللَّه وما شاء فعل) ويحاسب نفسه ويصحّح خطأه، وبهذا يقوم كيان المجتمع وتنتظم مصالحه.

ومن ثمرات الإيمان بالقدر، تعظيم العبد لربه، وخوفه منه ورغبته فيما عنده وتعلقه به دائمًا؛ لأنه يعلم أن الأمور بيد اللَّه ـ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يلتفت إلىٰ غيره ولا يذل ولا يهن للمخلوقين؛ لأنه يعلم أنه لا يأتي بالحسنات إلا اللَّه، فلا يخاف من مخلوق، ولا يعتمد إلا علىٰ ربِّه.

نسأل اللَّه عزَّ وجلَّ أن يجعلنا من المؤمنين بقضائه وقدره، والعاملين بطاعته التاركين لمعاصيه، ومن الناس من إذا أصابه مكروه فإنَّه لا يحاسب نفسه ويعلم أن ما أصابه بذنوبه فيتوب إلىٰ اللَّه ويتَّعظ، وإنما يجزع ويلقي اللوم علىٰ القدر وربما يسبّه، كما يقول بعض الصحفيين والكتَّاب: يا ظلم القدر، يا قسوة القدر، يا لسخرية القدر، وأمثال هذه الألفاظ الشنيعة التي فيها سبّ اللَّه عزَّ وجلَّ لأنه هو الذي قدّر المقدور، وبيده تصريف الأمور، فكأنَّ هذا يقول: ظلمني ربي، وسخر بي ربي، وقسا عليّ، وأنا أستحق غير هذا...

قال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه: وأكثر الناس يظنون باللَّه ظنَّ السوء فيما يختصّ بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف اللَّه وأسماءه وصفاته وموجب

حكمته وحمده، فليعتنِ اللبيب والناصح لنفسه بهذا. وليتب إلىٰ اللَّه ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا علىٰ القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذاوكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنجُ من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيًا

وهذا الذي ذكره الإمام ابن القيم يجري علىٰ ألسن كثير من الناس إذا رأوا رجلاً صالحًا قد ابتُلي بالفقر قالوا: هذا ما يستحق الفقر، وإذا رأوا رجلاً آخر قد وسّع عليه الرزق قالوا: هذا ليس أهلاً لذلك، وهذا قدح في القدر واعتراض علىٰ اللَّه، فالواجب علىٰ المسلم أن يحفظ لسانه من هذه الألفاظ البذيئة التي تخلّ بعقيدته ودينه، فتنبهوا لذلك رحمكم اللَّه، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه. . .

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان مزايا الإسلام

الحمد للَّه الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله وكفىٰ باللَّه شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا مزيدًا. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ واشكروا نعمته. حيث أرسل إليكم أفضل الرسل وأنزل عليكم خير الكتب وشرع لكم أكمل الشرائع، ورضي لكم الإسلام دينًا، فقد أرسل اللَّه رسوله محمدًا ﷺ علىٰ فترة من الرسل، يهدي به إلىٰ أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض علىٰ العباد طاعته، علّم به من الجهالة، وبصّر به من العمىٰ، وأرشد به من الغيّ، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غُلفًا، وأشرقت الأرض برسالته بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وترك أمته علىٰ المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

نعم كانوا في ضلال مبين في عقائدهم، حيث كانوا يعبدون الأصنام والأشجار والنيران، و منهم من يعبد الملائكة، والأولياء ويقولون: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ**

زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] هذه حال الوثنيين من العرب وغيرهم، ولا تقل عنها في الضلال حال الملّيين من اليهود والنصارى، حيث حرَّفوا دين الأنبياء واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه والمسيح ابن مريم، وكان الناس في ضلال مبين في حياتهم السياسية وخصوصًا العرب، فقد كانوا يعيشون في غارات وثارات وحروب طاحنة، وكانوا في ضلال مبين في حياتهم الاقتصادية ومعايشهم، كانوا يتعاملون بالربا ويعيشون من النهب والسلب ويأكلون الميتات والدم، وكانوا يسيبون بعض مواشيهم وزروعهم للأصنام، فلا ينتفعون بها، بل كان بعضهم يقتل أولاده تقربًا إلى الأصنام، وكانوا يقتلون بناتهم خشية العار، هكذا كانت حال أهل الأرض قبل بعثة النبيﷺ كما في الحديث: «**إنَّ اللَّه نَظَر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب**» أي: نزرًا يسيرًا ممن تمسك بما جاء به عيسى عليه السلام، في هذا الجو المظلم أشرقت أنوار الرسالة المحمدية، وقد اشتدت حاجة البشرية إليها، على حين فترة من الرسل وطموس من السبل، فعلم به من الجهالة، وهدى به من الضلالة، وأغنى به بعد العيلة، وأعزّ به بعد الذلّة، وكثّر به بعد القلّة، كما قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقد جمع الإسلام بين القلوب المتنافرة، والقبائل فجعلها أمة واحدة وإخوانًا متحابين في اللَّه وإن اختلفت أنسابهم وتباعدت ديارهم، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠] وقال تعالى: ﴿**الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

نعم ربط بينهم برباط الدين الذي هو أقوى من رابطة النسب، بل إن رابطة النسب لا قيمة لها مع اختلاف الدين، قال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة: ٢٢] ولذلك لا يرث الكافر قريبه المسلم ولا يرث المسلم قريبه الكافر؛ لانقطاع الرابطة بينهم، فالرابطة التي تجمع المفترق وتؤلف بين المختلف هي رابطة لا إله إلا اللَّه التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد، وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضًا، كما قال النبيﷺ: «**مَثَلُ المسلمين في تَوادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو**

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى».

بل إن دين الإسلام هو الرابطة التي ربطت أهل السماء بأهل الأرض كما قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٥] فالذي ينادي برابطة غير رابطة الإسلام كرابطة القومية والعصبية إنما يفرّق ولا يجمع، وإنما يدعو بدعوىٰ الجاهلية، وقد قال النبيﷺ: «ليس منّا مَن ضرب الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» وقالﷺ: «مَنْ تعزَّى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهنِّ أبيـه ولا تُكنُّوا» أي: قولوا له: اعضض بفرج أبيك؛ إهانة له، لأنه يدعو إلىٰ شيء قبيح، وفي بعض الغزوات حصلت مشادّة بين رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، فسمعها النبيﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية!!» ثم قال: «دعوها فإنها منتنة» فأمرﷺ بترك هذه الدعوة وأخبر أنها منتنة والمنتن خبيث، والله تعالىٰ حرَّم علينا الخبائث، ومن ذلك النداء بالقوميات والعنصريات، ولا سيما إذا كان القصد من ذلك الاعتياض به عن رابطة الإسلام، كما يريد دعاة القومية اليوم، وقد بيّن الله سبحانه أن الحكمة من جعله بني آدم شعوبًا وقبائل هي للتعارف فيما بينهم وليس للتعصب للعنصريات والقوميات، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، أي ليحصل التعارف بينكم كلٌّ يرجع إلىٰ نسبه وإلىٰ قبيلته، لا لتفاخروا بأنسابكم وقوميتكم، فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلىٰ آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالإيمان والتقوىٰ، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

عباد الله: إن هذا الدين الذي جمع الله به بين القلوب ووحد به الأمة الإسلامية حتىٰ صارت أعظم قوة علىٰ وجه الأرض تهاوت تحت أقدامها عروش الأكاسرة والقياصرة فأسقطت أعظم دولتين علىٰ وجه الأرض، هما دولة الفرس ودولة الروم، إن هذا الدين صالح اليوم وفي كل زمان لأن يعيد لهذه الأمة عزتها ومكانتها إذا رجعت إليه وتمسكت به كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

إن هذا الدين هو سبيل النجاة في الدنيا والآخرة، في الدنيا يعصم الدم والمال ويوفّر الأمن والاستقرار، ويجلب القوة والاتحاد بين المسلمين حتَّىٰ تصبح لهم السيادة والقيادة والسعادة في الأرض، وفي الآخرة ينجي من النار والعذاب الأليم، ويكون سببًا لدخول جنات النعيم، والسلامة من الأخطار والآفات، وبدون هذا الدين لا نجاة ولا سعادة، وإنما الخسارة الدائمة، والشقاوة اللازمة.

نسأل اللَّه عزَّ وجل أن يرزقنا التمسك بهذا الدين والثبات عليه إلىٰ يوم نلقاه إنه قريب مجيب، أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في بيان مزايا الإسلام

الحمد للَّه علىٰ فضله وإحسانه، رضي لنا الإسلام دينًا، وأمرنا بالتقوىٰ؛ لأنها خير لباس، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وهو رب الناس، ملك الناس، إله الناس، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين، وشرح له صدره ورفع له ذكره، وجعل الذلّة والصغار علىٰ من خالف أمره، صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وصحبه، وكلّ من آمن به وتمسك بسنّته إلىٰ يوم الدين... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ وتمسكوا بالإسلام الذي اختاره اللَّه سبيلاً إلىٰ دار السلام، واعلموا أن كثيراً من المنتسبين إلىٰ الإسلام اليوم اكتفوا بمجرد الانتساب من غير تحقيق لتلك النسبة من حيث التمسك بعقائده وشرائعه، فهم في العقيدة علىٰ دين الجاهلية، يعبدون القبور ويتقربون إليها بأنواع القربات كما كان أهل الجاهلية يعبدون اللات والعُزَّىٰ ومناة، ويتخذون من مشائخ الطرق الصوفية أربابًا من دون اللَّه يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن اللَّه من الأوراد البدعية وإحياء الموالد والذكريات المشتملة علىٰ كثير من الخرافات والشركيات، وبعضهم ينتسب إلىٰ أهل البيت كذبًا وزوراً، يريد من ذلك إغراء الجهال

بالتبرك به واتباعه على الباطل، وهو يعلم أن مجرد النسب لو صحّ فإنه لا يغني عنه من اللَّه شيئًا إلا إذا استقام على الحق قال ﷺ: «مَنْ بَطَّأ به عملُه، لم يُسْرِع به نسبه» وهذا أبو لهب عمّ النبي ﷺ لم ينفعه نسبه لما كان على دين المشركين، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] إلى آخر السورة.

وبعض المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بغير ما أنزل اللَّه، فيحكّمون القوانين الوضعية بدلاً من الشريعة الإسلامية، واللَّه تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، وهم في مجال التعامل لا يتورعون عن حرام، فيتعاملون بالربا والغش والخديعة والكذب، وقد قال النبي ﷺ: «من غشّنا فليس منّا» وقال عليه السلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره» ولا يأخذون من الإسلام إلا ما يوافق رغباتهم، وما خالف رغباتهم رفضوه كحال الذين قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]، والذين قال اللَّه فيهم: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٨، ٤٩].

فاتقوا اللَّه وتمسكوا بدينكم فيما أحببتم وفيما كرهتم، فربما يكون الذي كرهتم خيراً مما أحببتم، قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به» . . . واعلموا عباد اللَّه أن خير الحديث كتاب اللَّه. . . إلخ.



في بيان تحقيق الإسلام لأمن المجتمع

الحمد للَّه رب العالمين، جعل تحقيق الأمن مقرونًا بالإيمان الخالص من الشرك والطغيان فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى اللَّه عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعه وتمسك بدينه إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيراً. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ تأمنوا بتقواه من جميع المخاوف . . .

عبـــاد اللَّه: إن الأمن مطلب نبيل تهدف إليه المجتمعات البشرية وتتسابق لتحقيقه السلطات الدولية، بكل إمكانياتها الفكرية والمادية، والأمن ضد الخوف، وهو سكون القلب وذهاب الروع والرعب، والبلد الآمن والأمين هو الذي اطمأن به أهله، وطلب الأمن مقدّم علىٰ طلب الغذاء؛ لأن الخائف لا يتلذذ بالغذاء ولا يهنأ بالنوم ولا يطمئن في مكان، ولهذا لما دعا خليل اللَّه إبراهيم عليه السلام لمكة المشرفة قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة:١٢٦]، فدعا بتوفير الأمن قبل توفير الرزق؛ فالأمن مطلب ضروري لكل البشر.

ولكن ما هي وسائل توفير الأمن؟ هل يتوفر الأمن بالبطش والجبروت، والاستبداد من الولاة، وهو ما يسمىٰ اليوم بالديكتاتورية؟ أو يتوفر بالتساهل والتسامح مع المجرمين والمفسدين إلىٰ حد الفوضىٰ وهو ما يسمىٰ بالديمقراطية؟ أو يتوفر باستعمال الأجهزة الدقيقة والأسلحة الفتاكة وما توفر بالمخترعات الحديثة من إمكانيات؟ أو يتوفر الأمن بقوة الحصون والأبواب والحراس؟ لقد فشلت كل هذه الوسائل وأفلست كل نظم الأرض وحيل البشر فلم تستطع توفير الأمن، وأدل دليل علىٰ ذلك واقع الدول الراقية التي تملك كل عناصر القوة المادية وما تعانيه من الفوضىٰ وانتشار الخوف في ربوعها وتسلط المجرمين علىٰ شعوبها حتَّىٰ إنَّ من يسافر إليهم لا يأمن علىٰ نفسه ولا يستطيع أن يحمل معه شيئًا من النقود الضرورية إلا وهو خائف أشد الخوف ومتوقع للغدر في كل لحظة، إذًا فما هي الأسباب الصحيحة لتوفير الأمن للمجتمعات بعدما جربت البشرية كل النظم؟ إن أسباب الأمن تتوفر في شيء واحد، هو دين الإسلام الذي اختاره اللَّه للبشرية جميعًا إلىٰ يوم القيامة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وقال عنه جلَّ وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال عن نبيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وخير شاهد علىٰ ذلك حال العرب خاصة والعالم عامة قبل مجيء هذا الدين، فقد كانوا في جاهلية جهلاً، وضلالة عميًا، وكانت جزيرة العرب بالذات مسرحًا للفتن والاضطرابات والنهب والسلب والحروب، فلما جاء هذا الدين ودخلوا فيه تحولوا إلىٰ مجتمع مثالي يسوده الأمن ويحكمه الوحي وتوجهه العقيدة السليمة، تحولت فيه العداوة إلىٰ محبة، والقطيعة إلىٰ أخوة، والشحّ

والأثرة إلى إيثار ومواساة، كما قال تعالى مذكرًا عباده هذه النعمة: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

هذا شاهد من الماضي على توفر الأمن في هذا الدين، وبين أيدينا شاهد من الحاضر الذي نعيشه، وهو أن بلادنا هذه كانت تعيش حالاً من الفوضى والخوف والتناحر بين البادية والحاضرة من ناحية، وبين الحاضرة بعضها مع بعض من ناحية أخرى، كل قرية تغير على القرية الأخرى، وكان بين أهل تلك البلاد من العداوات والثارات الشيء الكثير، فلمَّا منَّ اللَّهُ على أهل تلك البلاد بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه إلى العقيدة الصحيحة والتمسك بهذا الدين واستجابوا لتلك الدعوة المباركة وناصروها، توفر لهم الأمن وقامت لهم دولة إسلامية تحكم بشريعة اللَّه، فكانت ولا تزال بحمد اللَّه مضرب المثل في العالم في توفر الأمن حتى شهد لها بذلك القاصي والداني وأصبحت أرقى الدول في توفر الأمن وانخفاض نسبة الجرائم الأمنية، وكتب عنها الرحالة والمستشرقون شهادات الإعجاب والتقدير، مما يدل على أن هذا الدين هو الذي يوفّر الأمن، وأهم مقوّمات الأمن في هذا الدين هي الإيمان باللَّه ومراقبته والشعور بأنه مطّلع على عبده في السر والعلن، وأنه يجازي عباده على تصرفاتهم. فكلما همّ العبد بمواقعة جريمة تذكَّر ذلك فانكفّ عنها خوفًا من اللَّه تعالى، ومن مقوِّمات الأمن في الإسلام إصلاح العقيدة بعبادة اللَّه وحده وترك عبادة ما سواه وذلك مما يجعل المسلمين إخوة متحابين في اللَّه لا يعتدي بعضهم على بعض، ويتضمن هذين العنصرين الهامّين من مقومات الأمن قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

ومن مقومات الأمن في الإسلام: إقامة الصلاة؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وإيتاء الزكاة؛ لأن الزكاة مواساة للفقراء والمحتاجين تزرع المحبة في القلوب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن في ذلك أخذًا على يد السفيه ومنعًا له من ملابسة

الإجرام، ويتضمن هذه العناصر قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

ومن مقومات الأمن في الإسلام: اجتماع الكلمة وطاعة ولي الأمر ما لم يأمر بمعصية، والتحاكم إلىٰ شرع اللَّه، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]؛ ومن هنا حرَّم اللَّه الخروج علىٰ ولي الأمر وشقّ عصا الطاعة لما يترتب علىٰ ذلك من المفاسد واختلال الأمن وحدوث الفوضىٰ، وتفرُّق الكلمة، كما هو مشاهد في المجتمعات التي استخفّت بهذا الأصل ولم تحترم سلطاتها باسم الحرية، فنشأت فيها الحزبيات المتناحرة، كل حزب يريد أن يتغلب علىٰ السلطة وأن ينتصر علىٰ الحزب الآخر بالثورات الدموية التي يذهب فيها كثير من الأنفس والأموال، ومن مقوِّمات الأمن في الإسلام شكر النعم التي ينعم بها علىٰ الأفراد والجماعات بالاستعانة بها علىٰ طاعة اللَّه وصرفها فيما يفيد؛ لأن كفر النِّعَم سبب لحلول ضدها من الخوف والجوع، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

ومن مقومات الأمن في الإسلام: إقامة الحدود التي شرعها اللَّه ردعًا للمجرمين الذين ضعف إيمانهم ولم ينفع فيهم الوعظ والتذكير والأمر والنهي، فهؤلاء شرع اللَّه لهم عقوبات تردعهم عن غيّهم وتزجر غيرهم أن يفعل مثل فعلهم... فشرع اللَّه قتل القاتل، وقطع يد السارق، وقطع الأيدي والأرجل، أو القتل والصلب لقطّاع الطرق، ورجم الزاني المحصن، وجلد الزاني غير المحصن وجلد القاذف وشارب المسكر، كل ذلك لحفظ الأمن وليذوق المعتدي مرارة العقوبة كما أذاق المجتمع مرارة الخوف والعدوان، تلكم أهم مقوِّمات الأمن في الإسلام الذي رضيه اللَّه دينًا لعباده، فالحمد للَّه علىٰ فضله وإحسانه، ونسأله أن يتوفّنا مسلمين، أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية: في بيان أسباب توفير الأمن

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله مالك يوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه بالهدىٰ ودين الحق رحمة للعالمين، وحجة علىٰ المعاندين، ومنّة على المؤمنين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحابته أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين . . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

عباد الله: وكما أن الإسلام يحقق الأمن من مخاوف الدنيا فهو كذلك يحقق الأمن من مخاوف يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۝ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة تدل علىٰ أن الإسلام يوفر الأمن للمسلم في الدنيا والآخرة، وبدون الإسلام فلا أمان ولا نجاة، وإنما هو الخوف الملازم، والعذاب الدائم كما قال تعالىٰ عن الكفار: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] فأخبر سبحانه أن الذي يستعيذ بغير الله أن ذلك يزيده خوفًا وهلعًا؛ لأنَّ الاستعاذة بغير الله شرك، وواقع الناس اليوم خير شاهد لذلك، فإن دول الكفر عمومًا وكذلك المرتدون الذين ابتعدوا عن الإسلام من العرب وحكموا شعوبهم بغير ما أنزل الله، وعطّلوا حدود الله، وسمحوا بمزاولة الشرك الأكبر حول الأضرحة في بلادهم ما زالوا في خوف وقلق واضطراب وثورات متتابعة، كما تسمعون من أخبارهم صباحًا

ومساءً، ولا خلاص لهم من ذلك إلا بالرجوع إلى الإسلام رجوعًا صحيحًا، لا رجوعًا جزئيًا كما يطالب بذلك بعض الفئات التي تطالب بتطبيق حدود اللَّه فقط ولا تطالب بإزالة مظاهر الشرك أولاً والرجوع إلى العقيدة الصحيحة التي هي أساس الشريعة ورأس الإسلام، والتي هي بداية دعوة الرسل، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

نسأل اللَّه أن يصلح أحوال المسلمين بالاستقامة على الدين، والرجوع إلى الكتاب والسنة وما كان عليه جماعة المسلمين، فإن خير الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ... إلخ.

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

في التحذير من كيد الكفار للإسلام والمسلمين

الحمد للَّه رب العالمين، أعزَّنا بالإسلام، وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وهو رب الناس، ملك الناس إله الناس، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى جميع الناس، وجعل شريعته باقية وعامة لجميع الأجناس، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوه، ونشروا دينه وبلّغوه، وسلّم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالى واعلموا أنكم مسئولون عن دين الإسلام وما قمتم به نحوه في خاصة أنفسكم ومع غيركم، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف: ٤٤] وقال تعالى: ﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ**﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

عباد اللَّه: إن أعداء الإسلام منذ بعث اللَّه رسوله محمدًا ﷺ وهم يكيدون له ويحاولون القضاء عليه، قال تعالى: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾ [النساء: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة: ٢١٧] حاولوا صدّ الناس عن اتباع الرسول ووصفوه بأشنع الأوصاف وحاولوا قتله، وقاتلوه وقاتلوا أتباعه فلم يفلحوا، ثم لجئوا إلى طريقة خبيثة ماكرة وهي الدخول في

الإسلام ظاهراً والكيد له باطنًا، فكان فريق المنافقين وسرعان ما فضح اللَّه كيدهم وحذَّر المسلمين من شرهم وكشف نواياهم وخططهم، ولما توفي النبي ﷺ تألَّب اليهود والمجوس على المسلمين، فأظهر ناسٌ منهم الإسلام خدعة واندسوا بين المسلمين لبثّ الفتنة والإفساد، وادّعوا التشيّع لأهل البيت واغتالوا الخلفاء وأثاروا الحروب بين المسلمين، ولكن سرعان ما أبطل اللَّه كيدهم واجتمعت كلمة المسلمين واستردّت الدولة الإسلامية سيطرتها على مشارق الأرض ومغاربها في عهد الدولة الأموية والعباسية، فتحوّل هؤلاء المنافقون من اليهود والمجوس إلى منظمات سرية فكانت منهم منظمة إخوان الصفا، التي أصدرت رسائلها في الدعوة إلى الإلحاد والتشكيك في الدين وإفساد العقائد وعرفت عند المسلمين برسائل إخوان الصفا، وتشعبت هذه الطائفة المدسوسة على المسلمين إلى فرق القرامطة والباطنية الإسماعيلية ودسّوا على المسلمين نحلة جديد هي نحلة التصوف الذي نَمَت بذوره وطورت مناهجه وصار يعمل إلى جانب التشيّع لهدم الإسلام، فبثّت هاتان الفرقتان فتنة البناء على القبور وتشييد المشاهد الشركية التي أصبحت أوثانًا تُعبد من دون اللَّه في كثير من البلاد ولا تزال. . .

وجاء غزو التتار الذي فتك بالمسلمين وقتل الخليفة، واحتل كثيراً من بلاد المسلمين وقتل كثيراً من العلماء وأحرقوا الكتب ودارت بينهم وبين بقية المسلمين معارك هائلة انتهت بانتصار المسلمين، ثم جاء الغزو الصليبي النصراني فاحتل كثيراً من بلاد الشام واستولى على المسجد الأقصى مدة من الزمن، وقاتلهم المسلمون حتى نصرهم اللَّه على يد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي الذي خلَّص المسجد الأقصى من قبضتهم، ولمَّا ضعف المسلمون في العصور المتأخرة غزاهم الاستعمار الكافر واستولى على كثير من بلادهم وقسّمهم إلى دويلات وبثّ سمومه وأحقاده فيهم، ولما انحسر هذا الاستعمار السياسي بقي الاستعمار الفكري الذي هو عبارة عن الإلحاد في العقائد والفساد في الأخلاق والإغراق في الشهوات البهيمية، وتكونت المنظمات والإرساليات التبشيرية النصرانية والمنظمات الماسونية اليهودية، واتجهت كل هذه المنظمات تكيد للإسلام والمسلمين بشتَّى الوسائل، وإلى جانب هذه المنظمات الهدّامة الغزو الشيوعي الإلحادي الإباحي الذي ينكر الأديان جملة ولا يعترف بوجود الخالق، إن كل هذه الروافد الكفرية تصب في مصب واحد هو قصد القضاء على الإسلام، وقد استأجرت هذه المؤسسات الكفرية قومًا من جلدتنا ويتكلمون بلغتنا، استأجرتهم لتنفيذ مخططاتها في المسلمين فاستغلوا بعض القادة العرب ليكون عميلاً لهم في تنفيذ سياستهم، واستغلوا الفرق المنحرفة التي تتسمَّى بالإسلام كالصوفية وعباد القبور فشجعتهم وركّزتهم حتى ينتشر مذهبهم المنحرف على أنه هو الإسلام ويقضي على الدين

الصحيح، فلا تجد طائفة منحرفة عن الإسلام إلا ولها من يدعمها من أمم الكفر، واستغلوا وسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وصحافة في غالب البلاد العربية ودسّوا فيها البرامج الفاسدة المفسدة، من أفلام خليعة وأغانٍ ماجنة، وصور عارية، ومعازف ومزامير ملهية، وأناشيد مثيرة وتمثيليات مغرضة، وكتابات منحرفة في الصحف والمجلات، تندد بالدين وتدعو إلىٰ الكفر والإلحاد والتحلل من الأخلاق الفاضلة، واستغلوا المناهج التعليمية في بعض البلاد العربية فحوّلوها أو حوّلوا كثيرًا منها لخدمة مبادئهم وتلقين الشباب المذاهب الهدّامة، وغرس الكفر في نفوسهم، وإعطائهم صورة مشوّهة عن الإسلام وعقيدته، واستغلوا الأندية الرياضية في بعض البلاد العربية لتضليل الشباب وإشغالهم عن العمل النافع لمجتمعهم بالأنشطة الرياضية التي شغلت أوقاتهم وعطّلت طاقاتهم بلا فائدة تعود عليهم ولا علىٰ مجتمعهم، وبهذا تمكنت الماسونية وشقيقاتها من المنظمات الكفرية من تعطيل طاقات هؤلاء الشباب حتىٰ لا تستفيد منهم مجتمعاتهم، ولا يتنبهوا لكشف مخططاتهم؛ لأن قوة الأمة أو ضعفها يتركز علىٰ شبابها ومدىٰ انتباههم، واستغلت هذه المنظمات الكفرية جانب الكتاب والتأليف واستأجرت بعض الكتّاب المشبوهين المنتسبين للإسلام والكتّاب الجهال الذين ليست لديهم معلومات كافية عن الإسلام وثقافتهم فيه ضحلة، فأخذ هؤلاء وأولئك يكتبون عن الإسلام كتابات سيئة وعن تشريعاته في النكاح والطلاق والحدود والجهاد يتهمونه فيها بالقسوة والوحشية، وأنه ظلم المرأة وعطّلها عن العمل وحرم المجتمع من مشاركتها في التنمية والعمل، بل قالوا: إن الإسلام لا يصلح نظامًا للحكم في هذا الزمان فيجب أن يُستبدل بالقوانين الوضعية، واستجاب لهم من استجاب، وبقيت هذه البلاد السعودية بقيادتها الرشيدة، وستبقىٰ إن شاء اللّٰه تعالىٰ تحكم بالشريعة الإسلامية، غير متأثرة بتلك الدعوات الباطلة، فمنحها اللّٰه العزّ والأمن والتمكين وللّٰه الحمد.

ومن هؤلاء الكتّاب الماسونيين والمستشرقين والمأجورين من كُتّاب العرب من ينتقد كتب السنّة النبوية وكتب الفقه والعقائد والتفسير وكتب التاريخ، ويقول: لا بد من إعادة كتابتها من جديد، وغرضهم من ذلك تشكيك المسلمين في رصيدهم العلمي وقطع صلتهم به حتىٰ يسهل تضليلهم وفصلهم عن السلف الصالح وربطهم بثقافة الماسون وتلاميذهم، ومن دسائس هذه المنظمات الكفرية دعوتها إلىٰ إحياء الآثار القديمة والفنون الشعبية المندثرة حتىٰ يشغلوا المسلمين عن العمل المثمر بإحياء الحضارات القديمة والعودة إلىٰ الوراء وتجاهل حضارة الإسلام، وإلا فما فائدة المسلمين من البحث عن أطلال الديار البائدة، والرسوم البالية الدارسة؟ وما فائدة

المسلمين من إحياء عادات وتقاليد، أو ألعاب قد فنيت وبادت، في وقت هم في أمسّ الحاجة إلىٰ العمل الجاد المثمر؟ وقد أحاط بهم أعداؤهم من كل جانب واحتلوا كثيراً من بلادهم وبعض مقدساتهم، إنهم في مثل هذه الظروف بحاجة إلىٰ العودة إلىٰ دينهم وإحياء سنة نبيّهم والاقتداء بسلفهم الصالح حتّىٰ يعود لهم عزُّهم وسلطانهم، وحتىٰ يستطيعوا الوقوف علىٰ أقدامهم لردّ أعدائهم، وأن يعتزّوا برصيدهم العلمي من الكتاب والسنة والفقه ويستمدوا من ذلك خطة سيرهم في الحياة ويقرؤوا تاريخ أسلافهم لأخذ القدوة الصالحة من سيرهم، أما أن ينشغلوا بالبحث عن آثار الديار، وإحياء الفنون الشعبية بالأغاني والأسمار، وإقامة مشاهد تحاكي العادات القديمة، فكل ذلك مما لا جدوىٰ فيه، وإنما هو استهلاك للوقت والمال في غير طائل، بل ربما يعود بهم إلىٰ الوثنية والعوائد الجاهلية. فاتقوا اللّه عباد اللّه، واعملوا ما فيه صلاح لكم ولأمتكم وأوطانكم في دينكم ودنياكم ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

بارك اللّه لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في
التحذير من كيد الكفار للإسلام والمسلمين

الحمد للّه علىٰ فضله وإحسانه، حذَّرنا من مكائد الكفار، وبيّن لنا أنهم لا يألون جهداً في طلب الإضرار بنا، وإن تظاهروا لنا بالمودَّة والصداقة فقال تعالىٰ: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨]، وأشهد أن لا إله إلا اللّه، إليه يرجع الأمر كله، ولا عزَّ إلا بطاعته وعبادته وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبي شرح اللّه له صدره، ورفع له ذكره، وجعل الذلّة والصغار علىٰ مَن خالف أمره، صلىٰ اللّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين كانوا معه أشداء علىٰ الكفار رحماء بينهم، وسلم تسليماً كثيراً . . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللّه تعالىٰ وأطيعوه، واحذروا مما حذَّركم منه، ولا تعصوه . . .

عباد اللّه: ومن مكائد الكفار تحكّمهم في النُّظم الاقتصادية واستباحة الربا والمعاملات المحرمة باسم التنمية الاقتصادية، وتأثَّر بهم كثير من المسلمين حتىٰ أصبح الربا أساس مصادر الثروة في العالم، وفتحت المؤسسات الربوية وعمّمت في كثير من البلاد، وصار كثير من

المسلمين يستثمرون أموالهم فيها، أو يقترضون منها بالفوائد الربوية، مع أن الربا من الكبائر الموبقة، وقد توعد اللَّه آكله بأشد الوعيد وأعلن الحرب عليه، ولعن رسول اللَّه ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه، وقد تجاهل بعض المسلمين أو تناسى هذه التهديدات الربَّانيَّة وتأثر بالدعوات المضللة، وحمله حب المال على التعامل الربوي أخذاً وإعطاءً.

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، واقنعوا بما أباح اللَّه من المكاسب، ففيه البركة والخير، وأما الكسب المحرم فإنه شرٌّ ووبال وعقاب عاجل وآجل مَنْ أكل منه تغذى بحرام ونبت جسمه من سحت، وكل جسم نبت من سحت فالنار أولى به، وإن تصدَّق منه لم يقبل، وإن مات وورثه لغيره كان زاده إلى النار، فماذا استفاد إذن؟ إنه لم يستفد إلا التعب في الدنيا والعذاب في الآخرة، وأيّ عاقل يرضى لنفسه بذلك؟! اللَّهُمَّ أغننا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمَّن سواك وقنا شُحَّ أنفسنا ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

عباد اللَّه: ومع هذه المكائد والأتعاب التي يبذلها الكفار للصد عن دين الإسلام؛ فإن الإسلام سيبقى غضًا طريًا كما أنزل، لا تؤثر عليه تلك الدعايات مهما بلغت، كما تكفل اللَّه بحفظه، وسيقيِّض اللَّه له أنصاراً يتمسكون به ويحمونه كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه تعالى وهم على ذلك**» ولكن الشأن بنا، فإننا إن غيَّرنا وبدّلنا غيَّر اللَّه علينا واستبدلنا بغيرنا كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، وتمسكوا بكتاب اللَّه وسنة رسوله، والزموا جماعة المسلمين واحذروا البِدَع والمحدثات، فإنَّ خير الحديث كتاب اللَّه... إلخ.



في الحث على المحافظة على الصلاة

الحمد للَّه رب العالمين، جعل الصلاة ثانية أركان الإسلام وأمر بإقامتها والمحافظة عليها على الدوام، وأخبر أنها تنهى عن الفحشاء والآثام، أحمده على إحسانه الخاص والعام، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وصفاته وأسمائه العظام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كانت الصلاة قرّة عينه ونعيم قلبه، وكان يفزع إليها عند الأحداث العظام، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وسلَّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ وحافظوا علىٰ الصلوات ولازموا حضور الجمع والجماعات، كما أمركم بذلك ربكم، وحثكم عليه نبيكم، فإن الصلاة هي ثاني أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي عمود الإسلام، وهي الفارقة بين المسلم والكافر، وهي شعار النبيين، وعلامة المتقين، والصلة بين العبد ورب العالمين، وهي محل عناية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥]، وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال عيسىٰ عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠، ٣١]، وقال اللَّه لنبينا محمد خاتم النبيين ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝٩٨ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩]، وقال له: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨، ٧٩]، وقال له: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقد فرض اللَّه علىٰ هذه الأمة خمس صلوات في اليوم والليلة في أوقات مناسبة لا تعطلهم عن مصالحهم، بل تعينهم عليها، وليكرروا الاتصال به سبحانه، والوقوف بين يديه فيقبل عليهم بوجهه الكريم، ويسمع دعاءهم ويستجيب نداءهم ويغفر ذنوبهم، ويرفع درجاتهم، وقد شبَّه النبي ﷺ هذه الصلوات الخمس بالنهر الجاري علىٰ باب المسلم يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات، فيستمر نظيفًا ليس عليه أوساخ، فكذلك الصلوات الخمس تطهر العبد من الذنوب وتستمر له هذه الطهارة ما دام محافظًا علىٰ الصلاة، وأولها صلاة الفجر يفتتح بها العبد يومه وتكون حرزًا له من الشيطان وعونًا له في طلب الخيرات، ينطلق العبد بعد صلاة الفجر في أعماله الدنيوية نشيطًا طيب النفس وإذا ارتكب بعض الأخطاء في أثناء عمله في النهار واكتسب شيئًا من الذنوب جاءت صلاة الظهر وصلاة العصر فمحىٰ اللَّه بهما ما حصل منه وكفَّر بهما سيئاته، ثم تأتي صلاة المغرب وهي وتر النهار يفتتح بها العبد ليلته ويكفّر اللَّه بها ما بينها وبين صلاة العصر من السيئات ثم تأتي صلاة العشاء خاتمة لعمله اليومي ويكفّر اللَّه بها ما بينها وبين صلاة المغرب من السيئات، ثم

ينام العبد بعد صلاة العشاء وقد غفر له فينام على هذه الحال الطيبة، ولهذا كان النبي ﷺ يكره الحديث بعد صلاة العشاء لينام على مغفرة اللّه له، قال اللّه تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود: ١١٤]، وأخبر النبي ﷺ: «**إن الصلوات الخمس مكفِّرات لما بينهنَّ إذا اجتنبت الكبائر**». فالصلوات الخمس إنما يكفّر اللّه بها ما وقع بينها من الذنوب الصغائر، أما الذنوب الكبائر وهي ما ترتب عليه حدّ في الدنيا أو وعيد في الآخرة كأكل الربا والكذب والغش في المعاملات وشهادة الزور فإنها لا تكفر إلا بالتوبة منها. فلا غنى بك أيها المسلم عن هذه الصلوات الخمس، ولا يستقيم لك دين إلا بها بل لا تعتبر مسلمًا إلا بإقامتها.

قال تعالى: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾ [التوبة: ١١]. فالذي لا يقيم الصلاة ليس أخًا لنا في الدين لأنه ليس من المسلمين.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**بين العبد وبين الكفر تركُ الصلاة**» ولا سعادة ولا نجاة إلا بالمحافظة على الصلاة، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ**﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥] ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩-١١]. وإذا سئل أصحاب النار: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣] أي: إن الذي سبب لنا دخول النار هو ترك الصلاة.

إذًا فالصلاة تتوقف عليها سعادة الدنيا والآخرة، وقال عليه الصلاة والسلام: «**والصلاة نور**» فهي للمؤمنين في الدنيا نور في قلوبهم وبصائرهم، تشرق بها قلوبهم وتستنير بصائرهم ولهذا كانت قرة عين المتقين، وخرّج الطبراني من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا: «**إذا حافظ العبد على صلاته فأقام وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له: حفظك اللهُ كما حفظتني وصعد بها إلى السماء ولها نور، تنتهي إلى الله عز وجل فتشفع لصاحبها**» وهي في الآخرة نور للمؤمنين في ظلمات يوم القيامة على الصراط، فإن الأنوار تقسم لهم على حسب أعمالهم، وفي «المسند» و«صحيح ابن حبان» عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة فقال: «**من حافظ عليها، كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكنْ له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة**» قال الإمام أحمد رحمه اللّه: إنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة، فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله عز وجل ولا قدر للإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك.

عباد الله: واعلموا أن الذي فرض الصلاة وجعلها عمود الإسلام وثانية أركانه العظام قد أوجب لها الجماعة وأمر ببناء المساجد لإقامتها فيها، وشرع المناداة لحضورها، فلا يَسَعُ مسلمًا يؤمن بالله واليوم الآخر أن يترك الصلاة مع الجماعة في المسجد من غير عذر شرعيٍّ، قال الإمام ابن المنذر رحمه الله: دلّت الأخبارُ على وجوبِ فرض الجماعة على من لا عذر له، فمما دلَّ عليه قوله لابن أُمِّ مكتومٍ وهو ضرير: «**لا أجد لك رخصة**» فإذا كان الأعمى لا رخصة له فالبصير أولى أن لا تكون له رخصة، وفي اهتمامه ﷺ بأن يحرق على قوم تخلفوا عن الصلاة بيوتهم أبين البيان على وجوب فرض الجماعة، إذ غير جائز أن يهدد رسول الله ﷺ من تخلف عن ندب وعمَّا ليس بفرض. وقد أمر الله جل ذكْرُهُ بصلاة الجماعة في حال الخوف فوجوبها في حال الأمن آكد. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ**﴾ [النساء: ١٠٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ووجه الاستدلال بالآية من وجوه هي: أمره سبحانه لهم بالصلاة في الجماعة يعني في قوله تعالى: ﴿**فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ**﴾ ثم أعاد الأمر مرة ثانية في حق الطائفة الثانية بقوله تعالى: ﴿**وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ**﴾ [النساء: ١٠٢] وفي هذا دليل على أن الجماعة فرض على الأعيان إذ لم يسقطها سبحانه عن الطائفة الثانية بفعل الأولى. ولو كانت الجماعة سنَّةً لكان أولى الأعذار بسقوطها عذر الخوف، ولو كانت فرض كفاية لسقطت بفعل الطائفة الأولى».

ففي الآية دليل على وجوبها على الأعيان من ثلاثة أوجه: أمره بها أولاً، ثم أمره بها ثانيًا، وأنه لم يرخص لهم في تركها حال الخوف.

فاتقوا اللهَ يا مَن تسمعون النداء إلى الصلاة يخترق أجواء بيوتكم من كل جهة، وأنتم أصحَّاء آمنون لا يمنعكم من الحضور إلى المساجد مانع، ثم تتأخرون عن الصلاة ولا تجيبون داعي الله، انظروا مَن عصيتم. واحذروا من عقوبته العاجلة والآجلة. قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]. قال الإمام ابن كثير رحمه الله: لما دُعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم عوقبوا بعد قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عزَّ وجلَّ فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهرُ أحدِهم طَبَقًا واحدًا، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه عكس

السجود، كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون، وقال الإمام ابن القيم: قال غير واحد من السلف في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] قال: هو قول المؤذّن: حيَّ على الصلاة. حي على الفلاح. فعاقبهم يوم القيامة بأن حالَ بينهم وبين السجود، لما دعاهم إلى السجود في الدنيا فأبوا أن يجيبوا الداعي. وإجابة الداعي هي إتيان المسجد لحضور الجماعة...

فاتقوا اللهَ عباد الله، وتوبوا إلى الله وحافظوا على الصلاة مع الجماعة في المساجد لتكونوا من المؤمنين المهتدين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

بارك اللّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحث على الصلاة

الحمد لله رب العالمين، هدانا للإسلام وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس، وجعل هذا الإسلام مبنيًا على أركان لا يستقيم إلا بها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بين لعباده طريق النجاة ليسلكوه ويلزموه، وطريق الهلاك ليحذروه ويجتنبوه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنزل عليه الذكر ليبيّن للناس ما نزل إليهم من ربهم ولعلّهم يتقون، فبلّغ البلاغ المبين وبيّن غاية التبيين، وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا الهالكون، صلى اللّه عليه وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد اللّه: اتقوا اللّه تعالى وأطيعوه، واعلموا أن تارك الصلاة متعمداً ومصراً على تركها كافر باللّه عزَّ وجلَّ من غير تفصيل عند جمع من المحققين من العلماء ومفارق لجماعة المسلمين، كما دلَّ على ذلك كتاب اللّه وسنّة رسوله ﷺ، يعامل معاملة الكفّار لا تؤكل ذبيحته ولا يزوّج من بنات المسلمين ولا يرث من قريبه المسلم، ويجب بغضه وهجره والابتعاد عنه ما دام على قيد الحياة، وإذا مات من غير توبة لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يورث، فتنبهوا لذلك وخذوا على أيدي سفهائكم من أولادكم وجيرانكم ومن حولكم ممن يتهاونون في شأن الصلاة ويقتدون بمَن ضيّعها وتركها ممن لا قيمة للدين عنده، ولا ينفع فيه الوعظ والتذكير، ولا يخاف اللّه والوقوف بين يديه يوم القيامة، فقد كثر هؤلاء - لا أكثرهم اللّه - في بلاد المسلمين وجاوروكم في

منازلكم وخالطوكم في أعمالكم، وفي أسواقكم، فاحذروهم وابتعدوا عنهم، وأنكروا عليهم وضايقوهم وأبغضوهم في اللّه واتخذوهم أعداء، ولا تؤاكلوهم، ولا تجالسوهم، ولا يدخلوا بيوتكم، عادوهم وقاطعوهم لأنهم أعداء للّه ولرسوله، واللّه تعالى يقول لكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، ويقول سبحانه: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وأما من يصلي في بيته ويترك صلاة الجماعة أو يؤخر الصلاة عن مواقيتها، فهذا متّصف بصفات المنافقين، وتارك لواجب عظيم من واجبات الدين، وقد توعده اللّه بالويل وأنه سيلقى غيًا، والويل والغي واديان في جهنم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠] وقد جاء تفسير السهو عن الصلاة وتضييعها بأنهما إخراجها عن وقتها، كما جاء الوعيد الشديد في حق الذي يتخلّف عن الصلاة مع الجماعة في المسجد من غير عذر، وأنَّ ذلك من صفات المنافقين، فاتقوا اللّه في أنفسكم وفي أولادكم ومن حولكم وحافظوا على صلاة الجماعة في المساجد وألزموا بها من تحت ولايتكم ومَن يسكن معكم في بيوتكم أو يجاوركم، ومُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر لتكونوا من خير أمة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللّه... إلخ



خطبة ثانية في بيان فضائل الصلوات الخمس ووجوب المحافظة عليها

الحمد للّه رب العالمين، أمر بإقام الصلاة، والمحافظة عليها والمداومة عليها مدى الحياة، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وماله من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كانت قرّة عينه في الصلاة، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب والكرامات، وسلّم تسليمًا... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ في السر والعلن، وتجنبوا المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وحافظوا علىٰ الصلاة، ولازموا الجمع والجماعات، فإن ذلك من أبلغ علامات الإيمان، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ [التوبة: ١٨].

عباد اللَّه: إن للصلاة فضائل ومزايا لا توجد في غيرها من الأعمال، فهي أول ما فرض اللَّه من الإسلام بعد الشهادتين؛ لأنها فرضت علىٰ النبي ﷺ في مكة ليلة الإسراء قبل هجرته إلىٰ المدينة، والزكاة والصوم والحج إنما فرض كلٌّ من هذه الأعمال في المدينة بعد الهجرة، والصلاة فرضت علىٰ النبي ﷺ في السماء حينما عرج به إليها، وبقية الشرائع فرضت عليه بواسطة جبريل عليه السلام وهو في الأرض، وكان النبي ﷺ يأمر نوابه ورسله إلىٰ الناس أن يبدأوا بالدعوة إلىٰ الصلاة بعد الشهادتين، كما قال لمعاذ لَمَّا بعثه إلىٰ اليمن: «**ستأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لاإله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، وأن اللَّه فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**» والصلاة أول ما يُحاسب عليه العبد من عمله، قال عون بن عبد اللَّه: إن العبد إذا دخل قبره سُئِل عن صلاته أول شيء سُئِل عنه، فإن جازت له نظر فيما سوىٰ ذلك من عمله، وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد، ويدل علىٰ هذا الحديث الذي في المسند والسنن من رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أول ما يُحاسب به العبد من عمله يحاسب عن صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**».

والصلاة أكثر الفروض ذكرًا في القرآن، وأهل النَّار لَمَّا يُسألون ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ**﴾ [المدثر: ٤٢] يبدءون الجواب بقولهم: ﴿**لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**﴾ [المدثر: ٤٣] والصلاة لا يسقط فرضها بحال من الأحوال ما دام عقل العبد ثابتًا، فيصلّيها علىٰ حسب حاله، فتجب علىٰ المقيم والمسافر والصحيح والمريض، والآمن والخائف، لكن المعذور يصلي علىٰ حسب حاله ومنتهىٰ قدرته، كما قال النبي ﷺ: «**يصلي المريض قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب**» والصلاة تجب علىٰ الحُرِّ والعبد والذكر والأنثىٰ والغني والفقير، وقد عظَّم اللَّه أمر الصلاة في القرآن، وعظَّم شرفها وشرف أهلها وخصَّها بالذكر بين الطاعات، ووصَّىٰ بها وصية خاصة، فمن ذلك أن اللَّه تعالىٰ ذكر أعمال البر التي أوجب لأهلها الخلود في الفردوس وافتتح تلك الأعمال بالصلاة وختمها بها، قال تعالىٰ: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ①

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. . . إلى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩-١١].
وقد عاب الله الناس كلهم ووصفهم بالهلع والجزع، والمنع للخير، إلا أهل الصلاة فإنه استثناهم، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [المعارج: ١٩-٢٣].

والصلاة شعار النبيين وصفة المتقين، قال تعالى عن إبراهيم ولوط ويعقوب وإسحاق: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، فذكر الخيرات كلها، وأفرد الصلاة بالذكر، وأخبر عن إسماعيل بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥]، وأخبر عن عيسى أنه قال عن ربه: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١]، وفي دعاء إبراهيم الخليل له ولذريته ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وأمر الله بها كليمه موسى بقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤]، ووعد عباده الذين يقيمون الصلاة بالأجر العظيم، فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وبالصلاة أوصى النبي ﷺ أمته قبل خروجه من الدنيا وهو في سياق الموت، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهَ اللَّهَ في الصلاة وما ملكتْ أيمانُكم**» وذلك في آخر وصية أوصى بها عند موته، كما في الحديث: «**وإنها آخر وصية كل نبيٍّ لأمته وآخر عهده إليهم عند خروجه من الدنيا**» وجاء في حديث آخر عن النبي ﷺ: أنَّه كان يجود بنفسه ويقول: «**الصَّلاة الصَّلاة**» فالصلاة أوَّل فريضة فرضت على النبي ﷺ وآخر ما وصَّى به أمته، وآخر ما يذهب من الإسلام، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**أوَّلُ ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون منه الصلاة**» فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين، فإذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام فكل شيء يذهب آخره فقد ذهب جميعه.

وقدر الإسلام في قلب العبد كقدر الصلاة، فاحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك، إذا كنت تتهاون في الصلاة في هذه الحياة الدنيا، وقد أخبر النبي ﷺ أن الصلاة هي عمود الإسلام، فالإسلام لا يقوم إلا على الصلاة كما أن البيت لا يقوم إلا على عمود يرفعه، فإذا سقط العمود سقط البيت، كذلك إذا سقطت الصلاة سقط الإسلام، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن الصلاة هي الفارقة بين المسلم والكافر، فقال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمَنْ تركها فقد كفر**» وقال: «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**» وقد

تساهل كثير من الناس اليوم في شأن الصلاة، فبعضهم يتأخر في حضوره إلى المسجد حتى يفوته بعض الصلاة أو معظمها أو كلها، وبعضهم يتأخر عن صلاة الجماعة فيصليها وحده، وترك صلاة الجماعة معصية عظيمة وخسارة كبيرة، فقد وصف النبي ﷺ المتخلفين عن صلاة الجماعة بالنفاق، فقال: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر**» وهمَّ ﷺ بتحريق بيوتهم عليهم بالنار لولا ما فيها من النساء والذرية، وجاءه رجل أعمى يطلب منه الرخصة ليصلي في بيته؛ لأنه لا يجد قائدًا يقوده إلى المسجد ويخشى من خطر الطريق، فقال له النبي ﷺ: «**هل تسمع النداء؟**» قال: نعم. قال: «**فأجب؛ فإني لا أجد لك رخصة**» وأخبر النبي ﷺ عن الذين تتثاقل رءوسهم عن صلاة الفجر بأنه رآهم ترضخ رءوسهم بالحجارة كلما رضخت عادت كما كانت، ومن الناس مَن يؤخر الصلاة عن وقتها فلا يصلي الفجر إلا إذا استيقظ بعد طلوع الشمس، واللَّه تعالى يقول في هؤلاء: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ**﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠]، ويقول تعالى فيهم: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤، ٥]، وقد جاء تفسير إضاعة الصلاة والسهو عنها بأن معناهما تأخيرها عن وقتها لا تركها بالكلية؛ لأنّ اللَّه سمَّاهم مصلين في قوله: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ**﴾ وتوعدهم بالويل والغي، وهما كلمتا عذاب وهلاك، أو واديان في جهنَّم.

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، وحافظوا على الصلاة في أوقاتها مع الجماعة، ولا تكونوا من الذين ضيعوا دنياهم وأُخراهم فكانوا من الخاسرين، أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿**كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ**﴾ [القيامة: ٢٦-٣٥] إلى آخر السورة...



من الخطبة الثانية في بيان فضائل الصلاة

الحمد للَّه على فضله وإحسانه، جعل الصلاة صلة بين العبد وبين ربه، وكفَّارة لذنوبه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تمسك بسنّته إلى يوم الدين وسلَّم تسليمًا، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللّه تعالىٰ وحافظوا علىٰ هذه الصلوات الخمس كما أمركم اللّه تعالىٰ بقوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال عبد اللّه ابن مسعود رضي اللّه عنه: «مَن سرَّه أن يلقىٰ اللّه غداً مسلماً فليحافظ علىٰ هذه الصلوات الخمس حيث ينادىٰ بهنَّ، فإن اللّه قد شرع لنبيكم سنن الهدىٰ، وإنهنَّ من سنن الهدىٰ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنّة نبيّكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتىٰ به يهادىٰ بين الرجلين حتىٰ يُقام في الصف»، وورد في الحديث عن النبي ﷺ أنَّ من حافظ علىٰ هذه الصلوات الخمس كنَّ له نوراً ونجاة يوم القيامة، ومَن لم يحافظ عليهنَّ لم يكن له نور ولا نجاة يوم القيامة، وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأُبي بن خلف تاجر الكفَّار بمكة. قال العلماء: والحكمة في كونه يُحشر مع هؤلاء؛ لأنه إن اشتغل عن الصلاة بملكه ورئاسته حشر مع فرعون رأس الملوك الكَفَرة، وإن اشتغل عن الصلاة بوظيفته ووزارته حشر مع هامان وزير فرعون، وإن اشتغل عن الصلاة بماله وملذاته وشهواته حشر مع قارون الذي آتاه اللّه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، فكفر نعمة اللّه ولم يقبل النصيحة؛ فخسف اللّه به وبداره الأرض، وإن اشتغل عن الصلاة بتجارته وبيعه وشرائه حشر مع أُبيّ بن خلف تاجر الكفَّار بمكة. فاتقوا اللّه عباد اللّه، وحافظوا علىٰ صلواتكم وداوموا عليها لتكونوا من الوارثين ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١]، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللّه... إلخ.



في الحث على المسارعة إلى الخيرات

الحمد للّه رب العالمين، أمر بالمسارعة إلىٰ الخيرات، ومبادرة الوقت قبل الفوات، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وما له من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أول مبادر إلىٰ الخيرات، صلىٰ اللّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه ذوي المناقب والكرامات، وسلّم تسليماً كثيراً... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللّه تعالىٰ وبادروا حياتكم قبل فنائها وأعماركم قبل انقضائها، بفعل الخيرات والإكثار من الطاعات، فإن الفرص لا تدوم، والعوارض التي تحول بين الإنسان

وبين العمل غير مأمونة، وأنت أيها العبد بين زمان مضى لا تستطيع ردّه، وزمان مستقبل لا تدري هل تدركه أو لا، وزمان حاضر إن استفدت منه وإلا ذهب منك وأنت لا تشعر، فاستدرك ما مضى بالتوبة مما فرّطت فيه، واستغل حاضرك باغتنام أيامه ولياليه، واعزم على الاستمرار في الطاعة فيما تدرك من مستقبلك يُكتب لك ثواب نيتك إن لم تدركه، وتوفق إن أدركته لعمل ما نويته فيه.

عباد اللَّه: إنَّ اللَّه سبحانه قد أمرنا بالمسارعة والمسابقة إلى الخيرات قبل فواتها، قال تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿ **سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الحديد: ٢١]. والمسارعة والمسابقة تعنيان المبادرة إلى تحصيل شيء يفوت بالتأخر عن طلبه ويندم على فواته، لا سيما إذا كان ذلك الفائت شيئًا عظيمًا تتعلق به النفوس ولا شيء أعظم من الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، ومَن فاتته فليس له بديل عنها إلا النار، فما أعظم الحسرة، وما أفدح الخسارة، ويا هول المصيبة، لقد وصف اللَّه رسله وصفوة خلقه ومن اتبعهم بأنهم يسارعون في الخيرات، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿ **أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٦١]. وهؤلاء هم القدوة لأنهم أصحاب العقول النيرة والبصائر التي تدرك العواقب وتعرف المصالح والمضار، بما أعطاهم اللَّه من نور الإيمان وفهم القرآن، ولما عرفوا قدر المطلوب وقيمته وهو الجنة وسرعة زوال الوقت وفواته بادروا بالطلب قبل فوات الأوان، ومدحهم اللَّه وأثنى عليهم في محكم القرآن، ليكونوا قدوة صالحة لبني الإنسان.

إن الإنسان قد أُعطي إمكانيات يستطيع بها المسارعة إلى الخيرات إذا استغلّها لذلك، أُعطي صحة في جسمه، ووقتًا للعمل، وفراغًا له، وكل واحدة من هذه الإمكانيات لها مضاد يبطلها إن لم تُستغل قبل حصوله، فالصحة يعرض لها المرض، والوقت ينقضي ويزول، والفراغ يُشغل بأمور أخرى، فالواجب على الإنسان استغلال هذه الطاقات بالخير، قبل أن تُعطّل بالعوارض.

عباد اللَّه: إن الشيطان يحرص على تفويت الخير على ابن آدم ويحاول حبسه عنه ما استطاع، فإن استطاع منع ابن آدم من فعل الخير بالكليّة وشغله بالشر فإنه لا يألو جهدًا في ذلك، كما فعل بالكفّار والمنافقين، وإن لم يستطع منع ابن آدم من الخير بالكلية فإنه يكسله

عنه ويشغله عنه حتىٰ يفوته عليه، كما يكسل عن الصلاة وإخراج الزكاة، وكما يفعل مع كثير من الناس اليوم ممّن يرتادون المساجد للجمعة والجماعة، فإنه في صلاة الجمعة يكسلهم عن التبكير في الحضور إليها، فبعضهم لا يأتي إلا عند دخول الخطيب، وبعضهم لا يأتي إلا عند الإقامة، وبعضهم لا يأتي إلا في آخر الصلاة، فيفوّت عليهم ثواب التبكير إلىٰ الجمعة، وقد ورد في حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّهﷺ قال: «**مَن اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنّما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنّما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**» متفق عليه. ومن الناس من يفوته هذا الأجر ويفوته استماع الخطبة أيضًا، فلا يحضر إلا عند الإقامة أو في آخر الصلاة.

واستماع الخطبة أمر مطلوب من المسلم؛ لأن النبيﷺ حثَّ علىٰ استماعها ونهىٰ عن الكلام والإمام يخطب؛ لأنه يشغل عن ذلك، عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه قال: «**إذا كان يوم الجمعة خرجت الشياطين يريثون الناس إلى أسواقهم - أي: يؤخرونهم - وتقعد الملائكة على أبواب المساجد يكتبون الناس على قدر منازلهم، السابق والمصلي والذي يليه حتى يخرج الإمام، فمن دنا من الإمام فأنصت واستمع ولم يلغ كان له كفلان من الأجر، ومن نأى - أي: بعُدَ - عن الإمام فاستمع وأنصت ولم يلغ كان له كفل من الأجر، ومن دنا من الإمام فلغا ولم ينصت ولم يستمع كان عليه كفلان من الوزر**» الحديث. قال علي رضي اللّه عنه: سمعته من نبيّكمﷺ، ورواه أحمد وأبو داود بلفظ آخر.

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّهﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام**» رواه مسلم وغيره، ومعنىٰ غفر له - أي: غفرت ذنوبه الصغائر - وذلك بشرط اجتناب الكبائر.

وفي هذين الحديثين أن استماع الخطبة أمر مقصود ومطلوب من المسلم يؤجر عليه إذا فعله، ويأثم إذا تركه، ويفوته الانتفاع بما يرد في الخطبة من الوعظ والتذكير والإرشاد إلىٰ ما فيه الخير والتنبيه علىٰ الأخطاء التي قد يكون مرتكبًا لها وهو لا يدري. وبعض الناس يستهين بشأن الخطبة ولا يلقي لها بالاً، بل يعتبرها أمرًا عاديًا، فلذلك يحرمون من فوائدها وأجر الاستماع لها، واللّه سبحانه قد أمر بالسعي إليها وحضورها في قوله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة:٩]، وذكر اللّه هو الخطبة في

قول كثير من المفسرين، مما يدل على أهمية الخطبة وتأكيد حضورها واستماعها، ومما يفوّت على الذي يتأخر في حضوره لصلاة الجمعة حصوله على مكان في الصف الأول، والتنفل بالصلاة وقراءة القرآن قبل الخطبة وذلك نقص عظيم لما روي عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها**» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن، والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

فاتقوا الله عباد الله، ولا تفوّتوا على أنفسكم هذه الخيرات، والذي يُطلب منكم إنما هو زمن يسير تتقدمون فيه إلى الجمعة وتحصلون فيه على هذه الخيرات العظيمة، والوعود الكريمة، ولو ذكر لأحدكم طمع دنيوي ولو كان يسيراً لبادر إلى طلبه وصبر على ما يعترضه من المشاق، ولم يتأخر عنه، فهل أنتم ممن يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة؟ وهل ترضون لأنفسكم بالصفقة الخاسرة؟ فاتقوا الله عباد الله، وامتثلوا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ**﴾ [الجمعة: ٩] إلى آخر السورة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في المسارعة إلى الخيرات

الحمد لله رب العالمين، شهد لعُمَّار بيوته بالإيمان، فقال: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ**﴾ [التوبة: ١٨]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهداه، وسلم تسليمًا . . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى واستبقوا الخيرات قبل فواتها، وحاسبوا أنفسكم على زلاتها وهفواتها، وكفّوها عن الإغراق في شهواتها، فالكيّس من دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

عباد الله: من الناس من يتأخَّر عن حضور صلاة الجماعة فلا يأتي إلا عند الإقامة أو

بعد ما يفوت بعض الصلاة أو كلها، فهو يقوم إلى الصلاة ويأتي إليها، ولكنه كقيام وإتيان الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال فيهم: ﴿ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى ﴾ [التوبة: ٥٤].

والبعض الآخر يتغيَّب نهائيا عن الحضور ويصلي في بيته منفرداً، وبعدما يخرج وقت الصلاة فيكون من المضيِّعين للجماعة والمضيِّعين للوقت، وذلك في الحقيقة تضييع للصلاة، كما قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]، وقال فيهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤، ٥] وذلك بسبب تلاعب الشيطان بهم وشغله إياهم بأنواع من الملهيات عن ذكر الله وعن الصلاة، بعضهم يشغله بلهو الحديث الذي هو استماع الملاهي والأغاني ومشاهدة الأفلام والمسلسلات حتى يضيع عليه الجماعة أو وقت الصلاة، وقد يسهر على ذلك وينام عن صلاة الفجر، فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦] ولهو الحديث هو الأغاني وما يصحبها من آلات اللهو كالمعازف والمزامير، وما جدّ في هذا الزمان من الأفلام والمسلسلات فإنه يدخل في لهو الحديث، ومن الناس من يصدّه الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة بشرب المُسكرات، وتناول المخدرات ولعب القمار، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، فيجمعون بين ترك الصلاة وفعل المحرَّمات.

ومن الناس من يصده الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة بطلب الدنيا والبيع والشراء ومزاولة الأعمال الدنيوية وقت الصلاة، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩]. وقد مدح الله الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ووعدهم بالثواب الجزيل، فقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

ومن الناس من يحضر الصلاة في الجمعة والجماعة ولكنه يترك في بيته رجالاً لا يحضرون الصلاة من أبنائه أو إخوانه أو مَن يسكنون معه لا يأمرهم ويلزمهم بالحضور

معه، وهذا يعتبر قد أدىٰ واجبًا بحضوره، لكنه ترك واجبًا بترك مَن خلفه ممّن هو مكلّف بأمرهم وإلزامهم والقيام عليهم. فاتقوا اللَّه عباد اللَّه بأداء ما أوجب اللَّه عليكم في خاصة أنفسكم وما أوجب اللَّه عليكم نحو أولادكم ومن تحت ولايتكم «**كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته**»، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه. . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في اغتنام الأوقات بالأعمال الصالحة

الحمد للَّه رب العالمين، جعل الدنيا مزرعة للآخرة، ووفق مَن شاء لاغتنام أوقاتها قبل فواتها، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله القائل: «**بادروا بالأعمال**» صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ وسلم تسليمًا، أما بعد:

أيهـا الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ واستغلوا أوقات حياتكم فيما ينفعكم في الدار الآخرة ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، واعلموا أن الوقت ثمين، وأن كل لحظة تمر في غير عمل صالح فستخسرونها وتتحسرون علىٰ فواتها، قال تعالىٰ: ﴿**وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر: ١-٣].

قال ابن كثير: العصر الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ أي: إن كل إنسان في المتاجر والمساعي وصرف الأعمال في أعمال الدنيا لفي نقص وضلال عن الحق حتىٰ يموت ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ فإنهم في ربح لا في خُسْرٍ؛ لأنهم عملوا للآخرة ولم تشغلهم أعمال الدنيا عنها.

فتأمل أيها المسلم مع أي الصنفين أنت؟ مع الخاسرين أو الرابحين؟ إن هذه الأوقات التي تمر بك أيها الإنسان فرص عظيمة إذا مضت فلن تعود إليك، وإنما تُحسب من عمرك ويُكتب لك أو عليك حسبما عملته فيها، فبادر باغتنامها قبل فواتها، واللَّه سبحانه قد جعل الليل والنهار وقتًا للعبادة كما قال تعالىٰ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**﴾ [الفرقان: ٦٢]. فرض فيها الصلوات الخمس في أوقات محددة في اليوم والليلة كما قال تعالىٰ: ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٨].

وشرع صلوات النوافل فيما بين ذلك من غير الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، وشرع ذكر اللّه بالتهليل والتسبيح، والتكبير والتحميد، في جميع الساعات وخصّ أدبار الصلوات والصباح والمساء بفضيلة الذكر فيها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وكان النبي ﷺ يذكر اللّه على كل أحيانه، وإذا نظرنا إلى عبادة الصيام وجدنا أن اللّه قد فرض صيام شهر من السنة، وشرع صيامًا تطوعًا أسبوعيًا وهو صوم الإثنين والخميس، وصومًا شهريًا وهو ثلاثة أيام من كل شهر، وخصّ الصيام أيامًا من بعض الأشهر كعشر ذي الحجة وستة أيام من شوّال لمن صام شهر رمضان، وغالب شهر شعبان، وكل شهر اللّه المحرم، ومَن كان عنده قوة وأراد الزيادة صام يومًا وأفطر يومًا على الدوام، ما عدا الأيام التي يحرم صومها، وأما العبادة المالية الواجبة والمستحبة فنجد أن اللّه أثنى على الذين ينفقون من عموم الأموال في جميع الأوقات بحسب الحاجات، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤] وفرض الزكاة من أموال خاصة، وفرض الحج مرة واحدة في العمر على المستطيع وما زاد على ذلك فهو سنّة، وقد حثّ النبي ﷺ على المتابعة بين الحج والعمرة.

من هذا العرض السريع ندرك أن عمر الإنسان كلّه مستغرق بالأعمال الصالحة وحتى الفترات التي يرتاح فيها الإنسان للنوم والأكل والشرب ومعاشرة الأهل، ومؤانسة إخوانه إذا نوى بها التقوي على العبادة صارت عبادة يؤجر عليها، عن أبي ذر رضي اللّه عنه في حديث طويل قال: قلت: يا رسول اللّه، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «**كانت حكمًا كلها: يا أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر، وكان فيها أمثال، وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع اللّه، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ضاعنًا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظًا للسانه، ومَنْ حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه**» قال: قلت: يا رسول اللّه، فما كانت صحف موسى؟ قال: «**كانت عبرًا كلها، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح! عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب!**

وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها! وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل!» قال: قلت: يا رسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدي إبراهيم وموسى، وما أنزل الله عليك؟ قال: **«نعم، اقرأ يا أبا زر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾»** [الأعلى: ١٤-١٩].

أيها المسلمون: إذا كان الوقت بهذه الأهمية وإذا لم يستغله الإنسان في الخير خسره خسارة لا تعوّض، فإنه يجب على الإنسان أن يحافظ عليه أكثر مما يحافظ على الذهب والفضة، فلا يصرف منه شيئًا إلا فيما يفيده، وإذا كان الذي يبذر ماله ويضيّعه فيما لا يفيد يعتبر سفيهًا يحجر عليه، فإن الذي يضيّع وقته أعظم سفهًا، قال تعالى في المنافقين: **﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٣]، وقال تعالى: **﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾** [البقرة: ١٣٠] لقد ضيعنا الكثير من أوقاتنا في غير فائدة أو فيما يضرنا، ونبخل بالوقت عن فعل الطاعات فالكثير إذا دخل المسجد فكأنه في سجن حتى يخرج منه، وإذا دخل في الصلاة فكأنه في وثاق يحاول الانفكاك منه، تجده يتململ ويسابق الإمام، وإن صلّى وحده نقر الصلاة كما ينقر الغراب الدم، والبعض لا يأتي إلى المسجد للصلوات الخمس ويوم الجمعة إلا بعد الإقامة أو بعد ما يفوت معظم الصلاة، يخشى أن يضيّع شيئًا من وقته في المسجد أو في سماع خطبة أو موعظة، بينما لا يبخل بالوقت الطويل في مشاهدة التلفاز والفيديو، لا يبخل بالوقت الطويل في مجالس القيل والقال والغيبة والنميمة، لا يبخل بالوقت الطويل في مشاهدة المباريات والألعاب الرياضية، لا يبخل بالوقت الطويل في طلب الدنيا وجمع الحطام، أو الكسب الحرام؛ يأتي إلى سوق البيع والشراء مع أول الناس ولا ينصرف منه إلا آخر الناس مع ما يقاسي من الحر أو البرد وبُعد المسافة، لكن هذا كله هيّن ما دام في تحقيق رغبات النفس، والوقت القصير صعب عليه إذا كان في طاعة الله، لقد بكى بعض الصالحين عند الموت فقيل له: ما يُبكيك قال: أبكي على ليلة ما قمتها وعلى يوم ما صمته.

فاتقوا الله عباد الله واستدركوا أعماركم قبل فواتها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** [المنافقون: ٩-١١].

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في اغتنام الأوقات

الحمد لله رب العالمين، أمر باغتنام الأوقات قبل الفوات، فقال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته والأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كانت كلُّ أوقاته طاعات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسلّم تسليمًا. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم ستُسألون عن أوقاتكم بماذا فضيتموها ففي الحديث: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتَّى يُسأل عن أربع: عن جسمه فيمَ أبلاه، وعن عمره فيمَ أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن علمه ما عَمِلَ به**» فماذا سيكون الجواب؟ إن كثيراً من الناس اليوم قد تلاعب بوقته وضيّعه في الشهوات والغفلات وإضاعة الصلاة، يسهرون معظم الليل لمشاهدة التلفاز، أو الفيديو أو اللعب بالورق الذي قد يكون مصحوبًا بالميسر، أو بالمرح والمزاح والغفلة عن ذكر الله، ثم إذا جاء وقت السحر والنزول الإلهي وقَرُبَ وقت صلاة الفجر ناموا بعد سهرهم الآثم وختموه بترك صلاة الفجر، ولا يزال هذا صنيعهم صيفًا وشتاءً ﴿لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:١٢٦] أين هؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦] ومن الذين قال الله فيهم: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٧، ١٨] هل عند هؤلاء الذين تلاعبوا بأوقاتهم وضيَّعوا ما أوجب الله عليهم، هل عندهم أمان من النار، أو عندهم جَلَد وصبر على حرِّها وعذابها حيث لا يخافون منها؟ إن هؤلاء قد خالفوا الحكمة الإلهية في خلق الليل والنهار، لأن الله جعل الليل سكنًا ووقتًا للنوم والراحة، وجعل النهار معاشًا ووقتًا لليقظة والحركة، وهؤلاء جعلوا الليل وقتًا للسهر والضجيج والعبث، حتى صار النساء والأطفال مثلهم لا ينامون إلا في آخر الليل، وفي الوقت الذي يُطلب منهم فيه اليقظة والذكر والصلاة، وهم يسمعون المنادي ينادي: حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح، الصلاة خير من النوم، لكن كأنه يصيح في مقابر، ولسان حالهم يقول: لا، النوم خير من الصلاة، وغالب البيوت في وقت الفجر لا تسمع فيها ذكر الله، ولا ترى مَن يخرج لأداء الصلاة، فأيُّ أُناس هؤلاء؟ هل هم من الذين لا يؤمنون بيوم الحساب؟ هل هم من الذين قالوا: سمعنا وعصينا؟ هل نسوا سرعة الزوال وحضور الآجال، وقول

المفرط عند الاحتضار: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]؟ فاتقوا الله عباد الله وتوبوا إلى الله قبل أن يُحال بينكم وبين التوبة، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء: ١٨] فما أعظم الحسرة حينذاك: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].



في الحث على العمل الصالح والمحافظة عليه

الحمد لله رب العالمين، خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأصلحوا أعمالكم يصلح الله عاقبتكم، ويعظم مثوبتكم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١]، أي عاقل يؤمن بالله ويسمع هذا الخبر الصادق لا يهتم بعمله ويعتني بإصلاحه ليحصل على هذا الوعد الكريم من الرب الرحيم، الذي لا يخلف وعده، ولا يضيّع عبده؟ لكن متى يكون العمل صالحًا حتى يحوز صاحبه هذا الجزاء؟ إن الله قد بيَّن أن العمل يكون صالحًا إذا توفر فيه شرطان: الشرط الأول: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله تعالى، ليس فيه شائبة شرك أو قصد لغير الله، والشرط الثاني: أن يكون العمل صوابًا على سنة رسول الله ﷺ، وليس فيه بدعة واتّباع لغير الرسول، وقد بيَّن الله هذين الشرطين في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] فقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: أخلص عمله لله من الشرك، وقوله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي متبع للرسول، بأن يكون هذا العمل مما جاء به الرسول ﷺ، وإذا توفر هذان الشرطان في العمل كان هو العمل الأحسن الذي قال الله تعالى فيه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال الفضيل بن عياض

رحمه اللّه: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أخلصه وأصوبه، قيل: وما أخلصه وأصوبه، قال: أن يكون خالصًا لوجه اللّه، صوابًا على سنة رسول اللّه، وكما أن اللّه بيّن هذين الشرطين في كتابه الكريم، فقد بينهما رسول اللّه ﷺ في سنته المطهرة، بين الشرط الأول في قوله: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» وبيّن الشرط الثاني بقوله: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**». فهذان الحديثان يكونان أصلاً عظيمًا من أصول الإسلام؛ الحديث الأول ميزان للأعمال في باطنها، والحديث الثاني ميزان للأعمال في ظاهرها، ففيهما الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول، وهذان شرطان لصحة كل قول وعمل ظاهر وباطن، فمن أخلص أعماله للّه متبعًا في ذلك رسول اللّه فهذا الذي عمله مقبول، ومن أخلّ بهذين الشرطين أو أحدهما فعمله مردود، ومهما أتعب نفسه لم يزده ذلك إلا بُعدًا من اللّه، قال اللّه تعالى في هذا العمل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، والنية معناها: قصد العمل تقربًا إلى اللّه تعالى وطلبًا لمرضاته وثوابه، ويدخل في ذلك نية العمل ونية المعمول له. أما نية العمل فلا تصح العبادة بأنواعها إلا بقصدها قصدًا يميّز العبادة من العادة، وأما نية المعمول له فمعناها: إخلاص العمل للّه في كل ما يقول ويفعل، قال اللّه تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣] فمن عمل عملاً من الأعمال التي يتقرّب بها إلى اللّه لا يريد به وجه اللّه وإنما يريد به الرياء والسمعة أو يريد به مطمعًا من مطامع الدنيا فعمله حابط وهو معذب وليس بمأجور، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

إن النية الصالحة تبلغ الإنسان ما لم يبلغه عمله، فمن نوى عملاً صالحًا وشرع فيه ولم يستطع تكميله كمّل اللّه له ثوابه وأجره، قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] وإن نوى العمل الصالح ولم يستطع أداءه لعارض حال بينه وبينه كتب اللّه له أجر ذلك العمل، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**» وفي الحديث الآخر: أن النبي ﷺ قال لأصحابه في إحدى الغزوات: «**إن بالمدينة أقوامًا، ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، حبسهم العذر**» ومعنى قوله ﷺ «**إلا كانوا**

معكم» أي: في نيَّاتهم وقلوبهم، فلهم من الأجر مثل ما لإخوانهم الذين خرجوا في الغزو، وفي الحديث الآخر: أن العبد إذا همَّ بالحسنة فلم يعملها لعارضٍ منعه كتبت له حسنة كاملة، والعبد يعامل بحسب نيته حتىٰ في تعامله مع الناس، كما روىٰ البخاري مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ أنه قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى اللَّه عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه اللَّه**» فجعل النيَّة الصالحة سببًا للرزق وقضاء الدين، والنيَّة السيئة سببًا للتلف والإتلاف، وقد ذكر اللَّه قصة أصحاب الجنة وما عوقبوا به بسبب نيتهم السيئة، فقال تعالىٰ: ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ**﴾ [القلم: ١٧ - ٢٤].

وذلك أنه كان بأرض اليمن بستان لرجل فيه زروع ونخيل، كان يجعل للمساكين حظًا منه عند الحصاد والصرام، فلمَّا مات وصار البستان إلىٰ أولاده قالوا: المال قليل والعيال كثير، ولا يسعنا أن نفعل كما كان أبونا يفعل، وعزموا علىٰ حرمان المساكين، فحرمهم اللَّه منها بأن سلَّط عليها نارًا أحرقتها، وذلك بسبب نيتهم السيئة، فقد تلفت بالليل قبل أن ينفذوا ما عزموا عليه في الصباح عقوبة لهم، وكما أن مَن أخلّ بالإخلاص في العمل يُعاقب ويُردّ عليه عمله، فكذلك من أخل بالمتابعة للرسول ﷺفعمل عملاً لم يشرّعه الرسول فإنه يعاقب بردّ عمله عليه وحرمانه من الثواب، واستحقاقه للعقاب، لقوله ﷺ «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» أو «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» فإنه يدل علىٰ أن كل بدعة أُحدثت في الدين ليس لها دليل من الكتاب والسنة فهي مردودة علىٰ صاحبها، سواء كانت من البدع القولية في الاعتقاد كبدعة الخوارج والجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وكبدَع الأذكار الصوفية، أو كانت من البِدَع العملية كالتعبد للَّه بما لم يشرِّعه من العبادات المحدثة كبدعة الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من المناسبات، وكبدع القبوريين التي يفعلونها عند القبور، ومنها ما يصل إلىٰ حد الشرك الأكبر، ومنها ما هو وسيلة إلىٰ الشرك.

قال الحافظ ابن رجب رحمه اللَّه:والأعمال قسمان: عبادات ومعاملات، فأما العبادات فما كان منها خارجًا عن حكم اللَّه ورسوله بالكلية فهو مردود علىٰ عامله، وعامله يدخل تحت قوله تعالىٰ: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورىٰ: ٢١]. فمن تقرَّب إلىٰ اللَّه بعمل لم يجعله اللَّه ولا رسوله قربة إلىٰ اللَّه فعمله باطل مردود عليه، وهو شبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاءً وتصدية.

قال: وأما المعاملات: كالعقود والفسوخ ونحوهما، فما كان منها مغيّراً الأوضاع الشرعية، كجعل حد الزنا عقوبة مالية وما أشبه ذلك فإنه مردود من أصله؛ لأن هذا غير معهود في حكم الإسلام، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ قال للذي سأله: إن ابني كان عسيفاً على فلان - أي أجيراً عنده - فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم، فقال النبي ﷺ: **«المائة الشاة والخادم ردٌّ عليك، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام»**.

أيها المسلمون: بادروا بالأعمال ما دمتم في زمن الإمهال، فإن الفرص لا تدوم، وصحّحوا أعمالكم وسدِّدوا مقالكم بالاستقامة على الكتاب والسنة، أخلصوها من الشركيات، ومن الرياء والسمعة والمقاصد السيئة، وابنوها على الاتباع، واحذروا من الابتداع، واعلموا أن الناقد بصير، وأن اللّه بما تعملون خبير.

أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [التوبة: ١٠٥].

بارك اللّه لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في إصلاح العمل

الحمد للّه رب العالمين، وعد السائلين أن يُجيبهم، ووعد العاملين أن يثيبهم، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كان أسرع الناس إلى فعل الخيرات، وأسبقهم إلى الطاعات، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب والكرامات، وسلّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللّه تعالى، يقول اللّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمد: ٣٣]، أي: امتثلوا ما أمركم اللّه به وما أمركم به رسوله من فعل الطاعات وترك المحرمات، ولا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي، فهذا نهي عن كل سبب يوصل إلى بطلان الأعمال الصالحة، فإن الإنسان قد يعمل أعمالاً صالحة تتوفر فيها أسباب الصحة التي سبق بيانها، لكنه يسلّط عليها ما يبطلها من أقوال وأعمال سيئة؛ فالصدقة يبطلها المنّ والأذى، قال اللّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٦٤] والكلام المحرم قد يبطل العمل، فقد يتكلم الإنسان بكلمة سيئة تحبط

عمله، كما في الحديث الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ: أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عزَّ وجلَّ: «**مَن ذا الذي يتألى ـ أي: يحلف ـ عليّ أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك**» قال أبو هريرة رضي الله عنه: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها؛ يَزِلّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**».

والكلام المحرم يدخل فيه الشرك والقول على الله بلا عمل، وشهادة الزور والسحر والقذف والكذب والغيبة والنميمة وكلها آفات خطيرة، قد تهلك الحسنات؛ لأن مظالم العباد يقتصّ لها يوم القيامة من أعمال الظالم. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَن كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**» رواه البخاري، والحسد من أعظم الآفات التي تقضي على الأعمال الصالحة، فقد روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ـ أو قال: العشب**».

فحافظوا أيها المسلمون على أعمالكم مما يفسدها من الأفعال والأقوال السيئة أو يحول نفعها إلى غيركم ويحرمكم منها من أصحاب المظالم الذين تتعدون عليهم في أموالهم ودمائهم وأعراضهم، فإنهم لا بد أن يقتصوا يوم القيامة من حسناتكم إذا لم تؤدوا إليهم حقوقهم في الدنيا أو تستحلّوهم منها.

فحافظوا على أعمالكم أكثر مما تحافظون على أموالكم من الضياع والسرقة، واتقوا الله في أنفسكم وقدّروا العواقب وتفكروا في المصير، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله... إلخ.



في الحث على الإحسان

الحمد لله ذي الفضل والامتنان، جعل الجزاء من جنس العمل فقال: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن: ٦٠]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن: ٢٩]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه إلى جميع الإنس والجانّ، فبلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده بالمال والنفس،

وبالحجة والسنان، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وهاجروا وجاهدوا، والذين آووا ونصروا حتى ظهر دين الله على سائر الأديان، وسلّم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

أيهـــا الناس: اتقوا الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن ذلك هو طريق النجاة، واعلموا أن الله سبحانه أمر بالإحسان في آيات كثيرة، وأخبر أنه يحب المحسنين، وأنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأنه لا يضيّع أجرَ المحسنين ولا يضيع أجر مَن أحسن عملاً، وقال تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن: ٦٠] قال ابن عباس وغيره في معنى الآية: هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة...

وقال تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [يونس: ٢٦]، وقد ثبت عن النبي ﷺ في «صحيح مسلم» تفسير الزيادة المذكورة في هذه الآية الكريمة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم في الجنة.

قال ابن رجب رحمه الله: وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه المراقبة لله وحضور القلب كأنه يراه وينظر إليه، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عيانًا في الآخرة، وعكس هذا ما أخبر الله به عن الكفار في الآخرة بقوله: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: ١٥]، فإن ذلك جزاء لحالهم في الدنيا لما تراكم من الذنوب على قلوبهم فحجبهم عن معرفة الله ومراقبته في الدنيا فكان جزاؤهم أن حجبوا عن رؤية الله في الآخرة.

عباد الله: والإحسان ضد الإساءة، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ [النجم: ٣١]، وهو أنواع كثيرة: منها ما يكون في عبادة العبد لربه كما بينه الرسول ﷺ لما قال له جبريل عليه السلام: أخبرني عن الإحسان قال: «**الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراهُ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»، ومعناه أن يعبد ربه مستحضرًا لقربه منه واطلاعه عليه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، ويوجب أيضًا إخلاص العبادة لله وتحسينها وإكمالها، ومَن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ أعلى مراتب الدين.

ومن **أنواع الإحســان:** الإحسان في العمل أن يكون موافقًا لما شرعه الله على لسان

رسوله ﷺ خاليًا من البدع والمخالفات، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢]، وإسلام الوجه للَّه، وإلى اللَّه معناه إخلاص العمل من الشرك. والإحسان للعمل معناه متابعة السنة فيه ومجانبة البدعة، وأي عمل لا يتوفر فيه هذان الشرطان يكون هباءً منثوراً ووبالاً على صاحبه.

ومن أنواع الإحسان: الإحسان إلى الخلق من الآدميين والبهائم، بإغاثة الملهوف وإطعام الجائع والتصدق على المحتاج وإعانة العاجز، والتيسير على المعسر والإصلاح بين الناس، قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣٦] فقد أمر سبحانه بالإحسان إلى هذه الأصناف بإيصال الخير إليهم ودفع الشر عنهم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٥-١٩] فبيَّن اللَّه سبحانه سبب حصولهم على هذه الكرامة العظيمة وأن ذلك بما أسلفوه من الإحسان في الدنيا من صلاة الليل والاستغفار بالأسحار والتصدق على المحتاجين، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات:٤١-٤٤]، والآيات في هذا كثيرة تبين ما للإحسان من عاقبة حميدة وثواب عظيم.

ومن أنواع الإحسان: الإحسان إلى البهائم، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**دنا رجل إلى بئر فنزل فشرب منها، وعلى بئر كلب يلهث فرحمه؛ فنزع أحد خفّيه فسقاه فشكر اللَّه له ذلك فأدخله الجنة**» رواه ابن حبان في صحيحه، وعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني أنزع في حوضي حتى إذا ملأته لإبلي وردَ عليّ البعير لغيري لسقيته، فهل في ذلك من أجر، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن في كل ذات كبد أجرًا**» رواه أحمد ورواته ثقات مشهورون، وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال**

الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان منّي، فنزل البئر فملأ خفّه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب، فشكر اللَّه له فغفر له»، قالوا: يا رسول اللَّه، إنَّ لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كل كبد رطبة أجر» رواه مالك والبخاري ومسلم.

ففي هذه الأحاديث فضل الإحسان إلى البهائم بما يبقي عليها حياتها ويدفع عنها الضرر، سواء كانت مملوكة أو غير مملوكة، مأكولة أو غير مأكولة، وفي الحديث الذي رواه مسلم عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ اللَّه كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحدّ أحدكم شفرته وليُرِح ذبيحته**» فيه فضيلة الإحسان إلى البهائم المأكولة في حال ذبحها، وهذا شيء يغفل عنه بعض الناس فيسيئون إلى البهائم في كيفية ذبحها، والإحسان قد أمر اللَّه به في مواضع من كتابه، ومنه ما هو واجب ومنه ما هو مستحب فهو في كل شيء بحسبه.

فالإحسان في معاملة الخالق بفعل الواجبات وترك المحرمات واجب، وفي فعل المستحبات وترك المكروهات مستحب، والإحسان في معاملة الخلق منه ما هو واجب كالإحسان إلى الوالدين والأقارب بالبر والصلة، ومنه ما هو مستحب كصدقة التطوع وإعانة المحتاج، والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب بإزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها من غير زيادة في التعذيب، وهكذا مطلوب من المسلم أن يكون محسنًا في كل شيء مما يأتي وما يذر، محسنًا في عمله، محسنًا في تعامله مع اللَّه ومع خلقه، ومحسنًا في نيته وقصده، قال اللَّه تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ٩١]، فهؤلاء الذين لا يستطيعون القتال لعجزهم الجسمي والمالي مع سلامة نيَّاتهم وحسن مقاصدهم قد عذرهم اللَّه لأنهم محسنون في نيَّاتهم لم يتركوا الجهاد لعدم رغبتهم فيه، وإنما تركوه لعجزهم عنه، ولو تمكنوا منه لفعلوه، فهم يشاركون المجاهدين في الأجر لنيّاتهم الصالحة وحسن قصدهم، فقد روى الإمام أحمد وأبو داود وأصله في «الصحيحين» أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لقد تركتم بعدكم قومًا، ما سرتم من مسير ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديًا إلا وهم معكم**» وكما يكون الإحسان في الأعمال والنيات يكون في الأقوال أيضًا، قال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣] أي: قولوا لهم قولاً حسنًا، بأن تخاطبوهم بالكلام الطيب الذي يجلب المودة ويرغب في الخير ويؤلف القلوب...

وهذا يشمل الصدق في الحديث والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، وقد جاء في الحديث: «**والكلمة الطيبة صدقة**» فاتقوا الله عباد الله وكونوا من أهل الإحسان لتنالوا من الله الأجر والرضوان... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في الإحسان

الحمد لله رب العالمين، على فضله وإحسانه، لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلّم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أن وجوه الإحسان كثيرة، ينبغي للمسلم أن يسهم فيما يستطيع منها، لا سيما مَن منَّ الله عليهم بوفرة المال فإن المجالات الخيرية أمامهم واسعة، من بناء المساجد، وتوفير المياه للشرب، وطباعة الكتب الدينية، وتوزيع المصاحف، ومساعدة مشاريع تعليم القرآن الكريم، ومساعدة المراكز الإسلامية في الخارج، وإعانة المجاهدين في سبيل الله، ومواساة المنكوبين والمشردين من المسلمين والمصابين بالمجاعة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعٌ تجري للعبد بعد موته وهو في قبره: مَن علَّم علمًا، أو كرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته**» رواه البزار وأبو نعيم في الحلية، ومعنى: كرى نهراً: أي حفره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: ما عمل إن عملت به دخلت الجنَّة؟ قال: «**أنت ببلد يجلب به الماء؟**» قال: نعم. قال: «**فاشتر سقاءً جديدًا ثم اسق فيها حتى تخرقها، فإنك لن تخرقها حتى تبلغ بها الجنة**» رواه الطبراني في «الكبير».

وفي «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان أو طير أو دابة إلا كان له صدقة**» وفي «صحيح

مسلم» عن جابر رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، ولا ينقصه أحد إلا كان له صدقة» وفي رواية له أيضًا: «فلا يأكل منه إنسان ولا دابة ولا طائر إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة» وظاهر هذه الأحاديث يدل على أن هذه الأشياء تكون صدقة يُثاب عليها الزارع والغارس ونحوهما إذا نوى واحتسب الأجر عند اللَّه سبحانه، ولكن المؤسف أن كثيرًا من الأثرياء يحبسون أموالهم عن الإسهام في الخير ويحرمون أنفسهم من الثواب، وهم قادرون على ذلك فيكونون ممّن جمع فأوعى، فيا حسرة مَن كان جمّاعًا للمال منّاعًا للخير لا يقدّم لنفسه ما يجده عند اللَّه خيرًا وأعظم أجرًا، يتعب في جمع المال وحفظه ويتركه لغيره، ولا يقدم منه لنفسه، فاتقوا اللَّه عباد اللَّه وقدِّموا لأنفسكم واتقوا اللَّه واعلموا أنّكم ملاقوه وبشّر المؤمنين واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه... إلخ.



في صلاح القلب وفساده

الحمد للَّه رب العالمين، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفضّله على كثير ممّن خلق بالإنعام والتكريم، فإن استقام على طاعة اللَّه استمر له هذا التفضيل في جنات النعيم، وإلا ردّ في الهوان والعذاب الأليم، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وهو الخلاق العليم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله شهد له ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على النهج القويم، والصراط المستقيم، وسلّم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالى واعلموا أن اللَّه سبحانه لا ينظر إلى صوركم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فالقلب هو محل نظر اللَّه من العبد. وهو الذي إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، وهو محل معرفة اللَّه ومحبته وخشيته وخوفه ورجائه، ومحل النية التي بها تصلح الأعمال وتقبل، أو تردّ وتبطل، قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى».

قال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه: فأشرف ما في الإنسان قلبه، فهو العالِم باللَّه الساعي إليه والمحبّ له، وهو محل الإيمان والعرفان، وهو المخاطب المبعوث إليه الرسل،

المخصوص بأشرف العطايا من الإيمان والعقل، وإنما الجوارح اتباع للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد والراعي للرعية، فسبحان مقلّب القلوب، ومودعها ما يشاء من أسرار الغيوب، الذي يحول بين المرء وقلبه، ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته ودينه، مصرف القلوب كيف يشاء، أوحىٰ إلىٰ قلوب الأولياء أن أقبلي إليّ فبادرت وقامت بين يدي رب العالمين، وكره عزّ وجلّ انبعاث آخرين فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين.

كانت أكثر يمين رسول اللَّه ﷺ: «**لا، ومقلب القلوب**» وكان من دعائه: «**اللَّهُمَّ يا مقلِّب القلوب، ثبِّت قلوبنا على طاعتك**» إلىٰ أن قال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه: وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت أعجب العجاب، فهذا يلمّ به مرة وهذا يلمّ به مرة، فإذا ألمّ به الملك حدث من لمته الانفساح والانشراح والنور والرحمة والإخلاص والإنابة ومحبة اللَّه وإيثاره علىٰ ما سواه وقصر الأمل والتجافي عن دار الغرور، فلو دامت له تلك الحال لكان في أهنأ عيش وألّذه وأطيبه، لكن تأتيه لَمّة الشيطان فتُحدث له من الضيق والظلمة والهمّ والغمّ والخوف والسخط علىٰ المقدور والشك في الحق والحرص علىٰ الدنيا وعاجلها والغفلة عن اللَّه ما هو من أعظم عذاب القلب. . .

عباد اللَّه: إن القلوب تقسو فتكون كالحجارة أو أشد قسوة فتبعد عن اللَّه وعن رحمته وعن طاعته، وأبعد القلوب من اللَّه القلب القاسي الذي لا ينتفع بتذكير، ولا يلين لموعظة، ولا يفقه مقالة، فيصبح صاحبه يحمل في صدره حجرًا صلدًا لا فائدة منه ولا يصدر منه إلا الشر، ومن القلوب ما يلين ويخشع ويخضع لخالقه ويفقه ويقرب من اللَّه ومن رحمته وطاعته فيحمل صاحبه قلبًا طيبًا رحيمًا يصدر منه الخير دائمًا، ولقسوة القلوب أو لينها أسباب يتعاطاها العبد، فمن أعظم أسباب تليين القلوب قراءة القرآن واستماعه، قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق:٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ [ق:٤٥]. وقال تعالىٰ: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الزمر:٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الحديد:١٦].

ففي هذه الآيات الكريمة أن القرآن العظيم أعظم ما يلين القلوب لمن أقبل علىٰ تلاوته واستماعه بتدبر، كما قال تعالىٰ: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [الحشر:٢١]، وأنه يجب علىٰ المسلمين الإقبال علىٰ كتاب ربهم تلاوة وتدبرًا

وعملاً حتى تحصل لهم الهداية وحياة القلوب ولا يتشبهوا بأهل الكتاب الذين حُملوا التوراة والإنجيل فأعرضوا عنهما فقَسَت قلوبهم بسبب ذلك، فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد، ومن أعظم ما يلين القلوب تذكر الموت وزوال الدنيا والانتقال إلى الدار الآخرة، ومن أعظم ما يقسي القلوب الغفلة عن الآخرة ونسيان الموت والانشغال بالدنيا، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال النبي ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكر الآخرة» وقال عليه الصلاة والسلام: «أكثروا من ذكر هادم اللذات ـ الموت ـ» وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨].

ومن أعظم ما يلين القلوب: الاعتبار بما جرى ويجري للأمم الكافرة من الهلاك والدمار، ومن أعظم ما يقسيها الغفلة عن ذلك، قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٥، ٤٦] ومما يلين القلوب الإكثار من ذكر اللَّه عزَّ وجلّ، ومن أعظم ما يقسّيها الغفلة عن ذكر اللَّه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، ومن أعظم ما يلين القلوب قبول أوامر اللَّه والعمل بها واجتناب نواهيه، ومن أعظم ما يقسيها الإعراض عن أوامر اللَّه ونواهيه قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]، فقبول الحق والعمل به سبب لهداية القلب وإيمانه، ورد الحق وترك العمل به سبب لزيغ القلب وطغيانه ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ

كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥].

ومن أسباب لين القلوب واتعاظها التفكر والنظر في أحوال المرضىٰ والفقراء والمبتلين، ومن أسباب قسوتها الاغترار بالصحة والقوة والغنىٰ والثروة، قال النبيﷺ: **«انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة اللَّه عليكم»** وقال تعالىٰ عن عاد الذين غرّتهم قوة أجسامهم وكثرة أموالهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦].

فلو زار الإنسان المستشفىٰ ورأىٰ أحوال المرضىٰ وما يقاسونه من الآلام، ولو نظر إلىٰ الفقراء والأيتام، وما هم فيه من الحاجة والمجاعة لعرف قدر نعمة اللَّه عليه ولان قلبه، لكن حينما يصرف النظر عن ذلك وينظر إلىٰ أهل الترف والغنىٰ وما بأيديهم من زهرة الحياة الدنيا فإنه يقسو قلبه ويتعاظم في نفسه، وقد أمر اللَّه نبيهﷺ أن يُجالس فقراء المسلمين والمستضعفين من المؤمنين، وأن لا يتجاوزهم إلىٰ أصحاب الثراء والغفلة، قال تعالىٰ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه وخذوا بالأسباب التي تحيا بها قلوبكم وتلين، وتجنبوا الأسباب التي بها تقسو وتموت، فإنَّ ذلك هو مناط سعادتكم أو شقائكم.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في صلاح القلب وفساده

الحمد للَّه مقلِّب القلوب وعلام الغيوب، وقابل التوبة ممّن يتوب، شديد العقاب عند قسوة القلوب، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كان يكثر من قول: **«يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على طاعتك»** صلىٰ اللَّه عليه

وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالى بامتثال أمره واجتناب ما نهاكم عنه وتعظيم شعائره ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج: ٣٢]، واعلموا أنه في زماننا هذا قد كثرت الأسباب التي تقسو بها القلوب فاحذروها، ومن ذلك الانشغال بالدنيا والانخداع بمظاهرها والتفكه بملذاتها.

ومن ذلك: قلة ارتياد المساجد والجلوس فيها وصرف أكثر الوقت في طلب الدنيا والتمتع بها.

ومن ذلك: الانشغال برؤية المناظر الملهية أو المحرمة التي تعرض على شاشة التلفاز أو الفيديو من الصور الفاتنة ومن الأفلام والمسلسلات، أو الصور التي في الصحف والمجلات، ومن ذلك استماع الملاهي من الموسيقى والمعازف والأغاني التي كثر ترويجها والدعاية لها بين المسلمين، وهي أصوات محرّمة، تنبت النفاق في القلب، وتزرع الشهوة في النفس وتمنع من سماع القرآن، لأنه لا يجتمع الاستماع لقرآن الشيطان وقرآن الرحمن.

ومما يقسي القلب: متابعة الألعاب الرياضية وتشجيعها ومشاهدتها والانشغال بها في غالب الوقت مما أصبح اليوم هو الشغل الشاغل لكثير من شباب المسلمين ومن افتتن بهذا العبث الذي لا فائدة من ورائه. . .

ومما يقسي القلب: كثرة المزاح والضحك والمرح والهزل، فيجب على المسلم أن يتنبّه لهذه الأمور. . .

ومن الأمور التي تقسي القلب: المآكل والمشارب المحرّمة؛ لأن تغذيتها خبيثة وآثارها سيئة تؤثر على الأخلاق والسلوك، وتكسل عن الطاعة وتنشط على المعصية، وهذا ظاهر على أخلاق الذين يأكلون الربا والرشوة ويشربون المُسكرات والمخدرات، فإنَّ آثار هذه الخبائث تظهر على أبدانهم وأخلاقهم وتصرفاتهم، والمعاصي عمومًا تقسِّي القلب وتعميه وتحجب عنه نور الإيمان والهداية، قال تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: ١٤].

وفي المسند وجامع الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ المؤمن إذا أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتَّى**

تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكره اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ » قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

ومن الأمور التي تقسي القلب: مصاحبة الأشرار والعصاة ومخالطتهم، فإن المرء من جليسه، وعن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه، قال تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩]، وقد شبَّه النبي ﷺ جليس السوء بنافخ الكير، لا بد أن ينال مجالسه منه من الضرر ما يناله، فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في النهي عن بدعة الاحتفال بمناسبة ذكر المولد النبوي

الحمد للَّه رب العالمين، أمرنا باتباع كتابه فقال: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٣] أحمده وأشكره وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أمرنا بالتمسك بسنّته، وسنّة خلفائه، ونهانا عن مُحدَثات الأمور، وأخبرنا أنها بدعة وضلالة، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وكل من تمسك بسنته إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالى واعتصموا بحبل اللَّه جميعًا ولا تفرقوا، وأحبّوا اللَّه من كل قلوبكم، فإن محبة اللَّه تعالى هي أصل الدين وأساس العبادة، وعلامة الإيمان الصادق، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ومحبة اللَّه مع الذل والخضوع له هما القطبان اللذان يدور عليهما فلك العبادة، وذلك لأن النفوس جبلت على حب مَن أحسن إليها، ولا شك أن المحسن المطلق الذي ما بالعباد نعمة إلا وهي منه هو اللَّه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، فلا يجلب النعم ولا يدفع النقم إلا هو وحده لا شريك له ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس: ١٠٧].

ومحبة اللَّه تعالى لها علامات، أعظمها: اتباع رسوله ﷺ وطاعته كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن علامات محبة الله: الرحمة بالمؤمنين والغلظة على الكافرين والجهاد لأعداء الدين، مع عدم المبالاة بلوم اللائمين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ [المائدة: ٥٤]، ومن علامات محبة الله تعالى محبة ما يحبّه الله تعالى وبغض ما يبغضه الله، والله تعالى يحب المحسنين والمتقين والمتطهرين، ويبغض الكافرين والمنافقين، فيجب على المؤمن محبة من يحبّهم الله وبغض من يبغضهم الله.

والله تعالى يحب الطاعة والأعمال الصالحة، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، فيجب على المؤمن أن يحب ما يحبه الله ويكره ما يكرهه الله من تلك الأعمال.

ومن علامات محبة الله تعالى: تقديم ما يحبّه الله على ما تحبه النفس إذا كان ما تحبه النفس معارضًا لما يحبه الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤].

فتوعد سبحانه من قدّم ما تحبه نفسه من هذه الأمور الثمانية على ما يحبه الله من الهجرة والجهاد ووصفه بالفسق، وذلك يقتضي وجوب تقديم ما يحبه الله على ما تحبه النفس إذا تعارض المحبوبان، وبعد محبة الله تعالى تجب محبة الرسول ﷺ أكثر من محبة النفس والمال والولد، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**».

ومن علامات محبة الرسول ﷺ: محبة سنته والتمسك بها، وتقديمهما على قول كل أحد من الناس، وعلى كل مذهب، قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠] وقال تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣].

ومن علامات محبة الرسول ﷺ: ترك ما نهى عنه من البِدَع والخرافات والمخالفات، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**وإياكم ومُحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، وقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**» أي مردود عليه.

ومن البدع المخالفة للسنة: ما يفعله بعض من يدعون محبة الرسول ﷺ في ربيع الأول من الاحتفالات بمناسبة مولده، وربما يسمون ذلك الاحتفال عيد المولد، تقليدًا للنصارىٰ في احتفالهم بمولد المسيح عليه السلام، مع أنه نهانا عن ذلك، فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم**» ونهانا عن التشبه بهم فقال: «**من تَشبَّه بقوم فهو منهم**» وإنما كررنا الخطابة في هذا الموضوع ؛ لأن المبتدعة كرروا الدفاع عن إقامة المولد، وروجوا الشبه لتبريره، فكررنا التحذير منه.

فهذا الاحتفال الذي أحدثوه بمناسبة مولد الرسول ممنوع ومردود من عدة وجوه:

أولاً: أنه لم يكن من سنة الرسول ﷺ، ولا من سنة خُلفائه، وما كان كذلك فهو من البدع الممنوعة، لقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

والاحتفال بالمولد محدث أحدثه الشيعة الفاطميون بعد القرون المفضلة لإفساد دين المسلمين، ومن فعل شيئًا يتقرب به إلىٰ اللَّه لم يفعله الرسول ولم يأمر به ولم يفعله خلفاؤه من بعده فقد اتَّهم الرسول بأنه لم يبيّن للناس دينهم، وهو مكذب لقوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] لأنه جاء بزيادة يزعم أنها من الدين ولم يأتِ بها الرسول ﷺ.

ثانيًا: في الاحتفال بذكرىٰ المولد تشبّه بالنصارىٰ، لأنهم يحتفلون بذكرىٰ مولد المسيح عليه السلام، والتشبه بهم محرم أشد التحريم، ففي الحديث النهي عن التشبه بالكفار، والأمر بمخالفتهم، فقد قال ﷺ: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**» وقال: «**خالفوا المشركين**» ولا سيما فيما هو من شعائر دينهم.

ثالثًا: أن الاحتفال بذكرىٰ مولد الرسول مع كونه بدعة وتشبهًا بالنصارىٰ، وكلٌّ منهما محرم فهو كذلك وسيلة إلىٰ الغلو والمبالغة في تعظيمه حتىٰ يفضي إلىٰ دعائه والاستغاثة به من دون اللَّه كما هو الواقع الآن من كثير ممّن يحيون بدعة المولد من دعاء الرسول من دون اللَّه وطلب المدد منه وإنشاد القصائد الشركية في مدحه، كقصيدة البردة وغيرها، وقد نهىٰ ﷺ عن الغلو في مدحه فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد اللَّه ورسوله**» أي: لا تغلوا في مدحي وتعظيمي كما غلت النصارىٰ في

مدح المسيح وتعظيمه حتى عبدوه من دون اللَّه، وقد نهاهم اللَّه عن ذلك بقوله: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١]. ونهانا نبيناﷺ عن الغلو خشية أن يصيبنا ما أصابهم فقال: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**».

رابعًا: إن إحياء بدعة المولد يفتح الباب للبدع الأخرىٰ، والاشتغال بها عن السنن، ولهذا تجد المبتدعة ينشطون في إحياء البدع ويكسلون عن السنن، ويبغضونها ويُعادون أهلها، حتىٰ صار دينهم كله ذكريات بدعية وموالد، وانقسموا إلىٰ فرق، كل فرقة تحيي ذكرىٰ موالد أئمتها، كمولد البدوي وابن عربي والدسوقي والشاذلي، وهكذا لا يفرغون من مولد إلا وينشغلوا بآخر، ونتج عن ذلك الغلو بهؤلاء الموتىٰ وبغيرهم ودعائهم من دون اللَّه واعتقاد أنهم ينفعون ويضرّون حتىٰ انسلخوا من دين الإسلام وعادوا إلىٰ دين الجاهلية الذين قال اللَّه فيهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣]. وهكذا يا عباد اللَّه رأينا ثمرات البدع وما تجر إليه، فاتقوا اللَّه وتمسكوا بدين اللَّه واحذروا البدع والخرافات، أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية بمناسبة إحياء بدعة المولد

الحمد للَّه رب العالمين، أكمل لنا الدين، وأتمّ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين تمسكوا بسنته وابتعدوا عن مخالفته، وسلّم تسليمًا... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ومن البدع المحدثة المنكرة: ما نحن بصدد الحديث عنه، وهو بدعة إحياء ذكرىٰ المولد النبوي، وقد سبق أن بيّنّا بعض الأدلة علىٰ بطلان هذه البدعة، والآن نتعرض لردّ شبهات الذين يرون جواز عمل هذه البدعة، فمن شُبَهِهِم أنهم يقولون: إن إحياء هذه الذكرىٰ يدل علىٰ محبة النبي ﷺ، فنقول لهم: هل أنتم تحبون النبي ﷺ أشد من محبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي اللّه عنهم، فلماذا لم يعمل خلفاؤه وصحابته احتفالاً بذكرىٰ مولده بعد موته مع شدة محبتهم له، وقد قال النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»، وقال عمر للنبي ﷺ: «**لأنت أحبّ إليّ من كل شيء حتى من نفسي**» إنهم لم يتركوا هذا العمل إلا لأنه غير جائز ولأن الرسول ﷺ لم يشرعه لهم، بل نهاهم عنه بقوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**» والنصارىٰ من حولهم يعملون عيد مولد المسيح، فامتثلوا أمر الرسول بمخالفتهم في ذلك وفي غيره.

ومن شُبهِهم: أنهم يقولون: إن إحياء ذكر المولد فيه تذكير بالرسول ﷺ وربط للناس به، وفيه إظهار لمكانته وشرفه.

ونقول لهم: إن ذكرىٰ الرسول ﷺ تتجدد مع المسلم ويرتبط به المسلم كلما ذكر اسمه ﷺ في الأذان والإقامة والخطب، وكلما ردّد المسلم الشهادتين بعد الوضوء وفي الصلوات، وكلما صلّىٰ علىٰ النبي ﷺ في صلواته وعند ذكره، وكلما عمل المسلم عملاً صالحًا واجبًا أو مستحبًا مما شرّعه الرسول ﷺ فإنه بذلك يتذكره ويصل إليه من الأجر مثل أجر العامل، وهكذا المسلم دائمًا يحيي ذكرىٰ الرسول ويرتبط به في الليل والنهار طوال عمره بما شرعه اللّه، لا في يوم مولده فقط وبما هو بدعة ومخالفة لسنّته، فإن ذلك يبعد عن الرسول ﷺ ويتبرأ منه، والرسول ﷺ غني عن هذا الاحتفال البدعي بما شرعه اللّه له من تعظيمه وتوقيره كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فلا يذكر اللّه عزّ وجل في أذان ولا إقامة ولا خطبة إلا ويذكر بعده الرسول ﷺ، وكفىٰ بذلك تعظيمًا ومحبة وتجديداً لذكراه وحثًا علىٰ اتباعه...

ومن شبههم: أنهم يقولون: إن في إحياء ذكرىٰ المولد وقراءة سيرة الرسول ﷺ في هذه المناسبة حثًا علىٰ الاقتداء به والتأسي به، فنقول لهم: إن قراءة سيرة الرسول ﷺ والتأسّي به مطلوبان من المسلم دائمًا طوال السنة وطول الحياة، أما تخصيص يوم معين لذلك بدون دليل علىٰ التخصيص فإنه يكون بدعة، «**وكل بدعة ضلالة**» والبدعة لا تثمر إلا شراً وبعداً عن النبي

ﷺ فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، واعلموا أن اللَّه قد أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وبملائكته فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



في إنكار البدع المحدثة في شهر رجب

الحمد للَّه الذي أمرنا بالاتباع ونهانا عن الابتداع، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وهو المنفرد بالخلق والإبداع، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وأمر أن يُتبع ويُطاع، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وجميع الأتباع وسلّم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالى، واعلموا أن اللَّه قد أكمل لنا الدين وأمرنا باتباعه والعمل به، ونهانا عن التغيير والابتداع، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إن هناك أناسًا يحاولون التغيير والتبديل ولا يرضيهم الاقتصار على المشروع، وهؤلاء قد حذرنا منهم رسولنا ﷺ حينما قال: «**مَن يَعشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**» وكان صحابة رسول اللَّه ﷺ يحذرون من البدع غاية التحذير، لعلمهم بضررها وعملاً بوصية نبيهم ﷺ إن البدع تقضي على السنن، وتغير الدين ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع اللَّه عنهم من السنة مثلها**» رواه الإمام أحمد.

وقد شدَّد النبي ﷺ النكير على من أحدث البدع؛ لأن البدع توجب لمن ارتكبها فساداً في دينه وقلبه؛ لأن القلب لا يتسع للسنّة والبدعة، ولا يجمع بين العوض والمعوض، ولهذا تجدون الذين يعملون بالبدع ويحيونها من أبعد الناس عن الشريعة والسنن، فالبدع تناقض السنن، وتورث في القلب نفاقًا وبغضًا للسنن، وبغضًا لمن يعمل بها.

وفي البدع مفاسد عظيمة، ولها عواقب وخيمة، وصاحب البدعة يفتتن بها ويحرص عليها أكثر مما يحرص على السنن؛ لأن الشيطان يزينها له، والمبتدعة يستسهلون الصعب وينفقون الأموال الطائلة في سبيل إحياء البدع، ويكسلون عن إقامة السنن، فيهجرونها أو

يؤدونها بفتور، والبدع تجعل المعروف منكراً والمنكر معروفًا، وتحمل أصحابها على الاستكبار عن الحق عندما يدعون إليه والبدع تشتت شمل المسلمين؛ لأن كل فريق من المبتدعة يبتكر لنفسه طريقة في البدعة يرئ أنها أحسن من بدعة الفريق الآخر فيصبح كل فريق منهم بما لديهم فرحون.

أيها المسلمون: إن من البدع المحدثة ما يعمل في بعض الأقطار في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب من إحياء ذكرئ الإسراء والمعراج بالاحتفالات وأنواع العبادات، فتخصيص هذه الليلة بالذكر والعبادة والأدعية بدعة لا أصل لها، والإسراء والمعراج حق، لكنه لم يقم دليل على تحديد ليلته ولا على شهره، ولو كان في تحديد ذلك الشهر أو تلك الليلة مصلحة لنا لبيّنه اللّه ورسوله لنا، ولو كان التعبد في تلك الليلة مشروعًا لفعله نبي اللّه وخلفاؤه، وصحابته، فهم أحرص على الخير وأسبق إليه منّا.

وقال ﷺ: «**عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**» فكل عبادة لم يفعلها الرسول وخلفاؤه فهي بدعة وضلالة، أضف إلى ذلك ما يشتمل عليه غالب تلك الاحتفالات البدعية من منكرات، من أشدها الشرك باللّه عزّ وجلّ من دعاء الرسول والاستغاثة به والغلو في مدحه، ومما يزيد الأمر خطورة في هذا الزمان أن تلك البدع لا يقتصر شرها على الموضع الذي تُقام فيه أو يقتصر إثمها على مَن يقيمها أو يحضرها بل صارت وقائعها تصدر إلى المشارق والمغارب، بواسطة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فيظنها الجهّال حقًا ويحسبونها من الدين، ويعتبرون مَن لم يفعلها مقصراً في حق الرسول ﷺ، بل أصبحت كأنها شعيرة من شعائر الإسلام، ولا شك أن في هذا من التغرير بالعوام ولبس الحق بالباطل ما لا يخفى على ذوي البصائر، لا سيما إذا شارك في إقامة هذه الاحتفالات وتجديد هذه الذكريات من هم محسوبون من العلماء، وهم في الحقيقة من الأئمة المضلّين الذين يحصلون من وراء هذه البدع على مطامع دنيوية ويختلون الدنيا باسم الدين، فيا من تحتفلون بذكرى الإسراء والمعراج أو غيرها من الذكريات البدعية هل لكم دليل على ما تفعلون من كتاب اللّه وسنة رسوله؟ ﴿**هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ١١١]، هل فعل شيء من ذلك في القرون المفضلة؟

﴿**آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ [يونس: ٥٩]، إن قلتم إن لكم دليلاً على ما فعلتم من الكتاب والسنة فقد كذبتم، وإن اعترفتم بأنه لا دليل لكم فقد ابتدعتم فاتقوا اللّه في أمة محمد، لا تفسدوا عليها دينها بالبدع. إن الإسراء والمعراج نعمة عظيمة على أهل

الإسلام، ولكن إحياء هذه الذكرىٰ وغيرها من الذكريات وتخصيصها بعبادة لا دليل عليها يعتبر بدعة في الدين، وكل بدعة ضلالة، والعمل الصالح لا يختص بليلة واحدة في السُّنَّة وإنما هو مستمر في حياة المؤمن... إن الدين لا يؤخذ من العوائد، وإنما يؤخذ من الكتاب والسُّنَّة، وإن عملاً لم يعمله الرسول ولا صحابته ولا أتباعهم بإحسان عمل محدث مبتدع يجب رفضه. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢]، وقال النبي ﷺ: «من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

والاحتفال بذكرىٰ الإسراء والمعراج أمر محدث في الدين ليس عليه أمر الرسول، فهو مردود ومرفوض. فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، واعلموا أن الشيطان يحاول صدَّكم عن هذا الدين وإخراجكم منه إما بالنقص منه والتساهل في تنفيذ أحكامه، وإشغالكم بالشهوات وترك الواجبات وفعل المحرمات، وإما بالزيادة فيه بالغلو والبدع، فاحذروا من الشيطان ومكره بكم فقد حذَّركم اللَّه منه بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية

الحمد للَّه رب العالمين، أكمل لنا الدين وأتمّ علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أمر بإحياء السنن واجتناب البدع؛ لأن السنن شرع اللَّه والبدع شرع الشيطان، ولأن السنن هدىً، والبدع ضلالة وكل ضلالة في النار، اللَّهُمَّ صلّ علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تمسَّك بسنَّته إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

عباد اللَّه: اتقوا اللَّه تعالىٰ واعلموا أن الذي يحرم ويعتبر بدعة في شهر رجب هو تخصيصه بشيء من العبادات. أما العبادة المشروعة فيه وفي غيره مثل صلاة التهجّد في الليل والوتر، وصيام يوم الإثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحىٰ

والنوافل المطلقة والمقيدة التي صحّت بها السنة فهذه العبادات تفعل في شهر رجب وفي غيره، فمن كان له عمل من هذه الأعمال فليستمر عليه في شهر رجب كغيره من الشهور.

فأكثروا رحمكم اللّه من الطاعات ولازموا الجُمع والجماعات، وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللّه . . . إلخ.



الاعتبار بآية الإسراء والمعراج

الحمد للّه رب العالمين، علىٰ فضله وإحسانه حمداً طيبًا كثيراً، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، سبحانه وتعالىٰ عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أسرىٰ به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، وعرج به إلىٰ السموات العُلىٰ، فنال بذلك فضلاً كبيراً وخيراً كثيراً، صلىٰ اللّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيراً. . . أما بعد:

أيهـــا الناس: اتقوا اللّه، واشكروا نعمته عليكم، ومن جُلّ نِعمه بعثه الرسول ﷺ إليكم، وما خصّه اللّه به من الخصائص العظيمة وما شرّفه به من المنزلة الكريمة، ومن ذلك معجزة الإسراء إلىٰ المسجد الأقصىٰ والمعراج إلىٰ السماء، فقد كان الإسراء والمعراج من أكبر النِّعَم علىٰ هذه الأمة، وقد نوّه اللّه بشأنه في كتابه وبيَّن الحكمة فيه في سورة الإسراء وفي سورة النجم. وقد أكرم اللّه فيه نبيّه وأراه من آياته الكبرىٰ، وفرض علىٰ أمته الصلوات الخمس التي هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، فرضها خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خفّفها إلىٰ خمس صلوات في العمل وهي عن خمسين في الثواب، ورأىٰ في هذه الرحلة المباركة من آيات اللّه الكبرىٰ ما قرّت به عينه وقوي به يقينه، وصار هذا الإسراء من أكبر معجزاته، وأعظم آياته، قد فرح به أهل الإيمان، واغتاظ منه أهل الكفر والطغيان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] فأقام اللّه به الحجة، واستنارت به المحجة، فآمن مَنْ آمن علىٰ يقين من ربه وكفر من كفر بعد أن قامت عليه الحجة.

فواجب المسلمين في كل عصر أن يشكروا اللّه علىٰ هذه النعمة بأداء ما أوجب اللّه عليهم فيها من الصلوات الخمس في اليوم والليلة في أوقاتها، في بيوت اللّه وجماعاتها، وأن يتجنبوا الذنوب التي أخبر النبي ﷺ أنه رأىٰ في هذه الليلة أهلها يعذبون بها أشد

العذاب، فقد أخبر ﷺ أنه أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: «**ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة**». ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والنعم، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها، فقال: «**فما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئًا، وما الله بظلام للعبيد**».

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر، ولحم آخر نيئ قذر خبيث، فجعلوا يأكلون اللحم النيئ الخبيث ويدعون النضيج الطيب، فقال: «**ما هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيبًا فتأتي رجلاً خبيثًا فتبيت معه حتى تصبح**»، قال: ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها، فقال: «**ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها**».

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: «**ما هذا يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء الفتنة**»، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع، فقال: «**ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها**».

وأتى ﷺ على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيّات تُرى من خارج بطونهم فقلت: «**من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا**» الحديث. رواه ابن جرير بسنده عن أبي هريرة.

عباد الله: إن النبي ﷺ رأى هؤلاء المجرمين يعذبون بجرائمهم وأخبر عن ذلك تحذيراً للأمة من ارتكاب هذه الجرائم الشنيعة، ومنها التكاسل عن أداء الصلاة المكتوبة في وقتها مع الجماعة، وقد كثر ارتكاب هذه الجريمة، فتكاسل كثير من الناس عن أداء الصلوات، فالواجب عليهم التوبة إلى الله والمحافظة على الصلوات، قبل أن يواجهوا هذا المصير المؤلم.

ومنها منع الزكاة: وهي قرينة الصلاة، والوعيد على منعها شديد، فالواجب على أصحاب الأموال إخراج زكاتها كما أمر الله بذلك.

ومنها: ارتكاب جريمة الزنا: وهو من أشنع الجرائم، وعقوبته في الدنيا والآخرة من

أشد العقوبات، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢]، وذكر الله الزنا قرينًا للشرك وقتل النفس، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، وهذا عذاب الزاني في الآخرة، أما عذابه في الدنيا، فالذي يزني بعدما تزوج واستمتع بزوجته يُرجم بالحجارة حتى يموت، وهذا مما يدل على شناعة الزنا وفحشه وقبحه وشدة عذابه في الدنيا والآخرة.

ومنها: خيانة الأمانة: فقد رأى النبي ﷺ الخائن لأمانته قد كُلِّف تعذيبًا له بحمل حزمة لا يستطيع حملها وهو يجمع عليها زيادة.

ومنها: الخطباء الذين يوقدون الفتنة بخطبهم: ويحرشون بين الناس، تُقرض ألسنتهم وشفاههم، وما أكثر خطباء الفتنة اليوم في النوادي والإذاعات ممن يحرّضون على الثورات وسفك الدماء، والإخلال بالأمن.

ومنها: أن الذين يتكلمون بالكلام المحرم من كذب وشتم وغيبة ونميمة وشهادة زور وأيمان فاجرة، فيفسدون بين الناس ولا يستطيعون إصلاح ما أفسدوا ولا استرجاع ما تكلموا به من الفحش والزور.

ومنها: أن أكلة الربا تتضخم بطونهم فتصير كالبيوت العظيمة فيها الحيات المروعة، ومصداق هذا في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي: لا يقومون من قبورهم عند البعث إلا كقيام المصروع الذي به مسّ من الجن، فهو يقوم ويسقط. وما أكثر أكلة الربا اليوم، بسبب تضخم الأموال ووجود البنوك الربوية التي تستثمر فيها تلك الأموال في الداخل والخارج، حتَّى أصبح الربا وسيلة اقتصادية مألوفة يُستغرب مَن ينكرها ويسخر منه، كما قال المرابون من قبل: إنما البيع مثل الربا.

أيها المسلمون: إن واجبنا أن نستفيد من حادث الإسراء والمعراج العبرة والعظة، والتمسك بأوامر الله واجتناب مناهيه، ولا يكون حظنا منه إحداث البدع بإقامة الاحتفالات التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي حذّرنا منها نبيّنا محمد ﷺ فكثير من الناس لا يعرف عن هذه الآية إلا أنها وقت سنوي يقيمون فيه احتفالاً مبتدعًا، في موعد حدّدوه من عند أنفسهم، كأن النعمة بهذه الآية العظيمة لا تحصل إلا في تلك الليلة الواحدة من السنة وليس

لها أثر مستمر باستمرار الصلوات الخمس في اليوم والليلة ومستمر كلما تليت هذه الآية في القرآن، لكنها التقاليد الفاسدة والطقوس الفارغة التي شابهوا بها اليهود والنصارىٰ، هذا فقههم للأحداث وتفقههم في الدين، فاتقوا اللَّه عباد اللَّه واستفيدوا من سيرة نبيّكم القدوة الحسنة، والعبرة والعظة وأحيوا السنن واحذروا البدع، فهذا هو سبيل النجاة.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية بشأن الإسراء والمعراج

الحمد للَّه رب العالمين، القائل في كتابه المنير: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وهو العليم الخبير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالبيّنات المعجزات، صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين آمنوا به وناصروه وجاهدوا معه ونشروا دينه في مشارق الأرض ومغاربها حتىٰ ظهر علىٰ سائر الأديان. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ وتأملوا هذا الحدث العظيم الذي نوّه اللَّه بشأنه فقال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] مجَّد الرب نفسه لقدرته الباهرة حيث أسرىٰ بعبده محمد ﷺ بأن نقله في جنح الظلام من المسجد الحرام بمكة المشرفة إلىٰ المسجد الأقصىٰ، وهو بيت المقدس الذي بفلسطين - مسجد الأنبياء من عهد إبراهيم الخليل عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام - مع بُعد ما بين المسجدين من المسافة، ثم عرج به من هناك حتىٰ تجاوز السبع الطباق والتقىٰ بالأنبياء وكلّمه اللَّه من وحيه بما شاء وفرض عليه الصلوات الخمس، ثم عاد إلىٰ مكة من ليلته وحدّث الناس بذلك فآمن به من آمن وكفر من كفر، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، روىٰ البيهقي بسنده عن عائشة قالت: لمَّا أُسري برسول اللَّه ﷺ إلىٰ المسجد الأقصىٰ أصبح يحدّث الناس بذلك فارتدّ ناس ممن كانوا آمنوا به وصدّقوه، وسعوا بذلك إلىٰ أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أُسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس، فقال أبو بكر رضي اللَّه عنه: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال

ذلك لقد صدق، قالوا: فتصدقه أنه ذهب الليلة إلىٰ بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق، وهذا هو الإيمان الراسخ واليقين الصادق، ومنه تؤخذ القاعدة العظيمة في أصول العقيدة، وهو أن المدار علىٰ ثبوت الخبر عن النبي ﷺ، فإذا ثبت آمنَّا به وصدّقناه بدون اعتراض أو شك أو استغراب؛ لأنه نبي صادق لا ينطق عن الهوىٰ، وقدرة اللَّه تامّة لا يعجزها شيء، فما هي الغرابة إذًا؟ وكيف تصدقه أنه رسول اللَّه يأتي بالوحي ولا تصدقه في خبره أن اللَّه أسرىٰ به إلىٰ بيت المقدس وعرج به إلىٰ السماء ورجع إلىٰ مكة في ليلة واحدة؟ ليس هناك شبهة أمام هؤلاء المكذبين إلا بُعد المسافة في هذه الرحلة، ونسوا قدرة اللَّه التي لا يعجزها شيء، ونسوا سرعة وصول الوحي إلىٰ النبي ﷺ من السماء وهو بمكة، أليس اللَّه قد أقدر البشر الآن علىٰ قطع المسافات الطويلة في ساعات قليلة بواسطة المخترعات الحديثة، إن الذي أقدر البشر علىٰ ذلك قادر علىٰ أن يُسري برسوله من مكة إلىٰ بيت المقدس، وإرجاعه في ليلة واحدة من باب أولىٰ، وهو علىٰ كل شيء قدير، وصدق اللَّه ورسوله . . .

أيها المسلمون: إن خير الحديث كتاب اللَّه . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في وجوب اتباع الكتاب والسنة والنهي عن الابتداع في شعبان وغيره

الحمد للَّه رب العالمين، أمرنا باتباع الكتاب والسنة، ونهانا عن الابتداع والفتنة، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، من يُطع اللَّه ورسوله فقد رشد، ومن يعص اللَّه ورسوله فقد غوىٰ، ولا يضر إلا نفسه ولا يضر اللَّه شيئًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ترك أمته علىٰ البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين ساروا علىٰ نهجه وتمسكوا بسنّته ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا . . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ وتمسكوا بكتابه وسنّة نبيه ففيهما الكفاية والهدىٰ والنور، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلال وغرور، قال تعالىٰ: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ**﴾ [طـه: ١٢٣]، فقد وعد اللَّه من تمسك بكتابه وعمل به أن لا يضلّ في الدنيا ولا يشقىٰ في

الآخرة، وتوعد من أعرض عن كتابه فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]. أي: من خالف أمري وما أنزلته على رسولي فأعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، أي: ضنكًا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء فإن قلبه في قلق وحيرة وشك، وقيل: إن المعيشة الضنك أن يضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤] أي: أعمى البصر والبصيرة كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء: ٩٧] وقد أمر اللَّه بطاعته وطاعة رسوله في كثير من الآيات، وطاعة اللَّه تكون باتباع كتابه، وطاعة الرسول تكون باتباع سنّته قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤] وهذا من مقتضى شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه فمن شهد أن لا إله إلا اللَّه وجب عليه أن يطيعه ويتبع كتابه، ومن شهد أنّ محمدًا رسول اللَّه، وجب عليه أن يطيعه ويتبع سنّته.

وقد أخبر اللَّه سبحانه أن مَن يُطع الرسول فذلك دليل على محبته للَّه ومحبة اللَّه له، ومن لم يُطع الرسول فإن ذلك دليل على كفره، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢]. وأخبر أن من أطاع الرسول فقد أطاع اللَّه لأن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وأخبر سبحانه أن من أطاع الرسول حصلت له الهداية التامة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، وأخبر أن طاعة الرسول سبب للرحمة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وأخبر أن مَن عصى الرسول ﷺ فهو ضالّ متّبع لهواه، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. وتوعد من خالف أمر الرسول بالعقوبة العاجلة والآجلة فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن كثير رحمه اللَّه: أي: فليحذر وليخشَ من خالف الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣] أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك: وكان النبي ﷺ يحذّر

من مخالفة الكتاب والسنة وبين أن ما خالف الكتاب والسنة فهو بدعة وضلالة فكان يقول في خطبه: «إن خير الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» ويقول: «من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة» وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي: مردود على محدثه وعمله لا يقبل؛ لأنه بدعة مخالفة لما شرعه اللَّه لعباده، ففي هذه النصوص وأمثالها التحذير من البدع والمخالفات؛ والبدعة: هي الطريقة المخترعة في الدين التي ليس لها دليل من الكتاب والسنة يقصد فاعلها ومخترعها التقرب بها إلى اللَّه عز وجل، كإحداث عبادة لم يشرعها اللَّه ولا رسوله، أو تخصيص وقت للعبادة لم يخصصه اللَّه ولا رسوله لها، أو فعل العبادة على صفة لم يشرعها اللَّه ولا رسوله.

فالبدعة قد تكون بإحداث عبادة ليس لها أصل في الشرع مثل بدعة الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ والاحتفال بمناسبة الإسراء والمعراج، أو بمناسبة الهجرة النبوية، أو تخصيص وقت من الأوقات للعبادة ليس له خصوصية في الشرع كتخصيص شهر رجب أو ليلة النصف من شعبان بصلاة أو ذكر أو دعاء، وتخصيص يوم النصف من شهر شعبان بصيام، وقد تكون البدعة بإحداث صفة للعبادة غير مشروعة كالدعاء الجماعي بعد الصلوات المفروضة والأذكار الجماعية وما أشبه ذلك، والبدع تصدّ عن دين اللَّه وتبعد عن اللَّه، وتوجب العقوبة العاجلة والآجلة؛ لأنها من دين الشيطان، لا من دين الرحمن.

والمبتدع متّبع لهواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

والمبتدع يقول على اللَّه بلا علم، والقول على اللَّه بلا علم قرين الشرك، قال تعالى محذرًا من ذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، قال الإمام ابن القيم: والقول على اللَّه بلا علم والشرك متلازمان، ولما كانت هذه البدع المضلّة جهلاً بصفات اللَّه وتكذيبًا بما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسول اللَّه ﷺ كانت من أكبر الكبائر إن قصرت عن الكفر، وكانت أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها، وقال إبليس لعنه اللَّه: أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بلا

إله إلا اللّه وبالاستغفار، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ومعلوم أن المذنب إنما ضرره على نفسه، وأما المبتدع فضرره على الناس، وفتنة المبتدع في أصل الدين، وفتنة المذهب في الشهوة، والمبتدع يتهم ربه بأنه لم يكمل الدين قبل وفاة النبي ﷺ فهو مكذِّب لقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣]، أو يتهم الرسول بعدم الإبلاغ.

والمبتدع يريد أن يفرّق جماعة المسلمين؛ لأن اجتماع المسلمين إنما يتحقق باتباع ما شرع اللّه كما قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالمبتدع يريد أن يفرّق المسلمين عن صراط اللّه وعن سبيله المتحد إلى سبيل البدع المختلفة؛ لأن البدع لا تقف عند حد ولا تنتهي إلى غاية، فكل مبتدع له طريقة خاصة غير طريقة المبتدع الآخر، كما صوَّر النبي ﷺ ذلك حينما خطّ بيده خطًا وقال: «**هذا سبيل اللّه مستقيمًا**» وخطَّ خطوطًا عن يمينه وشماله ثم قال: «**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣] رواه أحمد والحاكم، وقال: صحيح ولم يخرجاه، وهو دليل واضح على أن البدع تفرّق المسلمين.

عباد اللّه: إننا في زمان كثرت فيه البدع ونشط فيه المبتدعة فصاروا يروجون البدع بين الناس ويدعون إليها في كل مناسبة، وهذا بسبب غربة الدين، وقلة العلماء المصلحين، ومن هذه البدع ما يروج كل عام ويغترّ به الجهّال والعوام، من الاحتفال بليلة النصف من شعبان وتخصيصها بأنواع من الذكر والصلاة؛ لأنهم يزعمون أنها تقدّر فيها الآجال والأرزاق وما يجري في العام ويظنون أنها هي المعنيّة بقوله تعالى: ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ [الدخان: ٤]، ويخصّون اليوم الخامس عشر من شهر شعبان بالصيام ويستدلون بحديث روي في هذا، وهذا كله من البدع المحدثة لأنه لم يثبت تخصيص ليلة النصف من شعبان بذكر ولا قيام، ولا تخصيص يومها بالصيام، لم يثبت في ذلك حديث عن النبي ﷺ، وما لم يثبت فيه دليل فهو بدعة في الدين ومخالف لعمل المسلمين المتمسكين بالسنة التاركين للبدعة... وإليكم ما قاله العلماء المحققون في هذه الليلة:

قال أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي في كتاب «الحوادث والبدع»: وروى ابن وضاح عن زيد بن أسلم قال: «ما أدركنا أحدًا من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف

من شعبان، ولا يرون لها فضلاً على سواها».

وقال ابن رجب في كتابه «لطائف المعارف»: وأنكر ذلك - يعني تخصيص ليلة النصف من شعبان - أكثر علماء الحجاز، منهم عطاء، وابن أبي مليكة، ونقله عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن فقهاء أهل المدينة وهو قول أصحاب مالك وغيرهم، وقالوا: ذلك كله بدعة، وقال أيضًا: قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وقال الحافظ العراقي: حديث صلاة ليلة النصف من شعبان باطل، وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات».

وأما صيام يوم النصف من شعبان فلم يثبت بخصوصه حديث عن النبي ﷺ، والحديث الوارد فيه ضعيف، كما قاله ابن رجب وغيره، والضعيف لا تقوم به حجة، وأما زعمهم أنها الليلة تقدّر فيها أعمال السنة وأنها المعنية بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ [الدخان: ٣، ٤] فهذا زعم باطل؛ لأن المراد بتلك الليلة ليلة القدر كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ [القدر: ١]، وهي في رمضان لا في شعبان؛ لأن اللَّه سبحانه قال: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥] فالقرآن أنزل في ليلة القدر وليلة القدر في رمضان بلا خلاف بدليل قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥] قال الإمام ابن كثير: يقول اللَّه تعالى مخبرًا عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال عزَّ وجلَّ ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ [القدر: ١] وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥] قال: ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان، ثم قال عن الحديث المروي في ليلة النصف من شعبان وهو أن النبي ﷺ قال: «**تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه من الموتى**» قال: هو حديث مرسل، مثله لا يعارض النصوص.

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم وما كان عليه السلف الصالح، واحذروا من البدع ومروجها كما حذَّركم النبي ﷺ.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في الحث على التمسك بالكتاب والسنة والتحذير من البدع

الحمد لله رب العالمين، أمرنا باتباع صراطه المستقيم، ونهانا عن اتباع سبل أصحاب الجحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك البر الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ البلاغ المبين، وقال: عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين تلقوا عنه الدين وبلغوه للمسلمين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ والزموا السير علىٰ الطريق الصحيح الذي يوصلكم إلىٰ دار السلام، واحذروا الطرق المنحرفة التي توردكم المهالك والآثام، واعلموا أنه ليس لليلة النصف من شعبان ولا ليومها خصوصية علىٰ غيرها من الليالي والأيام، فمن كان معتاداً قيام الليل في سائر السنة فليقم في تلك الليلة كغيرها من الليال، ومن كان معتاد الصيام أيام البيض من كل شهر فليصم تلك الأيام من شعبان كعادته في شهور العام، وكذلك من كان يصوم الإثنين والخميس من كل أسبوع وصادف ذلك اليوم النصف من شعبان فليصمه علىٰ عادته تابعاً لغيره، وهكذا من كان عادته أن يصوم غالب شهر شعبان كما روىٰ مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه شعبان» وفي رواية: «كان يصوم شعبان إلا قليلاً» فمن اقتدىٰ بالنبي ﷺ وصام غالب شعبان ومرَّ النصف أثناء صيامه فلا بأس؛ لأنه في هذه الحال صار تابعاً.

وإنما الممنوع تخصيصه دون غيره. واعلموا عباد الله أن فيما ثبت عن النبي ﷺ من نوافل الصلوات والصيام غنية للمسلم وخير كثير، فلا يجوز للمسلم أن يلتفت لما سوىٰ ذلك من الشذوذات والمبتدعات والمرويات التي لم تثبت، فإن هذا سبيل أهل الزيغ الذين يتبعون المتشابه ويتركون المحكم ويحيون البدع ويميتون السنن، وإنك لتعجب حين حرص بعض الناس علىٰ تتبع الشواذ، وترك الثواب من العبادات فاتقوا الله واعلموا أن خير الحديث كتاب الله فتمسكوا به، وخير الهدي هدي محمد ﷺ فاقتدوا به. وشر الأمور محدثاتها فاجتنبوها، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . . . إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في التحذير من المعاصي وبيان أضرارها

الحمد للّه رب العالمين، وعد مَن أطاعه أجرًا عظيمًا، وأعدّ لمن عصاه عذابًا أليمًا، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٨]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا اللّه تعالى بفعل ما أمركم، واحذروا معصيته بارتكاب ما نهاكم عنه واعلموا أن للطاعة آثارًا حميدة، وعاقبة سعيدة، وأن للمعاصي آثارًا قبيحة وعقوبات شنيعة، قال تعالى في بيان آثار المعاصي: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الروم: ٤١] أي: بان النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي، وقال بعض السلف: من عصى اللّه في الأرض فقد أفسد فيها؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ولهذا جاء في الحديث: «**لَحدٌّ يُقام في الأرض أحبُّ إلى أهلها من أن يُمطروا أربعين صباحًا**» وذلك لأن الحدود إذا أُقيمت انكفّ الناس أو أكثرهم عن المعاصي، وإذا تركت المعاصي كان ذلك سببًا في حصول البركات من السماء والأرض.

وثبت في «الصحيحين» أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب، قال بعض السلف: إذا أجدبت الأرض قالت البهائم: هذا من أجل عصاة بني آدم، لعن اللّه عصاة بني آدم، وجاء في الحديث: «**وما منع قومٌ زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، وما بخس قوم المكيال والميزان إلا ابتُلوا بشدة المئونة وجور السلطان**» فالمعاصي تسبب قصم الأعمال وانحباس الأمطار وخراب الديار وغور الآبار، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٣٠] ما الذي أغرق قوم نوح بالطوفان، وأغرق فرعون وجنوده في البحر؟ وما الذي سلّط الريح العقيم على عاد؟ وما الذي أرسل الصيحة على ثمود؟ وما الذي أرسل الحاصب وأمطر الحجارة على قوم لوط وقلب عليهم عالي البلاد سافلها؟ وما الذي خسف الأرض بقارون؟ وما الذي أمطر النار المحرقة وأرسل الصيحة على قوم شعيب؟ أليست هي الذنوب والمعاصي؟ قال تعالى: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ**

أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] إن الذنوب هي التي أهلكت هذه الأمم الماضية وهي التي تهلك الأمم اللاحقة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: ١٦-١٩].

وهذا ما ذكره اللَّه من عقوبات الأمم الماضية وما نشاهده اليوم وما نسمعه من العقوبات بالأمم المعاصرة فيه أكبر زاجر وأعظم واعظ لنا، فها هي الحروب الطاحنة تشتعل نيرانها في البلاد المجاورة وهي حروب دمار لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية لما يستعمل فيها من الأسلحة الفتاكة والانفجارات المروعة والقذائف المدمرة بعيدة المدىٰ التي لا يمنع منها حصون ولا تقي منها دروع، كانت حروب الزمن الماضي بالسيف والبندقية يقتل فيها أفراد، ويمكن التحصين منها، أما هذه الحروب المعاصرة فهي حروب إبادة، تهلك فيها الجماعات البشرية بقذيفة واحدة وتدك الحصون وتشعل النيران في البيوت والمساكن، وتمزق الأجسام بلا حدود، ومن ينجُ منها يَبْقَ بلا مأوىٰ ولا طعام ولا شراب، كما تسمعون عن ملايين اللاجئين الذين شردوا من بلادهم وفيهم النساء الأرامل والأطفال اليتامىٰ وفيهم المرضىٰ والجرحىٰ وكبار السن والمعوقين، وصاروا يعيشون في مخيمات علىٰ المساعدات الدولية التي لا تسد حاجتهم ولا تروي غُلّتهم.

ومن العقوبات التي تحلّ بالأمم المعاصرة: كثرة الزلازل والبراكين التي تدمر البلدان، وتهلك عشرات الألوف من بني الإنسان، وتترك الكثير بلا مأوىٰ.

ومن العقوبات التي تحل بالأمم المعاصرة: عقوبات الجدب وانحباس الأمطار حتىٰ أجدبت الأرض وتعطلت الزراعة، وهلكت المواشي وشاعت المجاعة، حتىٰ هلك خلق كثير، ومن بقي حيًا ارتحل من بلده إلىٰ بلد آخر لطلب لقمة العيش، إما من الصدقات وإما من الأجرة التي يحصلون عليها من العمالة لدىٰ الدول الغنية.

ومن العقوبات التي تحل بالأمم المعاصرة: ما يصيب الثمار والزروع من الآفات التي تقضي علىٰ المحاصيل أو تنقصها.

ومن عقوبات المعاصي في الأمم المعاصرة: انتشار الأمراض المستعصية التي يعجز الطب عن معالجتها كمرض السرطان والإيدز والهربس، وغيرها، وكثرة موت الفجأة بالإصابات المفاجئة وبحوادث المراكب الجوية والبرية والبحرية في الطائرات والسيارات

والقطارات والبواخر التي يذهب فيها جماعات من الناس في لحظة واحدة.

ومن عقوبات المعاصي في الأمم المعاصرة: تسليط الظلمة والجبابرة على الشعوب، وتسليط الأحزاب المتعارضة بعضها على بعض، وتسليط الكفّار على المسلمين لما ترك المسلمون الجهاد وقصروا فيما أوجب اللّه عليهم، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ [الأنعام: ٦٥].

ومن أعظم عقوبات المعاصي: أنها تؤثر في القلوب مرضًا وظلمة وقسوة، كما قال تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: ١٤]، وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، عن النبيﷺ قال: «**إنّ العبد إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، وإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت**» فذلك قول اللّه تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحسن البصري: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب ويموت...

فاتقوا اللّه عباد اللّه واحذروا المعاصي، فإننا في زمان عظمت فيه الفتنة بسبب اختلاط الأشرار بالأخيار لتقارب البلدان، وسهولة المواصلات وتوفر وسائل الإعلام التي تنقل الشرور من الأغاني والمزامير والدعايات المغرضة بواسطة الإذاعات والتلفزيونات وأجهزة الفيديو بأفلامها المفسدة، حتى صار العالم كالبلد الواحد ما يحدث في أقصاه يصل إلى أقصاه في أسرع وقت مسموعًا ومرئيًا ومقروءًا.

لقد تساهل كثير من الناس بالصلاة والزكاة وهما من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، لقد فشا الربا الخبيث في معاملات كثيرة بين المسلمين، ووقع بعض شباب المسلمين في تعاطي المسكرات والمخدرات، وكثر الغش في المعاملات، ووجد بين المسئولين من يتعاطى الرشوة التي لعن رسول اللّهﷺ الساعي فيها ودافعها وآخذها، كثر الفجور في الخصومات والزور في الشهادات، وبعض النساء يتساهلن بالحجاب، ويتبرجن بزينة الثياب، فعلى المسلمين أن يتقوا اللّه ويتنبهوا لهذه الأخطار، ويكثروا من التوبة والاستغفار، ويأخذوا على أيدي سفهائهم لعلّ اللّه أن يتوب على الجميع.

أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: ٢٥].

بارك اللّه لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في التحذير من المعاصي وعقوباتها

الحمد للَّه علىٰ فضله وإحسانه، لا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالىٰ واسألوه من فضله فإنه كريم، وخافوا من عقابه، فإن عقابه أليم.

عباد اللَّه: كما أن للمعاصي عقوبات، فإن لها علاجًا تعالج به ويُتقىٰ به شرّها **«ما أنزل اللَّه داءً إلا أنزل له شفاء»** ومن أعظم ما تعالج به المعاصي التوبة والاستغفار، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٣] وقد أمر اللَّه بالاستغفار والتوبة في آيات كثيرة من كتابه ووعد بالمغفرة، قال تعالىٰ: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾ [طه: ٨٢] في الحديث القدسي أن اللَّه تعالىٰ يقول: **«يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم»**.

والاستغفار هو طلب المغفرة مع ترك الذنوب والندم علىٰ فعلها وعدم العودة إليها، وليس معناه التلفظ به باللسان مع البقاء علىٰ الذنوب والمعاصي.

ومما تعالج به المعاصي نصيحة العصاة ووعظهم وتذكيرهم ﴿**معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون**﴾ [الأعراف: ١٦٤]، ومما تعالج به المعاصي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عليه الصلاة والسلام: **«من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**.

فيجب علىٰ المسلم إنكار المنكر بحسب استطاعته، يجب علىٰ قَيِّم البيت أن يأمر من تحت يده وينهاهم من أولاده وأهل بيته، قال تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [التحريم: ٦] فوقاية النفس والأهل من النار واجبة، وذلك بالتزام طاعة اللَّه والابتعاد عن معصيته، ويجب علىٰ ولاة الأمور وأهل الحسبة القيام علىٰ من تحت ولايتهم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإلزامهم بطاعة اللَّه والأخذ علىٰ أيديهم، ويجب علىٰ عموم المسلمين التعاون مع ولاة الأمور في ذلك، قال

تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» فإذا أهمل جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك العصاة بدون إنكار عمَّت العقوبة الجميع، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

والمعصية إذا خفيت لم تضرّ إلا صاحبها وإذا ظهرت ولم تنكر عمّت عقوبتها الجميع، ومما تعالج به المعاصي تأديب العصاة بإقامة الحدود، والتعزيرات الشرعية التي تردع العاصي، قال عليه الصلاة والسلام: «**مُرُوا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**» وجاء في الحديث أن الحدّ الواحد يُقام في الأرض خير من أن تُمطر أربعين صباحًا، واللَّه عزّ وجل يَزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، واعلموا أن الأمر خطير، فخذوا لأنفسكم قبل فوات الأوان، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه... إلخ.



خطبة ثانية في التحذير من الذنوب وعقوباتها

الحمد للَّه رب العالمين، منَّ على من شاء من عباده بهدايتهم للإيمان، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، تفرّد بالكمال والجلال والعظمة والسلطان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الإنس والجان، فبلغ رسالة ربه وبيّن غاية البيان، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في اللَّه حق جهاده حتى نشروا العدل والأمن والإيمان وسلم تسليمًا كثيراً...

أما بعد: أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالى واحذروا المعاصي فإن لها أثرًا سيئًا على العاصي وعلى المكان والسكان، قال تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، أي: لا تفسدوا فيها بالشرك والمعاصي والظلم، بعد إصلاحها بالتوحيد والعدل والطاعة وإرسال الرسل.

فالمعاصي تضر بالقلوب كضرر السموم في الأبدان، وهل ما في الدنيا والآخرة من شرور وعقوبات إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟ فما الذي أهلك الأمم الماضية إلا الذنوب والمعاصي؟ قال تعالى: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ

الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

والذنوب تتفاوت وتنقسم إلىٰ كبائر وصغائر وتتفاوت مفاسدها وعقوباتها في الدنيا والآخرة.

قال الإمام العلامة ابن القيم رحمه اللَّه: ثم هذه الذنوب تنقسم إلىٰ أربعة أقسام: ملكية، وشيطانية، وسبعية، وبهيمية، لا تخرج عن ذلك.

فالذنوب الملكية: أن يتعاطىٰ ما لا يصلح له من صفات الربوبية كالعظمة والكبرياء والجبروت والقهر والعلوّ بغير الحق واستعباد الخلق ونحو ذلك، ويدخل في هذا الشرك بالرب تبارك وتعالىٰ، وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب، ويدخل فيه القول علىٰ اللَّه بلا علم في خلقه وأمره، فمَن كان من أهل هذه الذنوب فقد نازع اللَّه سبحانه في ربوبيته وملكه وجعل نفسه له ندًا، وهذا أعظم الذنوب عند اللَّه ولا ينفع معه عمل.

وأما الشيطانية: فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر والأمر بمعاصي اللَّه وتحسينها، والنهي عن طاعة اللَّه وتهجينها، والابتداع في دينه والدعوة إلىٰ البدع والضلال، وهذا النوع يلي النوع الأول في المفسدة، وإن كانت مفسدته دونه.

وأما السبعية: فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب علىٰ الضعفاء والعاجزين...

وأما الذنوب البهيمية: فمثل الشره، والحرص علىٰ قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولد الزنا والسرقة، وأكل أموال اليتامىٰ، والبخل، والشح، والجبن، والهلع، والجزع، وغير ذلك. وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق، لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية، ومنه يدخلون إلىٰ سائر الأقسام.

عباد اللَّه: لقد حذَّر النبي ﷺ من المعاصي وعقوباتها عمومًا، وحذَّر من كبائر الذنوب خصوصًا؛ لأن خطرها أشد، ففي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلىٰ يا رسول اللَّه، فقال: «**الإشراك باللَّه وعقوق الوالدين، وشهادة الزور**» وفي «الصحيح» أيضًا عنه ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قيل: وما هنَّ يا رسول اللَّه؟ قال: «**الإشراك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا،**

والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» وفي «الصحيح» أيضًا عنه ﷺ أنه سئل: أيُّ الذنب أكبر عند اللَّه؟ قال: «أن تجعل للَّه ندًا وهو خلقك» قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قيل: ثم أيّ؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك» فأنزل اللَّه تعالىٰ تصديقها: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨].

ولما كان الشرك أكبر الكبائر؛ لأنه ضد التوحيد الذي خلق اللَّه الخلق من أجله، حرّم اللَّه الجنة علىٰ كل مشرك وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم لما تركوا القيام بعبوديته، وأبىٰ اللَّه سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً ويقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في الآخرة دعوة أو يقبل له فيها رجاء، ولما كان السحر من عمل الشياطين كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

لأن الساحر في الغالب يتعامل مع الشياطين ويخضع لهم ويتقرب إليهم صار مفسدًا للعقيدة ومفسدًا للمجتمع لما يحدثه من الأضرار بإحداث التباغض بين المتحابين كما قال تعالىٰ: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ويحدث أمراضًا وقتلاً، لما كان يشتمل علىٰ هذه الأضرار وغيرها صار قرينًا للشرك ويليه في المرتبة، وحكم الشارع بكفر السحرة وثبت الأمر بقتلهم عن جماعة من الصحابة لإراحة المجتمع من شرهم ونهىٰ النبي ﷺ عن الاتصال بهم والذهاب إليهم.

ويلي الشرك في كبر المفسدة: القول علىٰ اللَّه بلا علم في أسمائه وصفاته وفي عبادته وتحليله وتحريمه من وصفه بما لم يصف به نفسه، أو نفي ما وصف به نفسه أو إحداث عبادة لم يشرّعها أو تحليل ما حرّمه أو تحريم ما أحلّه، فإن ذلك كله ابتداع في دين اللَّه وانتقاص لجلال اللَّه...

والبدعة أحب إلىٰ إبليس من كبار الذنوب كما قال بعض السلف الصالح: البدعة أحب إلىٰ إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها وهي اتباع للهوىٰ. قال إبليس لعنه اللَّه: أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا اللَّه وبالاستغفار، فلمَّا رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، والمذنب ضرره علىٰ نفسه فقط، والمبتدع ضرره علىٰ الناس، وفتنة المبتدع في أصل الدين وفتنة المذنب في الشهوة، والمبتدع يصدّ الناس عن الدين الصحيح إلىٰ البدع المحدثة والدين الباطل.

ومن الكبائر الموبقة: قتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق، وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

وإنما صار قاتل النفس الواحدة ظلمًا وعدوانًا كالقاتل للناس جميعًا لأنه تجرأ علىٰ سفك الدم الحرام، فإن من قتل نفسًا بغير استحقاق بل لمجرد الفساد في الأرض أو لأخذ مال المقتول فإنه يتجرأ علىٰ قتل كل من ظفر به وأمكنه قتله، فهو مُعاد للنوع الإنساني، ولأن اللّه جعل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمّىٰ، فإذا أتلف القاتل عضواً من ذلك الجسد فكأنما أتلف سائر الجسد وآلم جميع أعضائه، فمن آذىٰ مؤمنًا واحدًا فقد آذىٰ جميع المؤمنين، ومن آذىٰ جميع المؤمنين آذىٰ جميع الناس، فإن اللّه يدافع عن الناس بالمؤمنين الذين هم بينهم.

ولأن من قتل نفسًا بغير حق فقد جرّأ غيره علىٰ القتل وسنّ سنة سيئة لغيره من الاعتداء علىٰ الناس جميعًا، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تُقْتَل نفسٌ ظلمًا بغير حق إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها؛ لأنه أول من سنّ القتل**» وقتل النفس بغير حق يتفاوت إثمه وضرره بحسب مفسدته، فقتل الإنسان ولده الصغير الذي لا ذنب له خشية أن يطعم معه أو يشاركه في ماله من أعظم أنواع الظلم وأكبر الكبائر، وكذا قتله لوالديه تجتمع فيه جريمة القتل وجريمة العقوق وجريمة قطيعة الرحم، وكذلك قتله لبقية قرابته فيه جريمة القتل وجريمة القطيعة، وهكذا تتفاوت درجات القتل بحسب قبحه وسوء أثره، ولهذا كان أشد الناس عذابًا يوم القيامة من قتل نبيًا أو قتله نبي، ويليه من قتل إمامًا عادلاً أو عالمًا يأمر الناس بالقسط.

ومن الكبائر الموبقة: جريمة الزنا، فهو من أعظم المفاسد لأنه يترتب عليه فساد نظام العالم في حفظ الأنساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات، وهو يوقع العداوة والبغضاء بين الناس ويسبب حدوث الأمراض الخطيرة، وكل من الزناة يفسد زوجة الآخر وأخته وبنته وأمه، وفي ذلك خراب العالم، ولهذا كانت جريمة الزنىٰ تلي جريمة القتل في الكبر، ولهذا نهىٰ اللّه عن قربه، وأخبر أنه كان فاحشة وساء سبيلاً في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا

الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء: ٣٢].

والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن فعله؛ لأنه نهىٰ عنه وعن الوسائل المفضية إليه، كالنظر المحرم والخلوة بالمرأة الأجنبية، واختلاط المرأة بالرجال، وحرّم التبرج والسفور، وسفر المرأة بدون محرم، كل ذلك من أجل الابتعاد عن الزنا.

وقال الإمام ابن القيم: ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم، فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار علىٰ أهلها وزوجها وأقاربها ونكست رءوسهم بين الناس، وإذا حملت من الزنا، فإما أن تقتل ولدها فتجمع بين الزنا والقتل، وإن أبقته حملته علىٰ الزوج فأدخلت علىٰ أهلها وأهله أجنبيًا ليس منهم، فورثهم وليس منهم، ورآهم وخلا بهم وانتسب إليهم وليس منهم، وأما زنا الرجل فإنه يوجد اختلاط الأنساب وإفساد المرأة المصونة وتعريضها للتلف والفساد، ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين، فكم في الزنا من استحلال محرمات وفوات حقوق ووقوع مظالم، ومن خاصيّته أنه يوجب الفقر ويقصر العمر ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس، ومن خاصيته أيضًا أنه يشتت القلب ويمرضه إن لم يُمِتْه، ويجلب الهمّ والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك ويقرِّبه من الشيطان، فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدة الزنا. ولهذا شرّع فيه القتل علىٰ أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها - يعني أن الزاني يجب رجمه بالحجارة حتىٰ يموت - ولو بلغ الرجل أن امرأته أو حُرمته قُتلت كان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت، وخصّ سبحانه حدّ الزنا بثلاث خصائص من بين سائر الحدود، أحدهما: القتل فيه بأشنع القتلات، الثاني: أنه نهىٰ عباده أن تأخذهم بالزناة رأفة في دينه بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم، الثالث: أنه أمر سبحانه أن يُقام حد الزنا بمشهد من المؤمنين فلا يكون في خلوة حيث لا يراه أحد. . .

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، واجتنبوا الذنوب والمعاصي ما ظهر منها وما بطن. . .

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠] الآيات. . .



من الخطبة الثانية
في التحذير من الذنوب وعقوباتها

الحمد للّه رب العالمين، حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأمر بتقواه في السر والعلن، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

أما بعد: أيها الناس: اتقوا اللّه واجتنبوا الإثم والفواحش لعلّكم تفلحون.

عباد اللّه: ومن الكبائر الموبقة جريمتان عظيمتان مهلكتان، كثير وقوعهما اليوم، وتساهل الناس فيهما، وهما: ترك الصلاة، وأكل الربا.

فأما ترك الصلاة: فإنه كفر مخرج من الملة - على الصحيح - وإن لم يجحد وجوبها، قال تعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، وقال تعالى عن أصحاب النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣]، وقال النبي ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**» رواه مسلم. وقال النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» رواه الإمام أحمد وأهل السنن، وقال الترمذي: حديث صحيح إسناده على شرط مسلم.

قال الإمام ابن القيم: لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمه أعظم عند اللّه من إثم قتل النفس وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة اللّه وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة...

فاتقوا اللّه يا من تهاونتم بالصلاة، فإنكم ضيّعتم أعظم أركان دينكم بعد الشهادتين، وضيعتم عمود الإسلام، فماذا بقي عندكم من الدين؟ وما هي حجتكم عند رب العالمين؟ واتقوا اللّه يا من تتركون في بيوتكم رجالاً لا يُصلون ولا يدخلون المساجد ليلاً ولا نهارًا كأنهم يهود أو نصارى، لقد آويتم أعظم العصاة والمجرمين، وعرضّتم أنفسكم ومن في بيوتكم لأعظم العقوبات، وأما أكل الربا فقد أصبح متفشيًا بين أصحاب الأموال والمستثمرين غير مبالين بوعيد اللّه وعقوبته، وقد أعلن اللّه الحرب منه ومن رسوله على

أكلة الربا، فليلبسوا سلاحهم لمحاربة اللَّه ورسوله وليستعدوا للقدوم على النار وسوء القرار، إن لم يتوبوا إلى ربهم . . .

عباد اللَّه: إنَّ باب التوبة مفتوح أمام كل تائب، فبادروا بالتوبة إلى اللَّه قبل غلق هذا الباب، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾ [النساء: ١٧، ١٨] . . .

واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه . . . إلخ .



في تمييز الطيب من الخبيث

الحمد للَّه على فضله وإحسانه، أحلّ لنا الطيبات وحرّم علينا الخبائث وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، ووعد بالمزيد لمن شكره، وتوعد بالعذاب الشديد لمن كفره، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأكمل اللَّه به الدين، وأتمّ به النعمة، وهدى به إلى الصراط المستقيم، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه، وعلى من اتبعهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيرا . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالى وأطيعوا أمره واجتنبوا ما نهاكم عنه لعلّكم تفلحون . . .

عباد اللَّه: يقول اللَّه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة: ١٠٠]. فمن حكمة اللَّه تعالى خلق المتضادات في هذه الحياة، من الطيب والخبيث، والصالح والفاسد، والمؤمن والكافر، والضار والنافع، ليتم الابتلاء والامتحان للعباد، وفي هذه الآية الكريمة نفي المساواة بين الخبيث، أو كُسي شيئًا من المحسنات فلا بد أن تنكشف حقيقته ويفتضح ذيفه، ولفظ الخبيث والطيب، لأن الطيب نافع مفيد، والخبيث ضار مفسد، ولو زادت كمية الخبيث هنا يشمل الخبيث من الأشخاص والأعمال والأقوال والأموال، والمآكل والمشارب فلا

يستوي الخبيث والطيب من هذه الأشياء ولا من غيرها، لا يستوي الخبيث والطيب من الأشخاص، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة:١٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر:٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥، ٣٦]، ولا يستوي الخبيث والطيب من الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت:٣٤]، ولا يستوي الخبيث والطيب من الأقوال، قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٦]، وأخبر أنه يصعد إليه الكلم الطيب فقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠]، ولا يستوي الخبيث والطيب من الأموال، فقد أخبر النبي ﷺ أن اللَّه لا يقبل الصدقة إلا إذا كانت من مال طيب، أما إن كانت من مال خبيث فإنه لا يقبلها، فقال ﷺ: «**ما تصدَّق عبد بصدقة من مال طيب - ولا يقبل اللَّه إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه**» متفق عليه.

وفي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ: «**لا يقبل اللَّه صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول**» والغلول ما أخذ من الغنيمة أو من بيت المال بغير حق.

وفي «مسند الإمام أحمد» رحمه اللَّه عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يكتسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك فيه ولا يتصدق به فيتقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن اللَّه لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث**» وكذلك لا يستوي الخبيث والطيب من الأطعمة والأشربة، فقد أحلَّ اللَّه الطيبات وحرّم الخبائث، قال تعالى في وصف رسوله ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، لأن تناول الطيبات من المآكل والمشارب له تأثير طيب على القلب والبدن والسلوك.

وتناول الخبائث من المآكل والمشارب له تأثير سيئ على القلب والبدن والسلوك، قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون:٥١].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللَّه تعالى طيب لا يقبل إلا**

طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين» فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**﴾ [المؤمنون: ٥١]. . . الآية، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثم ذكر: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يُستجاب له**» رواه مسلم، ومعناه: أن اللّه تعالى مقدس منزّه عن النقائص والعيوب لا يقبل إلا الطيب من الأعمال وهو ما كان خاليًا من المفسدات كالرياء والسمعة والعجب وسائر أنواع الشرك ولا يقبل من الصدقات إلا ما كان من مال طيب حلال، ولا يقبل من الأقوال إلا ما كان طيبًا، كما قال تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر: ١٠]، ولا يقبل من الأشخاص إلا ما كان طيبًا وهو المؤمن، فالمؤمن كله طيب قلبه ولسانه وجسده، وذلك بما يسكن قلبه من الإيمان ويظهر على لسانه من ذكر الله وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه، فهذه الطيبات كلها يقبلها الله، كما في حديث التشهد: «**التحيات لله والطيبات**» ومن أعظم ما يحصل به طيب الأعمال للمؤمن طيب مطعمه وذلك بأكل الحلال، ومن أعظم ما يفسد العمل ويمنع قبوله أكل الحرام. كما في حديث الذي يمد يديه يا رب يا رب ومطعمه ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأني يُستجاب له؟! فدل على أن أكل الحرام وشربه ولبسه يمنع قبول الدعاء، وفي هذا أكبر زاجر وأعظم رادع لهؤلاء الذين أطلقوا لأنفسهم العنان في جمع الأموال المحرّمة والمكاسب الخبيثة من الربا والرشوة والكذب والغش في البيع والشراء والمقاولات، والاستيلاء على أموال الناس بالخصومات الفاجرة والأيمان الكاذبة وشهادات الزور، وفي ذلك أكبر زاجر وأعظم رادع لهؤلاء الذين يتغذون بالمحرمات ويشربون المسكرات والمخدرات من الخمور والحشيش والأفيون، أو يستعملون المفترات فيشربون الدخان ويمضغون القات، فيتغذون بهذه الأشياء الخبيثة التي تفسد العقل والمزاج وتمرض الجسم وتقتل الرجولة وتجر إلى الرذيلة وفعل الفواحش والمحرمات، أنى يستجاب لهم دعاء؟! وكيف ينشط في الطاعة جسم غذي بمحرم؟! وكيف يكون في عداد الصالحين شخص يتغذى بالخبائث؟! فاتقوا الله عباد الله واستغنوا بما أحلّ الله لكم عما حرَّم عليكم ففي الحلال غنية عن الحرام. ﴿**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾ [الحج: ٢٤].

وتجنبوا الكلام الخبيث كالكذب والغيبة والنميمة والشتم وشهادة الزور، وأيمان الكذب والفجور، لا تنطقوا بهذا الكلام، ولا تستمعوا إليه لتكونوا من الذين قال الله تعالى

فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

ومن الكلام الخبيث واللغو المحرم الذي لا يجوز استماعه الأغاني التي سماها الله ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]، الذي توعد من استمع إليه وانشغل به عن القرآن بالعذاب المهين، وقد فسر كثير من أكابر صحابة رسول الله ﷺ: ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]، بأنه الغناء، وحلف بالله على ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثلاث مرات، مما يدل على خطورة الاستماع إلى الأغاني، وقد تفشى هذا البلاء في هذا الزمان فصار الغناء والطرب فنًا من الفنون التي يشجع عليها، ولوسائل الإعلام دورٌ كبير في ترويج هذه الأغاني وتشجيع المغنين والمطربين. وهي أغان ماجنة تشتمل على وصف العشق والغرام، وتبعث على فعل الفواحش والآثام، وتصحب بالمعازف والموسيقى المحرمة بالنص والإجماع، وقد خصص لبث هذه الأغاني الماجنة والموسيقى المحرمة كثير من برامج الإذاعات لإفساد الدين وتسفيه العقول وتضييع الأوقات وصرف المسلمين عن العمل الجاد المثمر إلى الانشغال بالعشق والغرام وفساد الأخلاق. فاتقوا الله عباد الله، وتجنبوا خبائث المطاعم والمشارب والأعمال والأقوال...

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في تمييز الطيب من الخبيث

الحمد لله رب العالمين، خلقنا ورزقنا ولم يتركنا سدى، بل جعل لنا موعدًا يجازي فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

أحمده على نعمه التي لا تحصى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقام على قدميه الشريفتين حتى تفطرتا من طول القيام شكرًا لله، فصلى الله وسلم

عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بسنته وساروا على نهجه . . .

أما بعد: أيها الناس : اتقوا الله تعالى وكونوا مع المؤمنين الصادقين الطيبين، ابتعدوا عن الخبثاء والمفسدين، فقد أمركم الله بذلك في محكم كتابه المبين، قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣] . وقال تعالى : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [النور: ٢٦]، أي الخبيثات من النساء أو الكلمات، والطيبات للطيبين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أو الكلمات والطيبات من النساء أو من الكلمات للطيبين من الرجال . والطيبون من الرجال للطيبات من النساء أو من الكلمات، وهذا معناه أن كلاً من الصنفين يُعامل بما يليق به، فيزوَّج بما يليق به من أمثاله ويخاطب بما يليق به، وكما أن الله ميز بين الطيبين والخبيثين في الدنيا فإنه يميز بينهم في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم: ١٤-١٦] .

فالجنة دار الطيبين كما قال تعالى : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢] .

والنار دار الخبيثين، قال الله تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٧] .

فاتقوا الله عباد الله وميزوا بين الخبيث والطيب فكونوا مع الطيبين من المؤمنين، وتمتعوا بالطيب من الطعام، وانطقوا بالطيب من الكلام، وتقربوا إلى الله بالطيب من الأعمال، وتصدقوا بالطيب من الأموال، لتصلوا إلى دار الطيبين وهي الجنة، وتجنبوا الخبيث من القول ومن المطاعم والمكاسب والأعمال، والخبثاء من الناس لعلكم تنجون من دار الخبثاء يوم القيامة واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على طلب الرزق من المكاسب المباحة، والنهي عن المكاسب المحرمة

الحمد لله على فضله وإحسانه، شرع لعباده طلب الرزق بالأسباب المباحة وحرَّم عليهم طلبه بالأسباب المحرمة فقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو العليم بمصالح عباده ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بين لأمته ما أحلّ الله لهم من المكاسب وما حرّم عليهم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وسلم تسليمًا . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله، ولا يحملنكم حب المال والطمع فيه أن تطلبوه بالتعامل المحرم والطرق غير المشروعة، فإن في الحلال غنية عن الحرام، والمؤمن قد أغناه الله بحلاله عن حرامه، وكفاه بفضله عمن سواه، والكسب الحلال يبارك الله فيه، وإن كان قليلاً فينمو ويكون عونًا لصاحبه على طاعة الله.

والحرام يمحق الله بركته وإن كان كثيراً، فلا ينتفع به صاحبه إن بقي في يده، وقد يسلط الله عليه ما يتلفه فيتحسر عليه صاحبه، قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩].

والربا قد يطلق على كل بيع محرم، والله جل وعلا أمر بالأكل من الحلال والتصدق والإنفاق من الحلال قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وأمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا**» ونهى سبحانه عن أكل الحرام والإنفاق من الحرام، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ

الْخَبِيثُ﴾ [المائدة: ١٠٠].

هذا وإن من المكاسب الخبيثة المحرمة المكاسب التي يحصل عليها الإنسان من بيع المواد المحرمة، فإن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه، قال النبي ﷺ: «**إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**» فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يُطلى بها السفن وتُدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس، فقال: «**لا هو حرام**» ثم قال ﷺ عند ذلك: «**قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحوم الميتة جملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما، . . . وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال «**لعن الله اليهود حرّمت عليهم الشحوم وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه**» رواه أحمد وأبو داود.

من هذين الحديثين الشريفين يتبين أن بيع المواد المحرمة محرم وأن الكسب الذي يأتي من هذا الطريق كسب محرم يجب على المسلم أن يبتعد عنه، فكما أن شرب المسكر حرام وكبيرة من كبائر الذنوب فكذلك بيعه وأكل ثمنه.

وقد لعن النبي ﷺ بائع الخمر ومبتاعها وآكل ثمنها في جملة من لعنهم فيها، وكذلك بيع المخدرات وأكل ثمنها من أعظم المحرمات وأخبث المكاسب، وهي أشد من الخمر، ويجب تأديب مروجها ببيع أو غيره ومعاقبته بأشد العقوبات، وإذا تكرر منه ترويجها فإنه يقتل، لأنه من أعظم المفسدين الذين يسعون في الأرض فسادًا، ويحرم على المسلم بيع المفترات من القات والدخان، لأن القات والدخان من الخبائث ويلحقان أضرارًا بالغة بالإنسان من خبث الرائحة وتغير اللون والأمراض الخطيرة التي ثبت بالطب والمشاهدة حدوثها بمن يتعاطون القات والدخان، فالذي يبيع هذين المادتين يبيع خبائث ضارة، وينشر الأمراض الخبيثة بين الناس، إضافة إلى أن تعاطي الدخان بالنسبة لصغار السن يسبب لهم فساد الأخلاق والأعراض ويسهل للخبثاء إفسادهم وفعل الفاحشة بهم، فلا يجوز للمسلم الذي يخاف الله أن يبيع الدخان ويتجر به، ويجب على ولاة الأمور المنع من ذلك وتأديب من يبيعه، ويجب على المسلمين عمومًا أن ينكروا على من يفعل ذلك ويناصحوه ويأخذوا على يده إنقاذًا له ولأنفسهم ولأولادهم ومجتمعهم من شره لأنه أصبح كالقرحة الخبيثة في الجسم لابد من علاجها لئلا تقضي على الجسم ومما يحرم بيعه والإتجار به وأكل ثمنه آلات اللهو بجميع أنواعها واختلاف أسمائها من المعازف والمزامير والأفلام الخليعة التي تُستعمل في الفيديو، وأشرطة الأغاني قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ

مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [لقمان: ٦] الآية .

قال ابن كثير - رحمه الله - على هذه الآية : لما ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه ، عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب إلى أن قال : وقيل أراد بقوله : ﴿ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ [لقمان: ٦] . اشتراء المغنيات من الجواري ثم نقل عن ابن أبي حاتم أنه روي بسنده عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : «**لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن، وأكل أثمانهن حرام**» وفيهن أنزل الله عز وجل عليّ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ٦]. انتهى كلامه .

وإذا كان بيع المملوكة المغنية لا يجوز وثمنها حرام مع أنها ينتفع بها في غير الغناء كالعمل والخدمة ، فكيف ببيع المواد الخاصة بالغناء كالمعازف والمزامير والأشرطة المملوءة بالأغاني التي غالبها دعوة للعشق والغرام ، أو الأفلام التي تعلم الإجرام ، كيف تطيب نفس المسلم أن يبيع هذه الأوبئة الخبيثة ويأكل ثمنها أو يتمو له؟ وكيف تطيب نفس المسلم أن يشتري هذه الأوبئة الخبيثة والسموم القاتلة المدمرة للأخلاق ، ويدخلها في بيته ويمكّن أولاده ونساءه من استماعها ورؤيتها؟ وكيف تطيب أنفس المسلمين أن يتركوا هذه المواد الخبيثة والأمراض القاتلة تروج في أسواقهم وتفتح معارضها بين بيوتهم؟

هذا ومما ينبغي التنبيه عليه ما كثر تداوله بين الشباب المتدين من أشرطة مسجل عليها أناشيد بأصوات جماعية يسمونها الأناشيد الإسلامية ، وهي نوع من الأغاني ، وربما تكون بأصوات فاتنة وتباع في معارض التسجيلات مع أشرطة القرآن الكريم والمحاضرات الدينية ، وتسمية هذه الأناشيد بأنها أناشيد إسلامية ، تسمية خاطئة لأن الإسلام ليس فيه أناشيد دينية ، وإنما فيه ذكر الله وتلاوة القرآن وتعلم العلم النافع .

أما الأناشيد فهي من دين الصوفية المبتدعة ، الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا ، واتخاذ الأناشيد من الدين فيه تشبه بالنصارى الذين جعلوا دينهم بالترانيم الجماعية والنغمات المطربة ، فالواجب الحذر من هذه الأناشيد ومنع بيعها وتداولها ، علاوة على ما قد تشتمل عليه هذه الأناشيد من تهييج الفتنة بالحماس المتهور والتحريش بين المسلمين ، وقد يستدل من يروج هذه الأناشيد بأن النبي ﷺ كانت تُنشد عنده الأشعار ويستمع إليها ويقرّها .
والجواب عن ذلك : أن الأشعار التي كانت تُنشد عند الرسول ﷺ ليست تُنشد بأصوات جماعية على شكل أغانٍ ولا تسمى أناشيد إسلامية ، وإنما هي أشعار عربية تشتمل على

الحكم والأمثال ووصف الشجاعة والكرم وكان الصحابة ينشدونها لأجل ما فيها من هذه المعاني وينشدون بعض الأشعار وقت العمل المتعب كالبناء والسير في الليل في السفر فيدل هذا على إباحة هذا النوع من الإنشاد في مثل هذه الحالات الخاصة لا على أن يتخذ فنًا من فنون التربية والدعوة كما هو الواقع الآن، حيث يلقن الطلاب هذه الأناشيد ويقال أناشيد إسلامية، أو أناشيد دينية وهذا ابتداع في الدين وهو من دين الصوفية المبتدعة فهم الذين عرف عنهم اتخاذ الأناشيد دينًا، فالواجب التنبيه لهذه الدسائس ومنع بيع هذه الأشرطة لأن الشر يبدأ يسيرًا ثم يتطور ويكثر إذا لم يبادر بالإزالة عند حدوثه...

وفق الله المسلمين لنصرة الدين والابتعاد عن كل ما يشين...

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾** [البقرة: ١٨٦-١٧٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في المكاسب

الحمد لله رب العالمين، أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، ويسر الرزق الحلال لمن طلبه وقنع به: **﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾** [الطلاق: ٢-٣] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرع، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بين لأمته الحلال والحرام، فعليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، وعلى جميع صحبه الكرام وكل من اتبعه على دينه واستقام...

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن مما يحرم بيعه والإتجار به والعمل واستعماله التصاوير التي لذوات الأرواح بجميع أنواعها مجسمة أو مرسومة على لوحات أو أوراق سواء كانت معمولة باليد أو مأخوذة بالآلة الفوتوغرافية؛ لأن النبي ﷺ لعن

المصورين وأخبر أنهم أشد الناس عذابًا يوم القيامة، وأمر بطمس الصور وإهانتها وانتهاكها، فيحرم بيعها وشراؤها وأكل ثمنها والاتجار بها، وتحرم صناعتها وترويجها .

فالذين يفتحون محلات التصوير أو يصورون الناس بالأجرة والذين يبيعون الصور كلهم عاصون لله ورسوله متوعدون بأشد الوعيد، وما يأخذون من المال في مقابل ذلك حرام وسحت ومكسب خبيث، والذين يشترون هذه الصور ويعلقونها في بيوتهم ودكاكينهم أو ينصبونها على طاولات التجميل أو يحتفظون بها للذكريات كل هؤلاء آثمون، ومتعرضون للوعيد الشديد، فقد أخبر النبي ﷺ أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، يعني والله أعلم ملائكة الرحمة، والذي يمنع دخول الملائكة في بيته بسبب اقتنائه الصور المحرمة، إنسان لا خير فيه لنفسه ولا لأهل بيته، وهو مستبدل للخبيث بالطيب ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠]. وإذا كانت الصورة مهانة كالصور التي في الفرش التي تداس ويجلس عليها أو كانت مطموسة بإزالة رأسها أو تلطيخه فلا يضر، وكذا الصورة التي أخذت للضرورة كصورة حفيظة النفوس أو جواز السفر أو رخصة القيادة فهذه لعل الإنسان لا يؤاخذ عليها لأنه مضطر، ومما يحرم بيعه والاتجار به ملابس النساء التي لا تستر أجسامهن وتغرس الفتنة بين الناس، كالملابس القصيرة والملابس الضيقة والملابس التي فيها تشبه بالكافرات، فهذه الملابس لا يجوز بيعها ولا يجوز تفصيلها، وخياطتها ولا يجوز أكل ثمنها، لأن في ترويجها شرًا وفتنة وإعانة على المعصية، وما أدى إلى الحرام فهو حرام، والله تعالى يقول: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

أيها المسلمون: إن للمكاسب المحرمة آثارًا سيئة على الفرد والجماعة، من أشدها أن الإنسان إذا أكل منها لم يستجب له دعاء، وهو لا يستغني عن ربه طرفة عين، وما ندري لعل ما أصاب كثيرًا من الناس اليوم من الوقوع في المحرمات وإضاعة الصلوات والتكاسل عن الطاعات سببه المكاسب الخبيثة والمآكل المحرمة، وكذلك ما أصابهم من أمراض فتاكة وما ينزل من كوارث مروعة سببه المكاسب الخبيثة والمطاعم المحرمة.

فاتقوا الله عباد الله ـ وانظر ما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

عناية الإسلام بشأن الأسرة

الحمد لله رب العالمين، على نعمه الظاهرة والباطنة، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله لبيان الحق، وهداية الخلق، فبين للناس ما نزل إليهم من ربهم وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيرًا، . . .

أما بعد: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه، وشكر ما أنعم به عليكم، فقد وعد بالعاقبة للمتقين والمزيد للشاكرين.

عباد الله: من المعلوم لديكم أن المجتمع يتكون من الأسرة، والأسرة تتكون من الأفراد، كالبناء الذي يتكون من الأساس واللبنات، وبقدر قوة الأساس وقوة اللبنات وانتظامها يكون البناء صرحًا شامخًا، وحصنًا راسخًا، كذلك المجتمع الإنساني إنما يكون صالحًا بصلاح الأفراد والأسر التي يتكون منها، ولهذا شبه النبي ﷺ المجتمع المسلم بالبنيان، الذي يشد بعضه بعضًا، وبالجسد الواحد الذي يتألم كله بتألم عضو من أعضائه، ولهذا عني الإسلام عناية تامة بتكوين الأسرة المسلمة. واستصلاحها، ولما كان تكوين الأسرة يبدأ اتصال الذكر بالأنثى عن طريق الزواج، أمر باختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**» رواه الترمذي وحسنه، وقد أمر النبي ﷺ في هذا الحديث بتزويج من كان مرضي الدين والخلق، وهذا يدل على أن من كان فاسد الدين سيئ الخلق لا يجوز تزويجه ففيه حث على اختيار الأزواج، واعتبار المؤهلات الشرعية، وكثير من الأولياء لا يعير هذا الجانب اهتمامًا عند تزويج موليته فلا يختار لها الرجل الذي أرشد إليه الرسول، وإنما يختار لها الرجل الذي يهواه هو ولو كان فاسدًا في دينه سيئًا في خلقه لا مصلحة للمرأة من الزواج به، فكم سمعنا من مشاكل النساء اللاتي وقعن في سوء الاختيار، هذه

تقول إنها بليت بزوج لا يصلي، وهذه تقول إن زوجها يشرب المسكرات ويتعاطى المخدرات، وهذه تقول إن زوجها أمرها بالسفور وإلقاء الحجاب، وهذه تقول إن زوجها يستمتع بها في غير ما أحل اللّه فيجامعها في نهار رمضان، أو يجامعها وهي حائض أو في غير المحل الذي أباح الله، وهذه تقول إن زوجها لا يبيت عندها لأنه يسهر مع الفَسَقة، والمسئول عن ذلك هو وليها الذي أساء الاختيار لها، وخان أمانته عليها، وهو المسئول أيضًا عن فسادها وفساد ذريتها بسبب هذا الزوج الذي غش هذه، وكما حث الإسلام على اختيار الأزواج الصالحين حث كذلك على اختيار الزوجات الصالحات، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**» رواه مسلم، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تنكح المرأة على إحدى خصال، لجمالها ومالها، وخلقها ودينها، فعليك بذات الدين والخلق تَربت يمينك**» رواه أحمد بإسناد صحيح وابن حبان في «صحيحه»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تَربت يداك**»رواه البخاري ومسلم، ومعناه الحث على اختيار الزوجة الصالحة دون نظر إلى الاعتبارات الأخرى من الحسب والمال والجمال مع الخلو من الدين، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل**» رواه ابن ماجه، والخرماء هي التي قطع شيء من أطرافها، والحديث يدل على أن الدين في المرأة يغطي ما فيها من العيوب، بخلاف المال والجمال إذا كان بدون دين فإنهما يجران إلى المفاسد، وأما إذا اجتمع في المرأة الدين والجمال وغيره من صفات الكمال فذلك من تمام النعمة، ولكن كل نقص يمكن التغاضي عنه إلا نقص الدين. ثم يأمر الإسلام بعد تمام الزواج بحسن العشرة بين الزوجين، ومن هنا ندرك اهتمام الإسلام باختيار الزوجين لأنهما ركيزة الأسرة وبصلاحهما تصلح الأسرة بإذن الله واهتمامه ببقاء الزوجية الصالحة، ثم بعد هذه المرحلة في تكوين الأسرة وهي مرحلة اختيار الزوجين، يهتم الإسلام بتربية الذرية الحاصلة بين هذين الزوجين، فيأمر الوالدين بتنشئة أولادهما على الصلاح والابتعاد عن الفساد يقول ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**» ويأمر ﷺ بالعدل بين الأولاد في العطية ويمنع الوالد أن يعطي بعض أولاده ويحرم البعض

الآخر، لأن هذا يفضي إلى العداوة بين الأولاد ويجر إلى القطيعة التي تفكك الأسرة وتهدم بناءها، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: تصدق عليَّ أبي ببعض ماله فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فانطلق أبي إليه يشهده على صدقتي، فقال رسول الله ﷺ: **«أفعلت هذا بولدك كلهم»** قال: لا فقال: **«اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، فرجع أبي في تلك الصدقة»** رواه مسلم.

وحث النبي ﷺ على حسن تأديب الأولاد، فقال ﷺ: **«ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»** رواه الترمذي، وروى ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي ﷺ: **«أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»**.

وكما أمر الله الوالدين بتربية الأولاد والإحسان إليهم وحسن تأديبهم فقد أمر الأولاد برد هذا الجميل والإحسان إلى الوالدين وبرهما لا سيما عند كبرهما قال تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وهكذا يأمر الله الوالدين بالإحسان إلى الأولاد في حالة صغرهم وعجزهم، ويأمر الأولاد بالإحسان إلى الوالدين عند كبرهم وعجزهم، وفي هذا تكافل وتعاون بين أفراد الأسرة على ما هو أهم من ذلك وأنفع في العاجل والآجل، وهو التعاون على البر والتقوى وذلك بالتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر بين أفراد الأسرة الواحدة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [التحريم: ٦].

فأمر المؤمنين أن يقوا أنفسهم ويقوا من لهم عليهم ولاية من أهليهم من النار التي لا ينجي منها إلا فعل الطاعات، وترك المحرمات، والتعاون على البر والتقوى، وكما يجب على الإنسان أن يحرص على نجاة نفسه فإنه يجب عليه أن يحرص على نجاة غيره من أقاربه وإخوته.

وقال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه: ١٣٢].

وهذا فيه أنَّ قيم الأسرة محمل مسئولية أسرته بالأمر بأداء الصلاة وغيرها من الواجبات، وترك المعاصي والمحرمات وهذا يتضمن اتخاذ وسائل الخير في البيوت من التعليم والتأديب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإبعاد وسائل الشر عن البوت من الملاهي وكل المظاهر السيئة، لأن البيوت هي محل

اجتماع الأسرة وتلاقي أفرادها فلابد أن تكون بيوتًا إسلامية مؤسسة على البرّ والتقوى، وخالية مما يتنافى مع الإسلام وآدابه.

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن صلاح الأسرة سبب لجمع الشمل وقرة الأعين في الدنيا والآخرة.

وفساد الأسرة بسبب القطيعة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في عناية الإسلام بشأن الأسرة

الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في إلهيته وسلطانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله يُعنكم على فعل الخيرات، ويحفظكم من جميع المحذورات قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

واعلموا أن إهمال تعاليم الإسلام في شأن الأسرة يسبب تشتتها وضياعها في الدنيا والآخرة - فإنها ما فسدت الذراري إلا بسبب إهمال الوالدين وسوء تربيتهم لأولادهم، ولا حصل العقوق من الأولاد لآبائهم إلا بسبب أن هؤلاء الآباء قد سبق أن عقّوا آباءهم من قبل، فإن الجزاء من جنس العمل، وقد يكون العقوق بسبب حيف الأب مع بعض الأولاد بتخصيصه دون إخوانه بشيء من المال والعطف، وما حصلت قطيعة الأرحام بين

الأقارب إلا بسبب التشاحن والتنافس على أمور الدنيا، وبالجملة فإنه ما حصل الخلل في بناء الأسر اليوم إلا بسبب الخلل في الدين.

انظروا إلى المجتمعات الكافرة كيف يعيشون عيشة البهائم لا روابط تجمعهم كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

لا يعطف قويّهم على ضعيفهم ولا يوقر صغيرهم كبيرهم ولا أباه أو أمه، إذا هرم الشخص منهم وعجز عن المشي وضع في دور العجزة إلى أن يموت ميتة الحيوان الحسير.

وقد يكون له أولاد يملئون الفجاج، لكن لما ضيعوا دين الله أضاعهم الله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم وفي أسرتكم واعتبروا بغيركم، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله.



فيما يجب أن يكون عليه بيت المسلم

الحمد لله رب العالمين على فضله وإحسانه، كفانا وآوانا وأطعمنا وسقانا، فله الحمد والشكر على نعمه التي لا تحصى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيراً....

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى كما أمركم بتقواه، واشكروا نعمه عليكم. فما بكم من نعمة فمن الله.

عباد الله: إن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى، ويجب علينا أن نقابل هذه النعم بالشكر، ونستعين بها على البر والتقوى لتستقر وتبقى وتزيد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن أعظم نعم الله على بني آدم أن جعل لهم بيوتًا ثابتة لإقامتهم في المدن وبيوتًا متنقلة لأسفارهم في البراري، يسكنون فيها ويستريحون، ويستدفئون بها من البرد ويستظلون

بها من الحر، ويستترون فيها عن الأنظار، ويحرزون فيها أموالهم ويتحصنون بها من عدوهم، وغير ذلك من المصالح.

قال الله تعالى ممتنًا على عباده بهذه البيوت الثابتة والمتنقلة: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠].

فذكر أولاً بيوت المدن لأنها الأصل، وهي للإقامة الطويلة، وجعلها سكنًا بمعنى أن الإنسان يستريح فيها من التعب والحركة وينعزل فيها عما يقلقه فيحصل على الهدوء والراحة، ثم ذكر تعالى بيوت الرحلة والنقلة فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠]. يعني: وجعل لكم بيوتًا خفيفة من الخيام، والبيوت المصنوعة من جلود الأنعام تستعملونها في حالة الإقامة المؤقتة في السفر...

فنعمة السكن في البيوت من أعظم النعم، وتأملوا من لا يجد سكنًا يؤويه ماذا تكون حاله، وأنتم تسكنون في هذه البيوت الحديثة المزودة بكل وسائل الراحة من الإنارة والتكييف الصيفي والشتوي والمياه المتدفقة العذبة الحارة والباردة، كل ذلك من نعم الله في المساكن، وذلك مما يستوجب الشكر والثناء على الله بما هو أهله، لأن ذلك منّة وفضلٌ.

عباد الله: إن بيت المسلم يجب أن يكون متميزاً عن غيره من البيوت بفعل ما شرعه الله للمسلمين في بيوتهم من ذكر الله والإكثار من صلوات النوافل فيها، وقراءة القرآن وخلوها من وسائل الفساد.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً**» أي: صلّوا فيها من النوافل ولا تجعلوها كالقبور مهجورة من الصلاة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته، إلا المكتوبة**» روى هذه الأحاديث مسلم في «صحيحه»، وهذه الأحاديث وما جاء بمعناها تدل على مشروعية إحياء بيوت المسلمين وتنويرها بذكر الله من التهليل والتسبيح والتكبير وغير ذلك من أنواع الذكر، وإحيائها

وفيها النهي عن جعل البيوت مثل القبور، مهجورة من صلاة النافلة فيها.

وفي الأحاديث الترغيب بقراءة القرآن في البيوت ولا سيما سورة البقرة وأن قراءتها في البيت تطرد الشيطان، وإذا توفرت هذه الأمور في البيوت: ذكر الله فيها، وصلوات النوافل، وقراءة القرآن، أصبحت مدرسة للخير يتربى فيها من يسكنها من الأولاد والنساء على الطاعة والفضيلة، وتدخلها الملائكة وتبتعد عنها الشياطين، وإذا خلت البيوت من هذه الطاعات صارت قبوراً موحشة وأطلالاً خربة، سكانها موتى القلوب وإن كانوا أحياء الأجسام، يخالطهم الشيطان وتبتعد عنهم ملائكة الرحمن، فما ظنك بمن يتربى في هذه البيوت كيف تكون حاله وقد تخرج من هذه البيوت الخاوية الخالية من ذكر الله والتي هي مقابر لموتى القلوب؟ إن هذه البيوت ستؤثر تأثيراً سيئًا على من تربى فيها وسكنها، فكيف إذا انضاف إلى خلوها من وسائل الخير شغلها بوسائل الشر وأسباب المعاصي بحيث يتوفر في تلك البيوت الفيديو بأفلامه الخليعة التي تدعو إلى الفحشاء والمنكر؟ بما تعرضه من صور الفساد والدعارة أمام الأولاد والنساء.

وتتوفر في تلك البيوت أشرطة الأغاني الماجنة التي تغري بالعشق والغرام، والطرب والإجرام، في تلك البيوت من يترك الصلاة ويتهاون بالجمع والجماعات، وقد هم النبي ﷺ بإحراق مثل هذه البيوت بالنار على من فيها ممن يتخلفون عن صلاة الجماعات، فكيف بمن يتركون الصلاة نهائيًا.

إن مثل هذه البيوت، وهي اليوم كثيرة، تكون أوكاراً للشر وجراثيم مرضية تفتك في جسم الأمة الإسلامية، يجب علاجها أو استئصالها حتى لا تؤثر على من حولها، كما هم النبي ﷺ بتحريق أمثالها ولم يمنعه من ذلك إلا ما فيها من المعذورين ومن لا تجب عليهم صلاة الجماعة من النساء والذرية، قد يكون بعض هؤلاء له منصب كبير في المجتمع بأن يكون من كبار الموظفين أو كبار الأثرياء، فيأتيه الشيطان فيقول له: أنت أكبر من أن تخرج إلى المسجد وتصلي مع الناس، لأن هذا يقلل من شأنك ويضعف هيبتك، فيترك الصلاة في المسجد ترفعًا وكبراً، وقد يكون بعضهم مشغولاً بماله، وقد ورد في الحديث أن مثل هؤلاء يحشرون يوم القيامة مع نظرائهم من المتكبرين. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة ومَن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهانًا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف**» رواه الإمام

أحمد في «مسنده» وأبو حاتم ابن حبان في «صحيحه».

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم من رءوس الكفرة.

وفيه نكتة بديعة وهو أن تارك المحافظة على الصلاة إما أن يشغله ماله أو ملكه أو رئاسته أو تجارته، فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون، ومن شغله عنها رئاسته ووزارته فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف.

عباد الله: إن هؤلاء الذين جعلوا بيوتهم بهذه الصفة القبيحة، خالية من ذكر الله مشغولة بآلات اللهو ومواطن للكسالى والعصاة، والمتخلفين عن الصلاة، إن هؤلاء حريون بالعقوبة بأن تنهدم عليهم تلك البيوت أو تحترق أو يشردوا منها على يد عدوهم فيبقوا بلا مأوى كما شرد خلق كثير من مساكنهم اليوم وأبعدوا عن ديارهم، لأنهم لم يشكروا نعمة الله عليهم بهذه المساكن وبارزوه فيها بالمعاصي، والمعاصي تدع العامر خرابًا، وتحول النعمة عذابًا.

عباد الله: ومما يجب أن يُصان عنه البيت المسلم الصور والكلاب، لما روى أبو طلحة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ولا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تماثيل**» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل عليه السلام فقال لي: أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمر برأس التمثال الذي في البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فيقطع فيجعل وسادتين منبوذتين توطآن، ومر بالكلب فليخرج**». رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، ورواه ابن حبان في «صحيحه»، وفي هذين الحديثين دليل على تحريم تعليق الصور على جدران الغرف والمجالس والمكاتب والاحتفاظ بها للذكريات ونحوها، وفيها دليل على عقوبة من فعل ذلك بحرمانه من دخول ملائكة الرحمة بيته وحينئذ يخسر خسرانًا مبينًا.

وقد ابتلي بعض الناس اليوم بهاتين الظاهرتين السيئتين، فترى بعضهم يضع الصور في براويز ويعلقها على الجدران والمكاتب، والبعض الآخر يحتفظ بالصور في صناديق خاصة

من أجل الذكريات للأولاد والأصدقاء، والبعض الآخر ينصب تماثيل كبيرة أو صغيرة للآدميين أو للحيوانات أو للطيور ويجعلها على طاولات المجالس ونحوها للتجميل، وكل هذا من مظاهر الوثنية وفعل الجاهلية، لأن نصب الصور وتعليقها من وسائل الشرك كما حصل لقوم نوح وقوم إبراهيم من الشرك بسبب الصور والتماثيل، ولأن في تلك الصور مضاهاة لخلق الله عز وجل، وذلك من أعظم الكبائر، وبعض الناس قد ابتلوا بتقليد الكفار واقتنوا الكلاب في بيوتهم وتباهوا بتربيتها وصحبتها لهم في بيوتهم، وسياراتهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من اقتنى كلبًا إلا كلب صيد أو ماشية فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان**». رواه مالك والبخاري ومسلم. والأحاديث في هذا كثيرة مشهورة.

واقتناء الكلاب في البيوت واصطحابها خارج البيوت لغير الحاجة المرخص فيها شرعًا (وهي حراسة الماشية والزرع واتخاذها للصيد) اتخاذها لغير ذلك فيه محاذير:

أولاً: أنه يمنع دخول ملائكة الرحمة في البيت، وأي مسلم يستغني عن ملائكة الرحمة؟.

ثانيًا: ينقص من أجره كل يوم قيراطان، وهذا نقص عظيم ومستمر، والمسلم لا يفرط في أجره: والقيراط كما جاء تفسيره في بعض الأحاديث بأنه مثل الجبل العظيم.

ثالثًا: في ذلك تشبه بالكفار الذين يربون الكلاب، والتشبه بهم حرام، قال النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

رابعًا: ما يحصل بها من الأضرار، كأذية الجيران والمارة بهذه الكلاب وأصواتها، ولما فيها من النجاسة والأضرار الصحية في لعابها وملامستها.

فاتقوا الله عباد الله واعتنوا ببيوتكم ومن فيها حتى تصير بيوتًا إسلامية نظيفة حية بذكر الله وعبادته، وأبعدوا عنها كل ما يتنافى مع آداب الإسلام ويجر إلى الآثام...

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في بيان ما يجب أن يكون عليه البيت المسلم

الحمد لله رب العالمين، لا نحصي ثناء عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

عباد الله: ويجب أن يكون البيت المسلم مستوراً مصونًا عن الأنظار المسمومة، يأمن من بداخله من الاطلاع على عوراتهم وأسرارهم لا يدخله غير أصحابه، إلا باستئذان وإذن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٧، ٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾[النور: ٢٧]، أي: تستأذنوا قبل الدخول ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، أي: تسلموا بعد الدخول، وقال: ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره، وفي «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو أن امرءاً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح**».

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو، قال: الحمو الموت**» رواه البخاري ومسلم - والحمو قريب الزوج - أي: أن الخوف منه أكثر؛ لأنه يتساهل في دخوله أكثر من غيره، فدل هذا الحديث على تعظيم حرمات بيوت المسلمين ومحارمهم وخطر دخول الرجال الأجانب على النساء ولو كانوا من أقارب الزوج، وقد تساهل في هذا الأمر الخطير كثير من الناس اليوم فبعض النساء لا تحتجب من أقارب زوجها، كأخيه وعمه، وبعض الناس جلبوا إلى بيوتهم الرجال الأجانب وخلطوهم مع نسائهم في بيوتهم باسم طباخين أو سائقين أو خدميين، وبعض الناس جلبوا النساء الأجنبيات وجعلوهن في بيوتهم يدخلون عليهن

ويخالطونهن وربما يخلون بهن كأنهن من محارمهم، وهذا ارتكاب لما نهى الإسلام، ومدعاة إلى الوقوع في الفحش والإجرام، وجلب النساء والرجال الأجانب إلى البيوت دليل على عدم الغيرة وقلة الحياء وعدم المبالاة؛ لأن المؤمن الغيور لا يرضى بدخول الرجال الأجانب في بيته، واختلاطهم بمحارمه، والمؤمن الغيور لا يرضى لزوجته أو بنته أن تركب وحدها مع سائق غير محرم لها، والمؤمن الغيور لا يرضى بوجود امرأة أجنبية في بيته يدخل عليها كما يدخل على محارمه وتمشي أمامه وتسكن معه ويخلو بها كما يخلو بزوجته.

فاتقوا الله عباد الله واحذروا شرور هذه الفتن، ولا تحملنكم المدنية الزائفة والتقليد الأعمى على هذه المغامرة الخطيرة، فتخربوا بيوتكم بأيديكم وأيدي أعدائكم وأنتم لا تشعرون واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الطلاق وأحكامه

الحمد لله رب العالمين: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وما له من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهرات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه، وسلم تسليماً كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واذكروه يذكركم واشكروا له ولا تكفروه، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، ويقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، إن الاتصال بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج الشرعي والارتباط الأسري من أعظم نعم الله على بني آدم لما يترتب على هذه العلاقة الشريفة من مصالح عظيمة، منها: أنه سبب لغض البصر وحفظ الفرج عما حرَّم الله، كما قال النبي ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**» رواه البخاري ومسلم. ومنها: حصول

الراحة النفسية والسكن والأنس بين الزوجين كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، والسكن هنا هو الأنس والطمأنينة، ومن مصالح الزواج حصول الذرية التي بها بقاء النسل الإنساني وتكثير عدد المسلمين، لهذه المصالح ولغيرها في الزواج أمر الله به ووعد، بترتيب الخير عليه.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]، ورغب سبحانه بالإبقاء على الزوجية ونهى عن كل ما يعرضها للزوال، فأمر بالمعاشرة بين الزوجين بالمعروف ولو مع كراهة أحدهما للآخر قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء**» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: (**وكسرها طلاقها**) وإذا شعر الزوج بنفرة زوجته منه وبعدم انقيادها لحقه فقد أمره الله أن يعالج ذلك بالحكمة واتخاذ الخطوات المناسبة، قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، أي الزوجات اللاتي يحصل منهنَّ عصيان لأزواجهن فيما يجب عليهن لهم فذكروهن ما أوجب الله عليهن في كتابه من حسن العشرة للزوج وما عليهن من الوعيد في مخالفة ذلك، فإن لم يجد فيهن الوعظ فعاقبوهن بالهجر، وهو الإعراض عنهن في الفرش لأن ذلك يشق عليهن فيحملهن على الانقياد لأزواجهن والعودة إلى طاعتهم، فإن لم يجد الزوجة الهجران فإنها تعاقب بما هو أشد منه وهو الضرب غير الشديد، فإن الضرب هو الذي يصلحها لزوجها ويحملها على توفية حقه...

وكل هذه الإجراءات يتخذها الزوج مع زوجته دون تدخل من أحد خارجي فإن استمر الشقاق بين الزوجين فقد أمر الله بالتدخل بينهما لإصلاحه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥] فأمر سبحانه عند تطور الخلاف بين الزوجين بتشكيل هيئة للنظر في إزالته تتكون من عضوين يتحليان بالإنصاف والعدل، أحدهما من أسرة الزوج، والثاني من أسرة الزوجة، يدرسان ملابسات الخلاف ويأخذان على يدي المعتدي من الزوجين، وينصفان المعتدئ عليه، ويسويان النزاع. كل هذه الإجراءات لإبقاء عقد النكاح واستمرار

الزوجية، فإذا لم تجد وكان في بقاء الزوجية ضرر على الزوجين أو أحدهما بدون مصلحة راجحة فقد شرع الله الفراق بينهما بالطلاق.

فالطلاق هو آخر المراحل وهو في مثل هذه الحالة رحمة من الله يتخلص به المتضرر، ويتيح له الفرصة للحصول على بديل أحسن، قال تعالى: ﴿**وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً**﴾ [النساء: ١٣٠].

أي وإن لم يصطلحا بل تفرقا فليحسنا ظنهما بالله فقد يقيض للرجل امرأة تقرّ بها عينه، ويقيض للمرأة رجلاً يوسع عليها به...

وإذا كان الزوج لا يرغب في الزوجة ولا يريدها، وإنما يمانع في طلاقها لأجل أن تفتدي منه بمال فقد حرم الله عليه هذا وأمره بطلاقها فوراً من غير أن يأخذ منها شيئًا قال تعالى: ﴿**ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن**﴾ [النساء: ١٩] أي لا تضار أيها الزوج زوجتك في العشرة لتترك لك ما أصدقتها أو بعضه أو حقًا من حقوقها عليك على وجه القهر لها والإضرار، أو لتبذل لك مالاً تفدي به نفسها منك.

قال ابن عباس: يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضرها لتفتدي به، وأما إذا كانت المرأة هي التي لا تريد الرجل وأبغضته ولم تقدر على معاشرته والقيام بحقوقه فلها أن تفتدي منه بما أعطاها ولا حرج عليها في بذلها ولا حرج عليه في قبول ذلك منها، قال تعالى: ﴿**ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به**﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أيها المسلمون: إن الله جعل الطلاق حلا أخيراً بعد ما تفشل كل الحلول لحسم النزاع وبقاء الزوجية، فهو كالدواء، الذي يستعمل عند الحاجة ووفق طريقة خاصة رسمها الشارع، فإذا استعمل من غير حاجة أو استعمل على غير الطريقة المرسومة فإنه يضر - كما يضر الدواء المستعمل على غير أصوله، ولهذا ورد الحديث «**إن أبغض الحلال إلى الله الطلاق**» رواه أبو داود وابن ماجه.

ولهذا رسم الله سبحانه وتعالى للطلاق خطة حكيمة تقلل من وقوعه ويكون المتمشي على تلك الخطة الإلهية في الطلاق لا يتضرر به ولا يندم عليه ويتجنب الآثار السيئة التي يقع فيها من أخل بتلك الخطة، فجعل الرجل أن يطلق المرأة عند الحاجة طلقة واحدة في طهر لم يجامع فيه ويتركها حتى تنقضي عدتها، ثم إن بدا له في تلك الفترة أن يراجعها فله ذلك، وإن انقضت عدتها قبل أن يراجعها بانت منه ولم تحل له إلا بعقد جديد... قال تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أي: إذا طلقتها واحدة أو اثنتين فأنت مخير فيها ما دامت في عدتها فلك أن تردها إليك ناويًا الإصلاح والإحسان إليها، ولك أن تتركها حتى تنقضي عدتها فتبين منك وتطلق سراحها محسنًا إليها لا تظلمها من حقها شيئًا ولا تضار بها وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، يعني طلقوهن وهن طاهرات من الحيض من غير أن يحصل منكم جماع لهن في هذا الطهر، فبين سبحانه في الآية الأولى العدد المشروع في الطلاق، وهو طلقة واحدة وبين في الآية الثانية الوقت الذي يجوز فيه الطلاق وهو وقت الطهارة من الحيض بشرط أن لا يكون قد جامعها في هذا الطهر فتبين بهذا أنه يحرم على الزوج أن يطلق زوجته ثلاثًا، لأن هذا يسد عليه باب الرجعة وأنه يحرم عليه أن يطلقها وهي حائض، لأن هذا يطيل العدة على الزوجة، ولأنه وقت ينزل فيه الحيض على المرأة وهو أذى قد يدفع الزوج إلي كراهة زوجته وذلك مظنة لتطليقها في تلك الحالة فنهي عنه، ويحرم كذلك تطليق المرأة في طهر جامعها فيه لأنها ربما تكون قد حملت من هذا الجماع فيشتد ندمه إذا علم أنها حامل ويكثر الضرر. وبهذا يتبين أن الشارع أباح الطلاق في حال الحاجة إليه ووضع له نظامًا يجعله لا يقع إلا في أضيق الحدود، وحينئذ لا يحصل منه ضرر على أحد من الزوجين. . . قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا يطلق أحد للسنة فيندم» وقال أيضًا: «لو أن الناس أخذوا بما أمر الله في الطلاق ما يتبع رجل نفسه امرأة أبدًا، يطلقها تطليقة ثم يدعها ما بينها وبين أن تحيض ثلاثًا فمتى شاء راجعها».

هذا وبعض الناس يتلاعبون في الطلاق، فبعضهم يطلق عند أدنى سبب وعند أول إشكال بينه وبين زوجته فيضر بنفسه وبزوجته وبأولاده.

والبعض الآخر يتزوج ويطلق ويتزوج ويطلق، من غير مبرر للطلاق إلا أنه أصبح عادة له وعرف به، ومثل هذا ينبغي أن يعلم أن فعله هذا مكروه لأن أبغض الحلال إلى الله الطلاق، فالطلاق بغيض إلى الرحمن، حبيب إلى الشيطان، والمسلم يبغض ما يبغضه الله، ومن الناس من يجري الطلاق على لسانه بسهولة وبأدنى مناسبة فيستعمله بدلاً من اليمين، إذا أراد أن يحلف على نفسه أو على غيره، قال عليّ الطلاق، فإذا انتقضت يمينه وقع في الحرج وصار يسأل عن الحلول التي تنقذه من هذا الطلاق الذي حلف به وبعض الناس لا يتورع عن الطلاق المحرم فيبت زوجته بالثلاث دفعة واحدة.

وكل هذا بسبب تلاعب الشيطان ببني آدم ليوقعهم في الحرج ويورطهم في الحرام، فإذا بت زوجته بالثلاث وندم على ذلك صار يبحث عمن يفتيه، ويخلصه من هذا المأزق، فاتقوا الله عباد الله، وتقيدوا بما شرعه الله لكم في الطلاق وفي غيره فإنه خير لكم في العاجل والآجل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩-٢٣٠]، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في موضوع الطلاق

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وأطيعوه، عباد الله: اعلموا أن أسباب الطلاق كثيرة . .

أولاً: سوء اختيار الزوجين بعضهما للآخر عند الزواج فقد يقْدِم أحدهما علىٰ الزواج بالآخر وهو لا يعرف عنه شيئًا لا في دينه ولا في خلقه، فإذا تكشفت له الحقائق وأخفق، ، أراد التخلص من هذا القرين الذي لا يناسبه ولهذا شرع التحرّي لكل من الرجل والمرأة قبل الإقدام علىٰ الزواج.

ثانيًا: ومن أسباب الطلاق إثقال كاهل الزوج بالتكاليف الباهظة عند الزواج فإن هذا يسبب كرهه لهذه الزوجة التي استنفذت منه أموالاً كثيرة وعدم تحمله منها أدنىٰ زلة، ولهذا استحب تيسير المهور، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة**» رواه أحمد، ومن أسباب الطلاق سوء العشرة بين الزوجين وعدم قيام أحدهما بما أوجبه الله عليه للآخر، وقد أمر الله بحسن العشرة فقال تعالىٰ

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ثالثًا: ومن أسباب الطلاق ما تبثه وسائل الإعلام من التمثيليات التي تصور مشاكل مفتعلة حول تعدد الزوجات وتزوج كبير السن من الصغيرة وتزويج المتعلمات من غير المتعلمين، فمن سمع أو رأىٰ أو قرأ تلك التمثيليات من النساء وهن ناقصات الدين والعقول زهدت إحداهن في زوجها الذي ترىٰ أن هذه التمثيلية تنطبق عليه، ولا شك أن هذا العمل الذي تقوم به وسائل الإعلام يكون من التخبيب الذي حرمه رسول الله ﷺ وتوعد من فعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها**» رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في «صحيحه» ويدخل في التخبيب من باب أولىٰ من سبّ رجلاً عند زوجته حتىٰ زهدها فيه، ومن أعظم أسباب الطلاق في وقتنا الحاضر ما يوجد في كثير من البيوت من أفلام الفديو التي تعرض فيها الصور الفاتنة والمشاهد التي تثير الغرائز وتزهد الزوج بزوجته حينما يعرض في هذه الأفلام فتاة جميلة أحسن من زوجته، وقد تشاهد فيها المرأة شابًا جميلاً يزهدها في زوجها، ومن أسباب الطلاق سفر بعض الأزواج إلىٰ الخارج ومشاهدته للمشاهد الفاتنة من النساء الفاتنات والمتبرجات فيتعلق قلبه بتلك المشاهد ويعود زاهدًا في زوجته منصرفًا قلبه إلىٰ غيرها مما يئول إلىٰ طلاقها، فيجب علىٰ المسلمين تجنب هذه الأسباب وغيرها مما يتخذه الشيطان سلاحًا للتفريق بين الزوجين وتشتيت الأسرة.

ومن أسباب وقوع الطلاق ما ظهر في هذه الأوقات من دعايات مغرضة تقول بأن المرأة في المجتمعات الإسلامية مظلومة ولا تنال حريتها وأنها طاقة معطلة فإذا سمعت النساء هذه الدعايات المسمومة تنكرن علىٰ أزواجهن وساءت عشرتهن لهم فكان ذلك سببًا للطلاق والتفريق بين الزوجين، كعمل السحرة الذين يفرقون بين المرء وزوجته.

ومن أسباب الطلاق انصراف النساء عن العمل في بيوتهن إلىٰ العمل الوظيفي خارج البيوت بسبب تعليم المرأة ونيلها المؤهلات الوظيفية، فإذا توظفت وخرجت للعمل خارج البيت تعطل عملها داخل البيت وأصبحت كالرجل تحتاج إلىٰ مَن يقوم بإعداد الطعام لها ويقوم بالأعمال المنزلية بدلاً منها فيحصل الشقاق بينهما وبين زوجها لأن تصبح عبئًا عليه وفي النهاية لا بد من الطلاق، لأنه يريد زوجة يسكن إليها لا زوجة يسكن معها، أيها المسلمون - اعلموا أن خير الحديث كتاب الله.... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الاعتبار والتذكر

الحمد لله الواحد القهار، يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا بالتفكر والاعتبار، فقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المصطفى المختار. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين منهم والأنصار، وسلّم تسليمًا ما تعاقب الليل والنهار...

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله وتفكروا وتذكروا فإن العبر كثيرة ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

عباد الله: بين أيديكم من العبر والعظات، والآيات البينات ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فبين أيديكم القرآن العظيم الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله، والذي قال الله فيه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣]، إنكم تقرئون هذا القرآن بأنفسكم وتسمعونه من غيركم، وهو يخاطبكم بلغتكم فيأمركم وينهاكم ويحذركم من الذنوب والمعاصي ويبين لكم عقوبتها وسوء عاقبتها، ويحدثكم عن الغيوب الماضية والمستقبلة، ويقص عليكم أنباء الرسل والأمم والأخيار والأشرار والجنة والنار، يصف لكم الجنة وما فيها من النعيم... والنار وما فيها من العذاب الأليم، حتى كأنكم تشاهدونهما عيانًا، وهو كلام رب العالمين، وأصدق القائلين، وهو حجة لكم أو عليكم، فلينظر كل منا موقفه من هذا القرآن، وليعرض أعماله عليه، هل هي موافقة لما جاء فيه، أو مخالفة لأوامره ونواهيه؟ قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

عباد الله: وبين أيدينا الآيات الكونية في السموات والأرض تدل على عظمة خالقها وتبعث على خشيته ومحبته والخوف منه، قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا

إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨].

كثير من الناس يكون نظره إلى هذه الآيات الكونية لا يعدو نظر البهائم بحيث يكون مقصوراً على متعة النفس وترفيهها، ولا ينظر إلى ما فيها من الحكم والأحكام، وما تدل عليه من قدرة الخالق وعظمته، فيتعلق قلبه به خشية وإجلالاً ومحبة.

وقد قال الله تعالى في هذا الصنف من الناس: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥، ١٠٦].

إن كثيراً من الناس إذا رأوا آلة مخترعة تعجبوا منها وأعجبوا بمخترعها وأشادوا به، ولهذا أعجبوا بهذه المخترعات العصرية وصاروا يطلقون على مخترعيها لقب العلماء مع أنهم في الحقيقة من أجهل الناس فيما خلقوا من أجله، ومن أجهل الناس في مصيرهم وآخرتهم، وإنما هم مجرد صناع مسخرين، قد يصنعون ما فيه هلاكهم وهلاك الحرث والنسل، فكيف يمنحون هذا اللقب الشريف الذي أثنى الله على أهله وفضلهم على غيرهم؟ إنما العلماء الذين يستحقون هذا اللقب هم ورثة الأنبياء الذين أدركوا أسرار هذه الكائنات والمخلوقات فاستدلوا بها على عظمة خالقها فعظموه وعبدوه حق عبادته وتركوا عبادة ما سواه ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، واستعانوا بهذه الكائنات والمخترعات على طاعة الله وعلى تحصيل مصالحهم العاجلة والآجلة. وعلموا أنها لم تخلق عبثًا، ولم يكن المقصود منها عمارة الدنيا والوصول بها إلى شهوات النفوس الفانية، وإنما خلقت لتدل على عظمة الخالق، وليُستفاد منها فيما يصلح الدنيا والآخرة، هؤلاء هم العلماء حقيقة لا المجرمون الذي يصنعون الدمار وينظرون إلى الكائنات على أنها مجرد متعة عاجلة ولا تدل على شيء، فهذا نظر الجاهلين وإن سماهم الناس علماء، فإن الله قد وصفهم بالجهل وعدم العلم قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٦-٨].

فنفى سبحانه عن هؤلاء العلم مع أنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، لأن هذا لا يعتبر علمًا حقيقيًا ما دام أنهم يجهلون الآخرة ويغفلون عنها ولا يعملون لها، وهذا هو

الجهل الحقيقي فكيف نسميهم علماء وهم يجهلون لماذا خلقوا ولما خلقت السماء والأرض، ولماذا سخرت لهم هذه المخلوقات، لقد أصبح مفهوم العلم والعلماء عند كثير من الناس من هذا العصر مخالفًا لمفهوم العلم الذي شرف الله أهله في الدنيا والآخرة والذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، فصار يطلق على الجهل أنه علم، لقد تغيرت المفاهيم، وانقلبت الموازين، فصار الجهل علمًا والسفاهة حلمًا، والحق باطلاً، والباطل حقًا.

عباد الله: ومن الآيات والعبر التي بين أيدينا، تقلب الليل والنهار، وتصرم الأعمار وخراب العامر من الديار، ورحيل الآباء والأبناء والجيران من الدور والقصور، إلى ضيق القبور، قال الله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ [السجدة: ١١]، وقال النبي ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات يعني الموت**» وأمر ﷺ بزيارة القبور وقال: «**إنها تذكر الآخرة**»، لأن من يذكر الموت وشدته، والقبر ووحدته، والحساب وروعته، والميزان وخفته، والصراط ودقته كيف يتلذذ بالدنيا؟ وكيف يتمادى في المعاصي؟ وكيف يلهو بجمع الحطام وهو في غنى عنه ويترك العمل وهو بحاجة إليه، وكيف يعصي ربه وهو في قبضته وملاقيه ومرده إليه؟

عباد الله: ومن العظات البالغة ما يجري في العالم المعاصر من الحوادث المروعة والأمراض الفتاكة: ففي كل يوم تسمعون وتقرءون عن زلزال مدمر، أو فيضان غامر، أو عن إعصار شديد عاتٍ، أو عن حرب طاحنة، أو عن سقوط طائرة أو انقلاب سيارة، أو عن ثورة دامية، أو عن تسلط عصابة مجرمة، وما يترتب على هذه الحوادث من هلاك الأنفس وتلف الأموال وتخريب المساكن وترويع الآمنين وانتشار الجوع والمرض والخوف. كلُّ هذا يحدث فيمن حولنا، فما الذي يؤمننا أن يسري إلينا وقد وجدت أسبابه فينا؟ أما آن لنا أن نعتبر ونتعظ ونتوب ونصلح أوضاعنا قبل أن يحل بنا ما حل بغيرنا

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٧-١٠٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في الاعتبار والتذكر

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الانعام: ١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [غافر: ٨١] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أعرف الخلق بربه وأتقاهم له، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى وتفكروا في آياته واعتبروا بما يجري بينكم وحولكم من تقلبات الأحوال. . ولا تغتروا بما أنتم فيه من رغد العيش وبسطة الدنيا، فإن كل واحد منا له أجل محدود، ويوم موعود، وكل ما هو آتٍ قريب: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح: ٤]، وعند ذلك يخسر المبطلون ويتحسر الظالمون، ويطلبون العودة فلا يمكنون، ويقال لهم فات الأوان، وانقضى الزمان، وأنتم في غفلة معرضون.

عباد الله: إذا كنا لا نستطيع الصبر على حر الصيف وبرد الشتاء ونتخذ شتى الوسائل لتوقيهما وهما نفسان قليلان من أنفاس جهنم، فكيف بالذي تكون جهنم مصيره ومقره دائمًا لا يموت فيها ولا يحيى ﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: ٣٦]. ولا يطمعون في النجاة منها ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة: ٢٠]، لهم سرابيل من القطران، وثياب من النيران ومقامع من حديد، وطعامهم من الزقوم وشرابهم من المهل والحميم والصديد. هذا جزاء من كفر بآيات الله ولم يعتبر بها ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩]، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

عباد الله: إن من أعرض عن آيات الله ولم يتعظ بها ولم يتفكر فيها فإنه يبتلى بعمى القلب وقسوته فلا يزجره الوعيد، ولا ينفعه التذكير ولا تؤثر فيه العبر، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا

ليُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٠-١٠١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الانعام: ١١٠] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]، فليخشَ هؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وهجروا المساجد وتمادوا في المعاصي ولم ينتفعوا بوعظ ولا تذكير، ولم يتعظوا بما حل بغيرهم من العقوبات، ليحذروا أن يعاقبوا بفساد قلوبهم في الدنيا ثم ينتقلوا إلىٰ المصير المؤلم في الدار الآخرة وهم علىٰ غير استعداد، ويتمنون الرجوع عن الموت ليستدركوا ما تركوا من العمل الصالح فيقال لهم: هيهات هيهات، ، انتهىٰ الأجل وختم العمل وحان وقت الجزاء ﴿وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، فاتقوا الله عباد الله وبادروا بالتوبة قبل فوات الأوان. . . واعلموا أن خير الحديث كتاب الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



في معنى قوله تعالى:
﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الانعام: ١-٤]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ البلاغ المبين، وبين للناس ما نزل إليهم من ربهم غاية التبيين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتفكروا في مخلوقاته، فإنه من أعظم آياته

الدالة على قدرته وربوبيته وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، فهو الخالق، وما سواه مخلوق، وهو الغني عما سواه، وما سواه فقير إليه، وأدلة قدرته ووحدانيته ظاهرة بين أيديكم، ومتمثلة فيكم، قال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

يعجب الناس عندما يرون تلك المخترعات الصناعية وما فيها من المنافع والمضار، وما تشتمل عليه من آلات دقيقة وحركات عجيبة، يتعجبون من مهارة مخترعيها، ولكن أكثرهم لا يفكرون فيما وراء ذلك، من الذي خلقها وسخرها ودل العباد على أسرارها وأقدرهم على صنعها وذللها لهم؟ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. ولا يتفكرون في الآيات المبثوثة في الأرض، قال الإمام ابن القيم على قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، ومن آياتها أن جعلها مختلفة الأجناس والصفات والمنافع مع أنها قطع متجاورات متلاصقة، فهذه سهلة، وهذه حزنة تجاورها وتلاصقها، وهذه طيبة تنبت وتلاصقها أرض لا تنبت، وهذه تربة وتلاصقها رمال، وهذه صلبة وتلاصقها رخوة، وهذه بيضاء وتلاصقها أرض سوداء، وهذه حصى كلها ويجاورها أرض لا يوجد بها حجر، وهذه تصلح لنبات كذا وكذا، وهذه تصلح لغيره، وهذه سبخة مالحة، وهذه بضدها، وهذه ليس فيها جبل ولا معلم، وهذه جبلية، وهذه لا تصلح إلا على المطر. وهذه لا ينفعها المطر بل لا تصلح إلا على سقي الأنهار، فيمطر الله سبحانه الماء على الأرض البعيدة ويسوق الماء إليها على وجه الأرض فلو سألتها مَن نوعها هذا التنوع؟ ومن فرق أجزاءها هذا التفريق؟ ومن خصص كل قطعة منها بما خصها به، ومن ألقى عليها رواسيها؟ وفتح فيها السبل وأخرج منها الماء والمرعى؟ ومن أمسكها عن الزوال؟ ومن بارك فيها وقدر فيها أقواتها، وأنشأ منها حيوانها ونباتها؟ ومن وضح فيها معادنها وجواهرها ومنافعها؟ومَن هيأها مسكنًا ومستقراً للأنام؟ ومن يبدأ الخلق منها ثم يعيده إليها ثم يخرجه منها؟ ومن جعلها ذلولاً غير مستعصية ولا ممتنعة؟ ومن وطأ مناكبها وذلل مسالكها ووسع مخارجها، وشق أنهارها، وأنبت أشجارها، وأخرج ثمارها؟ ومن صدعها عن النبات، وأودع فيها جميع الأقوات؟ ومن بَسَطَها ومهدها وذلّلها وطحاها ودحاها وجعل ما عليها زينة لها؟ ومن الذي يمسكها أن تتحرك فتتزلزل فيسقط ما عليها من بناء ومعلم أو يخسفها بمَن عليها فإذا هي تمور؟

ومن الذي أنشأ منها النوع الإنساني الذي هو أبدع المخلوقات وأحسن المصنوعات بل أنشأ منها آدم ونوحًا وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمدًا صلىٰ الله وسلّم عليهم أجمعين؟ وأنشأ منها أولياءه وأحباءه وعباده الصالحين، ومَن جعلها حافظة لما استودع فيها من المياه والأرزاق والمعادن والحيوان؟ ومَن جعل بينها وبين الشمس والقمر هذا القدر من المسافة، فلو زادت علىٰ ذلك لضعف تأثرها بحرارة الشمس ونور القمر فتعطلت المنفعة الواصلة إلىٰ الحيوان والنبات بسبب ذلك؟ ولو زادت في القرب لاشتدت الحرارة والسخونة، كما نشاهده في الصيف، فاحترقت أبدان الحيوان والنبات. وبالجملة فكانت تفوت الحكمة التي بها انتظام العالم، ومَن الذي جعل فيها الجنات والحدائق والعيون؟ ومن الذي جعل باطنها بيوتًا للأموات، وظاهرها بيوتًا للأحياء؟ ومَن الذي يُحييها بعد موتها فينزل عليها الماء من السماء، ثم يرسل عليها الريح ويطلع عليها الشمس فتأخذ في الحبل فإذا كان وقت الولادة مخضت للوضع واهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج؟

فيا لها من آية تكفي وحدها للدلالة علىٰ قدرة الخالق وصفات كماله وأفعاله، وعلىٰ صدق رسله فيما أخبروا به عنه من إخراج من في القبور ليوم البعث والنشور ومن الآيات التي في الأرض وقائعه سبحانه التي أوقعها بالأمم المكذبين لرسلهم المخالفين لأمره وأبقىٰ آثارهم دالة عليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، وقال في قوم لوط: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]، وقال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٣-٧٦]، أي بطريق ثابت لا يزول عن حاله. وقال: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٨، ٧٩]، أي دار هاتين الأمتين بطريق واضح يمر به السالكون وقال تعالىٰ: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، وقال عن قوم عاد: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. وقال: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ [السجدة: ٢٦]، ثم بين رحمه الله الدليل علىٰ صدق الرسل فقال: فأي دلالة أعظم من رجل يخرج وحده لا عدة له ولا عدد ولا مال فيدعو الأمة العظيمة إلىٰ توحيد الله والإيمان به وطاعته ويحذرهم من بأسه ونقمته، فتتفق كلمتهم أو كلمة أكثرهم علىٰ تكذيبه ومعاداته، فيذكرهم أنواع العقوبات الخارجة عن قدرة البشر فيغرق المكذبين كلهم تارة، ويخسف

بغيرهم الأرض تارة، ويهلك آخرين بالريح وآخرين بالصيحة، وآخرين بالمسخ، وآخرين بالصواعق، وآخرين بأنواع العقوبات، وينجو داعيها ومن معه، والهالكون أضعاف أضعافهم عددًا وقوة ومنعةً وأموالاً.

فهلا امتنعوا إن كانوا على الحق وهم أكثر عددًا وأقوى شوكة؟ ولكن أهل الباطل مهما بلغوا من القوة المادية والأعداد البشرية فلن تغن عنهم قوتهم وكثرتهم شيئًا. كما قال تعالى: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩] وقال ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤]، أي أحسن مالاً ومنظرًا من هؤلاء الذين كذبوا محمدًا، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: ٣٦].

وآيات الله في الأرض كثيرة ولا تزال تحدث وتتجدد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وهذا لا يختص بقرن دون قرن بل لا بد أن يُري الله سبحانه أهل كل زمان من الآيات ما يبين لهم أن الله الذي لا إله إلا هو، وأن رسله صادقون. فاتقوا الله عباد الله واعتبروا بهذه الآيات ولا تكونوا كالذين قال الله فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية: في معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

الحمد لله رب العالمين، نصب من آياته على وحدانيته دليلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أنزل الله عليه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩]، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه دائمًا وبكرة وأصيلاً...

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتأملوا آياته فيكم. قال تعالىٰ: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، لما كان أقرب الأشياء إلىٰ الإنسان نفسه دعاه خالقه إلىٰ التبصر والتفكير فيها، فإنه إذا نظر في نفسه ومبدأه ومنتهاه وأنه قد خلق من قطرة ماء مهين، كوّن منها اللحم والعظام والعروق والأعصاب، وأحيطت هذه الأشياء بجلد متين، وجعل في الإنسان ثلاثمائة وستين مفصلاً ما بين كبير وصغير وثخين ودقيق ومستطيل ومستدير، ومستقيم، ومنحنٍ، للاتصال والانفصال والقبض والبسط والقيام والمشي والقعود والاضطجاع، وجعل في جسمه أبواب متعددة: بابان للسمع، وبابان للشم، وبابان للكلام والطعام والشراب، والتنفس، وبابان لخروج الفضلات المؤذية ـ التي يؤذي احتباسها فيه ـ وجعل الناس مختلفين في العقل والتفكير، والنطق والبيان، واللغات والألوان. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

وجعلوا مختلفين في الطول والقصر والدمامة والحسن والأخلاق والمواهب والفطنة والذكاء متفاوتين في الأعمار والأرزاق، وقد لفت الله الأنظار إلىٰ خلق هذا الإنسان، في كثير من آيات القرآن، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

وقد عجز الطب الحديث بآلاته الدقيقة وأجهزته المتطورة عن الإحاطة بدقائق خلقة هذا الإنسان، فسبحان الخلاق العظيم، وتبارك الله أحسن الخالقين، وخلق الإنسان حيًا متحركًا له قصد وله إرادة وله نفس توجهه إما إلىٰ الخير وإما إلىٰ الشر، وكل عضو من أعضائه له فعل خاص، إذا تعطل نقصت حركة الإنسان وفعله بحسبه، وأعظم الأعضاء تأثيرًا علىٰ الجسد في الصلاح والفساد هو القلب، كما قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

والقلب إنما يتأثر بالنفس، فإذا كانت النفس طيبة زكية أثرت في القلب صلاحًا واتجاهًا نحو الخير، وإن كانت نفسًا خبيثة أثرت في القلب فسادًا واتجاهًا نحو الشر.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في خطبته: «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**» وكان يقول: «**اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**» وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، فاتقوا الله عباد الله واعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته تفلحوا وتسعدوا واعلموا أن خير الحديث كتاب الله... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

حول آية من كتاب الله

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وجعل فيه الهدى والنور والشفاء لما في الصدور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تعلموا القرآن وتدبروه وعملوا بما فيه، وسلم تسليماً كثيراً. . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أن بين أيديكم القرآن العظيم، كتاب يهدي للتي هي أقوم، وهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وتكفل بحفظه كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]، وتكفل لمن قرأه وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ**﴾ [طه: ١٢٣]، وتوعد من أعرض عنه بأن يسلط عليه الشياطين التي تضله وتصده عن الخير. كما قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧]، ولقد أثنى الله على الذين يتلون كتابه ويعملون به ووعدهم بجزيل الثواب قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]، أخبر سبحانه في هاتين الآيتين: أن من اتَّصف بهذه الصفات المذكورة فيهما، فإن الله يوفيه أجره على عمله ويزيده أجراً من عنده تفضلاً منه، لأنه سبحانه (غفور) أي: كثير المغفرة، يغفر الذنوب لمن تاب منها وإن عظمت (شكور) أي يشكر لعباده إذا عملوا بطاعته وتركوا معصيته، وقد ذكر سبحانه فيهما للمؤمنين عدة صفات.

الصفة الأولى: تلاوة القرآن بتدبّر وتعقّل والمداومة على ذلك، فإن تلاوة القرآن من أفضل الأعمال وأجل أنواع الذكر، قال ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول، ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**» وتلاوة القرآن طريق إلى العمل به، والتلاوة التي بدون عمل لا فائدة منها، بل إن الذي

يقرأ القرآن ولا يعمل به يأثم إثمًا عظيمًا، وسيكون القرآن خصمًا له يوم القيامة عند رب العالمين، ويقول يا رب حملتني إياه فبئس حامل تعدىٰ حدودي وضيع فرائضي، ولا يزال يقذف عليه بالحجج حتىٰ يُقال شأنك به فلا يتركه حتىٰ يكبه في النار. وقد قال النبي ﷺ: **«والقرآن حجة لك أو عليك»** والقرآن أُنزل ليكون هاديًا ودليلاً للعباد في عقائدهم وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكهم وأخلاقهم. وليحكم بينهم في منازعاتهم وخصوماتهم، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ من غيره أضله الله، ما أنزل القرآن لِيُتلىٰ باللسان فقط تلاوة مجردة عن التدبر منفصلة عن العمل، وما أنزل القرآن لِيُكتب علىٰ لوحات أو ملصقات تعلق علىٰ الجدران لأجل الزينة أو البركة، أو لِيُكتب في حُجُب وحُروز تعلق لدفع العين والبلاء، ما أنزل الله القرآن لِيُقرأ علىٰ الموتىٰ عند قبورهم وأضرحتهم أو في المآتم المبتدعة التي تُقام علىٰ الأموات باسم العزاء، أو في المحافل التي تقام للدعاية، أو يُتلىٰ للتلذذ بنغمة القارئ وحسن الصوت والتطريب به فقط، وما أنزل القرآن لتُفتتح به برامج الإذاعات ثم يعقبه العزف والغناء فهذا مما ينزه ويجلّ عنه كلام الله، وما أُنزل القرآن لتتخذ تلاوته حِرفة تتقاضىٰ عليها الأجور كما يفعل كثير من المقرئين الذين اتخذوا قراءة القرآن في المآتم وعند الأضرحة وفي الحفلات حرفة يأكلون بها أموال الناس بالباطل ويقرئونه بطريقة خارجة عن المشروع بالتمطيط والتلحين فذلك يتنافىٰ مع حرمة القرآن، وفي حديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: **«وسيجيء قوم بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم»** رواه الطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الشعب» وغيرهما. وفي حديث عابس الغفاري: **«وقوم يتخذون القرآن مزامير،يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناءً»** رواه أبو عبيد القاسم ابن سلام، وله طرق أخرىٰ تقويه، والواقع اليوم يشهد له، فاتقوا الله أيها المسلمون وانظروا موقفكم من القرآن. . . .

الصفة الثانية: في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ [البقرة:٢٧٧]، أي أنهم اتبعوا التلاوة بالعمل ولم يكتفوا بمجرد التلاوة، وذكر إقامة الصلاة خاصة لأنها عمود الإسلام والذي يقيمها يكون مقيمًا لبقية دينه من باب أولىٰ. كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، كما قال النبي ﷺ **«بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة»** .

الحديث وما ورد بمعناه.

والصلاة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، : «**بين العبد وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة**» رواه مسلم، وإقامة الصلاة معناها: أداؤها على ما شرع الله في أوقاتها مع الجماعة، مع استيفاء شروطها وأركانها وواجباتها، وما يستطيع من سننها، فالذي يخرج الصلاة عن وقتها ويصليها خارج وقتها متعمدًا لا يكون مقيمًا لها على الوجه المشروع، والذي يترك الصلاة مع الجماعة من غير عذر لا يكون مقيمًا لها على الوجه المشروع، والذي يبخس شيئًا من شروطها أو أركانها أو واجباتها لا يكون مقيمًا لها.

فالصلاة لها وزن ثقيل في الإسلام ومكانة عند الله، ترتاح لها نفس المؤمن وتنفر منها نفس المنافق، كما قال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]، وقال تعالى في المنافقين ﴿**وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى**﴾ [التوبة: ٤٥]، وقال: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى**﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال النبي ﷺ: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر**» وهذا معناه أن الصلاة كلها ثقيلة عليهم ولكن أثقلها هاتان الصلاتان، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق.

والصفة الثالثة: ذكرها في قوله تعالى: ﴿**وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً**﴾ [الرعد: ٢٢] أي: أنفقوا من الأموال التي تفضلنا بها عليهم في وجوه الخير، الصدقة الواجبة والمستحبة إنفاقًا خفيًا لا يطلع عليه إلا الله وإنفاقًا ظاهرًا حسب المصلحة، من إطعام الجائع وإعطاء السائل. وفي طليعة ذلك الزكاة التي هي الركن الثالث من أركان الإسلام وقرينة الصلاة، وخص هاتين الخصلتين: (إقام الصلاة، والزكاة) لأنهما آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، ولأن الصلاة أعظم العبادات البدنية والزكاة أعظم العبادات المالية، فالقيام بهما يدل على القيام ببقية العبادات من باب أولى، والمحافظة عليهما أوضح علامات الإيمان، والتهاون بهما أعظم وأبرز علامات النفاق، كما قال تعالى في وصف المنافق: ﴿**وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ [التوبة: ٥٤].

والصلاة فيها إحسان بين العبد وبين ربه، والإنفاق فيه إحسان بين العبد وبين إخوانه، فاتقوا الله عباد الله وحافظوا على تلاوة القرآن وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق في

وجوه الخير لعلكم تفلحون.

قال تعالى: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المزمل: ٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية، حول آية من كتاب الله

الحمد لله رب العالمين، يمن على من يشاء من عباده بهدايته للإيمان، ويوفقه للعمل الصالح وتلاوة القرآن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واسع الفضل والإحسان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كان خلقه القرآن صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيراً. . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن تقواه عنوان السعادة وجماع البر.

ولنعد إلى تأمل الآيتين السابقتين، قال تعالى: ﴿ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩] ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٠]، أي: إن هؤلاء الذين يتلون كتاب الله ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله لا يطلبون بذلك رياءً ولا سمعة، ولا يريدون بذلك طمعًا من مطامع الدنيا الفانية، ولا يريدون بذلك رئاسة وترفعًا على الناس، وإنما يطلبون بذلك ثواب الله ويتاجرون مع الله الذي تربح عنده التجارة أضعافًا كثيرة: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [فاطر: ٣٠].

وهذه التجارة لا خطر عليها من الخسارة لأن ربحها مضمون، ولا خطر عليها من التلف والضياع والسرقة، لأنها عند من لا يضيع أجر المحسنين: ﴿ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠]، ولا خوف على هذه التجارة من الكساد، لأن الله أخبر أنها لن تبور بل هي تجارة رابحة دائمًا، إن الناس يركضون ويتعبون في طلب التجارة الدنيوية التي لا يدرون هل يحصلون عليها أو لا، وإذا احصلوا عليها

فإنهم لا يأمنون عليها من الكساد والخسارة، ولا يأمنون عليها من التلف والضياع والنهب والسرقة، ثم لو سلمت من هذا كله فإنهم سيموتون ويتركونها لغيرهم ويتحملون حسابها بعد أن قاسوا أتعابها.

فاتقوا الله عباد الله ولا تلهكم التجارة العاجلة الزائلة الزائفة عن التجارة الرابحة الباقية.

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الاعتبار بكثرة الزلازل في هذا الزمان

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الأرض قرارًا ومهادًا وفراشًا وبساطًا، ألقىٰ فيها رواسي أن تميد بكم، وجعل السماء سقفًا محفوظًا وبناءً لما تحتها، أحمده علىٰ نعمه الظاهرة والباطنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الخلق والأمر، وهو علىٰ كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أعرف الخلق بربه وأتقاهم له، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليمًا . . .

أما بعد: أيها الناس: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

عباد الله: لو تأملتم في هذا الكون وما يجري فيه من العبر لعرفتم عظمة خالقه وأدركتم أنه لم يخلق عبثًا، وأنكم لن تتركوا سدًىٰ، ولعرفتم تقصيركم في حق خالقكم وغفلتكم عن ذكره وشكره، ومن أعظم نعم الله عليكم أن مكنكم من هذه الأرض التي تعيشون علىٰ ظهرها وتدفنون في بطنها، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. وقال تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الأعراف: ٢٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]. وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

والآيات في هذه كثيرة، ومن رحمته أن أودع في هذه الأرض كل ما يحتاجه الخلق الذي يعيشون على ظهرها فبارك فيها وقدّر فيها أقواتها، وجعلها قراراً أي قارة ثابتة لا تتحرك ولا تميد، وأرساها بالجبال حتى نتمكن من البناء عليها والعيش على ظهرها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

قال الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله: ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهاداً ومستقراً للحيوان والنبات والأمتعة، ويتمكن الحيوان والناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس لراحاتهم والنوم لهدوئهم والتمكن من أعمالهم، ولو كانت رجراجة متكفئة لم يستطيعوا على ظهرها قراراً ولا هدوءاً، ولا ثبت لهم عليها بناء، ولا أمكنهم عليها صناعة ولا تجارة ولا حراثة ولا مصلحة، وكيف كانوا يتهنون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيبهم من الزلازل على قلة وقتها، كيف تضطرهم إلى ترك منازلهم والهرب عنها، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤]. وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه: ٥٣]. قال رحمه الله: ثم تأمل الحكمة البالغة في ليونة الأرض مع يبسها، فإنها لو أفرطت في اللين كالطين لم يستقر عليها بناء ولا حيوان ولا تمكنا من الانتفاع بها، ولو أفرطت في اليبس كالحجر لم يمكن حرثها ولا زرعها ولا شقها وفلحها ولا حفر عيونها ولا البناء عليها، فنقصت عن يبس الحجارة وزادت عن ليونة الطين فجاءت بتقدير فاطرها على أحسن ما جاد عليه مهاد للحيوان في الاعتدال بين اللين واليبوسة فتهيأ عليها جميع المصالح، خلقها سبحانه فراشاً ومهاداً وذللها لعباده وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل، لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعلها أوتاداً تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها فحدّها وبسطها وطحاها فوسعها من جوانبها، ثم انظر كيف أحكم جوانبها بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف نسبها فأحسن نصبها، وكيف رفعها وجعلها أصلب أجزاء الأرض لئلا تضمحل على تطاول السنين وترادف الأمطار والرياح، بل أتقن صنعها وأحكم وضعها وأودعها من المنافع والمعادن والعيون ما أودعها، ثم هدى الناس إلى استخراج تلك المعادن منها، وألهمهم كيف يصنعون منها النقود والحلي والزينة واللباس، والسلاح وآلات المعاش على اختلافها، لولا هدايته

سبحانه لهم إلى ذلك لما كان لهم علم شيء منه ولا قدرة عليه، وجعل سبحانه الأرض كفاتًا للأحياء ما داموا على ظهرها، فإذا ماتوا استودعتهم في بطنها فكانت كفاتًا لهم تضمهم على ظهرها أحياء وفي بطنها أمواتًا، فإذا كان يوم الوقت المعلوم وقد أثقلها الحمل وحان وقت الولادة ودنو المخاض أوحى إليها ربها وفاطرها أن تضع حملها وتخرج أثقالها فتخرج الناس من بطنها إلى ظهرها، وتقول: رب هذا ما استودعتني وتخرج كنوزها بإذنه تعالى، ثم تحدث أخبارها وتشهد على بنيها بما عملوا على ظهرها من خير وشر، ويحدث فيها سبحانه الزلازل العظام ليحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية والإنابة والإقلاع عن معاصيه والتضرع إليه والندم، كما قال بعض السلف - لما زلزلت الأرض - «إن ربكم يستعتبكم» وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد زلزلت المدينة فخطبهم ووعظهم وقال: «لئن عادت لا أُساكنكم فيها».

عباد الله: لقد كثر وقوع الزلازل المروعة التي تدمر العمران وتهلك الإنسان، وقد تتابع ذلك في سنين متقاربة، حدث زلزال عظيم في الجزائر، ثم أعقبه زلزال عظيم في إيطاليا، ثم أعقبه زلزال عظيم في اليمن، ثم أعقبه زلزال عميق في المكسيك، وقد دمر في هذه الزلازل مدن بأكملها وهلك فيها ألوف من البشر وشرد فيها مئات الألوف من مساكنهم، مما تسمعون أخباره المروعة ويشاهد الكثير منكم صوره المفزعة تعرض على شاشة التلفاز، وهذه الزلازل لا شك أنها عقوبات على ما يرتكبه العباد من الكفر والمعاصي، وفيها عِبَر وعظات لأولي الألباب، ودلالة على قدرة الله الباهرة، حيث يأذن لهذه الأرض أن تتحرك بضع ثوانٍ أو دقائق فينتج عن ذلك هذا الدمار وهذا الهلاك وهذا الرعب، لعل الناس يتوبون إلى ربهم ويستغفرون من ذنوبهم، لأن هذا ما حدث إلا بسبب كفرهم ومعاصيهم! ويكثر هذا في آخر الزمان، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ويتقارب الزمان وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج**» قيل: الهرج أي ما هو يا رسول الله؟ قال: «**القتل القتل**».

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا اتخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفًا**

ومسخًا وقذفًا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع».

بين في هذا الحديث أنه عندما تحدث هذه الجرائم في آخر الزمان فإنها ستقع عليهم العقوبات المتتابعة ومنها الزلازل[1] وقد رأيتم مصداق ذلك بما تكرر من حدوث هذه الزلازل المروعة ـ وقد يقول بعض المتحذلقين من الجغرافيين: هذه الزلازل ظواهر طبيعية، لها أسباب معروفة، لا علاقة لها بأفعال الناس ومعاصيهم كما يجري ذلك على ألسنة بعض الصحفيين والإعلاميين، حتى صار الناس لا يخافون عند حدوثها، ولا يعتبرون بها، كما يقول أشباههم من قبل عندما تصيبهم الكوارث والنكبات: (قد مس آباءنا الضراء والسراء) ويعتبرون ذلك حالة طبيعية وليست عقوبات لهم فيستمرون على غيهم و بغيهم، ولا يتوبون من ذنوبهم، والذي نقوله لهؤلاء المتحذلقين أن الكتاب والسنة يدلان على أن هذه الزلازل كغيرها من الكوارث إنما تصيب العباد بسبب ذنوبهم، وكونها تقع لأسباب معروفة لا يخرجها عن كونها مقدرة من الله سبحانه على العباد لذنوبهم فهو مسبب الأسباب، وخالق السبب والمسبب ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣].

فإذا أراد الله شيئًا أوجد سببه ورتب عليه نتيجته. كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء: ١٦] فاتقوا الله عباد الله واعتبروا بما يجري حولكم وبينكم وتوبوا إلى ربكم وتذكروا قول الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: ٦٥-٦٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في الاعتبار بكثرة الزلازل

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه المجيد: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: ٥٣].

---

(١) التي تدمر العمارات السكنية ذات الأدوار الشاهقة وتدمر المدارس والمستشفيات والمطاعم والفنادق المكتظة بالناس على ما فيها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الولي الحميد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا . . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى وتوبوا إليه من ذنوبكم قبل أن يحلّ بكم ما حل بغيركم من العقوبات، واعلموا أن ما وقع بالناس مما يكرهون فإنما هو جزاء ذنوبهم. كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. نعم إن ما يحدث في الأرض اليوم من الزلازل المدمرة، والأعاصير القاصفة والحروب الطاحنة، والمجاعات المهلكة، والأمراض الفتاكة وحوادث المراكب البرية والبحرية والجوية التي يذهب فيها الأعداد الكبيرة من البشر، وتسلط قطاع الطرق ومختطفي الطائرات وسطو اللصوص، كل ذلك يحدث بسبب الذنوب والمعاصي. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]. وإنه يحدث منا من الذنوب والمعاصي ما لا يحصى، ومنه ما هو كفر كترك الصلوات المفروضة، وما هو من الكبائر الموبقة كأكل الربا، والرشوة، وتبرج النساء، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل الفواحش وغير ذلك مما نتخوف منه نزول العقوبة صباحًا ومساءً. كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [النحل: ٤٥-٤٦].

هل اعتبرنا يا عباد الله بما يحدث؟ هل غيرنا من حالنا من سيئ إلى حسن؟ إننا على كثرة ما نسمع ونقرأ أو نرى بأعيننا من الحوادث المروعة، والعقوبات الشديدة، لا يزال الكثير منا مصرًا على معاصيه، من أكل الحرام، وترك الصلاة وهجر المساجد، وفعل المنكرات حتى أصبح كثير من البيوت أوكارًا للفسقة والتاركين للصلاة، ولا ينكر عليهم صاحب البيت ولا جيرانه ولا من يعلم بحالهم، وفي الحديث إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده.

ترون الشوارع والبيوت ملأى بالرجال، وترون المساجد وقت الصلاة فارغة منهم لا يؤمها إلا القليل وفي فتور وكسل، والذي يصلي منهم لا ينكر على مَن لا يصلي، من أهل بيته وجيرانه ومن يمر بهم في طريقه إلى المسجد، ما الذي أمات الغيرة في قلوب الناس؟ إنه ضعف الإيمان كما قال النبي ﷺ: **«من رأى منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»** قد يقول أحدهم أنا

أنكر المنكر بقلبي وإن لم أتكلم بلساني، والجواب: إن الإنكار بالقلب لا يكفي مع القدرة على إنكاره بالكلام، وأيضًا الذي ينكر بقلبه لا يترك العصاة في بيته ولا يساكنهم فيه ولو كانوا أولاده وأقرب الناس إليه. كما قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

عباد الله: وتذكروا أن ما يحل بالناس من العقوبات في الدنيا وإن كان شديدًا فهو أخفّ من عذاب الآخرة. قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم وتوبوا من ذنوبكم وقوموا على أولادكم وأهليكم وأنقذوا أنفسكم وأنقذوهم من عذاب الله، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد.



في تكريم الإنسان من بين سائر المخلوقات

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١-٣]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى الإنس والجان، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل العلم والعرفان، وسلم تسليمًا . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى كما أمركم أن تتقوه، وأطيعوا أمره ولا تعصوه، فإن السعادة بتقواه وطاعته والشقاء بمخالفة أمره ومعصيته.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢)

ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ [الطلاق: ٤]، وقال تعالى: ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [الجن: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد خص الله الإنسان من بين المخلوقات فاستخلفه في هذه الأرض، وسخر له هذا الكون وأمده بإمكانيات عقلية وجسمية، وابتلاه بالخير والشر، وأمره ونهاه ووعده وتوعده فقال تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ [القيامة: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وجعل الجزاء من جنس العمل، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، قال تعالى: ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى (٣٩) وأن سعيه سوف يرى (٤٠) ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ [النجم: ٣٩-٤١].

وقال تعالى: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وفي الحديث القدسي: **(يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)**.

وقد خاطب الله هذا الإنسان بعدة خطابات، ووصفه بكثير من الصفات، قال تعالى: ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴾ [الانشقاق: ٦]. أي: إنك ساع إلى ربك سعيا وعامل عملا ﴿ فملاقيه ﴾ [الانشقاق: ٦]، أي: ستلقى ما عملت من خير أو شر.

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»** وقيل معنى الآية: أنك ستلقى ربك فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك، والقولان متلازمان، فالإنسان لا بد أن يعمل عملا يلاقي الله به فيجازيه عليه.

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذي خلقك فسواك فعدلك (٧) في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ [الانفطار: ٦-٨]، أي: ما غرك يا بن آدم بربك العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق به، وأتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور، ومن كرمه أن أوجد سبحانه هذا الإنسان من عدم وجعله سويا مستقيما معتدل القامة منتصبا في أحسن الهيئات والأشكال، وهو قادر على أن يجعلك في صورة قبيحة، ولكنه برحمته ولطفه جعلك في شكل حسن مستقيم معتدل، تام الأعضاء والحواس، حسن المنظر والهيئة، ثم إن هذا الإنسان إذا أحسن عمله وأطاع ربه

أحسن الله صورته الباطنة، كما أحسن صورته الظاهرة، وواصل إكرامه في الدنيا والآخرة، وإن أساء عمله مسخ الله صورته الباطنة وأهانه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤-٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢، ٣]، كما أخبر سبحانه أنه خلق هذا الإنسان من ضعف، وأوجده من عدم، وعلمه من جهل، ثم إن هذا الإنسان إذا رأى نفسه، قد استغنى وكثر ماله فرح وأشر وبطر وطغى، قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ١-٧].

ثم توعده الله ووعظه وذكره بمصيره، . فقال تعالى: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ [العلق: ٨] أي: إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على عملك وطغيانك.

والإنسان صفته الطغيان والظلم والجهل والكفر إلا من رحم الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢]. وأخبر سبحانه أن الإنسان يقنط عند الشدة ويفرح ويفخر عند الرخاء، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩-١١].

فهذا شأن الإنسان وهذه صفاته، من حيث نفسه وذاته وخروجه عن هذه الصفات إلى الصفات الخيرة والحميدة إنما هو بفضل ربه، وتوفيقه له، لا من حيث ذاته، فليس له من ذاته إلا هذه الصفات الذميمة، فلا حول له ولا قوة على التخلي عنها، والتحلي بالصفات الكريمة إلا بربه وفضله ومنته: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧] ﴿لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧، ٨]، وهو الذي يكتب الإيمان في قلوب عباده المؤمنين ويثبتهم عليه ويصرف عنهم السوء والفحشاء، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٦]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

فالهداية التي هي التوفيق للخير وقبول الحق بيد الله عز وجل يمن بها على من يشاء، وهي فضل منه وإحسان، والعبد مأمور بتعاطي أسباب هذه الهداية، بأن يطلبها من الله وينيب إليه ويصغي إلى كتاب الله وسنة رسوله ليعرف الحق فيلتزمه ويعرف الباطل فيجتنبه، ويقتدي بأهل الخير، ويبتعد عن أهل الشر، ويفعل ما أمر الله به ويترك ما نهى عنه من الأعمال والأقوال والنيات والمكاسب وسائر التصرفات المنهي عنها، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١-١٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في تكريم الإنسان

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق، وإليه مصير الخلق، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى جميع الثقلين الجن والإنس بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعد: عباد الله اتقوا الله واذكروا بدايتكم ونهايتكم فقد خلقتم من التراب، وتصيرون إلى التراب، ثم تبعثون للجزاء والحساب: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ [طه: ٥٥] فكيف يليق بمن هذا حاله، وتذكر سرعة زواله عن هذه الدنيا وانتقاله، أن يتكبر ويطغى، أن رآه استغنى، وينسى أن إلى ربه الرُّجْعَى، لقد بلغ من طغيان هذا الإنسان، أن جحد قدرة الرحمن، وأنكر البعث والحساب: ﴿**قال من يحيي العظام وهي رميم**﴾ [يس: ٧٨] ونسي بدايته وإيجاده من العدم وأن الذي قدر على خلقه أول مرة قادر من باب أولى على إعادته ﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾ [يس: ٧٩].

بل لقد بلغ من طغيان هذا الإنسان أن أنكر وجود الله، فها هي الشيوعية في عصرنا الحاضر ومن شابهها من الملاحدة تنكر وجود الله الخالق وتتعامى عن آياته الكونية في الآفاق والأنفس، وتنسى أن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد: ﴿**أم خلقوا من غير**

شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦] لقد اغترّ هذا الإنسان بمخترعاته، ومنجزاته الحضارية ظنًا منه أنه حصل عليها بحوله وقوته وخبرته ومهارته ونسي أن الله هو الذي خلقه ووهبه العقلَ والتفكير، وسخَّر له هذه الكائنات، وألهمه كيف يستخدمها، وأن كل شيء بقضاء الله وخلقه وتدبيره: **﴿وما تشاءون إلى أن يشاء الله رب العالمين﴾** [التكوير: ٢٩] **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾** [الصافات: ٩٦].

ثم ما هي هذه المنجزات التي اغترَّ هذا الإنسانُ بإبرازها، إن غالبها آلات خراب ودمار للإنسان والعمران، أسلحة فتاكة، وقذائف جهنمية تهلك الحرثَ والنسلَ. ما مكّن الإنسان منها إلا عقوبة له وعناء عليه وعلى الإنسانية. كما قال تعالى: **﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾** [الأنعام: ٦٥].

فاتقوا الله عباد الله: واعتبروا بمَن قبلكم من الأمم التي اغترَّت بقوتها وعتت عن أمر ربها ورسله فحاسبها الله حسابًا شديدًا وعذبها عذابًا نُكْرًا، فذاقت وبال أمرها، وكان عاقبة أمرها خسرًا. واعلموا أن خير الحديث كتاب الله.... إلخ.



في التحذير من المسكرات والمخدرات

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، ووهبه العقل الذي ميزه به عن سائر الحيوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو ذو الفضل والإحسان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أنزل عليه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيراً...

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ واشكروه، فلقد كرم الله هذا الإنسان علىٰ غيره من المخلوقات. كما قال تعالىٰ: **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾** [الإسراء: ٧٠].

مما كرم الله به هذا الإنسان العقلَ الذي يمتاز به عن الحيوان، ويميز به بين الخير والشرِّ، والضار والنافع، فإذا فقد العقلَ لم يكن بينه وبين الحيوان فرقٌ، بل يكون الحيوان أحسن حالاً منه، لأن الحيوان ينتفع به، والإنسان الذي فَقَدَ عَقْلَهُ، لا ينتفع به، وإنما يصبح عالة

على غيره، وبالعقل يفكر الإنسان في آيات الله ويتفقه فيها وبالعقل يخترع وينتج.

والعقل يحمل الإنسان على أن يتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرذائل، ويبذل الندى، ويكف الأذى، وقد سمى الله العقل عقلاً وحجراً، ونُهية ولبًّا وهي أسماء تدل على معان عظيمة، لأنه يعقل الإنسان ويحجر عليه ويحجزه عما لا يليق به.

وقد ذم الله الذين لا يعقلون وجعلهم في مرتبة أقل من مرتبة البهائم قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقد نهى الله عن تعاطي ما يخل بالعقل ورتب على ذلك حدًّا رادعًا وعقوبة زاجرة، فالعقل هو أحد الضروريات الخمس التي أجمعت الشرائع السماوية على وجوب حفظها، لأن في حفظها قوام مصلحة البشرية، لأن فاقد العقل يسيء إلى نفسه وإلى مجتمعه؛ فقد يوقع نفسه في الهلاك والفساد الخلقي ويتعدى على غيره بما يضره، فيخل بالأمن ويروع المجتمع. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، فبين سبحانه مفاسد الخمر وما ذكر معها من الجرائم أنها تسبِّب عدم الفلاح، وأنها رجس من عمل الشيطان، وأنها توقع في المجتمع العداوة والبغضاء وتصد عن ذكر الله الذي به حياة القلوب، وتصد عن الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وكلها مفاسد عظيمة، وأخطار جسيمة، والخمر كل ما خامر العقل وغطاه من المسكرات من أي مادة صنعت، وبأي اسم سميت. فقد ورد أنه يأتي في آخر الزمان قوم يسمون الخمر بغير اسمها، والأسماء لا تغير الحقائق، ومثل الخمر بل شرٌّ منه كل مفتر للجسم معطل للحواس، فقد نهى النبي ﷺ عن كل مسكر ومفتر، والمفتر: كل ما ينشأ عنه استرخاء الأطراف وتخدرها وفقدان الغيرة.

أيها المسلمون: إن أعداءكم دائمًا يخططون لإهلاككم وإيقاع الضرر بكم بكل وسيلة، كما قال الله عنهم: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ومن أخبث المخططات وأفتك الأسلحة التي غزوكم بها في هذا الزمان: سلاح المخدرات، فهم يزرعون المخدرات ويصنعونها ويصدرونها إليكم ويروجونها بينكم بطرق متنوعة وخفية يستخدمون فيها شياطين الإنس من تجار الدمار الذين يقومون بجلب هذه المخدرات وبيعها في ديار المسلمين، وهؤلاء المروجون

يستحقون أشد العقوبات، لأنهم يسعون في الأرض فسادًا، ويجب على من علم بهم أن يبلغ عنهم السلطة لردعهم وكف شرهم، وهذا من التعاون على البر والتقوى ومن النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم ولا يجوز التستر عليهم والشفاعة فيهم.

أيها المسلمون: إن المخدرات أشرُّ من الخمر، لأنها تفسد العقل والمزاج وتقتل الغيرة في الإنسان، فهي تشارك الخمر في الإسكار، وتزيد عليه في كثرة الأضرار، وقد ذكر بعض العلماء فيها مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية.

فمن أضرارها الدينية: أنها تُنسي ذكر الله وتُذْهب الحياء والمروءة وتسبب ترك الصلاة والوقوع في المحرمات.

ومن مضارها البدنية: أنها تفسد العقل، وتقطع النسل، وتولد الجذام، وتورث البرص وتجلب الأسقام، وتحرق الدم، وتضيق النفس، وتفتت الكبد، وتحدث البخر في الفم، وتضعف البصر، وتجلب الهموم والوساوس، وتخبل العقل، وتورث الجنون، وتورث قلة الغيرة وزوال الحمية، حتى يصير آكلها ديوثًا، وتفسد الأمزجة حيث جعلت خلقًا كثيراً مجانين، ومن لم يجن أصيب بنقص العقل، وإن المخدرات أخطر سلاح تستخدمه العصابات التخريبية في المجتمعات البشرية للوصول إلى أغراضها، وغالب ما يستخدمه اليهود لتحطيم الشعوب، لأجل السيطرة عليها وإذلالها، فالمخدرات من الآفات الخطيرة التي تهدد المجتمع الإنساني بالفناء والدمار، ولا يقل خطرها عن خطر الأمراض الوبائية التي تفتك بالأمم والشعوب، ومن ثم أنشئت في غالب الدول أجهزة خاصة لمكافحة المخدرات، حتى الدول الكافرة شعرت بخطر المخدرات فصارت تكافحها.

ومن توغل مروجيها في الإجرام أنهم يستعملون حيلاً دقيقة وخفية لتهريبها وترويجها لا ينتبه لها كثير من الناس، ويصنعونها على أشكال مختلفة، ويدسُّونها في أشياء يستبعد وجودها فيها... فتنبهوا أيها المسلمون لهذا الخطر واحفظوا أولادكم أن تصيبهم عدواه، لا تتركوهم يهيمون في الشوارع ويخالطون ماهبّ ودبّ فإنه إذا فسد فرد من الأفراد أثر على البقية الذين يخالطونه ويجلسون معه، خصوصًا هؤلاء الشباب الضائعون الذين يتجولون في السيارات، فإنهم محل شبهة، وهناك بعض الوافدين إلى هذه البلاد من دول أخرى لا يؤمن شرهم. وهناك وسائل ووسائل، ومكر خفي يدبره شياطين الإنس والجن ويغزون به تجمعات الشباب. فأنتم في زمان كثر الشر في أهله وكثر فـ ه دعاة الفساد واختلط فيه الناس من كل جهة بسبب تيسر وسائل النقل السريعة و الشر ينتشر

بسرعة، وهذا يستدعي منكم شدة الانتباه، وقوة الحذر، والمحافظة على أولادكم أكثر مما تحافظون على أموالكم، لا سيما وأنتم تعلمون ما يحدث من جراء تعاطي المخدرات من حوادث الطرق التي هلك فيها أعداد كبيرة، وذلك من أثر تعاطي المخدرات على عقولهم، فأصبحوا مخبلين، ومنهم من قبض عليهم فأودعوا السجون السنين الطويلة وعزلوا عن المجتمع وانعزلوا عن أسرهم حتى إن منهم من قضى حياته كلها في السجن كلما خرج منه رجع إليه فالأمر خطير، والشر مستطير، ولا نجاة من شر هذه المخدرات إلا بالاستعانة بالله سبحانه ثم بتطبيق العقوبات الرادعة على من يتعاطى هذا الدمار أو يروجه ويجب التعاون مع أجهزة الحكومة التي تكافح هذا الإجرام، ويجب أيضًا المحافظة على الأولاد الصغار من التسيب في الشوارع ومخالطة المشبوهين، ويجب أيضًا التحذير من هذا البلاء عن طريق الوعظ والتذكير والخطب والمحاضرات والكتابة في الصحف وغير ذلك من وسائل الإعلام المختلفة.

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح....

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية
في التحذير من المسكرات والمخدرات

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان وفضله على كثير من مخلوقاته، وسخر له ما خلق في أرضه وسماواته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وأسمائه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه من جميع برياته، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا والذين آووا ونصروا وسلم تسليمًا كثيراً...

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله واشكروه على ما خصكم به من الإنعام والتكريم، خلقكم في أحسن تقويم، ووهبكم العقل السليم، وجعله أحد الضروريات الخمس التي تجب المحافظة عليها ويعاقب من اعتدى عليها، وذلك أن من شرب مسكرًا أو مخدراً فإنه

يجلد ثمانين جلدة عقوبة له على ما فعل، وردعًا له في المستقبل، ولعن ﷺ من شرب الخمر ومن صنعها وروجها وأعان عليها، وأخبر أن مدمن الخمر كعابد الوثن، فمن استحلها فقد كفر، ومن شربها غير مستحل لها فهو فاسق وفاعل لكبيرة من كبائر الذنوب يقام عليه الحد الشرعي وتسقط عدالته إلا إن تاب توبة صحيحة، فلا يجوز شرب الخمر للذة ولا لتداوٍ، ولما سئل النبي ﷺ عن الخمر تصنع للدواء قال: **«إنها داء وليست بدواء»** وقد ابتلي الناس اليوم بتصنيع الخمر وخلطها مع بعض الأدوية وبعض المعلبات وبعض الأطياب وهو ما يسمى بمادة الكحول، فيجب أن يتجنب استعمال ما خلطت معه من هذه الأشياء لقوله ﷺ: **«ما أسكر كثيره فقليله حرام»** ولقوله تعالى: ﴿**فاجتنبوه**﴾ [المائدة: ٩٠].

ولأن الخمر نجسة في أصح قولي العلماء فلا يجوز التطيب بالعطورات المخلوطة بالكحول لأنها تنجس الأبدان والثياب، فيجب على المسلم الحذر من كل المصنعات المشوبة بالكحول، وفيما أباح الله من الأدوية والأشربة والأطياب غنية عما هو حرام أو مشتبه. اللَّهم اغننا بحلالك عن حرامك، واكفنا بفضلك عمن سواك، ثم اعلموا أيها الناس أن خير الحديث كتاب الله .... إلخ.



في التجمل المشروع والتجمل الممنوع

الحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا كثيرًا، خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وسبحانه عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا، ...

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه على ما أولاكم من النعم، ودفع عنكم من النقم، فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، فإن شكره وأطاعه وَاصَلَ له التكريم، وإن عصاه وخالف أمره فإن عقابه أليم.

أيها المسلمون: إن التجمل في حدود المشروع أمر مطلوب، فإن الله تعالى جميل يحب الجمال، والتجمل يكون في إصلاح الجسم بأخذ ما شرع أخذه وإبقاء ما يشرع إبقاؤه.

فأما ما يشرع أخذه فقد بيّنه رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**خمس من الفطرة: الاستحداد والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر**» فأخبر ﷺ أن أخذ هذه الأشياء من الفطرة، أي: من السنة القديمة التي اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع؛ لأن في ترك هذه الأشياء تشويهًا للجسم وتشبهًا بالحيوانات، والسباع والكفار، وبقاؤها أيضًا يسبب تجمع الأوساخ ووجود الروائح الكريهة، والاستحداد معناه: حلق العانة، والختان معناه: قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة لأن بقاء القلفة يسبب بقاء النجاسة المتحققة فيها، وذلك يخل بالعبادة ويسبب أضرارًا صحية، وقص الشارب معناه: جزه وإنهاكه، ونتف الإبط: يراد به إزالة الشعر النابت فيه بنتف أو حلق ونحوه وتقليم الأظافر: قصها لئلا تطول.

وأما ما يشرع إبقاؤه فهو شعر اللحية، كما في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «**خالفوا المشركين، وفروا اللحى**» وفي رواية: «**أعفوا اللحى**» وفي رواية: «**أوفوا اللحى**» وفي رواية «**أرخوا اللحى**» وكل هذه الروايات تدل على وجوب توفير اللحية وإبقائها وتحريم حلقها أو قصها، كما تدل الأحاديث على وجوب إحفاء الشارب والنهي عن توفيره وإطالته، ولكن الشيطان زين لكثير من الناس مخالفة سنة النبي ﷺ في ذلك وتقليد الكفار، فصاروا يحلقون لحاهم أو يقصونها ويوفرون شواربهم ويطيلونها، كما أن هناك فريقًا من الناس يرتكبون ما نهى عنه النبي ﷺ في صبغ اللحية فقد نهى عن صبغ اللحية بالسواد وأمر بتغيير الشارب بغير السواد من الحنا والصفرة، فخالف هؤلاء سنة الرسول وصاروا يصبغون بالسواد، وقد روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يروحون رائحة الجنة**» وهذا وعيد شديد لمن فعل ذلك.

وبعضهم يجمع بين المعصيتين فيقص لحيته ويصبغ الباقي منها بالسواد، كما زين الشيطان لبعض النساء أخذ حواجبهن، وهو النمص الذي لعن النبي ﷺ من فعلته بنفسها أو بغيرها، فقد لعن النبي ﷺ النامصة، والمتنمصة، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، والنمص: هو أخذ شعر الحاجب وترفيعه، تزعم من فعلته أنه تجمل، وهو في الواقع تغيير لخلق الله، وهو مما يأمر به الشيطان كما قال الله تعالى عنه: ﴿**وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**﴾ [النساء: ١١٩]، كما زين الشيطان لبعض النساء وبعض الشباب إطالة أظافرهم مخالفة لسنة الرسول ﷺ حيث أمر بتقليم

الأظافر، فصاروا يطيلونها تشبهًا بالكفار ومخالفة للسنة، وكل هذه الأمور التي يفعلونها من حلق اللحى أو صبغها بالسواد وإطالة الشوارب والأظافر وإزالة النساء لشعر الحواجب يظنون أنها من التجمل.

وهي في الواقع تشويه وتقبيح للصورة الآدمية ومخالفة للفطرة، ولكن الشيطان زينها لهم فاستحسنوها كما قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**﴾ [فاطر: ٨].

ومن التجميل الذي شرعه الله ورسوله التجمل في اللباس، قال الله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦]، فقد امتن الله سبحانه على عباده بأن أوجد لهم لباسًا يسترون به عوراتهم، ويجملون به هيئاتهم الظاهرة، وذكرهم لباسًا أحسن منه وهو لباس التقوى الذي يجمل ظاهرهم وباطنهم فقال: ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦]، والزينة هي اللباس، والمراد بالمسجد: الصلاة فقد أمر الله سبحانه العباد أن يلبسوا أحسن ثيابهم وأجملها في الصلاة للوقوف بين يدي الرب سبحانه وتعالى والتجمل في اللباس مطلوب من المسلم بما أباح الله ومن غير إسراف ولا تكبر فقد نهى ﷺ الرجل عن إسبال الثياب وهو إرسالها تحت الكعبين وأخبر أن من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه، وأن المسبل من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وأن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل، وهذا من أعظم الوعيد، وهو يدل على أن الإسبال من أكبر الكبائر، سواء كان في الثوب أو الإزار أو البشت، وشرع للنساء تطويل الثياب لستر أرجلهن، لما رواه الإمام أحمد والنسائي وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله كيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال: «**يرخين شبرًا**»، قلت: إذن تبدو أقدامهن يا رسول الله قال: «**فذراع ولا يزدن عليه**» وقد خالف كثير من الرجال والنساء ما شرع الله لهم في اللباس وعكسوا الأمر فصار الرجال يسبلون ثيابهم ويجرونها، وصار النساء يقصرون ثيابهن حتى تبدو سيقانهن، وتشبه الرجال بالنساء وتشبهت النساء بالرجال. ولقد لعن النبي ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال. رواه البخاري ولعن ﷺ الرجل يلبس لبس المرأة، والمرأة تلبس لبس الرجل،. رواه الإمام أحمد وأبو داود.

ويحرم على الرجال لبس الحرير والتحلي بالذهب، قال رسول الله ﷺ: «حرم لبس

الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم» رواه الخمسة وصححه الترمذي، وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة والبراء رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأىٰ خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار جهنم فيجعلها في يده**» فقيل للرجل بعد أن ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، فقال: «لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ».

وبعض الرجال اليوم يلبسون خواتيم الذهب تمشيًا مع العادات السيئة والتقاليد الفاسدة من غير مبالاة بالوعيد، مع أنهم يسمعون ويقرئون الأحاديث التي تنهىٰ عن ذلك ويعلمون أنهم يحملون في أيديهم جمرًا من جهنم، لكنهم لا يبالون لأن الشيطان زين لهم ذلك، كما زين الشيطان لكثير من النساء لبس الثياب القصيرة أو الثياب الضيقة أو الثياب الشفافة التي لا تستر الجسم أو تبدي مقاطع الأعضاء، وأخريات يكشفن عن وجوههن ونحورهن وأيديهن وأرجلهن أمام الرجال في الأسواق أو في البيوت عند أقارب الزوج أو غيرهم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» رواه الإمام أحمد ومسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معنىٰ «**كاسيات عاريات**» أي كاسيات بلباس يصف البشرة، أو يبدي بعض تقاطيع أبدانهن كالعضد والعجيزة، فهن كاسيات بلباس عاريات حقيقة، وهذا ينطبق علىٰ كثير من لباس النساء اليوم فهن يلبسن لباسًا رقيقًا أو ضيقًا يبدي تقاطيع الجسم، أو لباسًا شفافًا يرىٰ من ورائه لون الوجه والنحر وغير ذلك.

فاتقوا الله أيها الرجال في نسائكم فإن الله سيسألكم عنهن بما جعل لكم من القوامة عليهن والرعاية لشئونهن وكلكم مسئول عن رعيته. واتقين الله أيتها النساء فإنكن مسئولات.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في التجمل

الحمد لله على فضله وإحسانه ، أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الاعراف: ٣٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى ﴿ **إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ [النساء: ١].

عباد الله: إن التنظيف والتجمل في البدن والثياب أمران مطلوبان شرعًا، وقد رسم النبي ﷺ الطريقة المطلوبة فيهما بقوله وفعله، وقد قال الله تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ [الاحزاب: ٢١] فلا يجوز لنا أن نرسم لأنفسنا أو نستورد من أعدائنا عادات وتقاليد تخالف هدي رسول الله ﷺ كما يفعل كثير من المتشبهين بالكفار في عاداتهم وعباداتهم وتقاليدهم ، وقد كان هدي النبي ﷺ في شعر الرأس تركه كله أو أخذه كله، ولم يكن يحلق بعضه ويدع بعضه، وكان يقص شاربه، ويقول: «**من لم يأخذ من شاربه فليس منا**» رواه الترمذي وقال حديث صحيح.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قصوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس**» وفي «صحيح مسلم» عن أنس قال: (وقَّت لنا رسول الله ﷺ في قص الشارب وتقليم الأظافر ألا نترك أكثر من أربعين يومًا وليلة) وكان النبي ﷺ يحب السواك، وكان يستاك مفطراً وصائمًا ، ويستاك عند الانتباه من النوم وعند الوضوء وعند الصلاة وعند دخول المنزل، وكان ﷺ يكثر التطيب ويحب الطيب، ونهى عن أكل ما له رائحة كريهة كالبصل والكراث والثوم، ولا سيما عند دخول المسجد.

شرع الاغتسال يوم الجمعة لإزالة الروائح الكريهة الناشئة عن العرق وغيره، وكان غالب ما يلبس النبي ﷺ هو وأصحابه ما نسج من القطن وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان، وكان هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتان تارة، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهداً وتعبداً بإزائهم طائفة قابلوهم لا يلبسون إلا أشرف

الثياب ولا يأكلون إلا ألين الطعام، فلا يرون لبس الخشن، ولا أكله تكبراً، وتجبراً، وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي ﷺ، ولهذا قال بعض السلف: كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب العالي والمنخفض، وفي «السنن» عن ابن عمر يرفعه إلى النبي ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة، ثم تلهب فيه النار**» وهذا لأنه قصد به الاختيال والفخر فعاقبه الله بنقيض ذلك، كما عاقب من أطال ثوبه خيلاء، بأن خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، وكذلك لبس الدنيء من الثياب يذم في موضع، ويحمد في موضع، فيذم إذا كان شهرة وخيلاء، ويمدح إذا كان تواضعاً واستكانة، كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبراً وخيلاء، ويمدح إذا كان تجملاً وإظهاراً لنعمة الله، وفي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**» فقال رجل: يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حسناً ونعلي حسناً، أفمن الكبر ذلك؟ فقال: «**لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**» وبطر الحق: دفعه، وغمط الناس: تنقصهم.

عباد الله: إن الشيطان تلاعب ببني آدم في شأن اللباس فأوقعهم في المتناقضات المخالفة لشرع الله، فطائفة زين لهم التعري باسم المدنية والحضارة، كما زين للمشركين الطواف بالبيت وهم عراة. وأن ذلك عبادة يؤجرون عليها، وأن الله أمرهم بذلك كما قال الله عنهم: ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٨].

فرد الله عليهم وأخبر أن كشف العورة فاحشة ينزه الله عن الأمر بها وتشريعها للناس، وطائفة من الناس زين لهم الشيطان كشف عوراتهم عند الألعاب الرياضية والمباريات. واعتبروه فناً من الفنون، فصاروا يكشفون أفخاذهم ولا يغطون إلا العورة المغلظة، كما عليه كثير من الفرق الرياضية من كشف عوراتهم أمام المشاهدين، وتؤخذ لهم صور سيئة تنشر في الجرائد والمجلات وتبث في التلفاز ليشاهدها من لم يحضرها.

وطائفة أخرى من الناس على العكس من ذلك زين لهم الشيطان الإسبال في اللباس وجره تكبراً وتعاظماً، دون مبالاة بالوعيد الشديد والإثم العظيم، وغرض الشيطان أن يخرج هؤلاء وهؤلاء عن الاعتدال والاستقامة في اللباس واتباع سنة الرسول ﷺ.

كما أغرى الشيطان كثيراً من النساء بالسفور ومحاربة الحجاب الشرعي ليعرضن

أجسامهن ومفاتنهن رخيصة أمام الأنظار المسمومة . . . . فاتقوا الله أيها المسلمون وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم ولا تنساقوا وراء التيارات الهدامة والتقاليد المحرمة، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

القدوة الحسنة والسيئة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا مزيدًا . . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله وآمنوا برسوله، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

عباد الله: من الظواهر الاجتماعية في حياة البشر، أن الإنسان بطبعه يميل إلى التقليد والمحاكاة خصوصًا لمن يرى فيه أنه أفضل منه، فالصغير يقلد الكبير، والضعيف يقلد القوي، والمتعلم يقلد المعلم، وهذه الظاهرة لها خطورتها، خصوصًا إذا كان المقلَّد منحرفًا عن جادة الصواب، فإن المقلِّد ينحرف معه بقدر تقليده له ويتأثر بأخلاقه بقدر ميوله إليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد في نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك، إلا أن يمنعه مانع . . . انتهى .

ولذلك شرع الله لنا الاقتداء بالأخيار، ونهانا عن الاقتداء بالأشرار، ورأس الأخيار هو رسول الله ﷺ وقد أمرنا الله بالاقتداء به خاصة . قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فشرع الله للمسلمين الاقتداء برسوله في جميع أعمالهم وأحوالهم ـ وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بغزوة الأحزاب فهي عامة في كل شيء . ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، وكما شرع الله الاقتداء برسوله شرع الاقتداء بأصحاب رسوله الكرام.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فأخبر سبحانه أنه رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وأعد لهم الجنات من غير تقييد، وقيد رضاه عن غيره ممن جاء بعدهم إلى يوم القيامة بشرط اتباعه للمهاجرين والأنصار بإحسان، أي: حالة كونه محسنًا باتباعه لهم في الأقوال والأعمال، وهذا يدل على مشروعية الاقتداء بهؤلاء الصحابة الكرام.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر، والخليفة الأعظم، أبا بكر رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذًا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من مدحهم الله ويبغضون من أحبهم الله، ويسخطون على من رضي الله عنهم.

عباد الله: وكما شرع الله الاقتداء برسوله محمد ﷺ وأتباعه في جميع الأعمال، فقد شرع الله الاقتداء بهم في البراءة من المشركين وفي مخالفتهم لهم، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦].

فقد شرع الله الاقتداء بالخليلين وأتباعهما في عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وفي البراءة من المشركين ومعاداتهم في الله، والبراءة من دينهم وأخلاقهم وعاداتهم الخاصة بهم، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله عبده محمدًا باتباعها في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، فهذا أصل القدوة.

ومن القدوة الحسنة والتقليد المحمود اقتداء الذرية بالآباء الصالحين، قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الطور: ٢١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله على هذه الآية: يخبر تعالىٰ عن فضله وكرمه ولطفه بخَلْقه وإحسانه: إن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم؛ لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم علىٰ أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك، ومن اقتداء الذرية بالآباء في اتباع الحق اقتداء نبي الله يوسف عليه السلام حين قال: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨].

يقول عليه السلام: هجرت طريق الكفر والشرك الذي عليه الكفرة والمشركون، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين، فصار ذلك سببًا في هداية الله لي وتعليمه إياي، وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدىٰ وترك طريق الضلال، وهكذا يكون الصالحون خلفًا لمن سلف، يكون الآباء قدوة لأبنائهم في الخير، وتكون الذرية تبعًا لهم في ذلك في سلسلة متصلة تسير إلىٰ الجنة علىٰ هدًىٰ ونور، .

ولكن المصيبة إذا فسد الآباء وكانوا قدوة سيئة لأولادهم في الضلال كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

ما ظنكم إذا كان الأب لا يصلي ولا يعرف المساجد، وإذا كان يتعاطىٰ المسكرات والمخدرات، أو يشرب الدخان الخبيث أمام أولاده، ما ظنكم إذا كان الأب لا يتورع عن كسب المال الحرام ولو عن طريق الربا والقمار، والرشوة، وبيع المواد المحرمة؛ كالتصاوير، والأفلام الخليعة وأدوات اللهو، ما ظنكم إذا كان الأب لا يتورع عن الغش في المعاملة، والفجور في الخصومة، والتزوير في الشهادة، والكذب في اليمين؟ ماذا تظنون في الذرية التي تشاهد كل هذه الجرائم تفعل أمامها وفي محيطها ويمارسها أبوهم وأقرب الناس إليهم؟ إنهم سيكونون كما قال الشاعر:

إذا كان رب البيت بالدف مولعا ... فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وكما قال آخر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

إنهم في الغالب سيقولون كما قال أسلافهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، لقد حرم الله على الأولاد الاقتداء بهؤلاء الآباء المنحرفين، قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، الآية. وقال تعالى في النهي عن طاعة الوالدين المنحرفين: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، فاتقوا الله أيها الآباء وكونوا قدوة صالحة لأولادكم كما أمركم الله بذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، ولا تكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، كيف نطلب من الشباب أن يبكروا إلى المساجد، لانتظار الجمع والجماعات وتلاوة القرآن في بيوت الله، وهم يشاهدون آباءهم ممن هم في سن الستين أو السبعين وهم آخر من يأتي إلى المساجد، وأول من يخرج منها، وأقل الناس رغبة فيها وفي عمارتها، لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، متأخرون يبخلون في أوقاتهم أن يصرفوا شيئًا منها في المساجد.

وإذا غلط أحدهم بعض المرات وجاء مبكرًا ندم على ذلك واعتبره وقتًا ضائعًا حيث لم يشغله بأمور الدنيا.

وإذا أردتم مصداق ذلك فانظروا فراغ المساجد فيما بين الأذان والإقامة في الأوقات الخمسة، ومن تفوتهم الصلاة أو بعضها بصفة مستمرة، وانظروا تأخرهم في الحضور لصلاة الجمعة التي يشرع التبكير فيها.

فاتقوا الله أيها الآباء وحاسبوا أنفسكم واعلموا أنكم محل القدوة وأن سوق التجارة الرابحة هو بذكر الله في المساجد والصلوات، وتلاوة السور والآيات، والإحسان والبر والصدقات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



الخطبة الثانية في القدوة الحسنة

الحمد لله رب العالمين، أمرنا بالاقتداء بأهل الخير والرشاد، ونهانا عن الاقتداء بأهل الشر والفساد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم المعاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من سائر العباد، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أن العلماء والمعلمين والدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم في طليعة من يقتدى بهم، فإن كانوا صالحين ومستقيمين فهم قدوة صالحة، وهم من أعظم الناس أجراً قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت: ٣٣]، وإن كانوا غير مستقيمين وغير عاملين بعلمهم وما يدعون الناس إليه فهم قدوة سيئة وهم من أشد الناس عذاباً، قال الله تعالى: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف: ٢، ٣].

فاقتدوا رحمكم الله بالعلماء والعاملين والدعاة المخلصين، واختاروا لأولادكم المعلمين الصالحين، واحذروا من علماء الضلال ودعاة الفساد والانحلال، والمعلمين المنحرفين في عقائدهم وأخلاقهم، فإن هؤلاء أخطر على الأمة من الأسلحة الفتاكة والأمراض الوبائية، ومن أشد ما يتأثر به الأطفال، والنساء، وضعاف الإيمان ما يشاهدونه على شاشة التلفاز، والفديو من الأفلام الخليعة، والمسلسلات الإجرامية التي تعرض الفحش في الأعراض، وتدس طرق السرقة واللصوصية، وتغري باستماع المعازف والأغاني الماجنة.

فأبعدوا عن أولادكم ونسائكم هذه الوسائل الخبيثة لتسلم لهم فطرتهم وتستطيعوا تربيتهم.

عباد الله: ومن أهم أنواع القدوة: الجلساء والقرناء والأصحاب، فإن كان هؤلاء طيبين في عقيدتهم وأخلاقهم، صاروا قدوة صالحة لمن جالسهم وصاحبهم، وأثروا فيه صلاحًا

واستقامة، وإن كانوا فاسدين في أخلاقهم ومنحرفين في عقيدتهم، صاروا قدوة سيئة لمن جالسهم وصاحبهم، وقد شبه ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك الذي يكتسب منه مُجالِسُه خيراً، إما بحصوله على شيء من المسك أو بتمتعه برائحته الطيبة وقت جلوسه معه، وشبه الجليس السيئ بنافخ الكير الذي إذا جلست عنده نالك منه مضرة إما بإحراق ثيابك أو تأذيك برائحة كريهة وقت جلوسك عنده.

فاتقوا الله وانظروا من تجالسون وتصاحبون، ومن يجالس ويصاحب أولادكم، فإن المرء على دين خليله وسيندم من صاحَب الفجار والأشرار، وترك مصاحبة الأخيار.

قال الله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً** ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

أيها المسلمون: لقد أخبر النبي ﷺ بحصول الأجر العظيم لمن كان قدوة في الخير لأنه سنَّ في الإسلام سنة حسنة، وأخبر بحصول الإثم العظيم لمن كان قدوة في الشر لأنه سنَّ في الإسلام سنة سيئة، فقد روى مسلم في «صحيحه» من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**».

فاتقوا الله عباد الله وكونوا قدوة لغيركم ولا تكونوا قدوة في الشر. . . .

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله. . . إلخ

بسم الله الرحمن الرحيم

في النهي عن التشبه بالكفار

الحمد لله رب العالمين، أتم علينا النعمة وأكمل لنا الدين، ونهانا عن التشبه بالكفار والمشركين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصًا له الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه رحمة للعالمين، وأمره بجهاد الكفار والمنافقين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا.

أمـا بعـد: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروا نعمته عليكم إذ هداكم للإسلام، وخصكم بمحمد نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، وجعلكم إن تمسكتم بهذا الدين، واتبعتم هذا الرسول خير أمة أخرجت الناس، يحتاج الناس إليكم لبيان العلم والهدىٰ، ولا تحتاجون إليهم.

لأن دينكم غني بالعقيدة الصحيحة، والشريعة العادلة، والأخلاق الفاضلة، والقدوة الحسنة، متضمن لهداية البشرية كلها إلىٰ طريق الرشاد وحصول السعادة العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، فهو دين عالمي صالح لكل زمان ومكان، ولكل فرد، ولكل أمة وجيل، وقال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء:٩] وقال تعالىٰ: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:١]، وقال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:١٠٧].

لما تمسك المسلمون الأوائل بهذا الدين سادوا العالم، وفتحوا البلاد شرقًا وغربًا وملئوها بالعلم والحكمة والعدل، وصاروا أئمة يقتدىٰ بهم، أعزة يخافهم عدوهم، أغنياء عما سوىٰ الله، يجودون بالخير علىٰ البشرية وما ذاك إلا لأن هذا الدين تنزيل من حكيم حميد، يعلم ما يصلح عباده وما يضرهم ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك:١٤]، ولكون هذا الدين غني بتعاليمه السامية، حكيم في تشريعاته العادلة فقد أمرنا الله بالتمسك به والعمل بأحكامه والاقتداء برسوله، ونهانا عن طلب الهدىٰ من غيره واستيراد النظم والقوانين المخالفة لأحكامه، وعن تقليد الأمم الكافرة في دياناتها وعاداتها، لأن هذا يعني التبعية لغيرنا، والتشبه بأعداء الله وأعدائنا من الكفار والمنافقين، قال تعالىٰ: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**﴾ [هود:١١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الحشر:١٩].

إن المسلم يجب عليه أن يعتز بدينه وأن يرفع به رأسه أينما كان لا تأخذه في الله لومة لائم، قال تعالىٰ: ﴿**وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون:٨].

لا يجوز للمسلم أن ينظر إلىٰ الكفار نظرة احترام وإكبار وإعظام، لأن الله قد أهانهم بالكفر: ﴿**وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ**﴾ [الحج:١٨].

ولا يجوز للمسلم أن ينظر إلىٰ ما بأيدي الكفار من متاع الدنيا نظرة إعجاب، ولكن يعتبر ذلك استدراجًا لهم وفتنة ومتاعًا إلىٰ حين، كما قال الله لهم: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]، بل المسلم يعتبر ما بأيدي الكفار عذابًا لهم في الدنيا يَشْقَون في تحصيله وجمعه، ويهتمون بحفظه ومنعه، ثم يؤخذون منه وهم علىٰ الكفر دون أن يستفيدوا منه لآخرتهم قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥].

والمؤمن سعيد بإيمانه، وإن أعطي من الدنيا شيئًا فهو زيادة خير وعون علىٰ الطاعة، وإن لم يعط منها فما عند الله خير له وأبقىٰ، والمؤمن سعيد في الدنيا والآخرة، سعيد في الدنيا؛ لأنه استفاد من حياته فيها بالأعمال الصالحة، وسعيد بالآخرة؛ لأنه فاز بالجنة الباقية خالدًا فيها، والكافر شقي في الدنيا والآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

فهو شقي في الدنيا؛ لأنه لم يستفد منها إلا إبعاد نفسه عن الله وعن جنته، وشقي في الآخرة؛ لأن مأواه النار خالدًا فيها وبئس المصير، إذًا كيف يليق بالمؤمنين الذين أعزهم الله بهذا الإسلام، ورفعهم به فوق الأنام، أن يقلدوا الكفار ويتشبهوا بهم؟ كيف يتشبه العالي بالسافل؟ كيف يتشبه الصاعد بالنازل؟ إن التشبه يقتضي أن المتشبَّه به أكمل من المتشبِّه، ولهذا حذرنا الله ورسوله من التشبه بالكفار في عباداتهم، وفي عاداتهم، وتقاليدهم، روىٰ الإمام أحمد، وأبو داود وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» وفي «جامع الترمذي» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله قال: «**ليس منا من تشبه بغيرنا، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى**».

وذلك لأن التشبه بالكفار يجر إلىٰ مفاسد عظيمة وعواقب وخيمة، منها: أن التشبه بهم يدل علىٰ تعظيمهم؛ لأن المتشبِّه بغيره يرىٰ أنه أكمل منه وإلا لما تشبه به، وهذا من المسلم شعور بالنقص وضعف في الشخصية وهو يجر إلىٰ الخضوع للكافر وتعظيمه وهذا أمر خطير.

ومنها: أن تشبه المسلم بالكافر هبوط وسفول؛ لأن المسلم أعلىٰ من الكافر، فإذا قلده

هبط من عليائه ومنزلته، واستبدل الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، وهذا كفران للنعمة، وإهانة للإسلام (والإسلام يعلو ولا يعلىٰ عليه) ومنها أن تشبه المسلم بالكافر يجرُّه إلىٰ موافقته في أخلاقه السيئة وأعماله الخبيثة، ومنها: أن تشبه المسلم بالكافر يبعث علىٰ محبته له وموالاته له. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١].

ومنها أن تشبه المسلم بالكفار يزيل الفارق بينه وبينه، والله تعالىٰ قد فرق بين المؤمنين والكفار في الأحكام، والأجسام في الدنيا والآخرة ولو كان من أقرب القرابة، وأمر المؤمنين بالهجرة من بلاد الكفار، وحرم السفر إلىٰ بلادهم بلا حاجة معتبرة، وفي التشبه بهم مدعاة لمخالطتهم والسكنىٰ معهم والسفر إليهم، ومرافقتهم وغير ذلك، وقد جر التشبه بالكفار في عصرنا إلىٰ شرور كثيرة، وأمور خطيرة منها:

التشبه بهم في تعظيم القبور والغلو في الصالحين وبناء المساجد علىٰ قبورهم مما هو وسيلة إلىٰ الشرك الأكبر. ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجد**».

ولا يخفىٰ اليوم ما وقع من الشرك الأكبر في هذه الأمة بسبب مشابهة اليهود والنصارىٰ في تعظيم القبور حتىٰ عبدت من دون الله عز وجل في بلاد الإسلام ومن ذلك بناء المساجد علىٰ آثار الأنبياء، كالمكان الذي جلس فيه نبي أو صلىٰ فيه أو رؤي في المنام أنه يصلي فيه وما أشبه ذلك.

ومنها: استيراد النظم والقوانين الكفرية والمبادئ الهدامة من رأسمالية، وشيوعية وغير ذلك من أنظمة الحكم، والاقتصاد، وغيرها حتىٰ حكم بغير ما أنزل الله واستبيح الربا وعطلت الحدود الشرعية في كثير من بلاد المسلمين تشبهًا بالكفار وجريًا وراءهم.

ومنها: إحداث أعياد بدعية ليست من أعياد المسلمين كأعياد الموالد للأنبياء أو العلماء أو للملوك أو الأعياد الوطنية أو القومية، والاحتفال بالذكريات كذكرىٰ المعراج والهجرة وغيرها تقليدًا للكفار الذين يحيون ذكريات لعظمائهم وأحداثهم التاريخية، نظرًا لفراغهم وإفلاسهم من الدين الصحيح الذي يستغلون به وقتهم، والمسلمون في غنىٰ عن هذا؛ لأن

الله قد من عليهم بدين يستثمر أوقاتهم بالخير.

ومن التشبه بالكفار إحداث الأسابيع المخصصة لبعض الأعمال، كأسبوع الشجرة وأسبوع النظافة، وأسبوع المساجد وأسبوع وأسبوع... إلخ والمسلمون ليسوا بحاجة إلى هذه الأسابيع؛ لأن الإسلام يحث على الأعمال النافعة بدون تحديد بأسابيع، فهو يحث على الزراعة وغرس الأشجار المفيدة في مواقعها، وأوقاتها المناسبة بدون أن تخصص لذلك أسابيع رسمية تجند لها الإمكانيات وتبث لها الدعايات، والإسلام يأمر بالنظافة دائمًا في الأجسام، والملابس، والبيوت، والشوارع ولم يخصص ذلك بأسبوع معين من السنة يعتنى بالنظافة فيه وتهمل فيما عداه أو تقل.

والإسلام يأمر بالعناية بالمساجد دائمًا، يأمر ببنائها وتنظيفها وتأمين متطلباتها وكل ما تحتاج إليه وما يخص ذلك بأسبوع من السنة يستنفر له الناس وتعمل له دعايات عريضة ثم تترك العناية بها في بقية السنة إلى مثل هذا الأسبوع من السنة القادمة، وهذا العمل زيادة على أنه تشبه فيه ابتداع أيضًا لأن تنظيف المساجد عبادة، وتخصيص تلك العبادة بأسبوع لم يخصصه الشارع يعتبر بدعة.

ومن التشبه بالكفار التخاطب بلغتهم من غير حاجة ماسة والكتابة بلغتهم على المتاجر والمحلات في بلاد الإسلام، أو خلط كلمات من لغتهم ومصطلحاتهم في الكتب الإسلامية، والرسائل وغيرها، واستعمال لغتهم بدل اللغة العربية، في المستشفيات والمطارات التي في بلاد المسلمين وفي موطن اللغة العربية واستعمال التاريخ الميلادي بدلاً من التاريخ الهجري كل ذلك من التشبه المحرم.

ومن التشبه بالكفار الإكثار من الأنشطة الرياضية التي تأخذ كثيرًا من جهود الشباب وأوقاتهم بدون فائدة لهم ولمجتمعهم إلى غير ذلك من أنواع التقاليد المستوردة.

فيجب على المسلمين التنبه لذلك والحذر منه، وعدم التساهل في شيء منه،

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في النهي عن التشبه بالكفار

الحمد لله رب العالمين، على فضله وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعتصموا بحبله وتمسكوا بدينه تفلحوا وتسعدوا ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١]، واعلموا أن الأخذ بالأسباب النافعة والاستفادة مما جدَّ من المخترعات الحديثة مما سخر الله لعباده في هذا الكون الاستفادة من ذلك أمر مطلوب شرعًا، وهو من إعداد القوة التي أمر الله بها، فكل ما في هذا الكون خلقه الله لعباده المؤمنين وسخره لهم وهو للمؤمنين أصالة والكفار تبع لهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

يقول الله تعالى ردًّا على من حرم شيئًا من المآكل والمشارب أو الملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله ﴿ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، أي: هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا، وإن شاركهم فيها الكفار في الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها أحد من الكفار، فإن الجنة محرمة على الكافرين . . .

لكن لما تكاسل المؤمنون انعكس الأمر وصار الكفار هم الذين يستخرجون هذه الأشياء ويبيعونها للمسلمين ويمتنون بها عليهم ويستعبدونهم من أجلها، إنه يجب على المسلمين أن يستعيدوا مركزهم ويعدوا العدة لعدوهم، فينشئوا المصانع ويستفيدوا من خبرات الآخرين ويستغلوا ما في الأرض من خيرات لصالح الإسلام والمسلمين، وليس هذا تقليدًا للكفار وإنما هو عمل بما تأمر به شريعتنا، ولكن مع الأسف المسلمون اليوم يستهلكون ولا ينتجون، صاروا عالة على غيرهم، وصاروا يقلدون الكفار لا في الإنتاج والتصنيع، وإنما في القشور والتوافه يستوردون الأفكار السخيفة والعادات السيئة التي تزيدهم ضعفًا إلى ضعفهم.

إن الإسلام لا يمنعنا من استيراد الخبرات النافعة وشراء الأسلحة والمنتجات المفيدة، وإن كان الأولى والواجب علينا أن ننتج ولا نستورد، ولكن الإسلام إنما يحرم علينا استيراد العادات والتقاليد الفاسدة ويحرم علينا التشبه بالكفار في عاداتهم، وعباداتهم وما هو من خصائصهم، ويوجب علينا أن نعتز بديننا ونستقل بشخصيتنا الإسلامية لأننا حملة دعوة، ومحل قدوة، وأصحاب عقيدة وعلينا مسئولية، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ.



في الابتلاء والامتحان واختلاف مواقف الناس منهما بمناسبة الامتحان المدرسي

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، خلق هذا الإنسان وجعله عرضة للابتلاء والامتحان. فمن أحسن فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ومن أساء فجزاء سيئة بمثلها أو يغفر الله لمن يشاء من أهل الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وأنزل عليه الحكمة والكتاب، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه، ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وسلم تسليمًا كثيرًا. . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنكم في دار ابتلاء وامتحان، تبتلون بالسراء والضراء وبالشدة والرخاء، وبالصحة والمرض، والغنى والفقر، وبالشهوات والشبهات، وبالأخيار والأشرار فما مواقفكم من هذه الأحوال؟ إن العاقل البصير يحسب حسابه لكل حالة وينظر ما يخرج به منها من نجاح أوفشل، فكل حالة تمر على الإنسان هو فيها ممتحن، قال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أي: نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**نَبْلُوكُم**﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أي نبتليكم ﴿**بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ**﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أي بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية والهدى والضلال، ثم قال تعالى: ﴿**وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [الأنبياء:

٣٥]، أي: فنجازيكم على مواقفكم من هذه الأحوال، فمن وقف منها موقف المؤمن واتقى الله في كل حال نال المثوبة، ومن أساء نال العقوبة، وبهذا تتبين وتتضح حكمة الله في خلقه وأمره، فهو سبحانه خلق هذه المتضادات وجعلها تمر على الإنسان ليمتحنه بها هل يصبر ويشكر أو يجزع ويكفر ويتكبر ويبطر، خلق الجوع والمرض والفقر والخوف والمصائب، وخلق الأشرار والفجار والمنافقين والكفار وخلق الشياطين والمفسدين، وخلق الغنى والصحة والأمن والنعم والسرور والفرح، وخلق الأخيار والأبرار والملائكة والأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين، وأمر بالبر والتقوى والعدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والطغيان، وعن الكفر والفسوق والعصيان، وأعطى الإنسان عقلاً وإرادة ومشيئة وقدرة واختياراً ليتمكن من فعل الخير بإرادته وفعل الشر بإرادته كذلك بعدما بين له السبيل وأقام له الدليل، ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا ④ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ⑤ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢-٦].

إن الإنسان تجاه الابتلاء بهذه المكاره والمشتهيات، وأمام دعاة الخير، ودعاة الشر، وأمام نوازعه وميوله لابد أن يكون له موقف وانحياز، إما إلى الخير وإما إلى الشر، وسيكون جزاؤه عند الله على حسب ذلك الانحياز قال تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ⑥ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ⑨ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٤-١٠].

إن الله يبتلي الإنسان بالمال، ليتجلى موقفه منه، هل يشكر النعمة أو يكفرها؟ هل يؤدي حق المال أو يبخل به؟ هل يقتصر على الكسب الحلال أو يتجاوز إلى الحرام؟

ويبتلي بعض الناس بالأولاد ليتجلى موقفه منهم هل يربونهم التربية الحسنة ويأمرونهم بطاعة الله وينهونهم عن معصيته، ويراقبون تحركاتهم وتصرفاتهم؟ وهل يقدمون محبة هؤلاء الأولاد على محبة الله ورسوله إذا تعارضت المحبتان أو بالعكس؟ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑭ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤-١٥].

ومن فتنة الأموال والأولاد أنها قد تشغل عن ذكر الله وقد حذر الله من ذلك وأخبر أن من اشتغل بماله عن ذكر الله فهو الخاسر الذي لا يربح ولا يفلح أبداً. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

وأخبر سبحانه أنه قد يعطي المال والولد عقوبة واستدراجًا للعبد، قال تعالى في المنافقين: ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال في الكفار: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٤-٥٦].

نعم إن في الناس - وخاصة في هذا الزمان - من إذا زاد ماله زاد إعراضه عن الله فأضاع الصلاة واتبع الشهوات، ومنع الزكاة، وملأ بيته بالملاهي والأغاني والمزامير والأفلام الخليعة، وجلب الكفار إلى بلاد المسلمين ليستخدمهم في أعماله، وتنمية ماله، دون النظر إلى ديانتهم الباطلة وعقائدهم الكفرية، وقد يخلطهم مع نسائه وأولاده خادمين وسائقين دون النظر إلى ما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة، وانتهاك المحارم، وفساد الأعراض، فكم نتج عن هذا من حوادث وخيمة وعواقب أليمة، حاولوا سترها فلم يستطيعوا، وأعظم من ذلك أن بعض هؤلاء يجلبون نساء أجنبيات، وفتيات جميلات سافرات ليس معهن محارم ويدخلونهن في بيوتهم كأنهن من بناتهم وزوجاتهم ينظرون إليهن ويخلو أحدهم بهن من غير حياء ولا خجل، وقد حرم الله على الرجال أن ينظروا أو يدخلوا أو يخلوا بالنساء اللاتي لسن من محارمهم، وكل هذه المحرمات يرتكبها هؤلاء مع خادماتهم، وكل ذلك فتنة الغنى والترف.

ومن الآباء من ضيع أولاده فلم يربهم التربية النافعة في دينهم، وأخلاقهم، وإنما يربيهم التربية البدنية البهيمية فقط فيوفر لهم الطعام اللذيذ، والملابس الفاخرة، والسيارات الفارهة ويملأ جيوبهم بالدراهم ويتركهم وشأنهم مع قرناء السوء ومجالس اللهو والتجوال في الشوارع وربما يسمح لهم بالسفر إلى الخارج ليستكملوا ما لم يحصلوا عليه في بلادهم من شهواتهم المحرمة، قد يقول بعض هؤلاء الآباء: أنا لا أقدر ولا أستطيع السيطرة على تصرفات أولادي فنقول له: نعم لما ضيعتهم في أول الأمر، وأهملت في تربيتهم من الصغر صعب عليك بعد ذلك تعديل سلوكهم وتمردوا عليك، لقد أمرك النبي ﷺ أن تبدأ معهم التربية في وقت تستطيع فيه فقال عليه الصلاة والسلام: «**مُرُوا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

فلو نفذت فيهم أمر الرسول ﷺ في وقته أعانك الله وسهل قيادهم، ولكن ضيعتهم فضاعوا، فاجنِ الآن ثمرات تضييعك وسوء صنيعك.

فاتقوا الله أيها الآباء في أولادكم وأحسنوا تربيتهم ليكونوا لكم قرة أعين في حياتكم وخلفًا صالحًا بعد وفاتكم، ولا تهملوهم فيكونوا عذابًا لكم في حياتكم وخلفًا سيئًا بعد وفاتكم.

هذا وإن من الآباء من يكون قدوة سيئة لأولاده ويكون سببًا في إفسادهم؛ لأنه يتعاطى أمامهم المسكرات، والمخدرات، ويتكاسل عن الصلاة ويملأ بيته بالمنكرات وآلات اللهو كالفيديو بأفلامه الخليعة ومسلسلات التمثيليات التي دسها الكفار على المسلمين لإفساد عقائدهم وأخلاقهم، وأشرطة الأغاني الماجنة التي تدعو إلى العشق والغرام وتصف الخدود والنهود وكل ما يغري بالفحش والإجرام.

فماذا تتصورون من تأثير هذا الوالد الخائن لأمانته على سلوك أولاده؟ إن مثل هذا الوالد يجب أن يودع في دور الرعاية أو مستشفى المجانين حتى يعتدل سلوكه، أو يَسْلَم الأطفال الأبرياء من شره نسأل الله العافية والسلامة.

ومن الابتلاء والامتحان ابتلاء المسلمين بالكفار والمنافقين، ليقوم المسلمين بجهاد هؤلاء باللسان والسلاح حتى يكفوا شرهم ويردوا عدوانهم، ويزيلوا كفرهم وطغيانهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

فالرسول فتنة للمُرْسَل إليهم، واختبار للمطيعين من العاصين، والرسل فتنَّاهم بدعوة الخلق هل يصبرون على ذلك أو لا؟ والغني فتنة للفقير حينما يراه في غنى وهو في فقر هل يرضى بقضاء الله أو يتسخط؟ والفقير فتنة للغني حينما يراه في فقره وحاجته وهو قد أغناه الله هل يشكر الله حيث فضله عليه ويعطف عليه أو لا؟ والعاصي فتنة للمستقيم على الطاعة هل ينكر عليه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المعصية أو يتركه على حاله؟ وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار، دار الفتن والابتلاء والاختبار، والحكمة في ذلك كله بينها سبحانه بقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، بأن يقوم كل منكم تجاه هذه الفتنة بما يجب عليه

من العمل بما يخلصه منها فتستحقون المثوبة، أم لا تصبرون فتسقطون في هذا الامتحان فتستحقون العقوبة؟!

ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ [الفرقان: ٢٠]، يرى ويعلم أحوالكم وما يصدر منكم ويرى مواقفكم من هذه الفتن فيجازي كلا بما يستحق، والمصائب التي يجريها الله على العباد فتنة وابتلاء ليتميز الصابر من الجزوع. قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال النبي ﷺ: «**إن عظم الجزاء من عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**» حسنه الترمذي.

نسأل الله عز وجل العفو والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في الابتلاء والامتحان

الحمد لله رب العالمين، خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، ولم يترك عباده في هذه الحياة الدنيا هملاً، بل أنزل عليهم لأجل هدايتهم كتبًا وأرسل إليهم رسلا، وجعل موعداً لمجازاتهم لن يجدوا من دونه موئلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيراً. . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله وتذكروا، فإن الشيء بالشيء يذكر، وفي هذه الأيام يستعد الطلاب للامتحان في دروسهم ويحملون الهم الشديد ويتعبون أبدانهم بالسهر، والمذاكرة وأذهانهم بالتفكير وهم على خوف شديد من سوء النتيجة، ويتعب معهم

آباؤهم، وأولياؤهم، يخافون لخوفهم ويقلقون لقلقهم وربما يستأجرون لهم من يعطيهم دروسًا إضافية للتقوية، وإذا أخفقوا في الامتحان حزنوا أشد الحزن وصاروا يلومونهم على تفريطهم، كل هذا يتحملونه من أجل امتحان الدنيا وهو لا يترتب عليه سعادة ولا شقاوة ولا نعيم ولا عذاب ولا طاعة ولا معصية، وينسون الامتحان الحقيقي الذي يجري عليهم من الله في كل يوم أو في كل ساعة، وينسون أنهم ممتحنون في الأوامر، والنواهي الشرعية وأنهم ممتحنون في أزواجهم، وأولادهم وممتحنون في أموالهم، ممتحنون في سرائهم وضرائهم، ممتحنون بأعدائهم وأصدقائهم، فهم دائمًا في امتحان لا يخرجون من نوع إلا ويدخلون في نوع آخر من الامتحان، والنتيجة إما سعادة وإما شقاء، إما جنة ورضوان من الله، وإما نار وغضب من الله، لماذا لا يتذكرون هذا الامتحان المستمر ويحسبون له حسابه ويستعدون له مع امتحان الدراسة الذي يحملون له هذا الهم الشديد مع أنه يمكن اجتيازه بالغش والتزييف والاحتيال، وأما الامتحان الرباني فلا يمكن اجتيازه والنجاة منه إلا بالصدق والعمل الصالح، ثم لماذا أيها الآباء تهتمون بشأن أولادكم عند الامتحان الدراسي وتعملون كل ما يمكنكم من الأسباب لنجاحهم ولا تهتمون بدينهم وتربيتهم على الخير، وتعملون الوسائل التي تُعينهم على ذلك، لماذا ظهرت عاطفتكم الأبوية وقدرتكم الشخصية على مساعدتهم في أمور الدنيا، وتعاجزتم وتكاسلتم عن مساعدتهم على أمور الدين، هل أمور الدنيا أهم عندكم من أمور الدين: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]. فاتقوا الله عباد الله، ولا تهملوا فتندموا حين لا ينفعكم الندم، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة عطلة نصف السنة الدراسية وما ينبغي فعله فيها

الحمد لله رب العالمين أمر بحفظ الأوقات، فيما ينفع من فعل الخير، والطاعات، ونهى عن إضاعتها في اللهو والغفلات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وما له من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أول سابق إلى الخيرات، ومحذر عن طريق الهلكات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب العظيمة والكرامات وسلم تسليمًا كثيرًا. . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروا نعمه عليكم، واحفظوا أوقاتكم فيما يفيدكم، ولا تستعينوا بنعمه علىٰ معاصيه، ولا تضيعوا أوقاتكم فيما تندمون عليه يوم الحساب فإن أعماركم محدودة، وأعمالكم مشهودة، وعند الموت يقول المفرط والمضيع لأوقاته: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] وأنكم ستحاسبون علىٰ هذه النعم التي بين أيديكم بماذا صرفتموها، وماذا أديتم من شكرها؟ قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة، والأمن، والرزق وغير ذلك ماذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه يومًا لما أكلوا من البسر والرطب وشربوا عليه من الماء: «**هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة**» وروىٰ الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «**إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعم أن يقال له: ألم نصح لك بدنك ونروك من الماء؟!**».

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿**ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم**﴾ [التكاثر: ٨]، قال الأمن والصحة، وقال زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ ﴿**ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم**﴾ [التكاثر: ٨]، يعني: شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم: رواه ابن أبي حاتم. وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا، وثبت في «صحيح البخاري» وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» ومعنىٰ هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون، وروىٰ الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك؟!!**».

فيا عباد الله: انظروا ماذا تتمتعون به اليوم من نعم الله العظيمة، أمن في الأوطان، وصحة في الأبدان، ووفرة في الأموال، والأرزاق، ورفاهية في المآكل، والمشارب، والمساكن والمراكب، وطمأنينة في النفوس وراحة من الهموم والأحزان، وفراغ من الأشغال المتعبة فأين شكر هذه النعم. وبماذا تصرفونها وما هي إجابتكم يوم تحاسبون عنها؟

إننا نرىٰ الكثير يستعينون بنعم الله علىٰ معاصيه ويضيعون فرائضه ويفعلون ما حرم الله

عليهم ويضيعون أوقاتهم؟ ويستنفدون قواهم في اللهو، والغفلة، والفسوق، والعصيان...

وإننا بمناسبة حلول عطلة نصف السنة الدراسية، نحذر إخواننا، وخصوصًا الشباب من تضييعها في الغفله، واللهو، واللعب، واستغلالها في المرح، والفرح المذموم، بعضهم يخرجون إلى البراري في تلك الأيام ويكونون اجتماعات في الغالب أنها تكون سيئة يخالطون فيها العصاة، ويضيعون فيها الصلوات، ويستعملون الملاهي وآلات الطرب والطبول، ويستمعون إلى المغنين والمطربين وربما يشربون المسكرات، ويسرفون في طبخ الأطعمة واللحوم التي لا يؤكل منها إلا القليل وأكثرها يهدر في التراب، وهذه أعمال سيئة وكفران للنعم، ونخشى على هؤلاء، وعلى غيرهم ممن لا ينكر عليهم نخشى عليهم من العقوبة العاجلة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وكم أهلك الله من أمثال هؤلاء عند غفلتهم، وسكرتهم، وكفرانهم للنعم، فالواجب على المسلمين الحذر من معاصي الله، والمحافظة على نعم الله، والانضباط في صرف الأموال، والأوقات فيما ينفع ويفيد؛ لأن كفر النعم يعرضها للزوال ويعرض من كفرها للعقوبة في الدنيا والحساب الشديد في الآخرة؛ لأن الإنسان لم يُعط هذه النعم إلا بثمن، وثمنها هو شكرها وصرفها في طاعة الله، ثم أيضًا هذه النعم إنما تعطى للعبد من أجل الابتلاء والامتحان قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فقيدوا نعم الله أيها الناس بشكر النعم واعتبروا بمن حولكم ممن سلبت منهم هذه النعم، فبدلوا بالأمن خوفًا، وبالشبع جوعًا، وبالصحة أوجاعًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وبعض الشباب يستغل هذه العطلة في السفر إلى الخارج لقضائها في الفساد وإعطاء نفسه ما تشتهي من الشهوات المحرمة والأفعال الخبيثة، وهذا أشد جرمًا، وأعظم إثمًا، ومثل هذا يجب الأخذ على يده من قبل أوليائه أولاً ثم من قبل الحكومة بأن لا تمنحه جواز السفر، حفاظًا عليه وعلى دينه وحفاظًا على المجتمع من شره، إذا سافر وعاد إليه ملطخًا بجرائمه، ولئلا يكون قدوة سيئة لغيره من الشباب.

لا مانع أن الإنسان يتمتع بنعم الله، ويلذذ نفسه في حدود المباح الذي لا يلهي عن ذكر

الله ومن غير إسراف ولا إفساد، لا مانع أن الإنسان يخرج للبر لأجل النزهة ولكن مع المحافظة على طاعة الله، وأداء الصلاة مع الجماعة في أوقاتها، واختيار الجلساء الصالحين الذين يعينونه على طاعة الله ويبصرونه بطريق الخير.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١-٣٤] أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...



من الخطبة الثانية
في مناسبة عطلة نصف السنة الدراسية

الحمد لله رب العالمين، قدر الأرزاق والآجال، وأمر باغتنام الأوقات في صالح الأعمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كانت كل أوقاته طاعات. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً...

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وحافظوا على أوقاتكم أكثر مما تحافظون على أموالكم، فإن الأوقات أنفس من الأموال، لأن الأموال إذا ضاعت يمكن أن تعود، والأوقات إذا ضاعت لا تعود، وإتماماً للحديث عن عطلة نصف السنة الدراسية نقول: إن الحكومة وفقها الله جعلت هذه العطلة للانتقال من فصل دراسي إلى فصل آخر، ولتمكين الطلاب من قضاء بعض أشغالهم الضرورية كالسفر لزيارة الأقارب أو لأداء العمرة وما أشبه ذلك مما فيه مصلحة مستحبة أو مباحة فينبغي استغلال هذه الفترة فيما يفيد، وأن لا تضاع في اللهو واللعب والغفلة، لأن ذلك يضر ولا ينفع، ويكسل عن الطلب ويسبب ضياع المعلومات، ويميت الذاكرة.

ثم إنه يجب على أولياء أمور الطلبة أن يوجهوهم الوجهة الصالحة في استغلال أوقات فراغهم فيما يفيدهم ويعود عليهم بالنفع.

فاتقوا الله عباد الله وتعاونوا على البر والتقوى، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في فضل الدعاء والاستغفار مع سلامة العقيدة

الحمد لله رب العالمين على فضله وإحسانه، كتب على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح أن يغفر له ويرحمه مهما بلغت ذنوبه وعظمت عيوبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يفرح بتوبة عبده وهو غني عنه، وعبده يعرض عنه وهو فقير إليه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان يتوب إلى ربه. ويستغفره في اليوم أكثر من سبعين مرة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً....

أما بعد: أيها الناس: اتقوا ربكم وتوبوا إليه من ذنوبكم ولا تقنطوا من رحمته مهما بلغت ذنوبكم، فإنه يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها. كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم إنك لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقد تضمن هذا الحديث أموراً ثلاثة تحصل بها المغفرة.

الأمر الأول: الدعاء مع الرجاء وهو في قوله: «**إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي**»ففيه أنه لابد من الجمع بين الدعاء ورجاء الإجابة، فلو دعا بدون رجاء لم يستجب له، لأن ذلك قنوط من رحمة الله، والقنوط من رحمة الله ضلال كما قال تعالى: ﴿**قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ**﴾ [الحجر: ٥٦] وإن رجا بدون دعاء لم ينفعه هذا الرجاء لأنه لم يفعل السبب الذي يحصل به المطلوب، والله قد ربط الأمور بأسباب لا بد من فعلها، ومن تركها كان عاجزاً مهملاً كما قال النبي ﷺ، «**والعاجز من**

أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» وفي قوله تبارك وتعالى: «**غفرت لك ما كان منك ولا أبالي**» بيان سعة مغفرة الله، وأنه مهما كثرت ذنوب العبد فإن الله يغفرها له ولا يتعاظم كثرتها، لأنه سبحانه: «**لا يتعاظمه شيء**» ما دام العبد قد أتى بسبب المغفرة، أما من يكثر من الذنوب ويترك التوبة اعتماداً على سعة مغفرة الله وعفوه فإنه خاسر لأنه أمن مكر الله، والله تعالى يقول: ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الاعراف:٩٩]، ومكر الله سبحانه هو استدراجه للعاصي ثم أخذه بالعقوبة على غرة وغفلة، قال الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

الأمر الثاني: مما تضمنه الحديث بيان أن الاستغفار (وهو طلب المغفرة)، لا يبقي من الذنوب شيئًا، بل يمحوها ولو كبر حجمها وبلغ ارتفاعها العنان وهو السحاب، فإن الله يغفرها، وقد أمر الله بالاستغفار في مواضع من كتابه، ومدح أهله ووعدهم بمغفرة ذنوبهم وتكفير خطاياهم، ولا بد من الاستغفار مع عدم الإصرار على الذنب؛ بمعنى أن المستغفر يترك الذنوب المستغفر منها فإن لم يتركها لم ينفعه الاستغفار، لأنه حينئذ يكون استغفاراً باللسان فقط، والله يقول: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران:١٣٥].

وللاستغفار ساعات يرجى قبوله فيها أكثر من غيرها كأدبار الصلوات ووقت الأسحار، قال تعالى: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾ [آل عمران:١٧]، وقال تعالى: ﴿**وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الذاريات: ١٨]، وأفضل أنواع الاستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على الله ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة، كما ثبت في «الصحيح» عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»وينبغي الإكثار من الاستغفار اقتداء بالنبي ﷺ ففي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**» وينبغي أن يقرن الاستغفار بالتوبة فيقول: أستغفر الله وأتوب إليه، كما في هذا الحديث، وكما في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾ [هود:٩٠]، وذلك ليجمع بين

الاستغفار باللسان والإقلاع عن الذنب بالقلب والجوارح وهذا معناه عدم الإصرار على الذنب.

الأمر الثالث: مما تضمنه هذا الحديث أن التوحيد هو الشرط الأعظم بل هو الأساس لمغفرة الذنوب فمن فقده فقد المغفرة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة:٧٢]، وفي هذا الحديث يقول الله تعالى: «**يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**» وقراب الأرض. بضم القاف ملؤها أو ما يقارب ملأها، دل الحديث على أن الموحد تُرجى له المغفرة ولو كثرت ذنوبه فإن ما معه من التوحيد ما يكفر به الذنوب مهما عظمت ومهما كثرت، وهذا مقيد بمشيئة الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ**﴾ [النساء: ٤٨]، أي ما دون الشرك ﴿**لِمَن يَشَاءُ**﴾ [البقرة:٢٦١]، ففيه فضل التوحيد وبيان ما يكفر من الذنوب، وأن من لقي الله، ومات عليه فإنه ترجى له المغفرة، وفيه التحذير من الشرك لأنه لا يغفر لصاحبه ولو أتعب نفسه بالعمل ولسانه بالاستغفار ولو أنفق جميع ما في الدنيا فلن يقبل منه ولن يغفر له ما دام على الشرك، ولكن ما هو الشرك الذي هذا خطره؟ كثير من المنتسبين إلى الإسلام يظنون أن الشرك يقتصر على عبادة الأصنام التي كان أهل الجاهلية يعبدونها، مثل اللات والعزى ومناة، وأما عبادة القبور والاستغاثة بالأموات ودعاؤهم من دون الله، وطلب المدد من الحسين، والبدوي، والشاذلي، والعيدروس فهذا ليس بشرك، وكأن الشرك أمر اصطلاحي يتغير من عرف إلى عرف، وما دروا أن أول شرك حدث في العالم هو الذي يقولون إنه ليس بشرك وإنما هو توسل بالصالحين، فقد كان الشرك الذي في قوم نوح هو الغلو في الصالحين والتوسل بالأموات، ولما دعاهم نوح عليه السلام إلى تركه: ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ [نوح:٢٣]، وقد روى البخاري عن ابن عباس: أن هذه أسماء رجال صالحين في قوم، ماتوا، فعبدوهم من دون الله، نسأل الله أن يرزقنا البصيرة في دينه، ومعرفة الحق والعمل به، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في فضل الدعاء والاستغفار

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين، وأشهد أن محمداً خاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى ووثقوا صلتكم به بطاعته وفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه والإكثار من دعائه، فإنه لا غنى بكم عنه طرفة عين، وهو يأمركم بدعائه واستغفاره مع غناه عنكم، وأنتم تعرضون عنه مع فقركم وحاجتكم إليه.

وهذا من عجائب نفسية هذا الإنسان قال تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨]، أي لا يعرف إلا الساعة الراهنة، فإن أصابته نعمة أشر وبطر، وإن أصابته محنة يئس وقنط. هذه طبيعة الإنسان إلا مَنْ منّ الله عليه بالإيمان، فإن المؤمن كما قال النبي ﷺ: «إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن» وكذلك هذا الإنسان هو دائماً في حاجة إلى ربه لكنه لا يدعوه تكبراً، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وكذلك هذا الإنسان لا يستغفر ربه وهو محمل بالذنوب ومعرض لعقوباتها، لكنه لا يستغفر إما لأنه آمن من مكر الله، أو لأنه قانط من رحمة الله. كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

فاتقوا الله عباد الله وأكثروا من دعائه واستغفاره وأخلصوا له العبادة يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله. . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في تحريم معاداة أولياء الله

الحمد لله رب العالمين، أنزل على عبده الكتاب والحكمة، وجعل في اتباعه الهدى والرحمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه . . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أن النبي ﷺ قد أُوتي القرآن العظيم وأُوتي مثله معه، ومما أوتيه، الأحاديث القدسية التي يرويها عن ربه تعالى، ومنها ما رواه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**» الولاية بفتح الواو: المحبة وضدها العداوة، والولي: ضد العدو، وأولياء الله هم: المؤمنون المتقون، قال تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فكل مؤمن تقي فهو ولي لله بحسب إيمانه وتقواه، وكل كافر فهو عدو لله، والمؤمن العاصي يجتمع فيه الأمران، فهو ولي لله بحسب ما فيه من الإيمان، وعدو لله بحسب ما فيه من العصيان، فليس الولي معصومًا من الخطأ كما يزعم بعض الغلاة فيمن يسمونهم أولياء، وليس لهم تصرف في الكون ولا قدرة على جلب النفع ودفع الضر وشفاء المرضى وتفريج الكربات، كما يزعم ذلك كثير من الخرافيين الذين يتعلقون بالأولياء ويعبدونهم من دون الله ويستغيثون بهم في الملمات، ويطلبون منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، ويتبركون بتربتهم وأضرحتهم، وينذرون لهم، ويذبحون لهم القرابين، كما كان المشركون في الجاهلية يفعلون ذلك، كما قال تعالى عنهم: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ** ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ [الزمر: ٣]، وغير ذلك من الآيات، وليس كل من ادعيت له الولاية يكون وليًا، أما الولي من كان مؤمنًا تقيًا، وهو فقير محتاج إلى ربه لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا، وأولياء الله تجبُ محبتهم واحترامهم بدون غلو فيهم

وإفراط في حقهم. وذلك بأن يطلب منهم ما لا يطلب إلا من الله، وتحرَّم عداوتهم، وتنقصهم وأذيتهم، وقد توعد اللَّهُ مَن فعل ذلك بقوله في هذا الحديث: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**» يعني: فقد أعلمته بأني محارب له حيث كان محاربًا لي بمعاداته أوليائي، وهذا منطبق بالدرجة الأولىٰ علىٰ من عادىٰ الصحابة رضي الله عنهم، وأبغضهم من الشيعة والمبتدعة، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحُد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا، فمن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**». خرجه الترمذي وغيره. وقال ابن دقيق رحمه الله: وولي الله تعالىٰ هو الذي يتبع ما شرعه الله تعالىٰ، فليحذر الإنسان من إيذاء قلوب أولياء الله عز وجل، ومعنىٰ المعاداة أن يتخذه عدوًا، ولا أرىٰ المعنىٰ إلا من عاداه لأجل ولاية الله، أما إذا كانت لأحوال تقتضي نزاعًا بين وليين لله محاكمة أو خصومة راجعة إلىٰ استخراج حق غامض فإن ذلك لا يدخل في هذا الحديث، فإنه قد جرىٰ بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خصومة، وبين العباس وعلي رضي الله عنهما، وبين كثير من الصحابة، وكلهم كانوا أولياء الله عز وجل، انتهىٰ.

ثم بين سبحانه وتعالىٰ الأسباب التي تُنال ولاية الله تعالىٰ بها ويكون العبد بها وليًا لله - أي محبوبًا له - فتحرم حينئذ معاداته فقال: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه**» فبين أن سبب الولاية، هو التقرب إليه سبحانه بطاعته، فأولياء الله هم الذين يعملون ما يقربهم منه من العمل بطاعته وترك معصيته، وهذا يبطل دعاوىٰ الذين يدعون الولاية لأناس يخالفون شرع الله، ويعملون بالبدع والخرافات والشركيات، فهؤلاء هم أعداء الله علىٰ الحقيقة، ليسوا أولياءه: ﴿ **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وهؤلاء أعداء الله الذين أبعدهم منه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم، وإن ادعوا أو ادعي لهم أنهم أولياء الله ليتخذوا من هذه الدعوىٰ حرفة يختلون بها الناس، ويسلبون بها أموال العوام، فقد أصبح لقب الولاية والأولياء في هذا الزمان مصدر ارتزاق تبنىٰ له الأضرحة وتفتح فيها صناديق النذور وتوظف حولها السدنة لحراسة تلك المصائد وحفظ ما يدفع لها من أموال بغير الحق، إن أولياء الله أيها المخرفون لا يدعون لأنفسهم أنهم أولياء الله، ولا يدعي المسلمون الولاية لمعين إلا بشهادة من الرسول ﷺ بذلك. لكنهم يرجون للمؤمن الخير ويخافون علىٰ

المسيء الشر، ويحبون أهل الخير ويكرهون أهل الشر، وفي قوله تعالىٰ: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**» دليل علىٰ وجوب العناية بالفرائض وأدائها قبل النوافل، وأن النافلة لا تُقبل إلا بشرط أداء الفريضة، وفي قوله تعالىٰ: «**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**» دليل علىٰ فضيلة فعل النوافل والإكثار منها لأنها تسبب محبة الله لفاعلها، ولأنها تكمل بها بعض الفرائض إذا حصل فيها نقص، ومعنىٰ قوله تعالىٰ: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به. وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش به، ورجله التي يمشي بها**» معنىٰ ذلك: أن الله يسدده ويحفظه في سمعه، وبصره، ويده، ورجله، فلا يباشر بهذه الجوارح معصية من المعاصي، وإنما يستعملها في طاعة الله عز وجل، قال ابن دقيق العيد: ومعنىٰ ذلك: أنه لا يسمع ما لم يأذن الشرع له بسماعه، ولا يبصر ما لم يأذن الشرع له في إبصاره، ولا يمد يده إلىٰ شيء ما لم يأذن الشرع له في مدها إليه. ولا يسعىٰ إلا فيما أذن الشرع في السعي إليه. انتهىٰ. ومما يدل علىٰ هذا التفسير قوله في آخر الحديث: (**ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**) ومعناه: أن الله تعالىٰ يكون معه بتوفيقه ونصره وحفظ جوارحه من كل محذور، لأن الجزاء من جنس العمل، والله تعالىٰ يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في تحريم معاداة أولياء الله

الحمد لله رب العالمين، أمرنا بموالاة عباده المؤمنين، ونهانا عن موالاة الكفار والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلىٰ الناس أجمعين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وكونوا مع الصادقين واعلموا أن المعاصي كلها محاربة لله عز وجل، قال الإمام ابن رجب رحمه الله: واعلم أن جميع المعاصي محاربة لله تعالىٰ. قال الحسن: ابن آدم هل لك بمحاربة الله عز وجل من طاقة؟ فإن من عصىٰ الله فقد حاربه، لكن كلما كان الذنب أقبح كانت المحاربة لله أشد، ولهذا سمىٰ الله تعالىٰ أَكَلَةَ الربا

وقطاع الطريق محاربين لله تعالىٰ ورسوله لعظم ظلمهم لعباده، وسعيهم بالفساد في بلاده، وكذلك معاداة أوليائه فإنه تعالىٰ يتولىٰ نصرة أوليائه ويؤيدهم، فمن عاداهم فقد عادىٰ الله وحاربه، وقد روىٰ الإمام أحمد في كتاب «الزهد» عن وهب بن منبه قال: (إن الله تعالىٰ قال لموسىٰ عليه السلام حين كلمه: **اعلم أن مَن أهان لي وليًا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وعاداني، وعرض نفسه ودعاني إليها، وإن أسرع شيء إليّ نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يعاديني أن يعجزني، أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، فلا أكل نصرتهم إلى غيري**). فاتقوا الله عباد الله وكونوا من الذين يوالون الله بالطاعة، ولا تكونوا من الذين يحاربونه بالمعصية ومعاداة أوليائه، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان بأشراط الساعة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، و صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أن الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح الإيمان إلا بها.

ولما كان ذلك اليوم مسبوقًا بعلامات تدل علىٰ قرب وقوعه، تسمىٰ أشراط الساعة ناسب أن نعرفها لأن الإيمان بها واجب وهو من صلب العقيدة، قال تعالىٰ: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ [القمر: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا**﴾ [محمد: ١٨] أي: علاماتها وأمارتها، واحدها شرط.

قال الإمام البغوي رحمه الله: وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة، وقال تعالىٰ ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**﴾ [الشورىٰ: ١٧] وقال تعالىٰ: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾ [الزخرف: ٦٦] ولقرب وقوع هذا اليوم، وتحققه جعله سبحانه كغد، قال

تعالى: ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨] والغد: هو ما بعد يومك، . وقال تعالى: ﴿ إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ﴾ [المعارج: ٦، ٧].

وروى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعًا: (**بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى**) وفي «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: (**إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وفي لفظ إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس**) ولما كان أمر الساعة شديدًا كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها.

ولهذا أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها وأخبر عما يأتي بين يديها من الفتن، ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لذلك، أما وقت مجيئها فهو مما انفرد الله تعالى بعلمه وأخفاه عن العباد لأجل مصلحتهم، ليكونوا على استعداد دائمًا كما أخفى عن كل نفس وقت حلول أجلها لتكون دائمًا على أهبة الاستعداد والانتظار ولا تتكاسل عن العمل.

قال العلامة السفاريني: ثم اعلم أن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

قسم ظهر وانقضى: وهي الأمارات البعيدة.

وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في زيادة.

والقسم الثالث: الأمارات الكبيرة والتي تعقبها الساعة وهي تتتابع كنظم خرزات انقطع سلكها.

فالأولى: أعني التي ظهرت ومضت وانقضت، منها بعثة النبي ﷺ وموته، وفتح بيت المقدس، ومنها قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال حذيفة: أول الفتن قتل عثمان (وذكر الحروب التي وقعت بين المسلمين بعد ذلك، وظهور الفرق الضالة كالخوارج والرافضة) ثم قال: ومنها: خروج كذابين دجالين كلٌّ منهم يدعي أنه نبي، ومنها زوال ملك العرب، رواه الترمذي، ومنها: كثرة المال، رواه الشيخان وغيرهما، ومنها كثرة الزلازل، والخسف، والمسخ، والقذف، وغير ذلك مما أخبر عنه النبي ﷺ أنه من أمارات الساعة فظهر ومضى وانقضى.

الثانية: الأمارات المتوسطة وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدًا، منها قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع**» رواه الإمام أحمد والترمذي والضياء المقدسي، من حديث حذيفة رضي الله عنه، واللكع:

العبد، والأحمق، واللئيم والمعنى لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس.

ومن الأمارات قوله ﷺ **«يأتي على الناس زمان، الصابر على دينه كالقابض على الجمر»** رواه الترمذي عن أنس.

وقوله ﷺ **«لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»** رواه الإمام أحمد، وأبو داود ،وابن حبان، وابن ماجه، عن أنس رضي الله عنه .

وقوله ﷺ **«يكون في آخر الزمان عباد جهال، وقراء فسقة»** وفي لفظ: **«فساق»** رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس.

ومنها: أن يُرى الهلال ساعة يطلع فيُقال لليلتين، لانتفاخه وكبره روى معناه الطبراني عن ابن مسعود، وفي لفظ: (من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة) بالخاء المعجمة أي: عظمها، وروي بالجيم، ومنها: اتخاذ المساجد طرقًا. إلى أن قال: ومنها: ما في «صحيح البخاري» وغيره من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: لا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا ،ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»** وفي «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي قال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، وقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة؟ فقال ها أنا يا رسول الله، قال: **«فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة.** قال: كيف إضاعتها؟ **قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»**.

النوع الثالث: من أمارات الساعة العلامات العظام، والأشراط الجسام التي تعقبها الساعة، ومنها: خروج المهدي، والمسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وهدم الكعبة، والدخان، ورفع القرآن، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج النار من قعر عدن، ثم النفخ في الصور، نفخة الفزع ثم نفخة الصعق، وهلاك الخلق، ثم نفخة البعث والنشور.

وعلى كل فالأمر عظيم ونحن في غفلة وقد ظهر من هذه العلامات الشيء الكثير ولم يبق إلا العلامات الكبار، فنسأل الله عز وجل أن يثبتنا على دينه ويتوفانا على الإسلام

ويقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، وهذا من علامات النبوة ومعجزات الرسول لله، حيث أخبر عن أمور مستقبلة مما أطلعه الله عز وجل على علمه فوقع كما أخبر، وهذا مما يقوي إيمان العبد. وفي إخباره بذلك رحمة بالعباد ليحذروا ويستعدوا ويكونوا على بصيرة من أمرهم، فصلوات الله وسلامه، على هذا النبي ﷺ الذي بلغ البلاغ المبين، وبين غاية التبيين، ونحن على ذلك من الشاهدين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في أشراط الساعة

الحمد لله رب العالمين، جعل الدنيا دار ممر، وجعل الآخرة هي المستقر، وأمر الإنسان أن يتزود من دار ممره لدار مقره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حذر أمته من الركون إلى هذه الدار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار، الذين هم في الليل عباد وفي النهار أسود على الكفار، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واستعدوا من أيامكم لما أمامكم، واعلموا أن من علامات الساعة التي ظهرت، هذه المخترعات العجيبة التي قربت البعيد، وطوت المسافات، وهذه المعادن المخزونة التي اكتشفت في الأرض، وفشو التجارة والزراعة، فهذه من الآيات العظيمة في الآفاق، وهناك آيات في الأنفس، وهي كثرة الأمراض الخطيرة التي لم تكن معروفة من قبل، وكثرة موت الفجأة، وكثرة الحوادث والحروب والفتن، كل هذا من علامات الساعة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الدنيا ليست بدار إقامة فلا تطمئنوا إليها. قال النبي ﷺ لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**» إذ من المعلوم أن الغريب وعابر السبيل لا يطمئن في مكان الغربة أو في أثناء الطريق في السفر، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

دور الشباب في الإسلام ووجوب العناية بهم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله وليتذكر كل منكم مسئوليته عن الإسلام والمسلمين، وسيكون حديثي معكم عن دور الشباب نحو هذه المسئولية وواجبكم في توجيههم للقيام بها.

ولا شك أيها الأخوة أن دور الشباب في الحياة مهم جداً، فهم إذا صلحوا ينهضون بأمتهم ويقومون بنشر دينهم والدعوة إليه، لأن الله أعطاهم من القوة البدنية والقوة الفكرية ما يتفوقون به على كبار السن، وإذا كان كبار السن يفضلونهم بالسبق والتجارب والخبرة. إلا أن ضعف أجسامهم في الغالب وضعف قواهم لا يمكنهم مما يقوم به الشباب الأقوياء. ومن هنا كان دور شباب الصحابة رضي الله تعالى عنهم الدور العظيم في نشر هذا الدين، تفقهًا في دين الله وجهاداً في سبيله، من أمثال عبد الله بن عباس، وعبد الله ابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وغيرهم من شباب الصحابة الذين نهلوا من العلم النافع وحفظوا لهذه الأمة ميراث نبيها ﷺ وبلغوه. وإلى جانبهم القادة كخالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة الشيباني، وغيرهم. كلهم أمة واحدة قاموا بأعباء واجبهم فأدّوا دوراً كبيراً تجاه دينهم وأمتهم ومجتمعهم لا تزال آثاره باقية إلى اليوم وستبقى بإذن الله ما بقي الإسلام؟ وشباب هذا الوقت هم من ورثة أولئك إذا ما أحسنوا لأنفسهم، وعرفوا مكانتهم، وتحملوا أمانتهم، فهم ورثة أولئكم الشباب الأقدمين. وقد أخبر النبي ﷺ أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله **«شابًا نشأ في عبادة الله»**.

والنبي ﷺ كان يولي جانبًا من توجيهاته إلى الشباب فيقول ﷺ لابن عباس: **«يا غلام**

إني أعلمك كلمات، **احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**» ويقول لمعاذ بن جبل وهو رديفه على حمار: « **يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟** » إلى آخر الحديث. ويقول ﷺ لعمر بن أبي سلمة ربيبه وهو طفل صغير لما أراد أن يأكل مع النبي ﷺ وجالت يده في الصحفة أمسك النبي ﷺ بيده وقال: « **يا غلام سَمِّ الله وكُل بيمينك وكُل مما يليك** » فهذه توجيهات من النبي ﷺ يوجهها لطفل ليغرس في قلبه هذه الآداب العظيمة، وهذا مما يدل على أهمية توجيه الشباب نحو الخير ومسئولية الكبار نحوهم. وديننا الإسلامي اهتم بتنشئة الشباب اهتمامًا بالغًا؛ لأنهم هم الرجال في المستقبل وهم الذين سيخلفون آباءهم ويرثونهم ويقومون بدورهم في الحياة؛ فمن توجيهات الإسلام إلى العناية بالشباب:

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة التي هي موضع الحرث الذي ينبت فيه الأولاد فالنبي ﷺ حثنا على اختيار الزوجه الصالحة وقال ﷺ: «**اظفر بذات الدين تَرِبَت يداك**»؛ لأن الزوجة الصالحة إذا رزق الله الزوج منها أولادًا فإنها توجههم وتقوم بدورها نحوهم من طفولتهم. هذا من توجيهات الإسلام نحو الشباب.

ثانيًا: ومن توجيهات الإسلام نحو المولود أول ما يولد أن يختار والده الاسم الحسن؛ لأن الاسم الحسن له معنى وله مدلول، فالنبي ﷺ حث على أن يختار الأب لولده اسمًا حسنًا وأن يبتعد عن الأسماء المكروهة أو الأسماء التي تدل أو تشتمل على معانٍ غير لائقة.

ثالثًا: ومن توجيهات الإسلام نحو الشباب أن وجه آباءهم إلى أن يعقوا عنهم أي: يذبحوا عنهم العقيقة؛ لأنها سنة مؤكدة ولها تأثير طيب على الطفل، وهي ليست لمجرد تحصيل اللحم والفرح، وهذا مما يدل على عناية الإسلام بالشباب أول نشأتهم.

رابعًا: ومن عناية الإسلام بالشباب الاهتمام بتربيتهم إذا بلغوا سن التمييز وصار عندهم الإدراك فحينئذ يبدأ بتوجيههم إلى الدين. يقول ﷺ: «**مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع**» وهذا مما يدل على أن الإسلام يهتم بالشباب ويتطور معهم في التوجيه من سن إلى أخرى حسب استطاعتهم ومداركهم، كذلك النبي ﷺ يقول: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» فالمولود يولد على الفطرة، وهذه الفطرة إذا ما حافظ

عليها أبواه ووجهاها إلى الخير، اتجهت نحو الخير؛ لأنها تربة صالحة، أما إذا انحرف الأبوان في تربية الطفل، فإن فطرته تفسد وتنحرف بحسب تربية الوالد، فإن كان الوالد يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا، نشأ الطفل على هذه الديانة الخبيثة وفسدت فطرته، أما إذا كان أبوه مسلمًا صالحًا فإنه يحافظ على هذه الفطرة التي أودعها الله في هذا الطفل وينميها ويزكيها ويتعهدها.

خامسًا: ومما يدل على الاهتمام بأمر الشباب من سن مبكرة أن الله تعالى أمر الولد حينما يدرك الكبر والداه أو أحدهما أن يحسن إليهما أو إلى الموجود منهما وأن يتذكر تربيتهما له يوم أن كان صغيرًا ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وموضع الشاهد من الآيتين هو:

قوله تعالى: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، فتربية الوالدين لولدهما نعمة وإحسان إليه يجب أن يكافئ عليهما والديه، وليس المراد بالتربية التربية الجسمية فقط التي هي عبارة عن توفير الطعام والشراب، هذه تربية بهيمية إن اقتصر عليها، لكن الأهم من ذلك التربية المعنوية التي هي المحافظة على فطرته السليمة وتوجيهها إلى الخير وغرس الخير في نفسه وتنشئته على الخير هذه هي التربية المفيدة التي تبقى آثارها على المولود وتنمو معه وتصاحبه.

أما التربية الجسمية فقط فهذه أقرب إلى إفساده منها إلى إصلاحه؛ لأن الطفل إذا أغدق عليه الطعام والشراب والشهوات وأهمل جانب التربية الصحيحة فإن ذلك مما يدعوه إلى أن ينشأ نشأة بهيمية. أما إذا ربي التربيتين، التربية الجسمية؛ لأن التربية الجسمية لا بد منها في حدود المعقول وفي حدود المشروع من غير إسراف ولا تبذير، وإلى جانبها التربية المعنوية؛ فإن ذلك هو الخير الكثير الذي يتذكره الولد عندما يدرك إحسان والديه إليه فيقول كما أمر الله: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

أيها المسلمون: إن الشباب في هذا العصر يتعرضون لمشاكل كثيرة، منها أنهم يتعرضون لتيارات خطيرة إذا تركوا معا فإنها تفسد أخلاقهم وسلوكهم وتفسد عقيدتهم

وهي تيارات كثيرة ومتنوعة ومتعددة المصادر، تيارات تحملها وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفاز وصحف ومجلات وكتب هدامة تلفظها المطابع وهي تحمل سمًّا زعافًا وتتلقفها أيدي الشباب أو كثير من الشباب الذي لا يميز بين الضار والنافع؛ هذه التيارات المتنوعة من مقروءة ومرئية ومسموعة إذا تركت تعصف بالشباب، فإن نتائجها تكون وخيمة.

فالشباب الآن كثير منهم تغيرت أخلاقه وصاروا يقلدون الغرب أو الشرق في لباسهم، في شعورهم، في حركاتهم، طبقًا لما يسمعونه ويقرءونه مما تحمله إليهم هذه الوسائل التي أغلب أحوالها أن فيها الدس الكثير لإفسادهم، والأهم من ذلك تغيير عقيدتهم فقد تحول بعض الشباب المسلم إلىٰ ملحد، إلىٰ شيوعي، إلىٰ بعثي إلىٰ غير ذلك من الأفكار الهدامة؛ لأنه ما دام أنه مقبل علىٰ تلقف هذه الدعايات وهي تدفع إليه بيسر وسهولة وهو فارغ الذهن من غيرها، ليس عنده من الحصانة ولا من العلم ما يفهم به هذه الشبهات المدسوسة أو هذه الدعايات المضللة فإنه يتقبل ما يصل إليه.

فالشاب الذي يتلقف هذه الدعايات وهو خالي الذهن مما يضادها من العلم النافع لا شك أنها ترسخ في ذهنه ويصعب بعد ذلك اجتذابها منه.

وبعد ذلك يأتي دور السفر للخارج، ويسافر الشاب إلىٰ الخارج إلىٰ البلاد الكافرة، إلىٰ البلاد المنحرفة التي ضاعت فيها الأخلاق وفسدت فيها العقائد، ليشاهد هذه البلاد بما فيها؛ يشاهد الإباحية والأفكار الفاسدة وليس عنده ما يدفعها أو يبين زيفها، ليس عنده الرصيد الكافي أو ليس عنده رصيد أصلاً، وهو شاب في ريعان الشباب فإذا سافر إلىٰ تلك البلاد وخالط أهلها سرعان ما يتغير لدينه ومجتمعه المسلم، ويعود صفر اليدين، هذا من أسباب الانحراف الخلقي والعقيدي في الشباب وهو السفر إلىٰ الخارج، الخارج الذي يموج بالفساد.

فاتقوا الله عباد الله وتذكروا قول الله تعالىٰ: : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في دور الشباب في الإسلام ووجوب العناية بهم

الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واهتموا بعلاج شبابكم مما أصابهم في دينهم، والعلاج ميسور والحمد لله متى صدقت النية وصحت العزيمة وهو يتلخص في أمور:

الأمر الأول: إصلاح المناهج التعليمية التي يتلقونها في المدارس بحيث تملأ هذه المناهج بالعلوم الدينية النافعة، بعلوم العقائد الصحيحة، ومعرفة الحلال من الحرام في المعاملات وفي المآكل والمشارب والعادات والأخلاق حتى تمتلئ قلوبهم من العلم النافع الذي إذا تسلحوا به استطاعوا أن يميزوا بين الطيب والخبيث وأن يقاوموا الشبه التي تواجههم، وبعد إصلاح المناهج يهتم باختيار المدرسين الأكفاء الصالحين الذين يوصلون حصيلة هذه المناهج وهذه العلوم النافعة، يوصلونها إلى قلوب الشباب ويرغبونهم فيها.

الأمر الثاني: التقاء الشباب بالعلماء من خلال ندوات في المساجد وفي المدارس وفي غيرها، ندوات مفتوحة للإجابة على مشاكلهم ولتوضيح الطريق أمامهم، فإن على العلماء مسئولية عظيمة نحو شباب المسلمين، ولكن ـ وأقولها بكل مرارة الآن الفجوة كبيرة بين الشباب وبين العلماء، فالعلماء غالبهم في ناحية والشباب في ناحية أخرى، وهذا مما سبب ضياع الشباب، وإلا يوم كان الشباب يلتقون بعلمائهم فقد كانوا على بينة من أمرهم ولكن حينما انفصل الشباب عن علمائهم حصلت هذه النكاسات العظيمة.

الأمر الثالث: من الأمور التي يعالج بها هذا الانحراف وتقاوم بها هذه التيارات الموجهة نحو الشباب منع سفرهم إلى الخارج إلا لضرورة ملحة مع وضع الضوابط والضمانات التي تبعدهم من مخاطر السفر إلى بلاد الكفر أما إذا تركوا ليسافروا على علاتهم فإن الأمر خطير جداً، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله. . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة قرب موسم الحج إلى بيت الله العتيق

الحمد لله الذي شرع لعباده حج بيته الحرام، وجعله مطهراً لنفوسهم من الذنوب والآثام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من صلى وصام، ووقف بالمشاعر وطاف بالبيت الحرام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وسلم تسليمًا طيبًا ومباركًا على الدوام. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه إذ شرع لكم حج بيته الذي جعله مثابة للناس وأمنًا.

عباد الله: يستقبل المسلمون في هذه الأيام موسمًا عظيمًا من مواسم الدار الآخرة، يتاجرون فيه التجارة الرائجة بالأعمال الصالحة، ألا وهو موسم الحج إلى بيت الله العتيق والوقوف بالمشاعر المقدسة، وهو موسم يتكرر كل عام، والحج فيه فريضة على أهل الإسلام قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقد جعل الله للمسلمين مواسم للخير، منها ما يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، وهو الصلوات الخمس، ومنها ما يتكرر كل أسبوع وهو صلاة الجمعة؛ ومنها ما يتكرر كل عام وهو صوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه المواسم المباركة يكفر الله بها الخطايا ما دون الكبائر، قال ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» **وقال عليه الصلاة والسلام**: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة**» وقال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ [آل عمران: ٩٧]، بينت هذه الآية الكريمة أن حج البيت فريضة على المستطيع، وهو من يجد ما يبلغه من الزاد والمركوب المناسب لمثله بعد تأمين نفقة من تلزمه نفقتهم إلى أن يرجع، وقد بينت سنة النبي ﷺ أن فريضة الحج مرة واحدة في العمر، وما زاد عن ذلك فهو تطوع، وهذا من رحمة الله بعباده فلو أوجبه عليهم كل عام لما استطاعوا. وقال تعالى: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾ [الحج: ٢٧]، ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾ [الحج: ٢٨]، داعيًا الناس إلى الحج ومبينًا

لهم حكمته وهي شهود المنافع العظيمة، ولم يحدد تلك المنافع لكثرتها ولتفاوت الناس في الحصول عليها، وهي منافع دينية ودنيوية.

منها: مغفرة الذنوب، كما قال النبي ﷺ: **«من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**.

ومنها: استكمال أركان الإسلام، لأن الإسلام بني على خمسة أركان، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، ولما كان الحج شاقًا لاحتياجه إلى النفقة واحتياجه إلى قوة البدن واحتياجه إلى السفر مسافات بعيدة، و ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج:٢٧]، لما كان كذلك تأخرت فرضيته في الإسلام إلى السنة التاسعة من الهجرة وجعل فرضه مرة واحدة في العمر.

ومن منافع الحج إظهار قوة الإسلام وكثرة المسلمين ووحدتهم وتآلفهم وتعارفهم.

ومنها: تعلم أحكام الدين، وتدارس مشاكل المسلمين، فإنهم إذا اجتمعوا من أقطار الأرض وفيهم العلماء والقادة والساسة تعلم جاهلهم من عالمهم، وانتفعوا بخبرات قادتهم وساستهم في حلّ مشاكلهم.

ومنها: تعلم العقيدة وتطبيقها عمليًا وإعلانها بالتلبية: (لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لك لا شريك لك لبيك).

ومنها: إزالة الفوارق بين المسلمين وبيان أنهم أمة واحدة لا فضل لعربيّهم على عجميهم ولا لأبيضهم على أسودهم ولا لغنيهم على فقيرهم حينما يحرمون بنسك واحد في زي واحد ويتجهون في بيت واحد ويسيرون وينزلون في المشاعر في وقت واحد.

ومنها استفادتهم ماديًا واقتصاديًا في البيع والشراء والتأجير في موسم الحج قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨].

ومنها: تربية النفوس على تحمل المشاق في سفر الحج وتنقلاته وتربيتها على البذل والإنفاق، لأن الحج يجمع بين العبادة البدنية والمالية، وتربية النفوس على التواضع والشفقة والرحمة بالضعفة والمساكين في مواطن الزحام كما قال النبي ﷺ حينما دفع من عرَفَة: **«أيها الناس السكينة السكينة وكان يأخذ بزمام ناقته ليمنعها من السرعة في مواطن الزحام حتى لا يشق على الناس، وإذا وجد متسعًا أسرع السير»** فعل ﷺ ذلك من أجل الرفق بالناس.

ومن منافع الحج: إعلان ذكر الله عند ذبح الهدي والتقرب إليه بذلك النسك والتوسعة على النفس وعلى المسلمين بالأكل من لحمه. قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج:٢٨] وقال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٦، ٣٧].

وقال ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل**».

ومن منافع الحج: إحياء ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والاقتداء بنبينا محمد ﷺ بإقامة المناسك على هدي هذين الخليلين عليهما السلام كما قال النبي ﷺ: «**خذوا عني مناسككم**» وفيه مخالفة لدين الجاهلية والمشركين.

ومن منافع الحج: تهذيب الأخلاق بالتزام الأفعال والأقوال الحميدة المفيدة، وهجر الأفعال والأقوال الذميمة. كما قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة:١٩٧].

ومن منافع الحج: تعويد المسلم على التواضع والبساطة في الملبس والمأكل، وتجنيبه عيش الترفه والتنعم ولذلك منع المحرم من مباحات كان يتمتع بها في غير حالة الإحرام كالاستمتاع بين الزوجين، ولبس المخيط، وتغطية الرأس للذكر، والتطيب، وحلق الشعر، وتقليم الأظافر، والاصطياد.

ومن منافع الحج الكبرى: زيارة المسجد الحرام ورؤية البيت العتيق الذي هو أول بيت وضع للناس، والتشرف بالطواف به امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩] وكذلك الصلاة بالمسجد الحرام الذي تعدل الصلاة الواحدة فيه مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، والذي هو أفضل المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ولا تشد إلى غيرها كما قال النبي ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**» وفي رواية (**لا تشدوا**) بصيغة النهي.

ومن منافع الحج: تذكر الموقف والحشر يوم القيامة والعظة والاعتبار، فإن المسلم إذا رأى اجتماع الناس وتزاحمهم في المشاعر المقدسة على اختلاف ألسنتهم وألوانهم واختلاف طبقاتهم وأحوالهم؛ الركبان والمشاة والصغار والكبار والأقوياء والضعفاء فإنه

يتذكر المحشر الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون على اختلاف أعمالهم وأحوالهم. ولهذا ختم الله آيات الحج من سورة البقرة بقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، هذا وليس بوسعي أن أحيط بمنافع الحج ولكني ذكرت ما يحضرني منها على ضوء ما أحفظه من الأدلة وهو أقل من القليل، وأسأل الله عز وجل أن يتقبل منا ومن المسلمين حجنا وسائر أعمالنا إنه سميع مجيب، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

في عزوف غالب الشباب عن الزواج

الحمد لله القائل في كتابه المبين، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الطور: ٤٣]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله وانظروا في مشاكل شبابكم والتمسوا لها العلاج النافع لتسلموا من شرها، وتأمنوا من خطرها.

فمن مشاكل الشباب عزوفهم عن الزواج وهي مشكلة عظيمة، ويترتب عليها مضار كبيرة لا يعلمها إلا الله، وهم يتعللون لذلك بتعليلات منها:

أولاً: قولهم إن الزواج المبكر يشغل عن الدراسة والاستعداد للمستقبل.

ثانيًا: قولهم إن الزواج المبكر يحمل الشباب مسئولية الإنفاق على زوجته وأولاده.

ثالثًا: وهذه من أخطر الأسباب لنفور الشباب عن الزواج، العراقيل التي وضعت في طريق الزواج من تكاليف باهظة وإسراف قد لا يستطيعه الشاب.

وعلاج هذه المشكلة بسيط وميسور إذا ما صدقنا النية، بحيث يبين للشباب ما في الزواج من مزايا وحسنات وخيرات ترجح على ما ذكروه من معوقات أو من مشاق، وليس في هذه الدنيا شيء إلا ويقابله شيء، أنا لا أقول إن الزواج ميسور من كل وجه، أو ليس فيه مشقة، أو ليس فيه مشاكل، بل فيه مشاكل وفيه بعض مشاق، ولكن فيه مصالح ترجح على هذه المشاكل وعلى هذه المشاق، وبالتالي تُنسيها.

فمن مصالحه:

أولاً: فيه إعفاف الفرج وغض البصر، يرشد إلىٰ هذا قول النبي ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم**» فالنبي ﷺ أرشد الشباب، وخص الشباب بذلك لأن عندهم الاستعداد للزواج وعندهم الطاقة التي إذا ما بودرت بوضعها في موضعها السليم أفادت، فالشباب ينبغي له أن يتزوج من سن مبكر مهما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً، والاستطاعة والحمد لله وخصوصًا وفي زماننا هذا موجودة في الغالب فلا عذر للشباب أو للكثير من الشباب في تركهم الزواج ويبين ﷺ ما للزواج المبكر من مزايا فإنه أحصن للفرج لأن الفرج خطير جدًا قال تعالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].

«**فإنه أحصن للفرج**» أي: أن الزواج يؤمنك من خطر عظيم وهو خطر الفرج: «**وأغض للبصر**» إذا تزوج فإنه بذلك تقر عينه ولا ينظر إلىٰ هنا وهناك أو يتطلع إلىٰ ما حرم الله عليه لأن الله أغناه بحلاله عن حرامه وكفاه بفضله عمن سواه.

ثانيًا: الزواج يحصل به السكن النفسي والراحة. يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: ٢١]، فإذا تزوج الشاب سكنت نفسه عن الاضطراب والقلق وارتاح ضميره، لأن الشاب بدل ما يكون مزعزع الفكر، فإن تزوجه من أسباب سكون نفسه وطمأنينته وارتياحه، وبالتالي يكون سببًا في خيرات كثيرة تترتب عليه.

ومن فوائد الزواج المبكر: حصول الأولاد الذين تقر بهم أعين والديهم يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾ [الفرقان: ٧٤].

فهذا مما يشجع الشاب ويقنعه بأن يقبل علىٰ الزواج، كما أن الأولاد، أيضًا هم شطر زينة الحياة الدنيا ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [الكهف: ٤٦]، فالأولاد هم زينة الحياة الدنيا، والإنسان يطلب الزينة، وكما أنه يطلب المال كذلك يطلب الأولاد لأنهم يعادلون المال في كونهم زينة الحياة الدنيا، هذا في الدنيا، ثم في الآخرة يجري نفعهم علىٰ ابائهم كما قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له**» فالأولاد إذن فيهم مصالح عظيمة في الحياة وبعد الموت.

كذلك في الزواج المبكر وحصول الأولاد تكثر الأمة الإسلامية، وتكثير المجتمع الإسلامي، والإنسان مطلوب منه أن يشارك في بناء المجتمع الإسلامي، يقول ﷺ: «**تزوجوا فإني مكاثر بكم يوم القيامة**» أو كما يقول ﷺ. فالزواج تترتب عليه مصالح عظيمة، منها ما ذكرنا فإذا ما شرحت للشاب هذه المزايا وهذه المصالح فإنها تضمحل أمامه المشكلات التي تخيلها عائقة له عن الزواج.

أما أن يقال الزواج المبكر يشغل عن التحصيل العلمي وعن الدراسة فليس هذا بمسلم، بل الصحيح العكس لأنه ما دام أن الزواج تحصل به المزايا التي ذكرناها ومنها السكون والطمأنينة وراحة الضمير وقرة العين فهذا مما يساعد الطالب على التحصيل لأنه إذا ارتاح ضميره وصفا فكره من القلق، فهذا يساعده على التحصيل، أما عدم الزواج فإنه في الحقيقة هو الذي يحول بينه وبين ما يريد من التحصيل العلمي، لأنه مشوش الفكر مضطرب الضمير لا يتمكن من التحصيل العلمي، لكن إذا تزوج وهدأ باله وارتاحت نفسه وحصل على بيت يأوي إليه، وزوجة تؤنسه وتساعده، فإن ذلك مما يساعده على التحصيل، فالزواج المبكر إذا يسره الله وصار مناسبًا، فإن هذا مما يُسهِّل على الطالب السير في التحصيل العلمي، لا كما تصور أنه يعوقه، كذلك قولهم إن الزواج المبكر يحمل الشاب مؤنة النفقة على الأولاد وعلى الزوجة إلى آخره، هذا أيضًا ليس بمسلم لأن الزواج تأتي معه البركة والخير؛ لأنه طاعة لله ورسوله والطاعة كلها خير، فإذا تزوج الشاب ممتثلاً أمر النبي ﷺ ومتحريًا لما بيد الله عز وجل: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: ٦]، فالذي يسر لك الزواج سييسر الرزق لك ولأولادك ﴿**نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾ [الأنعام: ١٥١].

فالزواج لا يحمل الشاب كما يتصور أنه يحمله فوق طاقته، لأنه يأتي معه الخير وتأتي معه البركة، والزواج سنة الله سبحانه وتعالى في البشر لا بد منه. فهو ليس شبحًا مخيفًا وإنما هو باب من أبواب الخير لمن صلحت نيته، أما ما يتعللون به من العراقيل التي وضعت في طريق الزواج فهذه من تصرفات الناس السيئة، أما الزواج في حد ذاته فلا يطلب فيه هذه الأشياء فضخامة المهر مثلاً والحفلات الزائدة عن المطلوب وغير ذلك من التكاليف هذه ما أنزل الله بها من سلطان بل المطلوب في الزواج التيسير، فيجب أن يبين للناس أن هذه الأمور التي وضعوها في طريق الزواج أمور يترتب عليها مفاسد لأولادهم وليست في صالحهم فيجب أن تعالج وأن يهتم بمعالجتها حتى تزول عن طريق الزواج وحتى يعود

الزواج إلى يسره وإلى سهولته ليؤدي دوره في الحياة ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا جميعًا بالتوفيق والهداية وأن يصلح أحوال المسلمين وأن يصلح شباب المسلمين وأن يرد للمسلمين مكانتهم وعزتهم كما أن الله سبحانه وتعالى جعل العزة لهم في أول الأمر نسأله سبحانه أن يعيدها وأن يصلح شأنهم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرهم في دينهم وأن يكفيهم شر أعدائهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

في التحذير من الخمر والميسر

الحمد لله رب العالمين، أباح لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث ووضع عنا الآصار والأغلال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، بين الحرام والحلال، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة وسلامًا دائمين متواصلين ما تعاقب الغدو والآصال... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله حرم على المسلمين كل ما يضر بدينهم ودنياهم وما يخل بأجسامهم وعقولهم، وما يفسد قلوبهم وأخلاقهم وأموالهم، ومن ذلك أنه حرَّم الخمر والميسر، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

فبيّن سبحانه أن ما في الخمر والميسر من المضار والمفاسد والآثام الكلية أعظم مما فيهما من المصالح الجزئية، ومعلوم بالفطر والعقول والشرائع أن ما كانت مفسدته أعظم من مصلحته وجب تجنبه وحرم تعاطيه والاقتراب منه، ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

ففي هاتين الآيتين الكريمتين ينادي الله تعالى أهل الإيمان ؛ لأن إيمانهم يحملهم على الاستماع لندائه واجتناب ما ينهاهم عنه، ويبين لهم أن هذه الأشياء المذكورة وفي طليعتها الخمر والميسر أمور فاسدة مفسدة يجب عليهم تجنبها والابتعاد عنها.

أولاً: لأنها (رجس) والرجس: هو النجس، فهي نجسة نجاسة حسية، ونجاسة معنوية، تنجس العقائد، وتنجس الأخلاق، وتنجس الأبدان والثياب، والمطلوب من المؤمن أن يكون طاهرًا في عقيدته وخلقه وبدنه وثيابه.

ثانيًا: إنها من عمل الشيطان وعمل الشيطان كله شر وغش لبني آدم، لأنه عدو لهم لا يريد لهم الخير، ولذلك أمر باجتنابها والبعد عنها وعلق على ذلك الفلاح العاجل والآجل.

ودلَّ ذلك على أن من لم يجتنب الخمر والميسر فهو خاسر في الدنيا والآخرة، ثم بيّن سبحانه وتعالى في الآية الثانية مقصود الشيطان من تزيينه للناس تعاطي الخمر والميسر، وهو أنه يريد بذلك بث العداوة بين أفراد الأسرة، وأفراد المجتمع، حتى يتفككوا، ويتقاطعوا، وربما تضاربوا وتقاتلوا، لأنهم قد زالت بينهم الأُلفة، وحل محلها العداوة، وزالت المحبة، وحلَّ محلها البغضاء.

وماذا تتصورون في مجتمع سادت بين أفراده العداوة والبغضاء؟ وأعظم من ذلك أن الشيطان يريد من تعاطيهم للخمر والميسر أن يصدهم عن ذكر الله، الذي بذكره تصفو نفوسهم وتطمئن قلوبهم، ويصدهم عن الصلاة التي هي أعظم صلة بينهم وبين ربهم عزّ وجل وبذلك تنقطع صلة بعضهم ببعض وتنقطع صلتهم بالله، فتسود فيهم الفوضى والقلق النفسي وينشغلون عن الكلم الطيب الذي هو ذكر الله وعن العمل الصالح - الذي هو الصلاة - بالكلام الخبيث من سب وشتم وغيبة ونميمة، وبالعمل الخبيث من زنا ولواط وشهوات محرمة، ولما بيّن الله سبحانه وتعالى هذه المفاسد في الخمر والميسر قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

فلا يليق بمؤمن عاقل بعد ذلك إلا أن يقول انتهيت يا رب، ولذلك لما نزلت هذه الآية الكريمة وقرئت على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: انتهينا، انتهينا إنها تذهب المال وتذهب العقل.

عباد الله: والخمر: اسم لكل ما أسكر من أي مادة كان، سواء كان جامدًا أو مائعًا وبأي اسم سمي، سواء سمي خمرًا أو وسكيًا أو شرابًا روحيًا أو كحولاً أو غير ذلك، فالأسماء لا تغير الحقائق، وقد ورد في الحديث: إن الخمر تسمئ بغير اسمها في آخر الزمان، فيحرم استعمال المسكر بأي شكل: شربًا أو استنشاقًا وأكلاً، وسواء كان تناوله للذة أو لتداو أو تطيب في الثياب أو البدن أو غير ذلك وسواء كان قليلاً أو كثيرًا، خالصًا أو مخلوطًا مع غيره.

لقوله ﷺ: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**» ولقوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوهُ**﴾ [المائدة: ٩٠]، وأما الميسر فهو: القمار وقد يُراد به كل ما ألهى عن ذكر الله، قال الإمام ابن كثير عن القاسم ابن محمد: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر، والقمار هو أخذ المال على المسابقات، والمغالبات والمراهنات، فيحرم ذلك لأنه أكل للمال بالباطل، إلا ما استثناه الشارع مما فيه مصلحة التدريب على الجهاد وآلاته لقوله ﷺ: «**لا سَبَقَ إلا في نصل أو خف أو حافر**» رواه أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم، وقوله ﷺ: «**لا سبقَ**» أي لا يحل أخذ المال في المسابقة «**إلا في نصل**» وهو السهم الذي يرمى به «**أو خف**» يعني الإبل التي يسابق عليها «**أو حافر**» وهو الخيل التي يسابق عليها.

فالحديث يدل على جواز أخذ العوض في المسابقة بالرمي والإبل والخيل وما في حكمها لأنها من آلات الحرب المأمور بتعلمها وإتقانها؛ ولأن في بذل المال في تلك المسابقة تشجيعًا على الجهاد والتدريب عليه، وقاس بعض العلماء على ذلك جواز أخذ العوض على المسابقة في المسائل العلمية للحاجة إلى ذلك؛ لقيام الدين بالجهاد والعلم، وما عدا ذلك من المراهنات والمسابقات لا يجوز أخذ العوض عليه، لأنه القمار المحرم والميسر الخبيث ومن ذلك لعب الشطرنج، فقد ذكر الإمام ابن كثير عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: الشطرنج من الميسر، وروي ذلك عن غيره، ومن ذلك ما يفعل في بعض النوادي والمباريات الرياضية من قطع تذاكر للمتفرجين يدفعون قيمتها ثم يوضع لبعض التذاكر رقمًا سريًا من حصل عليه أعطي سيارة أو مبلغًا من المال، فيكثر الذين يشترون هذه التذاكر طمعًا في الحصول على هذا الرقم الذي جعلت عليه الجائزة، فهذا من القمار المحرم؛ لأنه أكل للمال بالباطل، مع ما فيه من الانشغال عن ذكر الله وعن الصلاة بمشاهدة هذه الألعاب وحضورها، ومن القمار ما يعمله بعض مصانع الأشربة الغازية من

وضع علامة خفية في غطاء بعض القوارير من حصل عليه أُعطي سيارة، أو مبلغ كذا من المال حتىٰ يُكثِرَ الناس من شراء هذه الأشربة ولو لم يكن لهم حاجة بها بل ربما أراقوها وإنما يشترونها لأجل الطمع في العثور علىٰ هذه القارورة التي جعلت عليها الجائزة التي هي في حقيقتها ميسر وقمار.

ومن القمار ما يؤخذ علىٰ المغالبة من لعب ورق البلوت من الأموال الطائلة التي تبذل وتهدر في هذه اللعبة الخبيثة؛ ومن ذلك ما يعمله بعض أصحاب الأسواق التجارية من وضع أسئلة يعطونها لمن اشترىٰ منها كمية معينة من البضائع، فإذا أجاب عنها أعطوه سيارة أو بضاعة مثمنة، وقصدهم بذلك اجتذاب الزبائن لشراء ما لديهمْ من المعروضات، حتىٰ إن بعض الزبائن يشتري ما لا حاجة به إليه طمعًا في الحصول علىٰ هذه الأسئلة فلعله يصادف الإجابة الصحيحة عنها فيفوز بهذه الجائزة، وهذا من أعظم القمار وأكل المال بالباطل، وقدقامت في بعض دول العالم مؤسسات للقمار بأوراق اليانصيب، وغيرها مما يخترعه شياطين الإنس والجن من أساليب القمار والمراهنات الباطلة.

ومن أكل المال بالباطل ما يفعله بعض الموظفين من اتفاق مجموعة منهم أن كل واحد يدفع مبلغًا محددًا وما اجتمع من المبالغ المدفوعة يأخذه واحد منهم بالتناوب إذا وصله الدور، وهذا العمل محرم لأنه قرض جر نفعًا فهو ربا، ولأنه قرض مشروط في قرض فهو بيعتان في بيعة المنهي عنه.

عباد الله: إنَّ مفاسد الخمر والميسر الذي هو القمار وتدميرها للمجتمعات والاقتصاد العالمي لا يشك فيها عاقل، فضلاً عن المؤمن، فالخمر تفسد الجسم وتجلب له الأمراض الخطيرة فهي تسبب تصلب الشرايين، وتمرض القلب والكلىٰ والمخ، وتضعف الجسم إضعافًا يعجز معه عن تحمل الأمراض، وتسلب العقول، وتلحق شاربها بالمجانين والمخبلين، وتفسد الأخلاق، وتجر إلىٰ الوقوع في الفواحش وهتك الأعراض، وبالخمر تقع العداوة والبغضاء، ويتصور شاربها خلاف الواقع، فيتصور أنه الشجاع المقدام، والحاكم المطاع، والجواد المعطاء، وهو في الحقيقة أضعف من دجاجة وأخبث من جُعْل، وأبلد من حمار، وأديث من خنزير، يرتكب الذنوب الكبائر، ويقترف الإجرام وينطق بأخبث الكلام، وربما سب الله ورسوله ودين الإسلام، وربما لعن أباه وأمه وغيرهما من ذوي الأرحام، يبول ويتغوط علىٰ نفسه ويلطخ بذلك جسمه وثيابه من غير شعور، يضحك بلا عجب، ويبكي من غير سبب، ويهزأ به الصبيان والسفهاء، وينفر منه

العقلاء.

وأما القمار فإنه مجلبة للخزي والدمار، فكم من غني سلبت بالقمار ثروته فأصبح فقيراً لا يملك قطميراً، وكم من فقير أثرى في لحظة إذا غلَب، ثم لا يلبث أن يسلب ما بيده إذا غلب، وهكذا لا يزال المقامرون بين سالب ومسلوب، وغالب ومغلوب، حتى تتوغر الصدور بالعداوة والبغضاء، وتحترق القلوب بالحزن والأسى، حتى كثر القتل والانتحار بين المقامرين، وخسروا الدنيا والدين.

وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية في التحذير من الخمر والميسر

الحمد لله رب العالمين على فضله وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وعظيم سلطانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والذين قاموا بنشر دينه وإعلانه وبيانه وسلم تسليماً كثيراً..

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واحفظوا أوقاتكم من الضياع أعظم مما تحفظون أموالكم واستغلوها فيما ينفعكم في دينكم ودنياكم، فسيندم المضيع لأوقاته. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]، ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، وسيفرح من حفظ وقته واستغله بالأعمال الصالحة إذا قيل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

وفي الأثر: أن عيسى عليه السلام قال: (إن هذه الليالي والأيام خزائن فانظروا ما تصنعون فيها) وأعظم الناس تضييعاً لوقته من شغله باللهو واللعب، كلعب الورق ولعب الشطرنج، والمباريات الرياضية ومشاهدتها.

فلعب الورق ولعب الشطرنج إن كان على عوض فهو القمار الحرام بلا خلاف، وقال الإمام الذهبي رحمه الله في كتاب «الكبائر»: وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها سواء كان برهن أو بغيره.

أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف، وأما إذا خلا من الرهن فهو أيضًا قمار حرام عند أكثر العلماء انتهى. ومثله اللعب بالورق فإن كان على عوض فهو القمار المحرم، وإن كان على غير عوض فهو حرام أيضًا، لأنه يشغل عن طاعة الله ويصد عن ذكر الله، ومن سهر على لعب الورق نام عن صلاة الفجر وضيَّعها، مع ما يجر إليه لعب الورق من مصاحبة الأشرار وما يشمل عليه من اللغو والكلام المحرم من شتم وسب يقع بين اللاعبين.

وفي «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليتصدق**» فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فكيف بفعل القمار؟!

وقد ذكر ابن كثير عن القاسم بن محمد أنه قال: (كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر) فاتَّقوا الله يا من تسهرون الليالي وتجتمعون على لعب الورق، وتغفلون عن ذكر الله وتنامون عن الصلاة وتضيعون الأوقات، واعلموا أنكم ستحاسبون على تضييع الأوقات. فقد جاء في الحديث الصحيح أن الإنسان يوم القيامة يسأل عن عمره فيما أفناه..... ويقول الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**﴾ [فاطر: ٣٧].

واعلموا عباد الله أن خير الحديث كتاب الله.... إلخ.



في حقيقة الإيمان وعلاماته

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، يمنُّ على من يشاء بهدايته للإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن: ٢٩] وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله إلى كافة الثقلين الإنس والجان - صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم وسلم تسليمًا كثيرًا...

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى وكونوا من المؤمنين الصادقين الذين تصدق أعمالهم أقوالهم فليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته

الأعمال.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

والإيمان الصحيح: اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، له أركان ستة هي:

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وله بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان، فالذي يقول بلسانه إنه مؤمن، ويشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويعمل الطاعات بجوارحه، فيصلي ويزكي ويصوم ويحج، إلىٰ غير ذلك من الأعمال لكنه لا يعتقد ذلك بقلبه ولا يصدق، فهذا منافق النفاق الأكبر المخرج من الملة، وهو شر من الكافر الخالص، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠].

ومثل هذا تنكشف حقيقته ويظهر نفاقه عند الامتحان ومواجهة الشدائد. قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] وهذا ليس له موقف ثابت بل هو يتذبذب، يكون مع المؤمنين إن كان لهم فتح من الله، ويكون مع الكافرين إن كان لهم نصيب من الظهور والغلبة المؤقتة بسبب وقوع خلل من المسلمين، قال الله تعالىٰ في وصفهم: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١]. وعندما يدعىٰ إلىٰ التحاكم إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله فإنه لا يستجيب إلا إذا كانت القضية في صالحه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٨، ٤٩].

وعندما يدعو الداعي للجهاد في سبيل الله وبذل الأنفس والأموال يصيبهم الذعر ويغشاهم الجبن ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] يألفون المنكرات، ويكرهون الطاعات، ويقبضون أيديهم عن الإنفاق والصدقات، كما قال تعالىٰ: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

عباد الله: ومن اعتقد بقلبه ونطق بلسانه لكنه لم يصدق اعتقاده وقوله بالعمل، فإن كان قوله وعمله يخالف ويناقض الشهادتين، كالذي يستغيث بالموتى ويذبح للقبور ويدعو للموتى باسم الأولياء والصالحين، فهذا مشرك كافر بالله عز وجل لا ينفعه نطقه بالشهادتين ولا انتسابه للإسلام، ولا تصح منه عبادة، حتى يتوب إلى الله ويخلص دينه لله.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

وكذا من يقول إنه مسلم ويشهد أن لا إله إلا الله، ولكنه لا يؤدي أركان الإسلام فلا يصلي ولا يزكي ولا يصوم ولا يؤدي فريضة الحج، فهذا ليس بمسلم ولا ينفعه النطق بالشهادتين ولا انتسابه إلى الإسلام لأنه لم يؤد حق الشهادتين ولم يقم بفرائض الإسلام وقد حكم الله ورسوله بكفر تارك الصلاة والزكاة، قال تعالى في الكفار: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقال: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

فدل ذلك على أن من لم يقم الصلاة ويؤدِّ الزكاة لا يخلَّ سبيله بل يقتل، وليس من إخواننا المؤمنين بل هو من الكافرين.

وقال النبي ﷺ «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**».

والصلاة هي عمود الإسلام الذي يقوم عليه، فمتى فقد العمود لم يقم للعبد إسلام صحيح، والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله عز وجل وقد قاتل صحابة رسول الله ﷺ بقيادة أبي بكر الصديق مانعي الزكاة واعتبرهم مرتدين وسموا حروبهم حروب الردة، وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله. وأما من ترك شيئًا من الطاعات الأخرى التي هي من مكملات الإسلام وحقوقه، أو ارتكب شيئًا من المعاصي التي هي دون الشرك وليس من نواقض الإسلام، فهذا لا يعتبر كافراً وإنما يعتبر مؤمنًا ناقص الإيمان، وهذا النقص يتفاوت بتفاوت المعصية التي ارتكبها، فإن كانت كبيرة من كبائر الذنوب كالزنا

والسرقة وقتل النفس وشرب الخمر وغير ذلك من الكبائر وهو يعترف بتحريمها ولم يستحلها، فهذا يعتبر فاسقًا ساقط العدالة معرضًا للوعيد ويقام عليه الحد الواجب إقامته على من فعل تلك الكبيرة، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة في الحكم على مثل هذا، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وإن كانت معصيته لا تصل إلى حد الكبيرة فهي تنقص إيمانه ويأثم بها لكنه لا يحكم بفسقه إلا إن أصر عليها واستدامها أو جاهر بها فإن الإصرار على الصغيرة قد يصيرها كبيرة.

وكما أن الإيمان يزول بزوال أصله أو يزول كماله بالمعصية بحسب تفاوتها في القبح والذم، فإنه يزيد بالطاعة وينمو ويعظم، كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]. فاحرصوا رحمكم الله على فعل ما يزيد به إيمانكم من الطاعات، وترك ما ينقص به من المعاصي والسيئات.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٤، ١٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من صفات المؤمنين في القرآن

الحمد لله رب العالمين، حكم بالفلاح لأهل الإيمان، وبالخسار لأهل الكفر والطغيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وما له من العظمة والسلطان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أنزل عليه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل العلم والإيمان، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتَّقوا الله تعالى، وتأملوا ما ذكره الله في كتابه من صفات المؤمنين لتأخذوا منها القدوة، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى في مطلع سورة المؤمنون بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١-١١]، وقد بيَّن النبي ﷺ أهمية ما ذكر في هذه الآيات في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقد أنزل عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة**» ثم قرأ ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [المؤمنون:١]، حتى ختم العشر. وروى النسائي بسنده عن عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن فقرأت ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١] حتى انتهت إلى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٩]، فقالت: هكذا خلق رسول الله ﷺ تعني رضي الله عنها أنه ﷺ كان يعمل بهذه الآيات ويتصف بما تضمنته من الصفات الحميدة.

وقد أخبر سبحانه أن المؤمنين الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين يسعدون ويفوزون ويفلحون، وهذا يدل على أن من لم يتصف بها فهو خاسر. كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴾ [التين: ٤-٦]، وقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر: ١-٣].

فأخبر سبحانه في هذه الآيات أن كل إنسان خاسر إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح، ودعا إلى الخير ونهى عن الشر، وصبر على ما يناله من الأذى في مقابل ذلك من الناس. وقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٢]، وفي ختام الآيات قال سبحانه ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ [المؤمنون:٩]، فيه دليل على أهمية الصلاة ومكانتها في الدين، وتصدرها لصفات المؤمنين، لأنها عمود الإسلام والناهية عن الفحشاء والآثام، وتسهل فعل الطاعات، كما قال تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ** ﴾ [البقرة: ٤٥].

وفي المحافظة عليها محافظة على ما سواها من واجبات الدين من باب أولى، وهي أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة من عمله، والخشوع فيها يعني حضور القلب واستحضاره لعظمة الله وذله بين يديه، وسكون الجوارح عن الحركات المخالفة لأعمال الصلاة، والخشوع في الصلاة هو روحها والمقصود منها، ولا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، وفي انشغال القلب بغير الصلاة التفات به عن الله إلى غيره، وفي حركة الجوارح والعبث بها سوء أدب مع الله، وفي نظر المصلي إلى يمينه وشماله التفات بوجهه عن الله، وهو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد، وهو دليل على التفات قلبه وفي نظره إلى غير موضع سجوده مما أمامه انشغال عن صلاته وذهاب لخشوعه، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣].

اللغو هو: الباطل، وهو يشمل الشرك وسائر المعاصي، ويشمل ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فهم معرضون عن الباطل بجميع أنواعه، ومنشغلون بالحق، فلا يستمعون إلى السماع الباطل من غيبة ونميمة، ومن أغان ومزامير وخيمة، ولا ينظرون إلى الباطل الذي يعرض في أفلام الخلاعة والمجون، ولا يحضرون مجالس اللهو واللغو وفعل المحرمات، ولا يطيعون الدعاة إلى الباطل مهما زخرفوا الدعاية وعرضوا باطلهم في التلفاز والفيديو والإذاعات، وفي الصحف والمجلات، ولا يمشون لحضور الباطل الذي يعرض في دور اللهو والمسارح الأثيمة.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤]، الزكاة: الطهارة والنمو، فهم يزكون أنفسهم، بفعل الطاعات وترك المحرمات، ويزكون أموالهم بإخراج ما فيها من الحقوق والواجبات، ويزكونها بمنع دخول المكاسب الخبيثة، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥-٧] أي: حفظوا فروجهم من الاستمتاع المحرم فلا يقعون فيما حرم الله من زنا ولواط، واقتصروا على ما أباح الله لهم من الاستمتاع بزوجاتهم ومملوكاتهم، وابتعدوا عن كل أسباب الجرائم الخلقية فغضوا أبصارهم عن النظر الحرام، واحتشموا باللباس الساتر العورات وعزلوا النساء عن الاختلاط بالرجال وعن خلوتهن وسفرهن مع غير المحارم، وعن النظر إلى الأفلام الخليعة والمشاهد المثيرة، ثم بيّن سبحانه أن من لم يكتف بما أحلّ الله من الاستمتاع بزوجته وسريته بل تطلع إلى الاستمتاع بالحرام، أو باشر الفحش والإجرام، فهو العادي الذي يستحق من الله العقوبة

والانتقام، فقال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧].

وقد استدل العلماء رحمهم الله بهذه الآيات الكريمة علىٰ تحريم الاستمناء باليد وهو ما يسمىٰ بالعادة السرية، لأنه استمتاع بغير الزوجة والمملوكة فيدخل في قوله تعالىٰ: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المؤمنون: ٧] وهو استدلال صحيح، وحق صريح، مع ما في الاستمناء باليد من المضار الصحية التي بينها الأطباء، ومن أخطرها تأثر الجهاز التناسلي، والإصابة بالخبل واختلال العقل والأعصاب، وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

الأمانات: جمع أمانة وهو كل ما استحفظ عليه الإنسان من واجبات دينية، وحقوق مالية، وأعمال سرية، وولايات سلطانية، وودائع ورعاية علىٰ قصار، وغير ذلك فيجب علىٰ ولي الأمر إسناد الولايات إلىٰ من يحسن القيام بها، ويجب علىٰ الموظفين والحكام الحكم بما أنزل الله بين الناس، والقيام بأعمالهم الوظيفية علىٰ وجه التمام، ويجب علىٰ كل من عنده لأخيه وديعة أو سر من الأسرار المحافظة علىٰ ذلك، وأداؤه إلىٰ من ائتمنه.

كما أمر الله بذلك حيث قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال النبي ﷺ «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك».

فرعاية الأمانة تعني: حفظها وأداؤها إلىٰ صاحبها بالوفاء والتمام، والعهد هو الميثاق الذي يبرم بين العبد وبين ربه، وبينه وبين ولي الأمر، وبينه وبين سائر الناس فتجب رعاية العهد بالوفاء به ويحرم نكثه والغدر به، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]، ختم سبحانه الآيات بما ابتدأها به في شأن الصلاة، مما يدل علىٰ أهمية الصلاة، ومعنىٰ المحافظة علىٰ الصلاة: أداؤها علىٰ الوجه الذي أمر به الله أن تؤدىٰ عليه من كمال الطهارة واستكمال شروطها وأركانها وواجباتها وفي أوقاتها المحددة وفي الأمكنة التي أمر الله بأدائها وفيها وهي المساجد مع جماعة المسلمين، فمن أخلَّ بشيء من هذه الأحكام من غير عذر شرعي لم يكن محافظًا علىٰ الصلاة، بل كان من المضيعين لها الذين قال الله فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، ومن الذين قال الله فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، فانظر كيف سماهم مصلين وتوعدهم مع ذلك بالويل لأنهم لم يصلوا علىٰ الوجه المشروع، ثم ختم الله سبحانه هذه الآيات الكريمة ببيان جزاء من

اتصفوا بهذه الصفات الإيمانية المذكورة فيها فقال: ﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١]، وقد صح في الحديث عن النبي ﷺ: **«أن الفردوس هو أعلى الجنة ووسط الجنة وسقفه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة، فهو أحسن مكان في الجنة»** ثم بيَّن سبحانه أن مقامهم في هذا الفردوس دائم مستمر فلا يخافون من زواله إلىٰ غيره، ولا يخافون من زوالهم عنه وإخراجهم منه...

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه. وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...

بسم الله الرحمن الرحيم

في التحذير من مشاركة الكفار في أعيادهم والتوقيت بتاريخهم

الحمد لله رب العالمين، أعزنا بالإسلام، ورضيه لنا دينًا وطريقًا موصلاً إلىٰ دار السلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه الحسنىٰ وصفاته العظام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، حذرنا من التشبه باليهود والنصارىٰ وعبدة الأصنام، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا...

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما خصكم به من الفضل العظيم، والدين القويم، وقد أكمله لكم وأتم به نعمته عليكم، ووعد بحفظه من التغيير والتبديل، فقال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد أوصاكم الله بالتمسك بالإسلام ما دمتم علىٰ قيد الحياة، حتىٰ يختم لكم به عند الوفاة قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] لأن الإسلام سبيل النجاة في الآخرة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

عباد الله: يجب علىٰ المسلمين أن يعتزوا بالإسلام؛ لأنه دين الكمال ودين العز، فهو يعلو ولا يعلىٰ عليه، وأهله هم الأعلون والشهداء علىٰ الناس. قال تعالىٰ: ﴿وَأَنتُم

الأعْلَوْنَ إن كُنتُم مُّؤْمنينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فمن ابتغى العز والرفعة بغير الإسلام أذله الله، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**إنا أمة أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العز بغيره أذلنا الله**» نعم إن الإسلام دين العز والرفعة في الدنيا والآخرة؛ لأنه دين كامل مكمل لمن تمسك به، لم يترك جانبًا من جوانب الحياة إلا ونظمه أحسن تنظيم، ولا فضيلة من الفضائل إلا وحث عليها، ولا رذيلة إلا حذر منها، فهو كامل في جانب العقيدة، وفي جانب العبادة، وفي جانب السياسة، وفي جانب المعاملات، وفي جانب الآداب والأخلاق، صالح لجميع البشر في كل زمان ومكان، بيّن الله فيه كل شيء يحتاج إليه البشر، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. قد شهد الله له بالكمال فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فمن طلب الكمال من غير الإسلام لم يحصل إلا على النقص، ومن طلب العز بغيره أصيب بالذل، ومن استورد نظامًا وقانونًا يحكم به بين الناس بدلاً من حكم الإسلام فهو كافر وظالم وفاسق، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وكذلك من استورد العادات والتقاليد من الأمم الكافرة وتخلّق بها فهو متشبه بالكفار، وقد قال النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**ليس منا من تشبه بغيرنا**» وهذا يدل على تغليظ تحريم التشبه بالكفار في جميع شئونهم الخاصة بهم من عباداتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فقد حذر النبي ﷺ من التشبه بهم في جميع ذلك وبين سوء عاقبته وشدة عقوبته وحذرنا من مشاركتهم في أعيادهم ومناسباتهم التي يقيمونها ويحتفلون بها...

فقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (من بني ببلاد الأعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة).

ومن مشاركتهم في أعيادهم ما ابتلي به بعض المسلمين اليوم من مشاركتهم الفرح بمناسبة عيد الميلاد النصراني (ولا أقول المسيحي لأن المسيح عليه السلام بريء منه)،

وتبادل التهاني معهم وتعطيل الدوائر والأعمال الرسمية بهذه المناسبة التي هي إظهار لشعار دين النصارىٰ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أعياد الكفار كثيرة وليس علىٰ المسلم أن يبحث عنها ولا يعرفها، بل يكفيه أن يعرف في أي فعل من الأفعال، أو يوم، أو مكان أو سبب هذا الفعل، أو تعظيم هذا المكان، أو الزمان من جهتهم، ولو لم يعرف أنه من جهتهم فيكفيه أن يعلم أنه لا أصل له في دين الإسلام، ثم ذكر رحمه الله أنواعًا مما يفعله بعض جهال المسلمين أو الذين لا يبالون بالدين من مشاركتهم ومشابهتهم في تلك الأعياد، إلىٰ أن قال: ومن ذلك ترك الوظائف الراتبة من الصنائع والتجارات، أو حلق العلم (يعني تعطيل الدراسة) أو غير ذلك واتخاذه يوم راحة وفرح، واللعب فيه بالخيل وغيرها علىٰ وجه يخالف ما قبله وما بعده من الأيام.

ثم بيّن رحمه الله ما يجب علىٰ المسلمين تجاه أعياد الكفار، فقال والضابط: أنه لا يحدث فيه أمر أصلاً، بل يجعل يومًا كسائر الأيام، فإنا قد قدمنا علىٰ النبي ﷺ أنه نهاهم عن اليومين اللذين كانا لهم يلعبون فيهما في الجاهلية، وأنه نهىٰ عن الذبح بالمكان إذا كان المشركون يعيدون فيه، ومن ذلك ما يفعله كثير من الناس في أثناء الشتاء، في أثناء كانون الأول لأربع وعشرين خلت منه ويزعمون أنه ميلاد عيسىٰ عليه السلام، فجميع ما يحدث فيه هو من المنكرات، مثل إيقاد النيران وإحداث طعام، واصطناع شموع وغير ذلك، فإن اتخاذ هذا الميلاد عيداً هو دين النصارىٰ، ليس ذلك أصل في دين الإسلام، ولم يكن لهذا الميلاد ذكر أصلاً علىٰ عهد السلف الماضيين بل أصله مأخوذ عن النصارىٰ. انتهىٰ.

ومن مشاركة النصارىٰ في إحياء عيد الميلاد أن يجعله بعض المسلمين بداية لسنة الدولة ويؤرخوا به بدلاً من التأريخ بالهجرة النبوية فإن هذا العمل فيه مشاركة لهم في تعظيم هذه البدعة، وتشبه بهم في إحيائها، وإماتة لتاريخ المسلمين وعدول عن التاريخ الذي ارتضاه سلف هذه الأمة في عهد ثاني الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وذلك أنه لما رفع إلىٰ عمر صك مكتوب لرجل علىٰ آخر بدين يحل عليه في شعبان فقال: أي: شعبان، أمن هذه السنة أم التي قبلها أم التي بعدها، ثم جمع الناس فقال: ضعوا للناس شيئًا يعرفون فيه حلول ديونهم، فيقال: إن بعضهم أراد أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده، فكرهوا ذلك...

ومنهم من قال: أرخوا بتاريخ الروم من زمان إسكندر فكرهوا ذلك، وقال قائلون: أرخوا من مولد رسول الله ﷺ، وقال آخرون: من مبعثه عليه السلام، وأشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة فاستحسن ذلك عمر والصحابة فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ وأرخوا من أول تلك السنة من محرمها، وعند مالك رحمه الله: أن أول السنة الهجرية من ربيع الأول لقدومه ﷺ فيه إلى المدينة، والجمهور على أول السنة من المحرم لأنه أضبط لئلا تختلف الشهور، فإن المحرم أول السنة الهلالية العربية، هذا الذي رأى الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلي ومن معهم من المهاجرين والأنصار أن يؤرخ به المسلمون ديونهم وأعمالهم السنوية، وقد قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**» ولم يرتضوا للمسلمين أن يؤرخوا بالتاريخ الميلادي النصراني ولا غيره من تواريخ الكفار، لأن هذا فيه تبعية وتشبه بالكفار، ومشاركة لهم في تعظيم أعيادهم

وقد سار على هذا التاريخ الهجري المسلمون من بعدهم في مختلف القرون إلى عصرنا الحاضر فلا تزال بلادنا السعودية - والحمد لله - ولن تزال - إن شاء الله تسير عليه وتعتمده رسميًا اقتداء بالسلف الصالح وما سار عليه المسلمون من قبل، وهو التاريخ الذي اعتمده المؤلفون في ضبط وتسجيل تاريخ الإسلام في مؤلفاتهم، لكن من المؤسف أن يعدل كثير من المسلمين عن هذا التاريخ المجيد الذي رضيه سلفنا وساروا عليه فيعدل هؤلاء عنه إلى تاريخ النصارى الميلادي الذي لا يمتُّ إلى ديننا بصلة، ولئن كان لبعضهم عذر حينما كانوا تحت ولاية الكفار وسيطرتهم ومرغمين على استعمال تاريخهم فليس لهم عذر الآن بعد ما نالوا الاستقلال وصار الحكم بأيديهم أن يستمروا عليه.

فاتقوا الله عباد الله واعتزوا بتاريخكم وبدينكم وبآدابه وأحكامه في جميع المجالات، وتشرفوا واعتزوا بالانتساب إليه، ولا تلتفتوا إلى ما خالفه من عوائد الجاهليين وعقائد الضالين.

فلقد بلغ من مشاركة بعض المنتسبين للإسلام للنصارى في عيدهم الميلادي أن صاروا يعطلون الأعمال الرسمية في أيامه ويتبادلون معهم التهاني بمناسبته ويقولون: إن النصارى إخوانهم وأنه لا فرق بين المسلمين والنصارى في عقيدة الإيمان، وكأنهم لا يقرءون قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١]كأنهم لا يعلمون أن الإسلام

هو الدين الصحيح الذي لا يقبل الله سواه، وأنه الناسخ لما قبله من الأديان، وأنه بعد مجيء الإسلام انتهى العمل بدين النصارى فلا يجوز لهم البقاء عليه، ومن بقي عليه فهو كافر، هذا لو سلم من التحريف والتبديل، فكيف وقد حرف النصارى دينهم، وزعموا أن الله ثالث ثلاثة، وأن المسيح ابن الله أو أن الله هو المسيح ابن مريم - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

لقد جعل الله القرآن الكريم هو المهيمن على ما سواه من الكتب، وجعل المسلمين شهداء على الناس، وجعل الرسول محمداً ﷺ شهيداً على المسلمين، فأين هؤلاء المتسمين بالإسلام من هذه الحقائق؟

فاتقوا الله عباد الله واستمعوا إلى قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]. الآيات.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية
في التحذير من تغيير التاريخ الهجري

الحمد لله الذي هدى أولياءه إلى صراط مستقيم، ووفقهم لمخالفة أصحاب الجحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حذر أمته من مشابهة الكفار في سلوكهم الذميم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على نهجه القويم، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله واعلموا أنه كما يجب استعمال التاريخ الهجري، ويحرم استعمال التاريخ الميلادي النصراني، كذلك يجب اعتبار الشهور العربية القمرية، ويحرم اعتبار الشهور الإفرنجية وغيرها، لأن الله سبحانه جعل الأهلة لجميع الناس مواقيت للمعاملات والعبادات.

كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وأخبر

سبحانه أنه جعل القمر نوراً وقدره منازل لأجل معرفة السنين والحساب، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

فيجب على المسلمين التقيد بالشهور العربية القمرية في توقيتهم - وهي الشهور الاثنا عشر التي أولها المحرم وآخرها ذو الحجة - المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

قال الإمام القرطبي في «تفسيره»: هذه الآية تدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط، وإن لم تزد على اثني عشر شهراً، لأنها - أي الشهور غير العربية - مختلفة الأعداد منها ما يزيد على ثلاثين ومنها ما ينقص، وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين وإن كان منها ما ينقص.

وقال الإمام الشوكاني في «تفسيره»: وفي هذه الآية بيان أن الله سبحانه وضع هذه الشهور وسمَّاها بأسمائها على هذا الترتيب المعروف يوم خلق الله السماوات والأرض، وأن هذا هو الذي جاءت به الأنبياء، ونزلت به الكتب، وأنه لا اعتبار بما عند العجم والروم والقبط من الشهور التي يصطلحون عليها ويجعلون بعضها ثلاثين يومًا، وبعضها أكثر وبعضها أقل، وقوله: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، هي: ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم، ورجب، ثلاثة سرد، وواحد فرد، كما ورد بيان ذلك في السنة المطهرة وقوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾ [التوبة: ٣٦]، أي: كون هذه الشهور كذلك ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، هو الدين المستقيم والحساب الصحيح والعدد المستوفى. انتهى.

فاتقوا الله عباد الله وأرخوا خطاباتكم ومعاملاتكم ووثائقكم بالتاريخ الهجري والشهور العربية، ولا تتساهلوا في هذا الأمر وتظنون أنه شيء عادي، لأن التاريخ شعار الأمة وفي التعامل بالتاريخ النصراني إحياء لشعارهم وتخليد لدينهم الباطل فتنبهوا لذلك ونبهوا عليه. . . .

واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه . . . إلخ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

في التحذير من بعض المجلات والنشرات التي يروجها الجهال والمغرضون

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله عز وجل الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حرم القول عليه بلا علم وجعله عديلاً للشرك فقال: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله حذر من الكذب عليه فقال: «**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا الكتاب والسنة وبلغوهما لمن بعدهم بأمانة وصدق وإخلاص، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله واحذروا من فتنة الجهال والمضللين الذين كثر وجودهم في هذا الزمان وتيسرت لهم الطرق لبث شرهم، وترويج باطلهم عن طريق بعض الصحف، والمجلات وعن طريق الكتب، والنشرات، وعن طريق كثير من الإذاعات، وهم طوائف مختلفة، لكنها متفقة على قصد تضليل المسلمين، وإفساد عقائدهم وأخلاقهم، وقد يكونون مجندين لذلك من قبل منظمات كافرة سرية للقيام بهذا الغرض.

فطائفة من هؤلاء تستخدم الصحف، والمجلات، والكتب لبث المقالات الإلحادية والتشكيك في الدين وإفساد الأخلاق، كدعوة النساء للسفور والاختلاط وترك

الحجاب، وعرض أزياء اللباس الفاتن، وعرض صور النساء الكاسيات العاريات الفاتنات، وإغراء الشباب بعرض صور الفتيات الجميلات في المجلات الخليعة التي تروج في أسواقنا وتباع في المكتبات المنتشرة بيننا وحتى في البقالات، وأعظم من ذلك الأفلام الخليعة وأشرطة الفيديو التي انتشرت في كثير من البيوت، والمحلات، فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا هذه المجلات وهذه الأفلام وهذه الأشرطة، لا تتركوها تدخل بيوتكم وتنتشر بين أبنائكم وبناتكم ونسائكم، أتلفوا ما تجدونه منها، لتسلموا من شرها وتجنبوا أولادكم من خطرها، فإنها والله شر من الأمراض الفتاكة والأوبئة الخطرة القاتلة والسموم المهلكة.

فإن الناس لو سمعوا بحدوث وباء أو مرض خطير لعملوا كل ما يقدرون عليه من الاحتياطات للوقاية من هذا المرض حفاظًا على حياتهم وصحة أبدانهم، فما بالهم يغفلون عن هذه الأمراض التي تصيب القلوب والعقائد والأخلاق، فيتركونها تنتشر بينهم وتفتك فيهم؟

وطائفة من هؤلاء المضللين تستهدف إفساد الدين والعقائد عن طريق كتابة نشرات بصورة نصائح ومواعظ تدس فيها الشر وتبثها في المدارس والمساجد وبعض الدوائر وتحث على نسخها وتوزيعها بين الناس وقد تكتب فيها بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لأجل الخداع والتمويه، وتدس معها من الكذب على الله ورسولهﷺ وعلى أهل العلم الشيء الكثير، وتضمنها كثيرًا من الخرافات والوعد والوعيد المكذوبين، وبعضها يكون على شكل أدعية وأوراد، وبعضها على شكل نصائح وحث على الخير وتحذير من المعاصي، ويخلط معها من الأحاديث المكذوبة والخرافات المضللة ما لا يتنبه له إلا أهل البصيرة والعلم، ومن ذلك النشرة التي عنوانها: عقوبة تارك الصلاة، قال فيها كاتبها: روي عن النبيﷺ: **«من تهاون بالصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة»** ثم عدها وحث في آخرها على نسخها وتوزيعها وقراءتها على المسلمين ثم قال: الفاتحة لفاعل الخير، أي: اقرءوا سورة الفاتحة للذي كتبها، وهذا الحديث الذي نسبه صاحب النشرة إلى رسول اللهﷺ في عقوبة تارك الصلاة حديث باطل مكذوب على رسول اللهﷺ، كما بيَّن ذلك أهل العلم رحمهم الله.

فصاحب هذه النشرة يروج الكذب على رسول اللهﷺ ويأمر الناس بترويجه ويحثهم عليه نسأل الله العافية.

ومما يدل على سوء قصده أنه ترك الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة الواردة في بيان عقوبة تارك الصلاة، وأخذ هذا الحديث المكذوب، وكتبه، وروجه، وأمر الناس بإحياء البدعة وهي قراءة الفاتحة لفاعل الخير؛ لأن قراءتها بهذا القصد بدعة، وهو قصده نشر الكذب وإحياء البدع.

ومما يدل على ذلك حرصه الشديد وحثه على نسخ هذه النشرة وقراءتها وتوزيعها على المسلمين.

وهناك نشرة ثانية كتب فيها مروجها ثلاث آيات من القرآن الكريم، أولها قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]، وكتب في آخرها يقول: من وزعها يحصل له كذا من الخير بعد أربعة أيام، ومن أهملها يعاقب بكذا من العقاب وحث على إرسال خمس وعشرين نسخة منها إلى من هو بحاجة إليها، وكاتب هذه النشرة دجال مضلل، يفتري على الله الكذب، ويستهين بكلام الله عز وجل، حيث كتب هذه الآيات الكريمة وخلطها مع الكذب والخرافة، فإن دعواه أن من كتب هذه الآيات ووزعها وأرسل منها خمسًا وعشرين نسخة إلى شخص آخر يحصل له كذا من الخير بعد أربعة أيام، ومن لم يفعل يحصل له كذا من الشر، وهذا من أعظم الكذب على الله وهو الدعاء لعلم الغيب فإنه لا يعلم ما يحصل للناس في المستقبل من الخير والشر والثواب والعقاب إلا الله سبحانه وتعالى، ثم إن تحديد الثواب والعقاب على الأعمال لا يثبت إلا بدليل صحيح عن الله ورسوله، ولم يرد عن الله ورسوله أن من كتب كذا من الآيات القرآنية ووزعه يحصل له كذا من الثواب، ومن لم يكتبه يحصل له كذا من العقاب، وإنما هذا من افتراء هذا الدجال الخبيث، وغرض هذا وأمثاله إشغال الناس بالحكايات المكذوبة والخرافات الباطلة وصرفهم عن الحق وغرس العقائد الخرافية، والأباطيل الشركية في نفوس المسلمين والقضاء على العقيدة الصحيحة؛ لأن الخرافيين لا يتمكنوا في هذه البلاد - والحمد لله - من إلقاء الباطل على الناس مشافهة ومصارحة فعدلوا إلى هذه الطريقة الخبيثة التي لا يتنبه لها الجهال والذين قد تغريهم الوعود المزيفة ويؤثر فيهم الوعيد الكاذب، لا سيما إذا خلطوا ذلك بكتابة شيء من القرآن معه، على طريقة الكهان الذين يصدقون في كلمة ويكذبون معها مائة كذبة لأجل الفتنة، فاتقوا الله عباد الله واحذروا هؤلاء المخرفين ودسائسهم وحرقوا نشراتهم وأتلفوها وبلغوا عنهم ولاة الأمور، وإياكم والاغترار بما ينشرونه أو المشاركة في نسخه وتوزيعه، ومن سبق أن شارك في نشرها وتوزيعها فليتب إلى الله ولا

يعد لمثل هذا.

وهناك بعض الشباب المحبين للخير ولكن عندهم جهل بالأحكام الشرعية يقومون بنسخ بعض المواعظ أو نقل بعض الأحاديث من الكتب أو نسخ بعض الفتاوىٰ التي قد تكون مغلوطة، أو غير محررة، أو تكون فتاوىٰ خاصة لا ينبغي نشرها وتعميمها، فينشرون هذه الأشياء بين الناس في المساجد والمدارس والمكاتب أو يلصقونها علىٰ الأبواب والجدران، فينشأ عن ذلك بلبلة الأفكار والتشويش علىٰ الناس في أمر دينهم أو ترويج الباطل والخطأ، فتنبهوا لذلك وفقكم الله. واعلموا أن هناك جهة مسئولة يرجع إليها في كل ما يطبع وينشر مما يتعلق بأمور الدين وهي الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، فكل نشرة أو كتاب أو فتوىٰ ليس عليها موافقتها لا يجوز ترويجها ونشرها، وهي قائمة بهذا العمل خير قيام.

نسأل الله أن يوفق القائمين عليها ويعينهم علىٰ نصرة الحق وقمع الباطل وأهله فاتقوا الله عباد الله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]...

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



من الخطبة الثانية
في التحذير من بعض المجلات والنشرات

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق، وأنزل عليه الكتاب والحكمة فهدىٰ به من الضلالة، وبصر به من العمىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله واعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، وإذا كان كذلك فجميع العبادات والأحكام والثواب والعقاب لا يثبت شيء ولا يجوز العمل به، إلا إذا دلَّ عليه دليل من

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا تحصل معرفة ذلك بمجرد القراءة في الكتب بل لا بد من الرجوع إلى أهل العلم.

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فالعلم إنما يتلقى عن أهل العلم المختصين؛ لأن الله جعل العلماء ورثة الأنبياء فهم المرجع الذي يرجع إليه المسلمون بعد الأنبياء في أمور دينهم، وليس المرجع إلى الكتب وحدها ولا إلى الجهال والمخرفين، وعلى هذا فلا يجوز نقل الأحاديث أو المواعظ أو الفتاوى من الكتب، ونشرها وتوزيعها دون رجوع إلى أهل العلم.

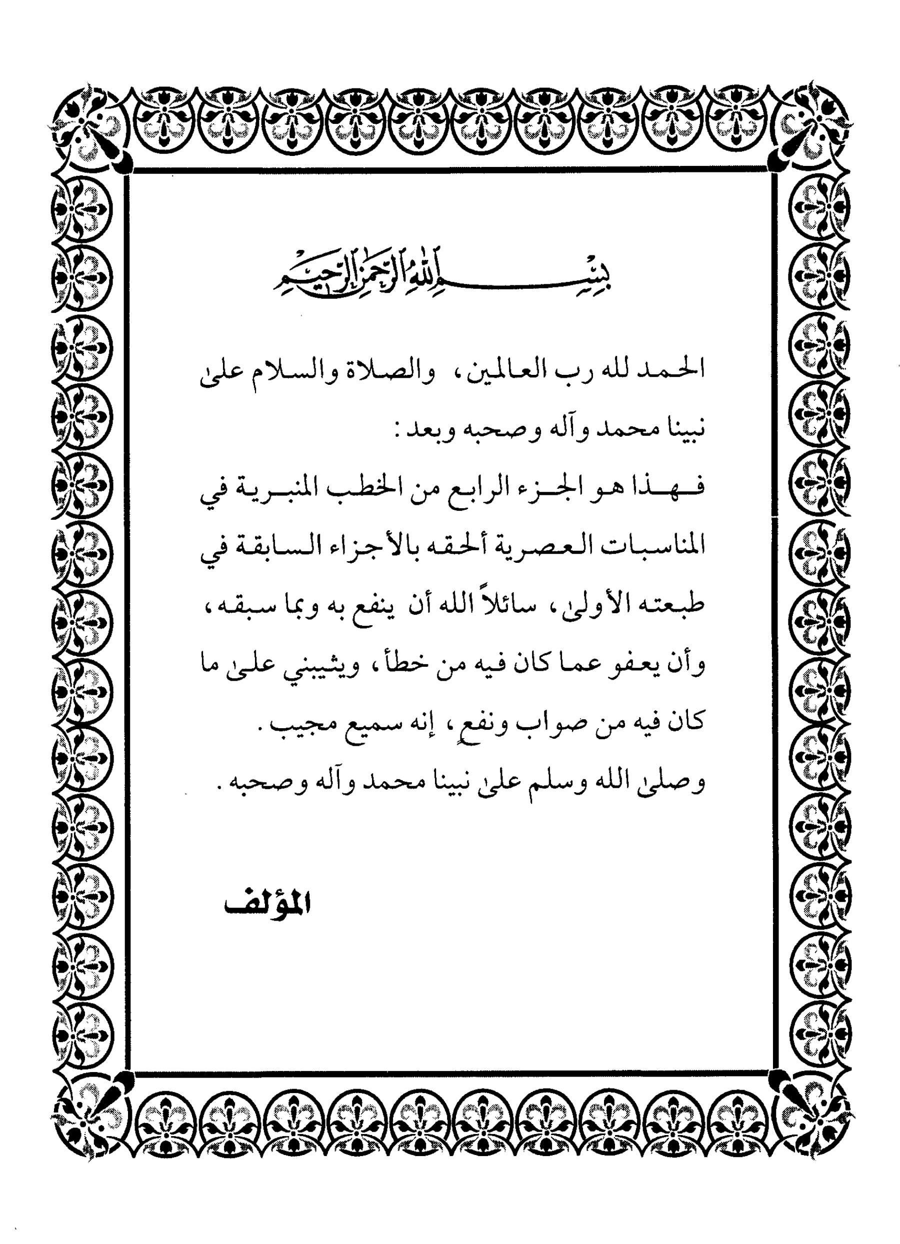
وإذا كان لا يجوز أخذ الأدوية واستعمالها دون رجوع إلى الأطباء خشية من ضررها ووضعها في غير مواضعها.

فمسائل العلم من باب أولى؛ لأن الجاهل قد ينقل من الكتب ما هو باطل وضلال وهو لا يدري، وقد ينقل منها ما هو منسوخ لا يجوز العمل به، أو متشابه يحتاج إلى بيان وتفصيل، فيضل الناقل ويضل غيره وهو لا يدري، ولا يكفي حسن القصد وسلامة النية، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وقد يكون من بين هؤلاء الذين يروجون هذه النشرات من يقصد الدس وإفساد العقائد باسم الوعظ والتذكير.

فالواجب الحذر والقضاء على هذه الظاهرة السيئة وعدم تمكين هؤلاء من وضع هذه النشرات في المساجد وغيرها سداً للذريعة، ومن أراد الخير ومعرفة الحق فليتعلم في فصول الدراسة وحلق العلم في المساجد، ويدرس الأصول المختصرة، فإن من ضيع الأصول حرم الوصول، فلا يسوغ للإنسان مطالعة الكتب إلا بعد إتقان هذه الأصول وضبطها؛ لأنها مفاتيح لأبواب العلوم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

فاتقوا الله عباد الله، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة .... إلخ.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فهذا هو الجزء الرابع من الخطب المنبرية في المناسبات العصرية ألحقه بالأجزاء السابقة في طبعته الأولى، سائلاً الله أن ينفع به وبما سبقه، وأن يعفو عما كان فيه من خطأ، ويثيبني على ما كان فيه من صواب ونفعٍ، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

في التذكير بنعمة الإسلام والتحذير من المبادئ الهدامة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليُظهرَه علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم ما كان وما يكون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله علىٰ حين فترة من الرسل، ودروس من السبل فهَدىٰ به من الضلالة، وبصرَ به من العَمىٰ، وعلَّمَ به من الجهالة، وصلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وأصحابه الذين قامُوا بدعوته من بعده، ونشروا في مشارق الأرض ومغاربها، وقادوا البشرية إلىٰ سعادتها فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ووفقنا للاقتداء بهم والسير علىٰ طريقهم . . .

أما بعدُ: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ نعَمه التي أجلُّها نعمة الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

فالله سبحانه قد مَنَّ علىٰ هذه الأمة بهذا الدين العظيم الذي فضلها به علىٰ سائر الأمم، فيجب عليها من الشكر أكثرُ مما يجب علىٰ غيرها، وقد جعلَها الله في منصب المسئولية فقال: ﴿لِتَكُونُوا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأمرَها بالقيام بشكر هذه النعمة بأداء حق الله بفعل ما أوجبَ وترك ما حرم، ومن أهم ما أوجب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأن الصلاة عمود الإسلام وهي تنهىٰ عن الفحشاء والآثام، ومن أقامَها فقد أقامَ دينه، ومن ضيَّعها فقد ضيَّع دينَه، وفي أداء الزكاة إحسان إلىٰ الخلق وبراءة من الشح، والبخل، ومن جاد بالزكاة جادَ بغيرها من الصدقات، ثم أمره سبحانه بالاعتصام به، أي: التوكلِ عليه والاستعانة به في طلب الحوائج، وجلب المنافع، ودفع المكاره والمضار، والنصر علىٰ الأعداء والحاسدين، وهذا هو التوحيدُ الخالص، والدين القويم، والعقيدة السليمة، فدينُ الإسلام يشتمل علىٰ العقيدة السليمة،

والعبادة الصحيحة، والأوامر الرشيدة، والأخلاق القويمة، وينهى عن كل اعتقادٍ فاسد، وكل عبادة باطلة، وكل فعل أثيم وخلق ذميم، ولهذا شهد له الله بالكمال فقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

فهو كاملٌ في اعتقاداته، كاملٌ في تشريعاته كاملٌ في أوامره، ومنهياته، كاملٌ في آدابه وأخلاقياته.

وإذا أردت أيها المسلمُ معرفةَ نعمة الله عليك بهذا الإسلام، فانظرُ ما عليه أممُ الكفر اليومَ وما تَعيشُه من تخبطٍ في العقائد، وفسادٍ في الأخلاق، وضياع للأعراض، وهمجية في النظم والقوانين، واختلال في الأمن، واضطراب في السياسة مابين شيوعية مستبدة، تحكم شعوبها بالحديد، والنار، ويهودية حاقدة على البشرية تخطط لهلاكها، ونصرانية ضالةٍ متحيرة، ووثنيةٍ تعبد الأشجارَ، والأحجار والقبور والحيوانات وكل ما تزينُ شياطين الإنس والجن لها عبادتَه من دون الله، وهكذا كل من حرم النور فإنه يتَخَبَّطُ في الظلام، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

عباد الله: لقد حسدونا على نعمة الإسلام كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢].

وقد ذكر الله ذلك لنا وكرره في كتابه، لنأخُذَ حذْرَنا من كيْدهم ودسائسهم. فهم يكيدون لهذا الدين وأهله منذ أنزلَه الله على رسوله ﷺ إلى آخر الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وليس الخطر على الإسلام نفسه؛ لأنَّه محفوظ بحفظ الله له كما قال تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩].

ومصداق ذلك أن الإسلام قد تعرَّض وما زال يتعرَّضُ للهجمات الشرسة من مختلف أمم الكفر، ولم تؤثر فيه تلك الهجماتُ ولم تغيِّر منه شيئًا، فهو لا يزال غضًّا طريًّا كما أنزلَ على محمد ﷺ، . ولا يزالُ يقيضُ لهذا الدين مَنْ يدافعُ عنه ويردُّ كيدَ أعدائه ويبينه

للناس، كما قال النبي ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمتي على الحقِّ ظاهرين لا يضُرُّهم من خَذَلَهم ولا مَن خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك**» وكما أخبر ﷺ: «**أن الله يبعثُ لهذه الأمة على رأس قرنٍ من يجددُ لها دينها**».

فالإسلام بعقيدته وتشريعاته وأحكامه ليس عليه خطر من كيد أعدائه، وإنما الخطر علينا نحن المسلمين أن نصدَّ عنه أو نضللَ، فأعداؤنا اليوم يُواصلون الصدَّ عن سبيل الله وصرف المسلمين عن دينهم بشتَّىٰ الوسائل والمغريات، ويستخدمون لذلك بعضًا من منسوبي العالم الإسلامي ممن جاء وصفُهم في الحديث بأنهم «**قوم من جِلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**».

ففي مجال العقيدة يحاولون إفساد عقائد المسلمين بالعمل علىٰ إبراز الفرق المنحرفة من قبورية وصوفية ومبتدعة، فيؤيدون هذه الفرق بشتىٰ الوسائل، حتىٰ تبرز في الساحة، ويكون لها كيانٌ قوي ليقضوا بها علىٰ العقيدة الصحيحة، ويجعلوا هذه الفرق المنحرفة هي التي تمثل المسلمين.

وفي مجال العبادة يحاولون نشر البدع والخرافات، ويؤيدون أهلها بالدعم المالي والمعنوي.

في مجال الحكم يجلبون القوانين الوضعية للحكم بها بين الناس بديلاً عن الشريعة الإسلامية، حتىٰ أدخلوا دراسة هذه القوانين ضمن المواد التي تدرس في جامعات البلاد الإسلامية إلا من رحم الله، فجعلوها عديلة للشريعة في المؤسسات الدراسية حتىٰ سمَّوا بعض الكليات «كلية الشريعة والقانون».

وفي مجال إفساد الأخلاق دسُّوا علىٰ المسلمين العريَ والسُّفور والاختلاط بينَ الجنسين والأفلامَ الهابطة والمسرحيات الهزيلة والأغاني والمجون والصور الخليعة والموسيقىٰ والمزامير، وجعلوها باسم الفن، أو التراث الشعبي، أو التقدم والحضارة.

وفي مجال شغل المسلمين عن العمل المفيد وإعداد القوة للجهاد ونشر الدين وحماية الوطن، شغلوا شباب المسلمين في كثير من البلاد الإسلامية بالنوادي الرياضية وأنواع الألعاب البدنية، والذهبية التي شغلت وقتهم، واستنفدت طاقاتهم ففي البلد الواحد فرق وأحزاب، ولكل فريق مشجعون تحدث بينهم عداوات، ومشاحنات والنتيجة لا شيء ولا فائدة تعودُ عليهم ولا علىٰ مجتمعاتهم.

وفي مجال الاقتصاد أدخلوا علىٰ المسلمين المعاملات الربوية، والموارد المحرمة كالاتجار

بالخمور، والقمار وغير ذلك.

أيها المسلمون: إنَّ عدوَّكم لا يريدُ لكم الخيرَ، وإنما يريدُ لكم الشر، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

فلماذا تحسنون الظنَّ بهم وتغفلون عن كيدهم ومكرهم بكم من قديم الزمان، إنهم لما عجزوا عن القضاء على دعوة الرسول ﷺ في مكة حين حاولوا قتله، واجتمعوا عند بابه ينتظرون خروجَه ليقتلوه، فأخرجَه الله من بينهم وهم لا يشعرون، وأنزَل في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ولما علموا بخروجه من بينهم وفشَل خطتهم خرجوا في طلب البحث عنه، فرد عليهم الله كيدَهم في نحورهم، وهاجر رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، فعملوا كل ما بوسعهم للقضاء عليه وعلىٰ دعوته، وجيشوا الجيوش لمحاربته، فنصرَه الله عليهم، ولما رأوا أنَّ مقابلته بقوة السلاح والجنود لا تجدي لجأ بعضهم إلىٰ حيلةٍ خبيثة، وهي حيلة النفاق، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

وذلك بأن يدخُلوا في دينه ويكيدوا له في الباطن ويُوقعوا بين أصحابه، فتكوَّنت جماعة المنافقين من اليهود والمشركين، فكشفَ الله سرَّهم وهتَكَ سترَهم وعرفت صفاتهم ودسائسهم فكان المسلمون منهم علىٰ حذرٍ، وما زال الكفار يكيدون للمسلمين ولن يزالوا كذلك.

وفي عصرنا هذا استحدثوا طرقًا جديدة للمكر بنا وغزونا عن طريق الحضارة، وما تركوا بابًا من أبوابها إلا دخلوا فيه، دخلوا من طريق وسائل الإعلام، ودخلوا من طريق التعليم، ودخلوا من طريق الطب، ودخلوا من طريق السياسة والحكم، ودخلوا من طريق الاقتصاد وهكذا وقفوا في كل طريق ينفثون سمومهم وينفذون مخططاتهم للقضاء علىٰ الإسلام وأهله. لكن والحمد لله لا يزال في المسلمين من يتنبه لدسائسهم، ويحذر من كيدهم، ولو رجعنا إلىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ لوَجدنا فيهما البيان الكافي لمكائد أعدائنا، ولوجدنا الدواء الشافي، والسلاح الكافي لصد عدوانهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩ـ١٥١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخطبة الثانية في التحذير من مخططات أعداء الإسلام

الحمد لله وحدَه، نصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ من عَرَفَ ربه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعدُ: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ حق تُقاته، وسارعوا إلىٰ مغفرته وجنَّته ومرضاته.

عباد الله: كثيرٌ من الناس اليوم يَنتسبُ إلىٰ الإسلام وهو لا يعرفُ ما هو الإسلامُ، ولا يعرف ما يضادُّ الإسلامَ ويناقضه، بعضُهم يدَّعىٰ أنه مسلم، وهو يعبد غير اللَّه، فيستغيث بالأموات ويطوف بالقبور ويدعو غيرَ الله، وبعضُهم يدَّعي أنه مسلمٌ وهو لا يُصلي الصلواتِ الخمس، ولا يُزكي ولا يصومُ ولا يحج، وبعضُهم يدَّعي أنه مسلمٌ وهو ينفذ مخططاتِ الكفار التي تُناقضُ الإسلامَ.

فالواجب علىٰ كل مسلم أن يعرفَ ما هو الإسلامُ أولاً حتىٰ يقومَ بأداء شرائعه، ثم يعرفَ ما هي مناقضات الإسلام حتىٰ يتجنبها ويقوم بردها ومقاومتها والتحذير منها، ولمَّا سئلَ النبي ﷺ عن الإسلام قال: «**الإسلام أن تشهدَ أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحج البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً**» فقد بيَّنَ ﷺ في هذا الحديث أنَّ الإسلام قولٌ وعمل واعتقاد، وأنه ليسَ مجردَ انتساب بأن يقولَ الإنسان، أنا مسلم، وهو لا يعرفُ معنىٰ الإسلام ولا يلتزمُ بأحكامه، ثم إنَّ الذي يعرفُ معنىٰ الإسلام ولا يعرفُ معنىٰ نواقضه قد يتقبلُ مخططاتِ الكفار

وينفذُها وهو لا يدري عن خطورتها وضررها على دينه، فالواجبُ على كلِّ مسلم الاهتمام بهذا الأمر، والحذَرُ من هذه التيارات الكفرية المعاصرة التي غزَت المسلمين في بلدانهم وبيوتهم، وأن يحذرَها المسلمون على أنفسهم وعلى أولادهم وعلى مجتمعاتهم، ويقوموا بمقاومتها ومدافعتها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

والجهادُ يكون باليد واللسان والحجة والبيان، ويكون الجهاد جهاداً للنفس والشيطان والعصاة والفسقة والكفار والمنافقين، فالمسلمُ في جهادٍ دائم.

فتنبهوا لذلك ـ رحمكم الله ـ واعلموا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله .. إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الأخوة الإيمانية وثمراتها

الحمد لله رب العالمين، جعلَ المؤمنين أخوةً في الدين متحابين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادة الحقِّ واليقين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّمَ تسليمًا كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أنَّ الأخوة في الدين تعلو الأخوة في النسب، فالله أمرَ بالمؤاخاة بين المؤمنين والمسلمين، ولو اختلفت أنسابُهم وتباعدت أوطانُهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وأمرَ بمعاداة الكافرين ولو تقاربت أنسابُهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

ولهذه الأخوة بين المسلمين والمؤمنين حقوق عظيمة وثمرات كريمة، قد بيَّنها الله ورسوله في الكتاب والسنَّة، تجبُ مراعاتها والقيامُ بها، ولا يجوز إهمالُها والتهاون بها.

ومن هذه الحقوق والثمرات وجوب الإصلاح بين المسلمين عندما يحصلُ بينهم اختلاف ونزاع، أو تظهر بينهم عداوة وقطيعة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن

فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑨ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

ومن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين تعظيم بعضهم لحرمات بعض، وعدم تنقص بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وينهىٰ سبحانه المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن سخرية بعضهم من بعض رجالاً ونساءً، فربما يكونُ المسخورُ منه خيراً من الساخر في الدنيا والآخرة، والسخرية لا تصدرُ إلا من ناقصٍ، ونهىٰ سبحانه عن اللمزِ، وهو الطعنُ في حقِّ المسلم، وعن التنابز بالألقاب، وهو أن يدعىٰ الإنسان بغير ما سميَ به، واللقب ما يسوء الشخصَ سماعهُ.

قال بعض المفسرين: ومنه قول: يا فاسق، يا كلب، يا حمار، . . وقد سمىٰ الله السخريةَ، واللمز، والتنابزَ بالألقاب فسوقًا. مما يدلُّ علىٰ قبحِ ذلك وشناعته ووجوب الابتعاد عنه.

ومن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين، تجنبُ إساءة الظن فيما بينهم، والتجسس من بعضهم علىٰ بعض، واغتياب بعضهم لبعض، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، وذلك بأن يظن بأهل الخير شراً: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، والتجسس هو البحث عن عُيوب الناس. نهىٰ الله عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وفسر النبي ﷺ الغيبة بأنها ذكرُكَ أخاك بما يكره، والغيبةُ محرمةٌ بالإجماع تحريمًا شديداً وقد شبهها بأكل اللحم من الإنسان الميت، فقال سبحانه: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

أي: كما تكرهون هذا طبعًا فاكرهوا ذاك شرعًا، فإن عقوبته أشدُّ من هذا.

ومن حقوق الأخوة الإيمانية والإسلامية: التعاون بين المسلمين علىٰ البر والتقوىٰ، والتعاون علىٰ تحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال النبي ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد

إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

فالمسلم يفرح لفرح أخيه المسلم ويسره ما يسره، ويتألم لألم أخيه.

ومن حقوق الأخوة الإيمانية والإسلامية: التناصح بين المسلمين والتآمرُ بالمعروف والتناهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧١].

وقال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» ثلاث مرات: قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**».

ومن حقوق الأخوة الإسلامية والإيمانية: أن يحب المؤمن لأخيه ما يُحب لنفسه كما قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» والمراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية، فإن بعض النفوس البشرية قد تحب الشر.

فالواجب على المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب من الخير والنفع لنفسه، ومَنْ لم يحب لأخيه ما يحبُّ لنفسه كان حسوداً، والحسد مذمومٌ.

ومن حقوق الأخوة في الإيمان والإسلام: عدمُ الغش والخديعة للمسلمين قال ﷺ: «**مَنْ غشّنا فليس منا**» ومن ذلك الغشُّ في البيع والشراء.

فإن كثيراً من الناس اليوم اتخذوا البيعَ والشراء وسيلةَ احتيال يحتالون بهما للاستيلاء على أموال الناس بالكذبِ والخداع والغشِ.

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدق البيعان وبينا، بوركَ لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربَحا ربحًا ويمحقا بركة بيعهما، واليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده رضي الله عنهما: أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى المصلى، فرأى الناس يتبايعون فقال: «**يا معشر التجار**» فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»** قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقلت: خابُوا وخسروا يا رسول الله، ومن هم؟ قال: **«المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»** رواه مسلم وغيره.

ومن حقوق المسلمين والمؤمنين بعضهم على بعض: احترام حقوقهم التي سبقوا إليها فلا يبع بعضهم على بيع بعض بأن يقول لمن اشترى سلعة بثمن: أنا أعطيك مثلها أو أحسن منها بأقل من ذلك الثمن. ولا يسم بعضهم على سوم بعض، وذلك إذا سام سلعة وأراد صاحبها أن يبيع عليه جاء آخر وقال: لا تبع، أنا أزيد في السوم.

ولا يخطب على خطبة أخيه، وذلك إذا خطب امرأة رضيت به جاء آخر يخطبها، فقد نهى النبي ﷺ عن هذه الأشياء كلها فقال: **«لا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته»** وفي رواية: **«لا يسُم على سَوْمه»**.

ومما نهى عنه الرسول ﷺ: التناجش بين المسلمين، وهو أن يزيد في السلعة المعروضة للبيع من لا يريد شراءها، وإنما يريد رفع قيمتها على المشتري، قال ﷺ: **«لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض»**.

والتدابرُ: أن يعرضَ عن الإنسان ويهجره كالشيء الذي وراء الظهر والدبر.

ومن حقوق المسلمين بعضهم على بعض: التزاور فيما بينهم، وإفشاء السلام وقضاء حوائجهم، والرفق بضعفائهم، وتوقير كبارهم ورحمة صغارهم وعيادة مرضاهم واتباع جنائزهم، قال ﷺ: **«حق المسلم على المسلم خمسٌ: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»** متفق عليه.

ومن حقوق المسلمين: دعاء بعضهم لبعض، قال تعالى لما ذكر المهاجرين والأنصار: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [الحشر: ١٠]، وقال تعالى: **﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾** [محمد: ١٩].

فالمؤمنون إخوة في جميع الأزمان من أول الخليقة إلى آخرها، وفي جميع أقطار الأرض وإن تباعدت ديارهم يدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض، ويحب بعضهم بعضًا، ويعين بعضهم بعضًا على البر والتقوى، وينصح بعضهم لبعض، ويصدقون في تعاملهم فيما بينهم، ويحترم بعضهم حقوق بعض، لأن الله ربط بينهم

برابطة الإيمان التي هي أقوىٰ من رابطة النسب والوطن واللغة.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وراعوا حقوق هذه الأخوة، ولا تضيعوها فتكونوا من الخاسرين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٢ـ١٠٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الأخوة الإيمانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أن من الناس من يدعي الإيمان مكراً وخداعًا لأذية المؤمنين، وهو في باطن الأمر مع الكافرين قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لاَّ يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لاَّ يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ٨ـ١٥].

همهم تتبع عورات المسلمين ومحاولة تفريق كلمتهم، وفيهم قال رسول الله ﷺ **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتتبع عوراتهم يتتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه في بيته»** رواه أبو داود.

ومن الناس من يكون مؤمنًا ضعيف الإيمان، فيتصف ببعض صفات المنافقين فيكذب في الحديث ويخون في الأمانة، ويفجر في الخصومة، وفي مثل هؤلاء قال النبي ﷺ: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»** وفي رواية **«وإذا عاهد**

غدر، وإذا خاصم فجر».

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وكونوا مؤمنين حقًا كما أمركم الله بذلك، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في البراءة من الكفار

الحمد لله رب العالمين، أمر بموالاة المؤمنين وعداوة الكافرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وقد أمره الله بجهاد الكفار والمنافقين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين . .

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى وتذكروا أنه سبحانه وتعالى نهاكم عن موالاة عدوه وعدوكم فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ**﴾ [الممتحنة: ١].

وأخبر سبحانه أن من تولاهم فإنه منهم وأنه ليس من الله في شيء، وموالاتهم معناها محبتهم في القلوب، أو استحسان ما هم عليه من الكفر أو مدحهم والثناء عليهم، أو مناصرتهم ومعاونتهم، أو الفرح بانتصارهم على المسلمين، وما أشبه ذلك من كل ما فيه تعظيمهم واحترامهم.

وقد خفيَ هذا الأمر على كثير من المسلمين لقلة التحدث عنه وبيانه، أو للتساهل فيه، أو لضعف الإيمان، أو لكثرة اختلاط المسلمين بالكفار بسبب قدومهم إلى بلاد المسلمين، أو سفر بعض المسلمين إلى بلادهم، أو غير ذلك من الأسباب، وهذا أمر خطير وشر كبير، ينتج عنه فساد العقيدة، وعدم التمييز بين المؤمن والكافر والبر والفاجر، وانتشار الشر، وقلة الخير.

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقد نفى الله الإيمان عمن تولى الكافر ولو كان أقرب قريب إليه، فقال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

عباد الله: يجب على المسلم الذي يدين بدين الإسلام ويعتقد عقيدة التوحيد أن يوالي أهل هذا الدين أصحاب هذه العقيدة، ويعادي أعداءها، فيحب أهل الإخلاص والتوحيد ويواليهم، ويبغض أهل الشرك والنفاق ويعاديهم.

وهذه ملة إبراهيم التي أمرنا باتباعها قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: ٤].

ومحبة الكفار وإن كانت عملاً قلبيًّا خفيًّا إلا أنها يعبرُ عنها اللسان وأعمال الجوارح ولها علامات ومظاهر تعرف بها، فمن مظاهر موالاة الكفار: التشبه بهم فيما هو من خصائصهم من العادات والسمت والأخلاق، كحلق اللحى وإطالة الشوارب، واستعمال لغتهم في التخاطب والكتابة من غير حاجة، والتشبه بهم في الزي واللباس، وفي كيفية الأكل والشرب فإن التشبه يدل على محبة المتشبه به، ولهذا قال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» لأنه التشبه بهم في الظاهر يدل على محبتهم في الباطن وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة: ٥١].

ومن مظاهر موالاة الكفار: الإقامة في بلادهم، والتجنس بجنسيتهم، وترك الهجرة من بلادهم إلى بلاد المسلمين مع القدرة عليها، فقد حرم الله الإقامة في بلاد الكفار مع القدرة على الهجرة منها إلى بلاد المسلمين وتوعد عليها بأشد الوعيد. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك يعذر من كان في إقامته مصلحةٌ دينية كالدعوة إلى الله تعالى ونشر الإسلام في بلادهم.

ومن مظاهر موالاة الكفار: السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس، لأن السفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة كالسفر لأجل علاج، أو لأجل التجارة، أو لأجل تعلم التخصصات التي يحتاج المسلمون إليها، فيجوز السفر إلى بلاد الكفار لتحقيق هذه الأغراض بقدر الحاجة، وبشرط أن يكون المسلم مظهراً لدينه معتزاً بإسلامه مبتعداً عن

مواطن الشر، حذرًا من دسائس الأعداء ومكائدهم. وكذلك يجوز السفر إلىٰ بلاد الكفار إذا كان لأجل الدعوة إلىٰ الله ونشر الإسلام.

ومن مظاهر موالاة الكفار: إعانتهم ومناصرتهم علىٰ المسلمين ومدحهم والثناء عليهم، وهذا من نواقض الدين والردة عن الإسلام نعوذ بالله من ذلك.

ومن مظاهر موالاة الكفار: الثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، أو اتخاذهم بطانة ومستشارين. قال الله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١١٨]، أي: من غيركم: ﴿**لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا**﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

فقد بين الله في هذه الآيات دخائل الكفار وما يكنونه نحو المسلمين من بغض وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلمين وإلحاق الأذىٰ بهم، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين وغرتهم للتخطيط ضدَّهم، وهذا واقع اليوم ومشاهد من مكر الدولة الكافرة بالمسلمين وعمل المخططات الإجرامية ضدهم.

ومن مظاهر موالاة الكفار: التأريخ بتاريخهم خصوصًا التاريخ الذي يعبرُ عن طقوسهم وأعيادهم، كالتاريخ الميلادي الذي هو عبارة عن ذكرىٰ مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوا الاحتفال به سنويًا فاستعمال هذا التاريخ فيه تشبه بهم ومشاركة لهم في إحياء شعارهم وعيدهم، ولتجنب هذا لما أراد الصحابة رضي الله عنهم عمل تاريخ للمسلمين يؤرخون به أعمالهم ويعرفون به آجال معاملاتهم عدلوا عن تواريخ الكفار وأرخوا بهجرة رسول الله ﷺ، وهذا مما يدل علىٰ وجوب مخالفة الكفار.

ومن مظاهر موالاة الكفار: تهنئتهم بمناسبة أعيادهم، وتعطيلُ الأعمال الرسمية في أيامها، أو حضور احتفالاتهم. وقد قال الله تعالىٰ في وصف عباده المؤمنين: ﴿**والذين لا يشهدون الزور**﴾ [الفرقان: ٢٥]، أي: لا يحضرون أعياد الكفار.

ومن مظاهر موالاة الكفار: مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومعاملاتهم، حتىٰ قال بعض الجهال لما ذهب إليهم، وجدت مسلمين بلا إسلام، قال هذا دون نظر إلىٰ عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد وخلاعتهم

وانحلالهم الخلقي وأما ما عندهم من القوة المادية والتقنية الصناعية فالواجب على المسلمين أن يسبقوهم إليها لأنهم أولى بذلك قال الله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فهذه الأسرار والمنافع الكونية خلقها الله للمؤمنين، ويشاركهم فيها الكفار في هذه الحياة الدنيا، وفي الآخرة تخلص للمؤمنين لا يشاركهم فيها أحد غيرهم.

ومن مظاهر موالاة الكفار التسمي بأسمائهم، كما يحصل من بعض المسلمين أنهم يسمون أولادهم بأسماء أجنبية مستوردة من أسماء الكفار، ويتركون أسماء آبائهم وأجدادهم والأسماء المستعملة في مجتمعهم. وقد قال النبي ﷺ: «**خير الأسماء عبدالله وعبد الرحمن**» وبسبب تغير الأسماء فقد وجد جيل يحمل أسماء غريبة: مما قد يسبب انفصالاً بين هذا الجيل، والأجيال السابقة للمسلمين.

ومن مظاهر موالاة الكفار: بداءتهم بالسلام، وقد نهانا الرسول ﷺ عن ذلك فقال: «**إذا لقيتم المشركين في الطريق فلا تبدءوهم بالسلام واضطروهم إلى أضيقها**» رواه البخاري في «الأدب المفرد».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه**» رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سلمَ عليكم أهلُ الكتاب فقولوا: «عليكم»** رواه البخاري ومسلم.

ومن مظاهر موالاة الكفار: مخاطبتهم بألفاظ الاحترام والتبجيل، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «**لا تقولوا للمنافق يا سيد: فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل**» رواه البخاري في «الأدب المفرد».

ومن مظاهر موالاة الكفار: تشييعُ جنائزهم، وتولي دفنهم، وإلقاء الزهور على قبورهم أو دفنهم في مقابر المسلمين. وقد قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وهذا يشمل حملَ جنازة الكافر وتشييعه أو تكفينه أو الصلاة عليه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

ومن مظاهر موالاة الكفار: الترحم علىٰ أمواتهم والاستغفار لهم، وقد نهىٰ الله عن ذلك، فقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

ومن مظاهر موالاة الكفار: ما ابتلي به كثير من المسلمين اليوم من استقدامهم إلىٰ بلاد المسلمين وبلاد الحرمين، بصفة عمال وسائقين ومستخدمين، وإدخالهم في بيوت المسلمين وبين عوائلهم وتسكينهم بجوار المساجد، حتىٰ يتكون منهم مظهر سيئ حين تقام الصلاة وهم يتجمهرون في الشوارع، فيراهم الكسالىٰ من المسلمين وشبابهم فيقتدون بهم ولا يحضرون الصلاة، مع ما يخشىٰ من أنهم يأتون دعاة إلىٰ كفرهم وعقائدهم ويحاولون تغيير عقائد أولاد المسلمين، إلىٰ غير ذلك من المحاذير الشديدة.

فيا من تستقدمون العمال، ويا أصحاب مكاتب الاستقدام اتقوا الله تعالىٰ، لا تجلبوا علىٰ المسلمين وبلاد المسلمين شـرًّا تتحملون إثمه وتأكلون في مقابله أموالاً حرامًا، وإذا اضطررتم إلىٰ الاستقدام فاستقدموا من المسلمين الصالحين؛ وهم كثير والحمد لله وفيهم الكفاية، ولكن الأمر يحتاج إلىٰ اهتمام ومراقبة لله سبحانه وتعالىٰ.

فاتقوا الله في أنفسكم، وفي إخوانكم المسلمين، وفي بلاد المسلمين، واعلموا أنه كما تجبُ معاداة الكافر الأصلي، فكذلك تجب معاداة الكافر المرتد عن دين الإسلام ولو كان أقرب قريب. قال تعالىٰ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومن أشد المحادين لله ورسوله الذي يتركُ الصلاة متعمدًا، وقد كثر هذا النوع في بلاد المسلمين ولم نَرَ من يعاديهم ويقاطعُهم، بل نرىٰ الكثيرَ منهم يعيشون في بيوت المسلمين وفي بلاد المسلمين معززين مكرمين، مع أن الواجب استتابتهم فإن تابوا وإلا قُتلوا مرتدين وإن بقوا علىٰ قيد الحياة فإنه يجب طردهم، وإبعادهم ولا تجوز مساكنتهم في البيوت، ولا تزويجهم من نساء المسلمين، ولا معاشرتهم ومخالطتهم؛ لأنهم محادون لله ولرسوله وأعداء لله ولرسوله. فأين الحب في الله والبغض في الله؟

يا عباد الله، أين الغيرة لله؟ أين العمل بكتاب الله وسنة رسوله؟ فاتقوا الله في هذا الأمر ولا تساهلوا فيه، فإنه خطير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في معاداة الكفار

الحمد لله الذي جعلَ لنا من أمرنا رشداً، ونهانا أن نتخذ المضلين عضداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بدين الحق والهدى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً دائماً ومستمراً أبداً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى، واعلموا أن عداوتنا للكفار ووجوب بغضنا لهم ما يتبع ذلك من الامتناع من مظاهر موالاتهم التي سبق بيانها، فإننا مع ذلك لا يجوز لنا أن نظلمهم أو نجور عليهم في الحكم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢]. وكذلك عداوتنا لهم لا تمنعنا من عقد المعاهدات معهم والاتفاقات التي هي في صالح المسلمين، ولا من التعامل التجاري معهم واستيراد ما يحتاجه المسلمون من منتجاتهم، لا البيع والشراء معهم ومشاركتهم في حدود ما تبيحه الشريعة الإسلامية؛ لأنَّ النبيﷺ كان يستدين من اليهود، وكذلك لا يمنع بغضنا لهم من مكافأة من أحسن منهم إلينا، قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] وهذا من باب المكافأة والعدل، لا من باب المحبة والموالاة لهم.

ومن ذلك إحسان الولد المسلم إلى والديه الكافرين قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

كما أنه يجب علينا مع بُغض الكفار وعدم موالاتهم، أن ندعُوهم إلىٰ الله وننصَحَهم بالدخول في الإسلام، لعل الله يهديهم ونكون سببًا في ذلك ولنا مثلُ أجرِ مَنِ اهتدىٰ منهم وهكذا يجبُ علينا أن نفرق بين هذه الأمور، وبين المحبة والموالاة، كما يجب علينا أن نعلَمَ أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ مع أمره لنا بمعاداة اليهود والنصارىٰ، فقد أباحَ لنا التزوجَ من نسائهم المحصنَات، والأكلَ من ذبائحهم المُذكاةِ بالذكاة الشرعية، وأن نأخُذَ الجزيةَ منهم إذا أعطوهَا وهم صاغرون، ونتركَهم علىٰ دينهم.

كلُّ هذه تعاملات مع الكفار قد شرَعَها الله سبحانه مع ما شرعه من معاداتهم وعدمُ موالاتهم؛ لأنَّ التعامل الظاهري الذي فيه مصلحة للمسلمين، لا يتعارض مع وجوب بغضهم وبغض ما هم عليه من الكفر والضلال، كما أن بغضنا لهم وعدم موالاتهم لا يمنع استئجارهم للقيام ببعض الأعمال التي يحسنونها ونحن بحاجة إليها. كل ذلك من التعامُلَ الدنيوي لا التعامل القلبي، فلننتبه لهذه الأحكام المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُ محمدﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحث على العمل بالكتاب والسنة والتحذيرُ مما سواهما

الحمد لله الذي أنزلَ علىٰ عبدهِ الكتاب ولم يجعلْ له عوجًا، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له - وعد من اتقاه أن يجعل له مَخرجًا - وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أزال الله به عن هذه الأمة آصاراً، وأغلالاً وحرجًا صلىٰ اللّٰه عليه وعلىٰ آله وأصحابه أفضل قرون هذه الأمة وأهداهم طريقًا ومنهجًا، وسلَّم تسليمًا كثيراً.

أما بعدُ: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم وما كان عليه السلفُ الصالح في الاعتقاد والعمل، وإياكم والأهواء المضلة والمذاهب الباطلة والدعايات المزورة المكذوبة التي يُرَوِّجُها شياطينُ الإنس والجنِ ليصدوكم بها عن دينكم، واحذَرُوا كذلك مِنْ تضليل الجهال الذين يقولون في دينِ الله وعلىٰ الله ما لا يعلمون، واتقوا البدعَ المحدثة في الدين «فإن كل بدعةٍ ضلالةٌ» والبدعة: هي كل ما أُحْدثَ في الدين وليس له دليلٌ صحيح من كتابِ الله وسنة رسولهﷺ. قالﷺ: «**مَنْ عَملَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رد**» رواه مسلم.

ومن العجيب أنَّ كثيراً من الناس يحرِصُون على فعل العبادات التي لم تثبتْ عن النبي ﷺ أكثر مما يحرِصُون على فعلِ العبادات الثابتة. فيحرِصُون مثلاً على فعل صلواتٍ مبتدعة مثل صلاة التسبيح، وصلاةِ الرغائبِ في رجبٍ، وعلى تخصيص ليلةِ النصف من شعبان بصلاةٍ، وتخصيص يوم النصف من شعبان بصيام. كل هذه الأمور لم يثبت فيها شيءٌ عن الرسولﷺ، فهي مبتدعةٌ.

وفيما شرَعَهُ الله وصحَّ عن رسول اللهﷺ من نوافل الصلوات والصيام ما فيه غنيةٌ للمسلم في دينه، وفيه الأجرُ العظيم والثوابُ الجزيل عند ربه وأما البدعُ فإنَّها تُتعب الإنسان وتؤثمه وتُبعده عن الله عز وجل.

فاحذَروا - يا عباد الله - هذه البدع وأهلَها، ولا تقدموا على شيء من العبادات إلا بعد التأكد من مشروعيته، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة وسؤال المحققين من أهل العلم، لا سؤال الجهال، أو علماء الضلال، أوالرجوع إلى الكتب المشبوهة، فإنَّ بعضَ الكتب مَصدرُ هذه الضلالات، ومخزن هذه الجهالات، ومن وراء هذه الكتب أُناس يستلون ما فيها من السموم القاتلة والمواد المتعفنة ويطبعونها في نشرات صغيرة على شكل نصائح وأدعية وأوراد، ويحثُّون الناس على استنساخها أو تصويرها وتوزيعها، ويَعِدُون مَن فَعَل ذلك بالثواب الجزيل، ويتوعدون مَنْ لم ينشُرها أو يكتبْها بالعذاب الوبيل، فما إنْ يسمعُ الجُهالُ ذلك حتى يُبادروا بنشرها وتوزيعها، رغبة أو رهبة. وبهذه الطريقة الشيطانية يُغيرُ الدين الصحيح وتفسدُ عقائدُ الناس.

وهناك ما هو أخطرُ من الكتب، وهوالأشرطة الصوتية التي تُسَجَّلُ فيها هذه الأباطيلُ، وتباعُ أو تُوزَّعُ مجانًا، وهذه الأشرطة أخطُر من الكتب، لأنَّ شرَّ الكتب مقصور على من يحسن القراءة. أما هذه الأشرطة فيسمعها كل أحد من الكبار أو الصغار والرجال والنساء والمتعلمين والعوامُ. وهناك أشرطة وأفلام تحملُ أسماءَ خدَّاعة، مثل: شريط هادم اللذات، وفيلم اليقين، سمَّوها بذلك خداعًا. وفيهما خليطٌ من الكلام والقصص والوعظ وذكر أحوال يزعمون أنهم شاهدوها لبعض الموتى. وعلى فرض صحتها فإنَّه لا يجوز لهم أن يُشيعُوها، بل يجبُ عليهم أن يستروا على أموات المسلمين، ما يرونه من أحوالهم ويستغفروا لهم وإن كان هؤلاء الأموات كفاراً لم يجُزْ لهم أن يتولوا تجهيز جنائزهم. ونحن يَسَعُنا ما وَسعَ سلفَنا الصالحَ، فإنهم كانوا يعظون الناسَ بمواعظ الكتاب العزيز والسنة الصحيحة، و لم يكونوا يعظونَهم بالحكايات المشبوهة والأناشيد الصوفية

التي يسمونها أناشيد إسلامية حتىٰ غرُّوا بها كثيرًا من الشباب والشابات بحجة أنها تؤثرُ علىٰ الناس، فقد أغنانا الله عنها بالكتاب والسنة، ومَنْ لم يسَعْه الكتابُ والسنة فلا وَسَّعَ الله عليه.

فاتقوا اللَّه عباد الله واحذروا هذه الدسائس وحَذروا منها، واتقوا الله يا أصحاب محلات التسجيل، لا تُسجلوا مثلَ هذه الأشرطة فتشتركوا معَ أصحابها في الإثم، وتحصلوا من ورائها علىٰ الكسب الحرام.

نحن لا نقول: إنَّ كُلَّ من يعلمون هذه الأشرطة ويروون هذه الحكايات والقصص، لا نقول: كلهم يقصدون السوءَ والإفسادَ، بل علىٰ العكس فيهم رجالٌ صالحون ويقصدون الخيرَ، ولكنَّ صلاحَ الشخص وحسن نيته وقصده لا يكفيان لتقبل كل ما يفعله وكل ما يقوله، لا سيَّما ما يتعلَّقُ بأمور الدين والعقيدة. فقد كانَ العلماءُ يتركون رواية الحديث عن أناس هم أصحاب صلاح ودين ونية صالحة. لكن لَمَّا لم تتوفر فيهم الشروط المطلوبة للرواية تركوا ما يروونه حفاظًا علىٰ الدين والسنة والعقيدة، وكان السلفُ والمحققون من العلماء يحذرون من القصاص الذين يزاولون الوعظ عن طريق القصص والحكايات ويتركون طريقة الكتاب والسنة في الوعظ والتذكير، ولهم في ذلك أخبار طويلة وكتب مؤلفة في التحذير منهم، ولنا فيهم أسوة حسنة فهم كانوا أعلم منا بما يصلح الأمة. وقد قال الإمام مالك رحمه الله: لا يُصْلِحُ آخر هذه الأمة إلا ما أصلحَ أولهَا.

نعم هناك أشرطة تحوي مواد طيبة وعلومًا نافعة كأشرطة تسجيلات القرآن الكريم وتفسيره، وأشرطة الخطب المفيدة والمحاضرات القيمة والدروس العلمية، فهذه يجبُ تداولها ونشرها بين المسلمين؛ لأنها من أهم وسائل نشر الدعوة والعلم النافع، وإنما الذي نُحَذِّرُ منه هو الأشرطة والأفلام الهابطة والمشبوهة والأشرطة التي تحوي أفكار بعض القصاص الجهَّال وكذا الأشرطة الخبيثة التي تحمل الغناء الماجن، وأصوات المطربين السخفاء، وأصوات المعازف والمزامير، وأفلام العُري والرذيلة، لأن هذه الأشرطة والأفلام تفتكُ بأفكار الأمة وعقائدها وأخلاقها أشد من فَتْك المخدرات والمسكرات في العقول، فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واحذروا فتنتَها وامنَعُوا من دخولها في بيوتكم ووجودها في سياراتكم ومحلاتكم تخلُّصاً من شرها وضَرَرِها.

وفق الله الجميع لمعرفة الحق والعمل به ومعرفة الباطل واجتنابه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في الحث على التمسك بالكتاب والسنة

الحمد لله رب العالمين. أمرنا باتباع كتابه وهدي رسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بين لنا الحق بدليله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الهادي إلىٰ سبيله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وكل من اتصف باتباع الحق وسلم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ واسألوه أن يوفقكم لمعرفة الحق واتباعه ومعرفة الباطل واجتنابه، واعلمُوا أنه كما أن هُناك أشرطة تُنْشَرُ باسم الدين والوعظ والتذكير، وفيها الخطر الذي ذكرنا بعضًا منه، فهناك أشرطة تنشر لإفساد الأخلاق والأعراض ونشر الخلاعة والمجون. إنها أشرطة الأغاني والموسيقىٰ والمعازف والمزامير، وأفلام الفيديو المدمرة التي تعرضُ مشاهد الفسق والإجرام، والمناظر التي يندىٰ لها جبينُ الإسلام. إنها أسلحة موجهة ضد الدين، والعقيدة، والأخلاق، وتستهدف بصفة خاصة شباب المسلمين، لأنهم ثروة الأمة التي تعتمد عليها بعد الاعتماد علىٰ الله في مواجهة عدوها، فانتبهوا - يا عباد الله - لما يُرادُ بكم وما يُحاكُ ضدكم، وتَمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم، فإن خيرَ الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ . . . إلخ.



في الدعاء وفوائده

الحمد لله رب العالمين، أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، توعد المجرمين بالعقاب، ووعَدَ المتقين بالإثابة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الدعاء أعظم أنواع العبادة، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر: ٦٠].

رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح وصححه الحاكم. وقد أمر الله بدعائه في آيات كثيرة ووعد بالإجابة، وأثنى على أنبيائه ورسله فقال: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأخبر سبحانه أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأمر سبحانه بدعائه والتضرع إليه لا سيَّما عند الشدائد والكُرُبات، وأخبر أنَّه لا يُجيبُ المضطر ولا يكشفُ الضر إلا هو، فقال: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾ [النمل: ٦٢].

وذمَّ الذين يُعرضون عن دعائه عند نزول المصائب وحدوث البأساء والضراء، فقال: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ** ﴾ [الأعراف: ٩٤]. وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣].

وهذا من رحمته وكرمه سبحانه، فهو مع غناه عن خلقه يأمُرهم بدعائه، لأنهم هم المحتاجون إليه، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر: ١٥] وقال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ** ﴾ [محمد: ٣٨].

وفي الحديث القدسي:

«**يا عبادي، كلكم ضالّ إلاَّ مَنْ هديتهُ، فاستهدوني أَهْدكُم، يا عبادي كُلُّكم جائعٌ إلا مَن أطعمتُه، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلاَّ من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**» رواه مسلم.

فادعوا الله عباد الله، واعلَمُوا أنَّ لاستجابة الدعاء شروط لا بد من توفرها،

فقد وعد الله سبحانه أن يستجيب لمن دعاه، والله لايخلف وعده، ولكن تكونُ موانع القبول من قبل العبد.

فمن موانع إجابة الدعاء: أن يكون العبدُ مضيعًا لفرائض الله، مرتكبًا لمحارمه ومعاصيه، فهذا قد ابتعد عن الله وقطع الصلة بينه وبينه، فهو حريٌّ إذا وَقَعَ في شدة ودعا أن لا يُستجاب له، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**تَعرَّف إلى الله في الرَّخاء يعرفك في الشدة**» يعني: أن العبد إذا اتقى الله، وحَفظَ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرفَ بذلك إلى الله، وصارَ بينه وبينَ ربه معرفةٌ خاصة، فيعرِفُه ربُّه في الشدة ويراعي له تعرفه إليه في الرخاء، فيُنجيه في الشدائد.

وفي الحديث: «**وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ مما افترضتُه عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمَع به، وبصره الذي يُبصرُ به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها. ولئن سألَني لأعطينَّه، ولئن استعاذَني لأُعيذنَّه**» رواه البخاري.

فَمَنْ عاملَ الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامَلَه الله باللطف والإعانة في حال شدته، كما قال تعالى عن نبيه يونس عليه الصلاة والسلام لمَّا التقمه الحوت: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

أي: لولا ما تقدم له من العمل الصالح في الرخاء، وقيل: لولا أنه كانَ من المصلين قبلَ ذلك ﴿**لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [الصافات: ١٤٤].

أي: لصار له بطنُ الحوت قبرًا إلى يوم القيامة. قال بعض السلف: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إنَّ يونس عليه الصلاة والسلام كان يذكر الله فلمَّا وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]، وإنَّ فرعون كان طاغيًا ناسيًا لذكر الله ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ**﴾ [يونس: ٩٠]، فقال الله تعالى: ﴿**آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [يونس: ٩١].

ومن أعظم موانع الدعاء: أكل الحرام، وشراب الحرام، ولبس الحرام، فقد ذكر النبي ﷺ: «**الرجلَ يُطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ، يمُدُّ يديه إلى السماء يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُه حرامٌ، ومشربهُ حرامٌ، وملبسُه حرامٌ، وغُذِّي بالحرام، فأنَّى يُستجابُ لذلك**» رواه مسلم. فقد أشار النبي ﷺ إلى أنَّ التمتع بالحرامِ أكلاً وشربًا ولبسًا وتغذيًا أعظمُ مانع من قبول الدعاء.

وفي الحديث: «أَطِبْ مطعمَك تكنْ مجابَ الدعوة».

وقد ذكر عبدُ الله بنُ الإمام أحمد في كتاب «الزهد» قال: «أصابَ بني إسرائيل بلاءٌ، فخرجوا مخرجًا، فأوحى الله عزوجل إلى نبيهم أَنْ أَخبِرْهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدانٍ نجسة، وترفعون إليَّ أكُفًّا قد سفكتُم بها الدماءَ وملأتم بها بيوتَكم من الحرام، الآن حينَ اشتَدَّ غضبي عليكم لن تزدادوا مني إلا بُعْدًا» فتنَبَّهوا لأنفسكم أيُّها الناس. وانظُروا في مكاسبكم ومآكلكم ومشاربكم وما تُغَذُّون به أجسامكم، ليستجيب الله دعاءكم وتضرعكم.

ومن موانع قبول الدعاء: عدمُ الإخلاص فيه لله، لأنَّ الله تعالى يقولُ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] وقال تعالى: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فالذين يدعون معه غيرَه، من الأصنام وأصحاب القبور والأضرحة، والأولياء والصالحين، كما يفعَلُ عُبَّادُ القبور اليومَ من الاستغاثة بالأموات، هؤلاء لا يستجيبُ الله دعاءَهم إذا دعوه لأنهم لم يخلصوا له، وكذلك الذين يتوسَّلون في دعائهم بالموتى فيقولون: نسألُكَ بفلانٍ أو بجاهه، هؤلاء لا يُستجابُ لهم دعاءٌ عند الله، لأنَّ دعاءَهم مبتدَعٌ غير مشروع، فالله لم يشرع لنا أن ندعوَهُ بواسطة أحد ولا بجاهه، وإنما أَمَرَنَا أن ندعُوهُ مباشرةً من غير واسطة أحد وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فاحذَرُوا من الأدعية الشركية والأدعية المبتدَعة التي تروجُ اليوم.

ومن موانع قَبُولِ الدعاء: أن يدعُوَ الإنسانُ وقلبه غافلٌ، فقد روى الحاكم في «مستدركه» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ادعوا الله وأنتم موقنونَ بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاءً منْ قلب غافلٍ لاهٍ**».

ومن موانع قبول الدعاء: تركُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن حُذيفَة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمُرنَّ بالمعروف ولتنهَونَّ عن المُنْكَر، أو لَيُوشكَنَّ الله أَنْ يبعَثَ عليكم عذابًا منه ثم تدعونه فلا يَستجيبَ لكم**» رواه الترمذي.

قال الإمام ابنُ القيم: الدعاءُ من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلَّفُ عنه أثرهُ: إما لِضَعفِه في نفسه، بأن يكونَ دعاءً لا يُحبُّه الله لما فيه من

العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقتَ الدعاء، فيكونُ بمنزلة القوس الرخو جداً، فإنَّ السهمَ يخرج منه خروجًا ضعيفًا، وإمَّا لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، ورَيْن الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها. قال: والدعاءُ من أنفع الأدوية. وهو عدوُّ البلاء يُدافعهُ ويعالجه، ويمنع نزولهَ ويرفَعُه أو يخففُه إذا نَزَلَ، وهو سلاح المؤمن -كما روى الحاكمُ في «مستدركه» من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدعاءُ سلاحُ المؤمن، وعمادُ الدين، ونورُ السَّماوات والأرض»** وروى الحاكمُ أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«الدعاءُ ينفعُ مما نَزَلَ ومما لم ينزلْ فعليكمْ عبادَ الله بالدعاء»**. فاتقوا الله - عباد الله - وألحوا على ربكم في الدعاء: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله يُحبُّ المُلحينَ في الدعاء»**.

فالدعاءُ هو أعظمُ أنواع العبادة، لأنَّه يَدُلُّ على التواضع لله، والافتقار إلى الله، ولين القلب والرغبة فيما عنده، والخوف منه تعالى، والاعتراف بالعَجَزِ والحاجة إلى الله. وتركُ الدعاء يَدلُّ على الكبر وقسوة القلب والإعراض عن الله، وهو سبب لدخول النار، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر: ٦٠]. كما أن دعاء الله سبب لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨].

يخبر سبحانه عن أهل الجنة أنهم يسأل بعضُهم بعضًا عن أحوال الدنيا وأعمالهم فيها، وعن السبب الذي أوصلهم إلى دار الكرامة، فيقول بعضهم لبعض، إن السبب الذي أوصلهم إلى ما هم فيه من الكرامة والسرور أنهم كانوا في دار الدنيا خائفين من ربهم ومن عذابه، فتركوا الذنوب وعملوا الصالحات وأن الله سبحانه منَّ عليهم بالهداية والتوفيق، ووقاهم عذاب الحريق، فضلاً منه وإحسانًا؛ لأنهم كانوا في الدنيا يدعونه أن يقيهم عذاب السموم، ويوصلهم إلى دار النعيم، فادعوا الله - أيها المسلمون - وأكثروا من دعائه مخلصين له الدين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

في الخطبة الثانية في الدعاء وفوائده

الحمد لله على فضله وإحسانه، يجيب الداعين، ويحب المتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة الحق واليقين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، أفضل الداعين، وأخوف الخلق وأخشاهم لرب العالمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى واعلموا ـ رحمكم الله ـ أنَّ لقبول الدعاء أسبابًا إذا وفق لها العبد حصلت له الإجابة. قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ مبينًا تلك الأسباب، وإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبارَ الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تُقضى الصلاة، وآخر ساعةٍ بعد العصر من ذلك اليوم. وصادف خشوعًا في القلب، وانكساراً بين يدي الرب، وذلاً له وتضرعًا ورقةً، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ ثم قدَّمَ بين يدي حاجته التوبةَ.

والاستغفار، ثم دخلَ على الله وألح عليه في المسألة، ودعاه رغبةً ورهبةً وتوسلَ إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدَّمَ بين يدي دعائه صدقةً، فإنَّ هذا الدعاء لا يكاد يردُّ أبداً، ولا سيَّما إن صادفَ الأدعيةَ التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنَّةُ الإجابة أو أنها متضمنةٌ للاسم الأعظم.

عباد الله: والدعاءُ فيه تفريجُ الكربات، وإغاثَةُ اللهفات، والنصرُ على الأعداء، فأكثروا من الدعاء لأنفسكم ولإخوانكم المسلمين، وادعوا على الكفرة، وأعداء الدين، فإنَّ الله قريب مجيب، واعلمُوا أنَّ دعوةَ المظلوم مستجابةٌ فاحذَرُوا الظلمَ، قال ﷺ: «**واتق دعوةَ المظلوم، فإنَّه ليس بينها وبينَ الله حجابُ**» فلا تظالموا يا عباد الله، واعلموا أنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله.... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان ضوابط العبادة الصحيحة

الحمد لله رب العالمين، أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا، وأمرنا بالتمسك به إلى الممات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وتلك وصية إبراهيم ويعقوب لبنيه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (ونحن مسلمون)، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله الصادقُ المأمون، أنزل الله عليه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

اللهم صلِّ على عبدك ورسولك ونبيك، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه تغنموا وتسعدوا في الدنيا والآخرة، واعلموا أن الله خلق الجن والإنسَ لعبادته كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وفي ذلك شرفُهم وعزُّهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لأنهم بحاجة إلى ربهم ولا غنى لهم عنه طرفة عين، وهو غني عنهم وعن عبادتهم كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

والعبادة: هي التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة وهي حق لله على خلقه، وفائدتها تعود إليهم، فمن أبى أن يعبد الله فهو مستكبر، ومن عبدَ الله وعبدَ معه غيره فهو مشركٌ، ومن عبدَ الله وحده بغير ما شرَعَ فهو مبتدعٌ، ومن عبدَ الله وحده بما شرع فهو المؤمنُ الموحد.

ولما كان العبادُ في ضرورة إلى العبادة، ولا يمكنهم أن يعرفوا بأنفسهم حقيقتَها التي ترضي الله سبحانه وتوافقُ دينه، لم يكلهُم إلى أنفسهم، بل أرسلَ إليهم الرسلَ وأنزل الكتبَ لبيان حقيقة تلك العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا

اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فمن حاد عما بينته الرسل، ونزلت به الكتب من عبادة الله، وعبد الله بما يملي عليه ذوقه وما تهواه نفسه وما زينته له شياطين الإنس والجن فقد ضل عن سبيل الله، ولم تكن عبادته في الحقيقة عبادة لله، بل هي عبادة لهواه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠].

وهذا الجنسُ كثيرٌ في البشر وفي طليعتهم النصارى من ضلَّ من فرق هذه الأمة، فإنهم اختَطوا لأنفسهم خطة في العبادة مخالفة لما شرعه الله في كثير من شعاراتهم، وهذا يتضح ببيان حقيقة العبادة التي شرعها الله على لسان رسول الله ﷺ ليتبين، أنَّ كل ما خلافها فهو باطل، وإن زعم من أتى به أنه يقربه إلى الله، فهو يبعده عن الله.

إن العبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى تنبني على أصول وأسس ثابتة تتلخص فيما يلي:

أولاً: أنها توقيفيةٌ، بمعنى أنه لا مجال للرأي فيها، بل لا بد أن يكون المشرع لها هو الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى لنبيه: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا ﴾ [هود: ١١٢] وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨] وقال عن نبيه: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الأحقاف: ٩].

ثانياً: لا بدَّ أن تكون العبادة خالية من الشرك كما قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

فإن خالط العبَادةَ شيءٌ من الشرك أبطلها كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

ثالثاً: لا بد أن يكون القدوة في العبادة والمبين لها رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وما ءاتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر: ٧].

وقال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم، وفي رواية:

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه، وقوله ﷺ: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي» متفق عليه، وقوله: «خذوا عني مناسككم» رواه مسلم، إلىٰ غير ذلك من النصوص الدالة علىٰ وجوب الاقتداء برسول الله ﷺ دون سواه.

رابعًا: أنَّ العبادة محدودةٌ بمواقيت ومقادير لا يجوز تعديها وتجاوزها كالصلاة مثلاً، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وكالحج: قال تعالىٰ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكالصوم: قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فلا تصح هذه العبادات أداءً في غير مواقيتها.

خامسًا: لا بد أن تكون العبادة قائمة علىٰ محبة الله تعالىٰ والذل له وخوفه ورجائه، قال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تعالىٰ عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

فذكر سبحانَه علامات محبة الله وثمراتها.

أمَّا علاماتُها؛ فاتباعُ الرسول ﷺ وطاعةُ الله وطاعة الرسول.

أمَّا ثمراتُها؛ فنيلُ محبة الله سبحانه، ومغفرةِ الذنوب والرحمة منه سبحانه.

سادسًا: أن العبادةَ لا تسقطُ عن المكلف من بلوغه عاقلاً إلىٰ وفاته، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

عباد الله: والعبادة لها أنواع كثيرة، فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه الله من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

فالصلاة والزكاة والصيام والحج من أعظم أنواع العبادة، وهي أركان الإسلام وكذلك الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة هي من أنواع العبادة، كصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد والنصيحة، والأمر بالمعروف،

والنهي عن المنكر، والجهاد، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، والمماليك من الآدميين، والبهائم والدعاء، والدعاء والذكر والقراءة، وأعمال القلوب من حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه. فالدين كلُّه داخل في العبادة، وأعظم أنواع العبادة أداءُ ما فرضَه الله وتجنُّب ما حرَّمه الله تعالى. قال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُه عليه**».

فأداء الفرائض أفضل الأعمال كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: أفضلُ الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرَّمَ الله، وصدق الرغبة فيما عند الله، وذلك أن الله تعالى إنما افترض على عباده الفرائض ليقربَهم عنده ويوجبَ لهم رضوانه ورحمته، وأعظم فرائض البدن التي تقرب إليه الصلاة كما قال تعالى: ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾ [العلق: ١٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «**أقرب ما يكونُ العبد من ربِّه وهو ساجدٌ**».

وقال: «**إذا كان أحدُكم يصلِّي فإنَّما يُناجي ربَّه**» ولكنَّ هذه الصلاة خفَّ ميزانُها اليومَ عند كثير من الناس، كما قال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

والعجبُ أنَّ بعضهم يأتي ببعض النوافل أو كثير منها وهو مضيع للصلاة، فتراه يحجُّ ويعتمر وهو مضيعٌ للصلاة، ومنهم من يكثرُ من الصدقات والتبرعات وهو لا يؤدِّي الزكاة المفروضة، ومنهم من يحسن أخلاقه مع الناس وهو عاق لوالديه، قاطعٌ لرحمه، سيئ الخلق مع زوجه وأولاده. ولا شك أن العدل في الرعية من الفرائض الواجبة، سواء كان رعيةً عامة كالحاكم، أو رعيةً خاصة كالرجل مع أهل بيته.

قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن المقسطين عند الله على منابرَ من نورٍ على يمين الرحمن وكلتا يديه يمينٌ الذين يعدلُون في حُكمهم وأهليهم وما ولوا**».

وأعظمُ رعايةِ الأهل والأولادِ أمرُهم بالمعروفِ، ونهيُهم عن المنكر، وإلزامهم بأداء الصلاة، ومنعُهم من سماع الأغاني والمعازف والمزامير ومشاهدة الأفلام الخليعة والمسلسلات التي تحمل أفكاراً مسمومة، أو تشغل عن طاعة الله وذكره، وبعض الآباء

الذين هم أشباه رجال، وليسوا برجال يجلبون هذه الآفات إلى بيوتهم ويتركونها تفتكُ في أخلاق أولادهم ونسائهم.

إن عبادَ الله حقًا هم الذين يعمرون بيوتَهم بطاعة الله ويربونَ أولادهم ونساءهم على عبادة الله.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤-٦٦].

إن عباد الله هم الذين يدعون الله أن يصلح أزواجهم وذريتهم.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

عباد الله: إن العبادةَ لا تنحصر في حد ضيق، ولكنها تشملُ كلَّ ما شرعه الله من الأقوال والأعمال والنيات، فهي تشمل أقوالَ اللسان وحركات الجوارح ومقاصد القلوب، بل تشملُ كلَّ حياة المسلم، حتى أكلَه وشربه ونومَه، إذا نَوَى بذلك التقوى على طاعة الله، بل حتى معاشرتَه لزوجته إذا نوى بها التعفف عن الحرام، كما قال النبي ﷺ: «**إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمرٍ بمعروف صدقة، ونهيٍ عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**» رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته صدقة، فتحملُه عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**» رواه البخاري ومسلم، فاتَّقوا الله عباد الله واعبدوه كما أمركم....

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في موضوع العبادة

الحمد لله رب العالمين، خلق الخلق ليعبدوه وأنعم عليهم ليشكروه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكمل الخلق عبادةً لله.
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من سار على نهجه وتمسك بهداه وسلم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واحذروا مما يبطل العبادة أو يذهب ثوابها، فمن ذلك الشرك بالله عز وجل، ومنه الرياء والسمعة قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨].

ومن ذلك: البدع والمحدثات قال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»...

ومن ذلك: ظلم الناس والتعدي عليهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فقد جاء في الحديث: «**أن من الناس من يأتي يوم القيامة بأعمال أمثال الجبال، فيأتي وقد ضرب هذا وشتم هذا وأكل مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته، ولهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته أخذ من سيئات المظلومين، فطرحت عليه وطرح في النار**».

ومن ذلك بعض الكلمات الخبيثة التي ينطبق بها الإنسان من غير تفكير في عواقبها كما جاء في الحديث: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» وفي الحديث أيضًا: «**أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطتُ عملك**».

ومن ذلك الحسد، ففي الحديث عن النبي ﷺ، قال: «**إياكم والحسدَ، فإن الحسدَ يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطبَ، أو قال العشبَ**» رواه أبو داود وغيره.

فاتقوا الله عباد الله وحافظوا على أعمالكم من المبطلات والآفات، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في التحذير من البدع

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وجعلنا إن تمسكنا به خير أمة. . . . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفتح لمن قالها صادقًا باب الجنة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبيٌّ جعلَ الله بعثتهُ وإرساله للعالم رحمة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا في الخير قادة وأئمة، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى وتمسكوا بدينكم الذي به نجاتكم وسعادتكم، واحذروا دسائس الأعداء الذين يريدون القضاء على هذا الدين بشتى الوسائل والمحاولات، ومن شر هذه الدسائس القضاء على الدين باسم الدين، وذلكم بأن تحدث أمور تُزَاد في الدين وهي ليست منه.

وقد حذرنا الله ورسوله من هذه الدسائس وهذه المحدثات، وأوضح لنا صفات أصحابها لنكون منها ومنهم على حذر قال تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم**﴾ [الزمر: ٥٥].

وقال: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال النبي ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي**»، وقال ﷺ: «**إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**» وقال ﷺ: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

عباد الله: في هذه النصوص من الكتاب والسنة الأمر باتباع الكتاب والسنة والنهي عن الابتداع والمبتدعين، والبدعةُ: عبارة عن كل ما أحدثَ في الدين، وهو ليس منه، بأن لا يكون عليه دليل من كتاب الله ولا من سنة رسوله أو خلفائه الراشدين، أما ما أحدث من العادات والأعمال الدنيوية المباحة كالمخترعات الحديثة على اختلاف أنواعها، فهذه مباحة لأن الأصل في العادات والمنافع الحل، إلا ما ترتب عليه ضرر أو استخدام في محرم. . .

والبدع في الدين على قسمين:

الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة في العقائد. . . .

الثاني: بدعة عملية كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهذا محرم لأن الأصل في العبادات التوقيف، والاقتصار على ما شرعه الله ورسوله.

والابتداع في العبادات أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة بأن تحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كإحداث أعياد الموالد للأنبياء، وللأولياء، أو للعلماء، والملوك، والرؤساء المعظمين، أو غير المعظمين.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة كما لو زاد في عدد ركعات الصلاة عما شرعه الله، كما لو زاد ركعة ثالثة في الفجر أو رابعة في المغرب أو خامسة في الظهر والعصر والعشاء. . .

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة وذلك كأداء الأذكار المشروعة بصفة غير مشروعة، كأن تؤدى الأذكار بأصوات جماعية. . .

النوع الرابع: تخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع، كتخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، وتخصيص يوم النصف منه بصيام. . .

وحكم البدع في الدين بجميع أنواعها أنها محرمة وضلالة، لقوله ﷺ: «**فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**».

ومن زعم أن هناك بدعة حسنة فهو مخطئ ومخالف لهذا الحديث.

ومن البدع ما هو كفر كالطواف بالقبور تقربًا إلى أصحابها، وذبح الذبائح، وتقديم النذور لها ومن البدع ما هو من وسائل الشرك والكفر كالبناء على القبور، والصلاة عندها والدعاء عندها، وعمل الموالد للرسول أو لغيره. . .

ومن البدع ما هو فسق اعتقادي كمذاهب الخوارج والقدرية والمرجئة.

ومن البدع ما هو معصية دون الفسق كالغلو والزيادة في أداء العبادة عن الحد المشروع كالذي يصلي الليل ولا ينام، والذي لا يتزوج النساء، أو لا يأكل اللحم والطيبات من

الرزق، ويعتبر ذلك من باب الزهد والتقرب إلىٰ الله . . .

أيها المسلمون: إن البدع تبعدُ عن الله وعن دينه الصحيح، وهي شرٌّ لا خير فيها، قال ﷺ: «**وشر الأمور محدثاتها**».

والبدعة أحب إلىٰ الشيطان من المعصية؛ لأن العاصي يعترف بخطئه ويتوب، أما المبتدع فيرىٰ أنه علىٰ صواب فلا يتوب، ولأن المبتدع يشرع دينًا لم يأذن به الله، ويحاد الله ورسوله ولو حسنَ قصده، فإن حسن القصد وسلامة النية لا يبرران المخالفة للكتاب والسُّنَّة. قال تعالىٰ: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

فالشياطين تزين لهؤلاء مخالفتهم حتىٰ يحسبوا الضلال هدىٰ والباطل حقًا، وقال تعالىٰ: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذه الآية عامة في كل من عبد الله علىٰ غير طريقة مرضية، يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو يخطيء وعمله مردود، كما قال تعالىٰ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً**﴾ [الغاشية: ٢-٤].

فهؤلاء أتعبوا أنفسهم في العمل والخشوع، وكانت عاقبتهم النار الحامية، لأن عملهم علىٰ غير أساس من الشرع الإلهي.

ولما رأىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعضَ الرهبان من النصارىٰ بكَىٰ، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يُبكيك من هذا؟ قال ذكرت قوله تعالىٰ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً**﴾ [الغاشية: ٢-٤].

ومن مفاسد البدع أنها تفرق جماعةَ المسلمين وتجعلُ المسلمين شيعًا وأحزابًا، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطًا، فقال: «**هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾**» [الأنعام: ١٥٣].

ومن مفاسد البدع أنها تكسل صاحبها عن فعل السنن، بل إن المبتدع يبغض السنن، ولهذا تجد المبتدعة من أكسل الناس في أداء الواجبات وإحياء السنن، وإنما نشاطهم في إحياء البدع وإقامتها. . .

وتجد المبتدعة دائمًا يبحثون عن الأحاديث الموضوعة والأحاديث الضعيفة والحكايات المخترعة التي تؤيد بدعتهم، ويتركون الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة التي تدلُّ على بطلان ما هو عليه، أو يؤولونها بغير معناها الصحيح، وإذا لم يجدوا ما يستندون إليه من الأحاديث الموضوعة، احتجوا بعمل فلان وفلان وبما ذكر في الكتاب الفلاني.

ومن المعلوم أنَّه لا يجوز العمل بكل ما وُجِدَ في الكتب أو الاقتداء بما عليه الناس، حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فما وافقهما قبلَ، وما خالَفَهما ردَّ، فالكتب فيها الدسُّ الكثير، وفيها الأحاديث المكذوبة والحكايات الباطلة والخرافات الضالة. وأعمال الناس فيها الخطأ والصواب، ولا يميزُ هذا الكتاب إلا الكتابُ العزيز والسنة الصحيحة، وما كان عليه السلف الصالح من صدر هذه الأمة، كما قال ﷺ: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**».

وفي «سنن أبي داود» عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: «كلُّ عبادة لا يتعبَّدها أصحاب محمد ﷺ فلا تعبدُوها، فإن الأولَ لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشرَ القُرَّاء وخذوا طريق من كان قبلكم».

وعن الحسن رحمه الله قال: لا يقبل الله لصاحب بدعةٍ صومًا ولا صلاة ولا حجًا ولا عمرة حتى يدعها.

وقال محمد بن مسلم: من وقَّر صاحب بدعة فقد أعانَ على هدم الإسلام. وهكذا كان السلف رحمهم الله يحذرون من البدع؛ لأن النبي ﷺ حذرَ منها، ولما تجُرُّه على المسلمين من ويلات وعلى الدين من خللٍ، ولما بلغَ ابن مسعود رضي الله عنه أن جماعة يجلسون في المسجد حلقًا في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة فيكبرون مئة، ثم يقول: هللوا مئة فيهللون مئةً ثم يقول: سبحوا مئةً فيسبحون مئةً، فأتاهم ابن مسعود رضي الله عنه وهم على تلك الحال، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فعُدوا سيئاتِكم، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيءٌ، ويحكم يا أمة محمد وما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ وآنيتهُ لم تكسر، والذي

نفسي بيده إنكم لعلىٰ ملة هي أهدىٰ من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، وقال: وكم مريدٍ للخير لن يصيبه.

وجاء رجلٌ إلىٰ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ فقال: من أين أحرمُ؟ فقال: من الميقات الذي وقتَ رسولُ الله ﷺ وأحرمَ منه، فقال الرجل: وإن أحرمتُ من أبعدَ منه، فقال مالك: لا أرىٰ ذلك، فقال الرجل: ما تكره من ذلك؟ قال مالك: أكره عليك الفتنة، قال الرجل: وأي فتنة في ازدياد الخير؟ قال مالك: فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وأي فتنةٍ أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ.

عباد الله: ومن أعظم ما يوقع الناسَ في البدع التشبه بالكفار، كما في حديث أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين ونحن حدثاءُ عهدٍ بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبنَّ سننَ من قبلكمْ**».

دلَّ هذا الحديث علىٰ أن التشبه بالكفار وتقليدهم يوقع في الشرك والبدع، وهذا هو الواقع اليوم فإن غالب المسلمين اليوم قلَّدوا الكفار في عمل البدع والشركيات، فأقاموا أعيادَ الموالد والأيام والأسابيع لإحياء الذكريات وتجديد المناسبات مما جَرَّ علىٰ المسلمين كثيراً من البدع، وشغلهم عن إحياء السنن فلنتنبه لذلك، ولنكن علىٰ حذر، ولا ننخدع بهذه الأمور، وإذا عملها من عملها ولم نستطع منعه من ذلك فنعتزله ولا نشارك في إقامة هذه البدع، فإنها ليست من دين المسلمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

في النهي عن الابتداع في شهر رجب وغيره

الحمد لله رب العالمين، أغنانا بكتابه المبين، وسنة نبيه الأمين، عن ابتداع المبتدعين، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغَ الرسالة ونصح الأمة، وتركها على البيضاء لا يزيغُ عنها إلا الهالكون، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يهدون بالحق وبه كانوا يعدلون، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم يبعثون.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم، واحذَرُوا البدع فإنها تضلُّ عن الدين وتبعدُ عن رب العالمين، وإن من البدع ما أحدثه الناس في هذا الشهر: (شهر رجب) من العبادات والاحتفالات، وما زعموه له من الفضائل والكرامات، التي توارثوها جيلاً بعد جيل، ابتداءً من عصر الجاهلية إلى وقتنا هذا: من تخصيصه بقيام بعض لياليه أو صيام بعض أيامه، أو تخصيصه بذبائح تذبح فيه تقربًا إلى الله تعالى، أو تخصيصه بعمرة أو غير ذلك، وما يخُصُّون ليلة السابع والعشرين، منه باحتفال يسمونه الاحتفال بمناسبة الإسراء والمعراج، وكل هذه الأمور بدع محدثة، ما أنزل الله بها من سلطان، وليس لشهر رجب خاصية على غيره من الشهور إلا أنه من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فاتخاذه موسمًا بحيث يفردُ بالصوم مكروه عند الإمام أحمد وغيره، كما روي عن عمر بن الخطاب وأبي بكرة وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهما، ومما أحدث في هذا الشهر من البدع: تعظيم يوم أول خميس منه وصلاة ليلة أول جمعة منه، وهي الصلاة المسماة بصلاة الرغائب.

قال شيخ الإسلام: فإن تعظيم هذا اليوم والليلة إنما أحدث في الإسلام بعد المئة الرابعة، وروي فيه حديث موضوع باتفاق العلماء، مضمونه:

فضيلة صيام ذلك اليوم وفعل هذه الصلاة المسماة عن الجاهلين بصلاة الرغائب.

إلىٰ أن قال: والصواب الذي عليه المحققون من أهل العلم النهي عن إفراد هذا اليوم بالصوم، وعن هذه الصلاة المحدثة وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم، وصنعة الأطعمة، وإظهار الزينة ونحو ذلك، حتي يكونَ هذا اليوم بمنزلة غيره من الأيام وحتىٰ لا يكون له مزية أصلاً.

وقال الحافظ ابن حجر: لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحُجة.

وقال الحافظ ابن رجب: فأمَّا الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به.

والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء إلىٰ أن قال: وأما الصيام فلم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه .... انتهىٰ.

وقد اعتاد بعض الناس أداء العمرة في شهر رجب ويظنون أن للعمرة فيه مزيةً وفضيلةً علىٰ العمرة في غيره من الشهور، وهذا خطأ، فإن الوقت الفاضل لأداء العمرة، أشهرُ الحج وشهر رمضان وما عداها من الشهور فهي في سواء في ذلك.

قال ابن سيرين: ما أحد من أهل العلم يشك أن عمرة في أشهر الحج أفضل من عمرة في غير أشهر الحج، ولما ذكر ابن القيم عدد العُمَر التي اعتمرها رسول الله ﷺ وأنها كلها في أشهر الحج، قال: وهذا دليل علىٰ أن الاعتمار في أشهر الحج أفضلُ منه في رجب بلا شك.

وأما المفاضلة بينه، أي: الاعتمار في أشهر الحج - وبين الاعتمار في رمضان فموضع نظر. وقد صح أنه أمر أمَّ مَعْقِل لما فاتَها الحجُّ معه أن تعتمر في رمضان، وأخبرَها أن عمرة في رمضان تعدل حجة، وأيضًا فقد اجتمع في عمرة رمضان أفضلُ الزمان وأفضل البقاع، ولكن الله لم يكن يختار لنبيه ﷺ في عمرِه إلا أولىٰ الأوقات وأحقَّها بها، فكانت العمرةُ في أشهر الحج نظيرَ وقوع الحج في أشهره، وهذه الأشهر قد خصَّها الله تعالىٰ بهذه العبادة وجعلها وقتًا لها.

والعمرة حجٌّ أصغر فأولىٰ الأزمنة بها أشهر الحج... انتهىٰ كلام ابن القيم رحمه الله.

ومعناه: أن الوقت الفاضل لأداء العمرة حسب الأدلة هو أشهر الحج وشهر رمضان، وما عدا هذه الأشهر من بقية السنة فلا فضلَ لبعضِهِ علىٰ بعض في أداء العمرة، لا في

رجب ولا في غيره، فلا داعي لتحري العمرة في رجب دون غيره وتخصيصه من بين الشهور بالعمرة فيه فهو يحتاج إلىٰ دليل: ولا دليل علىٰ ذلك.

ومما أحدث في شهر رجب من البدع الاحتفال بمناسبة الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين منه، فيجتمعون في المساجد ويلقون الخطب والمحاضرات، ويضيئون المنارات والشوارع بأنواع خاصة من الأنوار الكهربائية، ويبث ما يجري في هذه الاحتفالات من خلال الإذاعات لتبليغها لمن لم يحضُرها حتىٰ يقتدي بهم غيرُهم في ذلك، ولا شك أن الإسراء والمعراج آيتان عظيمتان ونعمتان كبيرتان، قد نوه الله بشأنهما في كتابه الكريم، فيجب علينا الإيمان بهما وشكر الله علىٰ ما أكرم به رسوله ﷺ وأراه من آياته في الإسراء والمعراج، وما أكرم الله به أمته من فرض الصلوات الخمس فيهما، وهي خمس صلوات في العمل وخمسون صلاة في الميزان والأجر، لأن الحسنةَ بعشر أمثالها.

فواجبنا أن نحمدَ الله ونشكرَه علىٰ ذلك، وذلك بطاعته وطاعة رسوله وأداء فرائض الله.

أما إقامة هذه الاحتفالات فهي كفرٌ بهذه النعمة، لأنها بدعة، «**وكل بدعة ضلالة**» والبدعة معصية لله ولرسوله تبعد عن الله وتصدٌ عن دين الله.

والدليل علىٰ أن ذلك بدعة أنه عملٌ لم يفعله الرسول ﷺ، ولا صحابته الكرام، ولا القرون المفضلة في الإسلام، وإنما حدث هذا بعدهم علىٰ أيدي الجهلة والطغام.

والرسول ﷺ يقول: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» ولأن هذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينُها لا في رجب ولا في غيره، ولم يهتم الصحابة، ولاعلماءُ الإسلام من بعدهم في البحث عن تعيين هذه الليلة؛ لأنَّها لا يتعلق بها حكم شرعي، فلا فائدة لنا في تعيينها، وقد اختلف المؤرخون في تعيينها وتعيين الشهر الذي حصلت فيه، فقيل: هي في شهر ذي القعدة قبل الهجرة بستة عشر شهراً، وقيل: في شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، وأمَّا كون هذه الليلة في شهر رجب فهو لم يثبت كما ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله، وقال الإمام ابن القيم(لم يقم دليل علىٰ شهرها، ولا علىٰ عشرِها، ولا علىٰ عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يقطع به، ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره إلىٰ أن قال: ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة علىٰ غيرها، ولا كان الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من

الأمور ولا يذكرونها، ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ . ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية) انتهى كلامه رحمه الله.

ولو ثبتَ تعيينُ ليلة الإسراء لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات، ولم يجز لهم أن يحتفلوا فيها، و لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا فيها ولم يخصوها بشيء، ولو كان الاحتفال فيها مشروعًا لبينَّه النبي ﷺ للأمة إما بالقول وإما بالفعل ولو وقع شيءٌ من ذلك عرف واشتهر ،ونقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا.

فالاحتفال فيها بدعة ليس من دين الإسلام، فعلى من يفعله من المسلمين أن يتركه، وعلى المسلم أن لا يغتر بما يفعله المبتدعة من الاحتفال في هذه الليلة، ولا بما يُنقل في وسائل الإعلام من الصور المرئية أو الصوتية لتلك الاحتفالات البدعية؛ لأن هؤلاء قوم عاشوا في البدع وألفوها حتى صارت أحب إليهم من السنن وصار الدين عندهم مجرد إقامة احتفالات، وإحياء مناسبات وذكريات، كفعل النصارى في تتبع آثار الأنبياء أو تتبع الأزمنة التي جرت فيها أحداث لهم، وعمل أعياد واحتفالات لإحياء ذكرياتها أو التبرك بمناسباتها وقد نُهينا عن ذلك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: بل غار حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي وكان يتحراه قبل النبوة لم يقصده هو ولا أحدٌ من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة، ولا خص اليوم الذي أنزل عليه فيه الوحي بعبادة ولا غيرها، ولا خص المكان الذي ابتدئ فيه بالوحي ولا الزمان بشيءٍ.

ومن خص الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات، كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله، وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعة يتبادرون مكانًا يصلونَ فيه، فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺ ، فقال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجدَ، إنما هلَكَ من كان قبلكم بهذا، فمن أدركته فيه الصلاة فليُصَل وإلا فليمضِ.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واحذروا البدع وأهلها وحذروا منها، فإنهما وباء خطير على دين المسلمين، وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم، ففيهما النجاة والخير والفلاح العاجل والآجل...

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في التحذير من الابتداع

الحمد لله القائل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

واعلموا أنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ التحذير من البدع والتصريح بأنها ضلالة، فقد كان يقول: «**إن خير الحديث كتاب الله. وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة**».

وكان الصحابة يحذرون من البدع غاية التحذير، وذلك لأن البدع زيادة في الدين، وشرع ما لم يشرعه رب العالمين، وتشبه باليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم، وفي البدع تنقص للدين واتهامه بعدم الكمال. وتكذيب لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

وفي البدع إبعاد للمسلمين عن الدين الصحيح، ونقلُهم إلى الدين الباطل وهذا ما يريده الشيطان، فإن المبتدع أحب إلى الشيطان من العاصي المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، لأن العاصي يعترف أنه عاص ويرجو أن يتوب بخلاف المبتدع فإنه يعتبر ما هو عليه من البدعة هو الدين والطاعة فلا يتوب منه، فاتقوا الله واشكروه على نعمة الإسلام واقتدوا بنبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام، واعلموا أن الله أمركم أن تُصلوا عليه على الدوام، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦].



في الاستجابة لله ولرسوله

الحمد لله رب العالمين، مَنَّ على المؤمنين ببعثه الأمين، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له مخلصًا له الدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى واستمعوا لندائه، واستجيبوا لأوامره، واجتنبوا ما ينهاكم عنه لعلكم تُرحمون، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٤].

وفي هذه الآيات الكريمة يأمر الله بطاعته وطاعة رسوله، والاستجابة له ولرسوله عند سماع الأوامر والنواهي الصادرة عنه وعن رسوله، وينهى عن التشبه بالكافرين والمنافقين في عدم الطاعة والاستجابة لله ولرسوله، فإن الكفار أبوا أن يسمعوا كلام الله كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] واليهود ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣] والمنافقون: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١].

فهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا وهم ليسوا كذلك، فهم يسمعون بآذانهم ولا يسمعون بقلوبهم، ثم أخبر سبحانه أنَّ هذه الأصناف من بني آدم هم شر الخلق والخليقة فقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]. أي: الصم عن سماع الحق، البكم عن فهمه والنطق به، ووصفهم بأنهم: (لا يعقلون) أي:

ليست لهم عقول صحيحة يفكرون بها العواقب، وإنما عقولهم لا تعدو التفكير بحاضرهم الدنيوي وملاذِّهم العاجلة، فهم كالبهائم التي لا هم لها إلا فيما تأكل في بطونها ولا تفكر في مستقبل ولا تستعد لحياة أخرى لكنهم شر من البهائم لأن البهائم مطيعة لله فيما خلقها له، وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

عباد الله: إنه مطلوب من المسلم أن يستمع إلى كلام الله إذ يُتلى، والاستماع إلى أحاديث رسول الله إذ تروى استماع تفهم وإدراك لمطالبهما، ثم بعد الاستماع والفهم لكلام الله وكلام رسوله يتجه المسلم إلى العمل بهما والاستجابة لمطالبهما، وإلا فإن الاستماع والفهم من غير عمل يكونان حجة على صاحبهما يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٩].

واليوم يا عباد الله كم نقرأ ونسمع من الآيات والأحاديث، ونعرضُ عن العمل بما نسمع، مع أن ما نسمعه ولا نعمل به سيكون حجة علينا يوم القيامة، قال النبي ﷺ: **«والقرآن حجة لك أو عليك»**.

لننظر ما مدى استجابتنا لنداءات الله المتكررة والمتنوعة في كتابه، .... يا أيها الناس، يا بني آدم، يا أيها الذين آمنوا، يا عباد، قال بعض السلف: إذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأصغ لها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تحذر منه، وقد أخبر سبحانه أن ما يأمر به ويدعو إليه فيه حياة القلوب التي تترتب عليها الحياة الكاملة السعيدة للأبدان في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال بعض المفسرين: (لما يحييكم): هو القرآن، وقال بعضهم: هو الإسلام لأن فيه حياتهم من الكفر، كما قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقيل: هو الجهاد لأن فيه عز المسلمين بعد الذل، والقوة بعد الضعف، ثم توعد سبحانه من لم يستجب لما دعا إليه فقال: ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ [الأنفال: ٢٤].

فمن لم يستجب له ولرسوله عاقبه الله بصرف قلبه، فلا يقبل الحق بعد ذلك، كما قال تعالى: ﴿**ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون**﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم فيحال بينكم وبين قبوله، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، ويقلب القلوب حيث يشاء، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» وقال ﷺ: «**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء**».

عباد الله: يقول الله تعالى: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

إنه مطلوب منا الاستماع والاتباعُ، مطلوب منا استماعُ كلام الله وكلام رسوله، فإن من لم يسمع اليوم سيندم غدًا حين يقول الكفار: ﴿**لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك: ١٠].

مطلوب منا استماع الخطب والمحاضرات الدينية، مطلوب منا حضور الدور والندوات لنستمع ما يُفيدنا ونتفقه في ديننا، مطلوب منا استماع البرامج الدينية المفيدة التي تذاع وتصل إلى كل بيت وإلى كل مكان ولكن الكثير منا لا يسمعون ولو سمعوا فإنهم لا يعقلون، إن الأرض إذا لم ينزل عليها المطر ويصل إليها الماء ماتت، وكذلك القلوب إذا لم يصل إليها الوحي والذكر عميت ومرضت وماتت.

وإذا كان الإنسان لا يحضر خطبةً ولا يسمع موعظة ولا يتلو قرآنًا، ولا يقرأ حديثًا عن رسول الله ﷺ فماذا ستكون حاله، ومن أين يفقه في دينه، وكيف يستجيب لله ولرسوله؟!

إن الاستجابة لا تكون إلا بعد سماع دعوة، والله قد دعانا في كتابه وعلى لسان رسوله فهو سبحانه يدعو إلى دار السلام: ﴿**يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ**﴾ [إبراهيم: ١٠].

ومن سمع دعوة الله وجب عليه أن يجيب:

﴿**وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأحقاف: ٣٢].

من الناس من يرفض إجابة داعي الله بالكلية، وهؤلاء هم الكفار والمنافقون الذين قالوا سمعنا وعصينا، ومن الناس من يقبل ما يوافق هواه ويرفض ما خالفه. وهذا عبد لهواه، وليس عبد الله المتبع لنداء مولاه، قال تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص: ٥٠].

وهذا شبيه بالذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فتراه يدعىٰ إلىٰ حضور صلاة الجماعة في المسجد فلا يجيب، تراه يدعىٰ إلىٰ ترك الربا، والرشوة والمعاملات المحرمة ولا يفكر في تركها والابتعاد عنها، تراه يُؤمر بالمعروف ويُنهىٰ عن المنكر فلا يمتثل، مع أنه يتسمىٰ بالدين، ويقول: إنني من المسلمين، فهذا إن سلمَ من الكفر لم يسلم من الفسق والنفاق، وسوء الأخلاق.

إن دعوة الله تبلغ كل مكلف بطرق متعددة، من طريق تلاوة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن طريق الدعاة إلىٰ الله، ومن طريق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

ومن طريق المنادين للصلاة في اليوم والليلة خمس مرات، وهكذا لا تمر لحظة إلا ويسمع الإنسان داعيًا إلىٰ الله ويسجل عليه أو له ما يقابل به تلك الدعوة من إجابة أو رفض، ومن ثواب وعقاب. . .

عباد الله: ومن الناس من يؤثر سماع الأغاني والألحان ومزامير الشيطان علىٰ سماع كلام الرحمن، ويؤثر الذهاب إلىٰ الملاهي والملاعب علىٰ الذهاب إلىٰ المساجد ويؤثر الاستماع إلىٰ المطرب فلان وإلىٰ الأغنية الماجنة علىٰ الاستماع إلىٰ الواعظ فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦، ٧].

نعوذ بالله من الخذلان، ومتابعة الهوىٰ والشيطان، وبارك الله لنا ولكم في القرآن. . .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

من الخطبة الثانية في الاستجابة لله ولرسوله

الحمد لله الذي وعد المطيعين له ولرسوله أجرًا عظيمًا، وأعد للمعرضين عنه وعن رسوله عذابًا أليمًا، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكفىٰ بالله عليمًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأتم نعمته عليه وهداه صراطًا مستقيمًا، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليمًا.

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أن هناك موانع تحول بين العبد وبين الاستجابة لله ورسوله، فاحذروها.

منها: التكبر عن قبول الحق كما حصل من إبليس لما أمرَه الله بالسجود لآدم، فأبى واستكبر، وقال: أنا خير منه.

وقد قال النبي ﷺ: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**»، ومعنى بطر الحق: دفعه وعدم قبوله.

ومن موانع الاستجابة لله ولرسوله: الحسد، كما حصل من اليهود لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان به لم يستجيبوا له وكفروا به حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.

ومن موانع الاستجابة لله ولرسوله: التعصب للآراء والمذاهب والتقليد الأعمى لما عليه الآباء، كما حصل من اليهود والمشركين، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ**﴾ [البقرة: ٩١]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠].

ومن موانع الاستجابة لله ولرسوله اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص: ٥٠].

ولهذا قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**».

ومن موانع الاستجابة لله ولرسوله: الخوف من الناس وعدم الصبر على آذاهم، قال تعالى عن كفار قريش: ﴿**وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا**﴾ [القصص: ٥٧].

فهم معترفون أن ما جاء به محمد ﷺ هو الهدى، وأنَّ ما هم عليه ضلال، لكنَّهم اعتذروا عن اتباعه بما يخشونه من أذى الناس وبخوفهم على أمنهم أن يتزعزع، وهذا من فساد التصور وانتكاس الفطر، فإنَّ الأمن لا يحصلُ إلا باتباع الهدى، والخوف إنما يحصلُ باتباع الضلال، وهذا الذي قاله الكفار بالأمس هو ما يقوله كثير من المعاصرين اليوم حيث يقولون: نحن نعلم أنَّ الإسلام هو الدين الصحيح، وأن ما عداه باطل، لكن يمنعنا من اتباعه وتحكيمه خوف الدول الكافرة أن تنالنا بسوء، أو تصفنا بالرجعية والتخلف، وما علموا أن فعلهم هذا يزيدهم خوفًا وضعفًا وسقوطًا حتى من أعين أعدائهم، كما قال تعالى: ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال النبي ﷺ: «**من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه**

الناس» .

اتقوا الله ـ عباد الله ـ واحذروا من أسباب سخطه ، وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم ، فإنَّ خير الحديث كتاب الله . . . . إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على تعلم العلم النافع

الحمد لله الذي رفعَ من شأن العلماء العاملين ، فقال في كتابه المبين : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ [الزمر : ٩] .

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له شهادة الحق واليقين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين ، وسلم تسليمًا كثيراً .

أما بعد: أيها الناس ، اتقوا الله تعالىٰ وتعلموا من العلم ما تعرفون به ربَّكم ، ويستقيم به دينكم ، وتستنير به قلوبكم ، وتصلح به دنياكم وآخرتكم ، لأن العلم نور يخرج من الظلمات ، وتزول به الشبهات ، وتستقيم به الأعمال فإن العمل بلا علم ضلالٌ ووبالٌ وفضائل العلم كثيرة :

أعظمها معرفة الرب سبحانه بأسمائه وصفاته ، ومنها أنَّ العلم طريق إلىٰ الله وإلىٰ جنته ، كما قال النبي ﷺ:

«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سلَكَ الله له به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يطلُبُ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهمًا،وإنما ورثوا العلم. فمن أخذ به أخذ بحظ وافر» رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث أبي الدرداء .

وفيه الحث علىٰ السعي في طلب العلم وذلك بالسفر إلىٰ أهله حيث كانوا وبحفظه وكتابته وتدوينه ، فقد كان السلف يرحلون المسافات الطويلة لطلب حديث واحد ، فقد رحل أبو أيوب الأنصاري من المدينة إلىٰ مصر للقاء رجل من الصحابة يروي عنه حديثًا

عن النبي ﷺ لم يكن عنده، ورحل جابر بن عبد الله الأنصاري كذلك. وكان أحدهم يرحل إلىٰ من دونه في العلم والفضل لطلب شيء من العلم عنده لم يبلغه، ويكفي في هذا ما قصَّه الله تعالىٰ من خبر موسىٰ عليه الصلاة السلام ورحيله مع فتاه لطلب العلم مع ما أعطاه الله من العلم واختصه من التكليم وكتب لـه في التوراة من كـل شيء، ولما أخبره الله عن الخضر وأن عنده علمًا يختص به سأل السبيل إلىٰ لقائه ورحل في طلبه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

يعني: سنين عديدة، ثم إنه لما لقيه قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

فلو استغنىٰ أحد عن الرحلة في طلب العلم لاستغنىٰ موسىٰ عليه السلام. وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يسأله المزيد من العلم، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فلم يسأل ربه الزيادة من شيء إلا من العلم، ومهما بلغ الإنسان من العلم فهناك من هو أعلم منه، قال تعالىٰ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

قال الحسن البصري رحمه الله: ليس عالم إلا فوقه عالم حتىٰ ينتهي إلىٰ الله عز وجل... وفي حديث أبي الدرداء: دليل علىٰ أن الجنة لا يوصل إليها إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، فمن طلب الجنة بذلك فقد طلبها من أيسر الطرق وأسهلها.

ومن سلك طريقًا يظنه طريق الجنة بغير علم، فقد سلك أعسر الطرق وأشقَّها، ولا يصل إلىٰ مقصوده مع تحمله المشاق، فلا طريقَ إلىٰ معرفة الله وإلىٰ الوصول إلىٰ رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، فهو الدليل عليه، وبه يهتدىٰ في ظلمات الجهل والشبهات والشكوك. وقد سمىٰ الله كتابه نورًا يهتدىٰ به في الظلمات. قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وفي حديث أبي الدرداء أيضًا: أنَّ العلم الذي يمدح أهله ويسمون العلماء حقيقة هو العلم الشرعي الذي جاءت به الرسل، حيث قال ﷺ **«وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»**.

فكل مدح وثناء جاء في الكتاب والسنة للعلم والعلماء فالمراد به علم الأنبياء وحملته من المؤمنين العاملين به، قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]

وقال تعالىٰ: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨]، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد شبه النبي ﷺ من حملَ العلم الذي جاء بالنجوم التي يهتدىٰ بها في الظلمات، فقال ﷺ: «**إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداة**» رواه الإمام أحمد في «المسند».

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وهذا مثل في غاية المطابقة؛ لأن طريق التوحيد والعلم بالله وأحكامه وثوابه وعقابه لا يدرك بالحس، إنما يعرف بالدليل، وقد بين الله ذلك كله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله، فالعلماء بما أنزل الله علىٰ رسوله هم الأدلاء الذين يهتدىٰ بهم في ظلمات الجهل والشبه والضلال، فإذا فقدوا ضل السالك، وقد شبه العلماء بالنجوم، وللنجوم فيها ثلاث فوائد:

يهتدىٰ بها في الظلمات، وهي زينة للسماء، ورجوم للشياطين الذين يسترقون السمع.

والعلماء في الأرض تجتمع فيهم هذه الأوصاف الثلاثة: بهم يهتدىٰ في الظلمات، وهم زينة للأرض، وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل ويدخلون في الدين ما ليس منه.

وما دام العلمُ باقيًا في الأرض فالناس في هدىً، وبقاء العلم ببقاء حملته، فإذا ذهب حملتُه وقَع الناس في الضلال، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يذهب العلماءَ فإذا لم يبقَ عالمٌ اتخذَ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلوا**».

فتبين بهذا أن الذين يستحقون أن يُسموا بالعلماء هم علماء الشريعة؛ لأن العلم الحقيقي هو العلم الذي جاءت به الرسل، لقوله ﷺ: «**والعلماءُ هم ورثة الأنبياء**».

فهم الذين في بقائهم في الأرض مصلحة العباد والبلاد، وبفقدهم تفقد الأرض زينتها، وبفقد أهل الأرض من يهتدون به في ظلماء الجهل والشبه والشكوك، ويتسلط شياطين الإنس والجن علىٰ إغواء الناس، ولا يجدون من يرجمهم بثواقب الحجج العلمية التي تبطل كيدهم وتدحض حجتهم، وقد صار اليوم كثير من الناس يطلقون العلم علىٰ النظريات الحديثة في الطب والاختراعات والصناعات، ويسمون المخترعين والمفكرين في

النظرية الحديثة بالعلماء، حتى صار لفظ العلم والعلماء لا ينصرف عند هؤلاء إلى هذه الأشياء وأصحابها، وأما العلم الشرعي فلا يسمونه علمًا، ولا يُسمون أصحابه بالعلماء، حتى لقد سمعنا أن منهم من يستنكر تسمية المعاهد التي تدرس فيها علوم الشريعة واللغة بالمعاهد العلمية؛ لأن لفظ العلم يراد به عندهم نظريات العصر وتقنياته، حتى إن أحدهم إذا أراد أن يمدح الإسلام أو القرآن قال: إنه لا يتعارض مع العلم، وكأن الإسلام شيء والعلم شيء آخر، بل بلغَ الأمر ببعضهم أن يفسر القرآن بالنظريات الحديثة، ومنجزات التقنية المعاصرة، ويعتبر هذا فخرًا للقرآن حيث وافق في رأيه النظريات ويسمي هذا بالإعجاز العلمي، وهذا خطأ كبير؛ لأنه لا يجوز تفسير القرآن بمثل هذه النظريات والأفكار؛ لأنها تتغير وتتناقض ويكذب بعضها بعضًا، والقرآن حق ومعانيه حق لا تناقض فيه، ولا تغير في معانيه مع مرور الزمن، أما أفكار البشر ومعلوماتهم فهيَ قابلة للخطأ والصواب وخطؤها أكثر من صوابها، وكم من نظرية مسلمة اليوم، تحدث نظرية تكذبها غدًا، فلا يجوز أن تربط القرآن بنظريات البشر وعلومهم الظنية والوهمية المتضاربة المتناقضة.

وتفسير القرآن الكريم له قواعدُ معروفة لدى علماء الشريعة، ولا يجوز تجاوزها، وتفسير القرآن بغير مقتضاها، وهذه القواعد هي:

أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في موضع منه، فصلَ في موضع آخر، وما أطلق في موضع قيد في موضع، وما لم يوجد في القرآن تفسيره، فإنه يفسر بسنة الرسول ﷺ؛ لأن السنة شارحة للقرآن ومبينة له، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وما لم يوجد تفسيره في السنة، فإنه يرجع فيه إلى تفسير الصحابة، لأنهم أدرى بذلك لمصاحبتهم رسول الله ﷺ وتعلمهم على يديه، وتلقيهم القرآن وتفسيره منه، حتى قال أحدهم: ما كنا نتجاوز عشر آيات حتى نعرف معانيهن والعمل بهن.

وما لم يوجد له تفسير عن الصحابة فكثير من الأئمة يرجع فيه إلى أقوال التابعين لتلقيهم العلم، عن صحابة رسول الله ﷺ وتعلمهم القرآن ومعانيه على أيديهم، فما أجمعوا عليه فهو حجة، وما اختلفوا فيه، فإنه يرجع فيه إلى لغة العرب التي نزل بها القرآن. وتفسير القرآن بغير هذه الأنواع الأربعة، لا يجوز، فتفسيره بالنظريات الحديثة من أقوال الأطباء، والجغرافيين، والفلكيين، وأصحاب المركبات الفضائية، باطل لا يجوز؛ لأن هذا

تفسير للقرآن بالرأي، وهو حرام شديد التحريم لقوله ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه وبما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار**»، رواه ابن جرير والترمذي والنسائي، وفي لفظ: «**من قال في كتاب الله فأصاب فقد أخطأ**».

قال ابن كثير: لأنه قد تكلف ما لا علم له به وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه والله أعلم، هذا مع أن النظريات تتغير من حين لآخر، لأنها اجتهاد بشري يخطئ كثيراً، والقرآن حق لا يتغير.

فلنحذر يا عباد الله من هذا العمل ولا نتجرأ على تفسير كلام الله بغير علم، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء: ٣٦].

فلنتق الله عز وجل ولا نفسر كلامه العظيم بما لا علم لنا به.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في فضل العلم الشرعي

الحمد للَّه الذي أرسل رسوله بالهدى وأنزل عليه آيات بينات، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وما له من الأسماء والصفات، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهرات، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب الظاهرة والكرامات، وسلَّم تسليمًا كثيراً . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالى، وتعلَّموا من العلمِ ما يستقيمُ به دينكم، قال ﷺ: «**من يرد اللَّه به خيرًا يفقهُ في الدين**».

فقد دل هذا الحديث على أن الذي لا يفقهُ أمور دينه، فإنَّ ذلك دليلٌ على أن اللَّه لم يرد به خيراً، ولو تعلَّم العلوم الدنيوية وتبحَّر فيها، لأنها علومٌ معاشية فقط لا تستحق مدحًا ولا ذمًّا. وقد وصف اللَّه سبحانه أصحابها بأنهم لا يعلمون فقال: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم: ٦، ٧].

فأكثرهم ليس لهم علمٌ إلا بالدنيا وشئونها، فهم فيها حُذَّاقٌ أذكياء، وهم غافلون عن أمور الدين وما ينفعهم في الآخرة.

قال الحسن البصري: واللَّه ليبلغُ أحدُهم بدنياه أنَّه يقلِّب الدرهم على ظفره، فيخبُرك بوزنه وما يُحْسنُ أن يصلي. وقد نفى الله عنهم العلمَ، مع أنَّهم يعلمونَ ظاهرًا من الحياة الدنيا، فدلَّ على أنَّ ذلك لا يستحقُ اسم العلم ولا يستحق صاحبه أن يسمى عالمًا، لأن العلم إذا أُطلقَ فالمرادُ به علم الشرع، وإذا مُدحَ العلمُ فالمراد به علم الشرع. فأين هذا من الذين عكسوا الأمر وجعلوا العلم الدنيوي هو العلم عند الإطلاق، وخلعوا على أصحابه ألقاب المديح والإكبار؟ مع أنهم في الغالب أجهل الخلق بأمور دينهم وآخرتهم، وقد حملهم علمهم هذا على الغرور والاستكبار في الأرض وإنكار وجود الخالق، فها هي الشيوعية والعلمانية اليوم تُنكرُ وجود الله وتستكبر بعلومها على عباد الله، وتخترع آلات الدمار. ومن الأمم الكافرة من أنكر علم الرسل واغتر بما عندهم من علم الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [غافر: ٨٣].

قال ابن كثير: وذلك لأنهم لَمَّا جاءتهم الرسلُ بالبينات، والحُجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عمَّا جاءتهم به الرسل.

إنَّ العلم الشرعي الذي جاءت به الرسل، فيه صلاح العباد والبلاد، أمَّا علومُ البشر ومخترعاتهم، فالغالب أنَّ فيها الدمار وإهلاك الحَرْثَ والنسل، كما هو الواقع اليوم من الأسلحة الفتاكة والقنابل المدمرة، وعلوم الشرع تُعْرفُ باللَّه والدار الآخرة، وعلوم البشر وتقنياتهم يغلب أنها تبعث علي الغرور، والجهل بالله وسننه الكونية وتنسى الآخرة.

ونحن لا ننكر ما فيها من نفع إذا استغلت في الخير، وكانت بأيد مؤمنة ولكن ننكر أن تحاط بهالة التقديس والإكبار، ويطلق عليها وعلى أصحابها العلم والعلماء، ويُفَسَّرَ بها كتاب اللَّه وسنة رسوله.

حتى لقد بلغ الأمرُ ببعضهم أن يخضع لها نصوص الشرع إلا ما يؤيده العلمُ الحديث بزعمه، كما فَعَلَ علماء الكلام من قبلُ، حيثُ أخضعوا نصوص الشرع لقضايا العقل وقالوا قضايا العقل يقينية، ونصوص الشَّرْع ظنية: ﴿ **كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[البقرة: ١١٨].

فالواجب على المسلم ألا ينخدع بهذه الدعايات وأن يعظم كتاب الله وسنة رسوله كما قال ﷺ: «**إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد** ﷺ ...**إلخ**».



في جهاد النفس والشيطان

الحمد لله رب العالمين، أمر بالجهاد وجعله فريضة على جميع العباد، بحسب الاستطاعة والاستعداد، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنجي من قالها وعمل بها يوم يقوم الأشهاد، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله وخيرته من جميع العباد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأمجاد. وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم المعاد.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى وأطيعوه، يقول الله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ [الحج: ٧٨].

وهذا أمر لعموم المسلمين بالجهاد، كلٌّ عليه واجب منه حسب استطاعته، فقد أمرهم أن يجاهدوا فيه حق جهاده كما أمرهم أن يتَّقوه حق تقاته.

والجهادُ أربع مراتب:

أولها: جهاد النفس. **وثانيها:** جهاد الشيطان.

وثالثها: جهاد الكفار. **ورابعها:** جهاد المنافقين.

والأصل والأساس هو جهاد النفس.

فإن العبد ما لم يجاهد نفسه أولاً، فيبدأ بها ويلزمها بفعل ما أمرت به وترك ما نُهيت عنه، لم يمكنه جهاد عدوه الخارجي؛ لأنه لا يمكن جهاد العدو الخارجي مع ترك العدو الداخلي، ولهذا قال ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**».

وكان ﷺ يقول في خطبة الحاجة: «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**».

وقال لحصَيْنِ بن عبيد: «**أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بها**». فأسلم، فقال: «**قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شرَّ نفسي**»، فمن لم يسلم من شرِّ نفسه لم يصل

إلى الله تعالى، لأنها تحول بينه وبين الوصول إليه، والناس قسمان:

قسم ظَفِرتْ به نفسه، فملكته وأهلكته وصار مطيعًا لها.

وقسم ظَفِرَ بنفسه فقهرها حتى صارت مطيعة له.

وقد ذكر الله القسمين في قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب يأمر عبده بخوفه ونهي النفس عن الهوى، والعبد إما أن يجيبَ داعي النفس فيَهْلِكَ، أو يجيب داعي الرب فيَنْجُو، والنفس تأمر بالشح وعدم الإنفاق في سبيل الله، والربُّ يدعو إلى الإنفاق في سبيله، فيقول سبحانه: ﴿ **وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [التغابن: ١٦].

فالنفس تسمح بالملايين في سبيل البذخ والإسراف، ولا تسمح بالقرش للفقير والمحتاج، وتارة أمَّارةٌ بالسوء، وتكون تارة لوامة تلوم صاحبها بعد الوقوع في السوء، وتارة مطمئنة، وهي التي تسكن إلى طاعة اللَّه ومحبته وذكره، فكونها مطمئنة وصف مدح لها، وكونها أمّارة بالسوء وصف ذمٍّ لها، وكونها لوّامة ينقسم إلى المدح والذم.

وجهاد النفس يكون بمحاسبتها ومخالفتها، وفي الحديث: «**الكيسُ من دان نفسه وعَمِلَ لما بعد الموت، والعاجزُ منْ أتبعَ نفسه هواها وتمنى على اللَّه الأماني**». ومعنى (دان نفسه): حاسبها...

وعن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهونُ عليكم في الحساب غداً أن تحاسبُوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: ١٨].

وقال ميمون بن مِهران: لا يكونُ العبد تقـيًّا حتى يكون لنفسه أشدَّ محاسبة من الشريك لشريكه.

ولهذا قيل: النفس كالشريك الخَوَّان، إن لم تُحاسبه ذهبَ بمالك.

وكتب عمر بن الخطّاب رضي اللَّه عنه إلى بعض عماله: (حاسبْ نفسك في الرَّخاء قبل حساب الشدة، فإنَّ من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضا

والغبطة، ومن ألهتْه حياتُه وشغَلته أهواؤه عاد أمره إلىٰ الندامة والحسرة.

وقال الحسن: وإنَّما خَفَّ الحساب يوم القيامة علىٰ قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنَّما شَقَّ الحسابُ يوم القيامة علىٰ قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، ويعينُ الإنسان علىٰ محاسبة نفسه معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلىٰ غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً، وأنه إذا حاسبها اليوم ربح وسكن الفردوس غداً، وإذا أهملها اليوم فخسارتُه بدخول النار غداً.

فحق علىٰ العاقل الحازم المؤمن باللَّه واليوم الآخر أن لا يَغْفلَ عن محاسبة نفسه في حركاتها، وسكناتها، وخطواتها، وخطراتها. ويظهرُ التغابنُ بين من حاسب نفسه اليوم ومن أهملها، في يوم القيامة: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**﴾ [آل عمران: ٣٠].

فاتقوا اللَّه - عباد اللَّه - وحاسبُوا أنفسكم قبل يوم المعاد، وجاهدوها في اللَّه حق الجهاد، يقول الإمام ابن القيم رحمه اللَّه: جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن تجاهدها علىٰ تعلم الهدىٰ، ودين الحق الذي لا فلاحَ لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلاَّ به، ومتىٰ فاتها علْمُه شقيت في الدارين.

الثانية: أن تجاهدها علىٰ العمل به بعد علمه، وإلاَّ فمجرد العلم بلا عمل إن لم يَضُرَّها لم ينفعها.

الثالثة: أن تجاهدها علىٰ الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلاَّ كان من الذين يكتمون ما أنزل اللَّه من الهدىٰ والبينات، ولا ينفعه علمه ولا يُنجيه عذاب اللَّه.

الرابعة: أن تجاهدها علىٰ الصبر علىٰ مشاق الدعوة إلىٰ اللَّه، وأذىٰ الخلق وتتحمَّل ذلك كلَّه للَّه.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون علىٰ أن العالم لا يستحق أن يُسمَّىٰ ربَّانيًا حتىٰ يعرف الحق ويعمل به ويعلمَه، فمن عَلِم وعَمِلَ وعلَّم فذاك يُدعىٰ عظيمًا في ملكوت السماوات.

وفي وصية لقمان لابنه قال: يابني، إن الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حَرُونٌ، فإن فَتَرَ سائقُها ضلَّت عن الطريق، وإن فَتَرَ قائدها حَرَنَتْ، فإذا اجتمعا استقامت.

إن النفس إذا أُطمعت طَمِعَتْ، وإذا فوَّضَتْ إليها أساءت، وإذا حملْتَها علىٰ أمر اللَّه

صلحت، وإذا تركت الأمر إليها فَسَدَتْ، فاحذر نفسك واتهمها على دينك، وأنزلها منزلةَ من لا حاجة له فيها ولا بد له منها، وإنَّ الحكيمَ يُذِلُّ نفسه بالمكاره حتى تعترف بالحق، وإن الأحمق يُخَيِّر نفسه في الأخلاق، فما أحبَّت منها أحبَّ وما كَرِهَتْ منها كره.

عباد اللَّه: لا شك أن النفس تكرهُ مشقة الطاعة، وإن كانت تعقبُ لذة دائمة، وتحبُ لذَّة الراحة وإن كانت تعقبُ حسرةً وندامة، فهي تكرهُ قيام الليل وصيام النهار، وتكره التبكير في الذهاب إلى المسجد، فكم من شخص يجلسُ الساعات في المقاهي والأسواق ويبخلُ بالدقائق القليلة يجلسها في المسجد، تكرهُ إنفاق المال في طاعة اللَّه، تكرهُ الجهاد في سبيل اللَّه. كما قال تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة: ٢١٦].

تكرهُ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى اللَّه، تكرهُ القيام بالإصلاح بين الناس، وهكذا ما من طاعة إلا وللنفس منها موقفُ الممانع المعادي، فإن أنت أطعتها أهلكتك وخسرتها. كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ [الزمر: ١٥].

إن أنت أطعتها فقد ظلمتها حيثُ عرَّضتها لسخط اللَّه وعقابه وأهنتها، وأنت تظنُّ أنك قد أكرمتها حيث أعطيتها ما تشتهي، وأرحتها من عناء العمل ومشقته فحرمتها من الثواب.

عباد اللَّه: والعدو الثاني بعد النفس: هو الشيطان، عدوُّ أبينا آدم، وعدوُّ البشرية كُلِّها وقد حذَّرنا اللَّه منه، فقال: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ﴾ [فاطر: ٦]، وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [يس: ٦٠].

وقد أمرنا اللَّه بالاستعاذة منه، ومعناها: أن نستجير باللَّه من شَرِّه، فإن الشيطان الجنيَّ لا يكُفُّه عن الإنسان إلا اللَّه، فإن الشيطان قد يكون من الجنِّ، وقد يكون من الإنس، وقد يكون من الدواب.

قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [الانعام: ١١٢].

وهم يتعاونون على إهلاك بني آدم:

شيطان الجنِّ بالوسوسة والإغراء بالشرِّ والتخذيل عَن الخير، وهو عدوٌّ خفي لا يراه

الإنسان؛ لأنه يجري منه مجرى الدم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

ولا يمنع منه جدران ولا أبواب، وإنما يمنع منه ذكرُ الله.

وأما الشيطانُ الإنسيُّ فيراه الإنسان ويجالسه ويكلِّمه ويتلبَّسُ بلباس الدين والإنسانية، وما أكثر شياطين الإنس اليوم، وما أكثر دعايتهم للشرِّ فهم يدعُون إليه بكل وسيلة، يدعون إلى الإباحية والرذيلة باسم الحرية، يدعون النساء إلى الخروج من البيوت، وإلى العري والسفور باسم إخراجها من الكبت، ويدعون إلى سماع الأغاني، والمزامير وتعاطي المخدرات وشرب الخمور باسم الترفيه، ويدعون إلى إضاعة الصلاة واتباع الشهوات وترك الجمع والجماعات باسم التسامح، ويدعون إلى تعطيل الشريعة وتحكيم القوانين باسم العدالة والمرونة، ويدعون إلى الشرك والبدع ويحذِّرون من التوحيد والتمسك بالسننِ باسم حرية الرأي وترك الجمود، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويقفون في طريق الدعوة إلى الله، ويصدون عن سبيل الله ويشجعون العُصاة، ويُهينون أهل الطاعات من المؤمنين والمؤمنات، ويحاولون تعطيل الحدود باسم مسايرة الأمم المتحضرة وإن كانت كافرة. أولئكم هم شياطين الإنس وهذه أعمالهم وعلاماتهم وهم من جنود إبليس وأعوانه وإخوانه، فاحذروهم وجاهدوهم حتى تُوقفُوا زحفهم إلى بيوتكم ومجتمعاتكم؛ لكن اعلموا يا عباد الله أن الشيطانَ الجنيَّ لا تمنعُ منه الحُجُبُ والأبواب، ولا يُدْفَعُ إلا بالاستعاذة بالله منه ومن شرِّه، والشيطان الإنسيٍّ تمنَعُ منه الحُجُبُ والأبواب ويُدفَعُ بالحذر منه والابتعاد عنه وهَجْرِه، والردِّ على ما يُدلي به من الشُّبه والمقالات، والأخذِ على يده ومنعه بالقوة من تنفيذ مخططاته، والتنبه لكيده ومكره.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإن الله سبحانه وتعالى خَلَقَ هذا الآدمي واختاره من بين سائر البرية وجَعَلَ قلبه محلَّ كنوزه من الإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والحياء والتعظيم والمراقبة، وجَعَلَ ثوابه إذا قَدِمَ عليه أكمل الثواب وأفضله، وهو النظر إلى وجهه والفوز برضوانه ومجاورته في جنته، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتُرُ عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه؛ لأنه يدخُلُ عليها بما تُحِبُ، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد: ثلاثة مسلطون آمرون . . . فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم أن أعانه بجندٍ آخرين يقاوم بهم هؤلاء الجند الذين يريدون هلاكه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيده بملك كريم

يقابلُ عدوَّه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمر أمره المَلَكُ بأمر ربه، وبَيَّنَ له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يُلِمُّ به مرةً، وهذا مرة، والمنصور من نصره اللَّه عز وجل. والمحفوظ من حفظه اللَّه تعالىٰ، وجَعَلَ له مقابل نفسه الأمارة بالسوء نفسًا مطمئنة إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء نَهَته عنه النفسُ المطمئنة. وإذا نَهَته عن الخير أمرته به النفس المطمئنة. وجَعَلَ له مقابل الهَوَىٰ الحامل علىٰ طاعة الشيطان والنفس الأمارة نوراً وبصيرة وعقلاً يَرُدُّه عن الذهاب مع الهوىٰ. فالحمد للَّه الذي ردَّ كيد الشيطان باتباع السنة والقرآن.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١-١١].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية: في جهاد النفس والشيطان

الحمد لله معيذ من استعاذ به ومجير من التجأ إلىٰ جنابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا به، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله أرسله إلىٰ الناس كافةً بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه كتابه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ واعتصموا بحبله، وكونوا من حزبه؛ فإن حزب الله هم الغالبون، عباد الله: هناك حزبان: حزب الله تعالىٰ، وحزب الشيطان.

فحزب الله: هم الذين آمنوا به وأتبعوا رسله وجاهدوا في سبيله..

وحزب الشيطان: هم الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله، أولئك هم الخاسرون.. والله يدعو إلىٰ دار السلام. ورسوله يدعو إلىٰ الإسلام، والشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. ﴿**أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون**﴾ [البقرة: ٢٢١].

فمن استجاب لدعوة الله فهو من حزبه، قال تعالىٰ: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾ [النساء: ٦٩].

ومن استجاب لدعوة الشيطان فأضاع الصلاة واتبع الشهوات واستمع إلىٰ أصوات المعازف والقينات بدلاً من الاستماع إلىٰ السور والآيات وأضاع الأوقات باللهو والغفلات فلا شك أنه من حزب الشيطان، لا سيما إذا صار مع ذلك يدعو إلىٰ الباطل ويحاول صرف المسلمين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ويجلب المبادئ الهدامة والأفكار المنحرفة إلىٰ مجتمع المسلمين [illegible] حزب الشيطان، واستعيذوا بالله من شرهم، ولا تنخدعوا

بدعاياتهم ومظاهرهم مهما تظاهروا لكم بالمحبة والنصح. فقد قال قائدهم وإمامهم إبليس لأبينا آدم عليه السلام: ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [طه: ١٢٠].

بل غرَّرَ بالأبوين عليهما السلام بأن حلفَ لهما أنهُ لا يريد لهما إلا النصحَ، كما قال تعالى: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ [الأعراف: ٢١].

فانخدعا بذلك ووقعا في المعصية التي حذرهما الله منهما وعوقبا بالإخراج من الجنة ثم منَّ الله عليهما بالتوبة، وقد حذركم الله من هذا العدو فقال: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ [الأعراف: ٢٧]. وجنود الشيطان وأعوانه اليوم كثيرون يدعون إلى الإباحية والكفر والضلال باسم التقدم والرقي والحضارة، وقد انخدع بهم كثير من الناس إلا من رحمه الله.

فاتقوا الله - عباد الله - واحذروا من دسائس الشيطان وأعوانه، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله. إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحسنة والسيئة

الحمد للَّه رب العالمين، يقبلُ التوبةَ من عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، يعلمُ ما كان وما يكون، وما تُسرون وما تُعلنون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق المأمون. صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه خير القرون. وسلَّم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى وأكثروا من الحسنات، فإنها طريق النجاة، وتوبوا من السيئات قبل الممات، فإنَّها طريق الهلكات، يقول اللَّه تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩، ٩٠].

ففي هذه الآية الكريمة حثٌّ على فعل الحسنات، وأن اللَّه قد وعد فاعلها بوعدين كريمين:

الأول: أن يَجزيه خيراً، وذلك بمضاعفتها إلى عشر حسنات وإلى أضعاف كثيرة، كما قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

والوعد الثاني: أن اللَّه يؤمنه من الفزع الأكبر يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ

﴿الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وفي هذا أكبر حافز على فعل الحسنات والإكثار منها:

وفي الآية الكريمة التحذير من السيئات، وأن مَن جاء بالسيئة كُبَّ وجهه في النار، وهذا وعيد شديد وبيانٌ أن السيئات طريق الى النار، وذلك مما يُوجبُ الحذَر من السيئات والابتعاد عنها، ومَن وَقَعَ في شيءٍ منها فإنه يجبُ عليه المبادرة بالتوبة منها.

والناس على ثلاثة أقسام: أصحاب حسنات فقط وليس لهم سيئات، وهؤلاء في الجنة، وأصحاب سيئات فقط وليس لهم حسنات، وهؤلاء في النار، وأصحابُ سيئات وحسنات، وهؤلاء قسمان:

من رجَحَتْ حسناتُه فهذا من أهل الجنة.

ومن رَجَحَتْ سيئاتُه، هذا من أهل النار، قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

والحسنات أقسام والسيئات أقسام:

فأعظمُ أقسام الحسنات حسنة التوحيد. وقد قال بعضُ المفسرين: إنها هي المعنية بهذه الآية: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩].

قال قتادة: من جاء بالإخلاص، وقال زينُ العابدين: من جاء بـ لاإله إلا اللّه.

وفي «الصحيحين» من حديث عتبان: «**فإن اللّه حرم على النار من قال لا إله إلا اللّه يبتغي بذلك وجهَ اللّه**».

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول اللّهﷺ: «**مَنْ لَقِيَ اللّهَ لا يشرك به شيئًا دَخَلَ الجنة**». وهذه الحسنة قد يُكَفِّرُ اللّه بها جميع السيئات، كما روى الترمذي عن أنس سمعت رسول اللّهﷺ يقول: «**قال اللّه تعالى: يابن آدم، لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئًا لأَتيتُكَ بقُرابها مغفرة**».

قال العلامة ابن القيم في معنى هذا الحديث: ويُعفى لأهل التوحيد المحض الذين لم يشوبوه بالشرك ما لا يُعفى لِمَن ليس كذلك، فلو لقي - الموحدُ الذي لم يشرك باللّه شيئًا ألبتة - ربَّه بقُراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرةً، ولا يحصُلُ هذا لمن نقص توحيده، فإنَّ التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شركٌ لا يبقى معه ذَنْبٌ؛ لأنه يتضمن من محبة اللّه

وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه، ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قُراب الأرض، فالنجاسةُ عارضة والدافع لها قويٌّ.

القسم الثاني بعد حسنة التوحيد: الحسنات المفروضة كالصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان وحَجِّ بيت اللَّه الحرام وسائر الحسنات الواجبة كبرِّ الوالدين، وصلة الأرحام وإكرام الضيف والجار إلى غير ذلك من فعلِ ما أمر اللَّه به ورسوله.

والقسم الثالث: الحسنات المستحبة من فعل نوافل العبادات، فإنَّها تكمُلُ بها الواجبات، وتُرفعُ بها الدرجات.

كما أنَّ الحسنات أقسام، فالسيئات أقسام كذلك: وأعظم أقسام السيئات سيئة الشرك، وقد قال بعض المفسرين في هذه الآية: ﴿**وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**﴾ [النمل: ٩٠].

إنَّ المراد بها سيئة الشرك، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ**﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

وعن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَنْ مات وهو يدعو من دون اللَّه ندًا دَخَلَ النار**» رواه البخاري.

فدل ذلك على أنَّ الشرك أعظم الذنوب؛ لأن اللَّه تعالى أخبر أنه لا يغفره لِمَن لم يتُب منه، وأن اللَّه حرَّم الجنة على المشرك وجَعَلَ النار مأواه ومصيره خالدًا فيها، وذلك مما يوجب على المسلم شدة الخوف من الوقوع في الشرك، وبعض الناس قد يقع في الشرك لتحصيل بعض الأغراض، كأن يذبح للجن، أو يفعل شيئًا من أنواع السحر لأجل العلاج وشفاء المرض، أو يسأل الكُهان عن بعض الأشياء الغائبة ويصدقهم فيما يقولون.

ومن المنتسبين إلى الإسلام مَن يستغيث بالأموات ويطلُب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكُربات، وهؤلاء قد أتوا بما يخرجهم من الإسلام، ويلحقهم بعبدة الأصنام، وأتوْا بالسيئة التي لا تنفعُ معها طاعة ولا تَصِحُّ معها عبادة إلا أن يتوبوا إلى اللَّه تعالى.

القسم الثاني من أقسام السيئة: سيئة الكفر، وهو الجحود والخروج من الدين وهو نوعان:

كفر أصلي: وهو الذي لا يدين صاحبُه بدين صحيح وكفر رِدَّةٍ: وهو الذي كان صاحبه

على دين الإسلام ثُمَّ خرج منه بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام كأن يستهزئ بالدين أوبالرسول، أو يسُبَّ الدين أو الرسول، أو يتعلم السحر أو يعلِّمه، أو يدَّعي علم الغيب، أو يصدق من يدعي ذلك، أو يدعي النبوة، أو يصدق من يدعيها، أو يرىٰ أنَّ حكم غير اللَّه أحسنُ من حكم اللَّه، أو غير ذلك من أسباب الرِّدَّة.

القسم الثالث من أقسام السيئة: سيئة الفسوق وهو المعاصي التي دون الشرك والكُفر وذلك بفعل شيءٍ من كبائر الذنوب، كالزنا، والسرقة، وشُرب المسكرات، وتعاطي المخدرات، وقذف المحصنات، وغير ذلك مما رُتِّب عليه حدٌّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو لُعِن فاعله، أو تُوعِّد بالغضب أو النار، والكبائر كثيرة، ومنها: الغيبة والنميمة، وشهادة الزور، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم.

والقسم الرابع من أقسام السيئة: سيئة المعاصي التي هي دون الكبائر، وهي ما يُسمىٰ بالصغائر، ويُسمىٰ باللمم، وهي خطيرة؛ لأن الإنسان قد يتساهل فيها، وهي إذا تجمعت علىٰ الإنسان تُهلكه. وفي الحديث: « **إياكم ومُحقرات الذنوب، فإن لها من اللَّه طالبًا** » وقد قال بعض السلف: إنَّ الإصرار علىٰ الصغيرة يُصيرها كبيرة، وقالوا: لا كبيرة مع استغفار ولاصغيرة مع إصرار، ويتضمن هذه الأقسام الثلاثة قوله تعالىٰ: ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ** ﴾ [الحجرات: ٧].

فالمؤمن يكره السيئة بجميع أنواعها وفي الحديث: « **مَن سرته حسنتُه وساءَته سيئتُه فهو مؤمن** ».

فالمؤمن تَسُرُّه الحسنة؛ لأنَّها محبوبة للَّه تعالىٰ: والمؤمن يُحبُ ما يُحبه ربُّه، ولأنَّها تُقربه من اللَّه فيُكثر من الحسنات ويكره السيئة؛ لأن اللَّه يكرهُها، والمؤمن يكره ما يكره اللَّه. ولأنَّ السيئة تُبعده عن اللَّه، وإذا كَره السيئة حمله ذلك علىٰ تَركها والتوبة منها وهذا بخلاف الكافر والمنافق، فإنَّ كلاًّ منهما يكره الطاعة ويفرح بالمعصية، كما قال تعالىٰ: ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي** ﴾ [فاطر: ٨]، وكما قال تعالىٰ: ﴿ **زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ** ﴾ [التوبة: ٣٧].

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، وأكثروا من الحسنات، وتوبوا من جميع السيئات لعلكم تُرحمون.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحسنة والسيئة

الحمد للَّه على فضله وإحسانه، يُحبُّ المحسنين، ويقبل توبةَ المسيئين، ويغفر للمذنبين، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. صلى اللَّه عليه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى، وانظروا في أعمالكم وسددوا أقوالكم، فإنَّها تُحصى وتكتب عليكم وتحاسبون بها وتجازُون عليها، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقال النبي ﷺ: «**إن اللَّه كتب الحسنات والسيئات، ثُم بيَّن ذلك، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها اللَّه عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها اللَّه عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها اللَّه عنده حسنة كاملة، وإن همَّ فعملها كتبها اللَّه سيئة واحدة**». رواه البخاري ومسلم.

وقد دل هذا الحديث على أن عمل العبد يُكتبُ كُلُّه خيره وشره، ويستوي في ذلك ما عزم عليه في قلبه ولم يعملْه، وما عزم عليه وعمله، لكن ما عزم عليه من الخير ولم يتمكن من عمله يُكتب له حسنة، وما عزم عليه وعمله يُكتب: الحسنة بعشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا اللَّه، وما هَمَّ به من السيئات وتركه خوفًا من اللَّه كتبه اللَّه له حسنة كاملة، وما هَمَّ به وعمله كتبه اللَّه سيئة واحدة..

قال الإمام ابنُ كثير رحمه اللَّه: اعلم أنَّ ترَّاك السيئة على ثلاثة أقسام:

تارةً يتركه للَّه، فهذا تُكتب له حسنة على كفه عنها للَّه تعالى، وهذا عملٌ ونية كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح: «**فإنما يتركها من جرائي**». أي: من أجلي.

وتارة يتركها عجزًا وكسلاً عنها بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يُقَرِّب منها، فهذا بمنزلة فاعلها، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**». قيل: يا رسول اللَّه، هذا القاتل، فما بال المقتول؟

قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه».

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، وأحسنوا نياتكم وأعمالكم يضاعف اللَّه لكم أجوركم ويكفر عنكم سيئاتكم، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه... إلخ.



في الحث على العمل الصالح

الحمد للَّه الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وهوالعزيز الغفور. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى: ﴿**وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٣].

عباد اللَّه: إن الإنسان خُلق في هذه الحياة ليعمل، ثم يُبعث يوم القيامة ليُجزى على عمله، فهو لم يُخلق عبثًا، ولن يُترك سُدى، والسعيد مَن قدم لنفسه خيرًا، يجده عند اللَّه ذُخرًا، والشقي مَن قدَّم لنفسه شرًّا تكون عاقبته خُسرًا.

فانظروا في أعمالكم، وحاسبوا أنفسكم قبل انقضاء أعماركم، فإن الموت نهاية العمل وبداية الجزاء، والموت قريب لا تدرون متى نزولُه، والحسابَ دقيق لاتدرون متى حلوله، والشيب نذير الموت فاستعدوا له، وموت الأقران علامة على قرب موت أقرانهم، فتذكروا الموت، واعملوا لما بعده مما أنتم قادمون عليه ومقيمون فيه، ولا تنشغلوا عنه بما أنتم راحلون عنه وتاركوه، ولا تَغُرَّنَّكم الآمال الطوال، وتنسوا حلول الآجال، فكم من مؤمل أملاً لا يدركه، وكم من مصبح في يوم لايدرك غروبه، ومُمسٍ في ليل لا يدرك صباحه، وكم من يتمنى عند الموت أن يترك قليلاً ليصلح ما أفسد، ويستدرك ما ضيَّع فيقال له: هيهات، إنَّ ما تتمنى قد فات، وقد حذرناك قبل ذلك وأنذرناك. بأن لا رجوع هناك. قال اللَّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ⑨ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ**

رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ⑩ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩-١١].

عباد اللَّه: إنَّ كل إنسان ينتهي عملُه عند حلول أجله، وهناك أعمال خيرية يستمر نفعها وأجرها لصاحبها بعد وفاته، وهي أعمال عَمِلها في حياته واستمر نفعها بعد مماته، فمادام نفعها مستمرًا فإن أجرها يجري لصاحبها مهما طالت مدتها، وهي كل مشروع خيري ينتفع به الناس والبهائم: كالأوقاف الخيرية، والأشجار النافعة والمثمرة، وسقايات المياه، وبناء المساجد، والمدارس، والذرية الصالحة، وتعليم العلم النافع، وإخراج الكتب المفيدة. ففي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عملُه إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». فهذا الحديث يدل على انقطاع عمل الإنسان بموته، وأنَّ محلَّ العمل هو مدة حياته في العمل الصالح وأن يحذر من الغفلة والإضاعة، وإن يبادر بفعل الطاعات قبل الموت. ولا يؤخر ذلك إلى وقت قد لا يدركه، والنصوص التي وردت بالحث على استباق الخيرات، والمسارعة إلى الطاعات، والمبادرة بالأعمال نصوص كثيرة، مما يدل على أنها إذا لم يبادر إليها فاتت. كما يدل الحديث على استثناء الأعمال الخيرية التي يستمر نفعها بعد موت صاحبها وأنها لاتنقطع بموته، بل يستمر أجرها مادام ينتفع بشيء منها، ولو طال بقاؤها، وأنها يتجدد ثوابها بتجدد نفعها، وهذه الأشياء هي:

أولاً: ـ **الصدقة الجارية**: وقد فسر العلماء بالوقف الخيري: كوقف العقارات والمساجد، والمدارس، وبيوت السُّكنى، والنخيل، والمصاحف، والكتب المفيدة، ووقف سقايات المياه من آبار وبرك وبرَّادات وغيرها. وفي هذا دليل على مشروعية الوقف النافع والحث عليه، وأنَّه من أفضل الأعمال التي يُقدمها الإنسان لنفسه في الآخرة، وهذا بإمكان العلماء والعوام.

ثانيًا: ـ **العلم النافع**: وذلك بأن يقوم الإنسان في حياته بتعليم الناس أمور دينهم، وهذا خاص بالعلماء الذين قاموا بنشر العلم بالتعليم وتأليف الكتب ونسخها، وبإمكان العامي أيضًا أن يشارك في ذلك بطبع الكتب النافعة أو شرائها وتوزيعها أو وقفها، وشراء المصاحف وتوزيعها على المحتاجين أو جعلها في المساجد وهذا فيه حثٌّ على تعلم العلم وتعليمه ونشره ونشر كتبه لينتفع بذلك الناس في حياته وبعد موته. والعلم يبقى نفعه ما دام في الأرض مسلم وصل إليه هذا العلم، فكم من عالم مات من مئات السنين وعِلْمهُ

باق ينتفع به بواسطة كتبه التي ألَّفها وتداولتها الأجيال تلو الأجيال من بعده، وبواسطة طلابه وطُلاب طلابه، وكلما ذكره المسلمون دعوا له وترحموا عليه، وذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء. وكم أنقذ اللَّه بعالم مُصلح أجيالاً من الناس من الضلالة، وناله مثل أجور مَن تَبِعه إلىٰ يوم القيامة.

ثالثًا: ـ الولد الصالح: من ذكر وأنثىٰ، وولد الصلب، وولد الولد يجري نفعهم لآبائهم بدعواتهم الصالحة المستجابة لآبائهم، وبصدقاتهم عنهم، وحجهم لهم، وحتىٰ دعاء من أحسن إليهم هؤلاء الأولاد من الناس فكثيراً ما يقول الناس للمحسنين رحم اللَّه آباءكم وغفر لهم، وفي هذا حث علىٰ التزوج لطلب الأولاد الصالحين. ونهي عن كراهية كثرة الأولاد. فإن بعض الناس قد تأثر بالدعايات المُضللة، فصار يكره كثرة الأولاد ويحاول تحديد النسل، أو يدعو إليه، وهذا من جهلهم بأمور دينهم، ومن جهلهم بالعواقب، ومن ضعف إيمانهم.

وفي هذا الحديث أيضًا الحث علىٰ تربية الأولاد علىٰ الصلاح وتنشئتهم علىٰ الدين والصلاح ليكونوا خلفًا صالحًا لآبائهم يدعون لهم بعد موتهم ويستمر نفعهم بعد انقطاع أعمالهم، وكثير من الناس اليوم قد أهمل هذا الجانب فلم يهتم بتربية أولاده، وإنما يهتم بشأن دنياه ويهتم بجمع الدراهم التي لا تبقىٰ له ولا يبقىٰ لها، يرىٰ أولاده علىٰ الفساد ولايحاول إصلاحهم، يراهم يغفلون المحرمات ويتركون الواجبات، يُضيعون الصلاة فلا يأمرهم ولاينهاهم، يراهم يهيمون في الشوارع ويجلسون مع الأشرار، وربَّما يذهبون إلىٰ أمكنة الفساد ولا يُهمه ذلك، ولايلقي له بالاً بينما لو أتلفوا شيئًا من ماله أو نقصوا شيئًا من دنياه لكان منه الرجل الحازم والمؤدب الشجاع، والبطل المغوار يغار لدنياه، ولا يغار علىٰ دينه، يهتم بإصلاح ماله، ولا يهتم بصلاح أولاده. إنه بسبب ذلك شاع العقوق وكثرت القطيعة بين كثير من الآباء وأولادهم في حياتهم، فكيف بعد مماتهم، فاتقوا الله أيها الآباء في أولادكم ليكونوا ذُخراً لكم ولا يكونوا خسارة عليكم، واعلموا أن صلاح الأولاد لا يأتي عفواً بدون بذل أسباب وصبر واحتساب.

ويدل هذا الحديث أيضًا علىٰ مشروعية دعاء الأولاد لآبائهم مع دعائهم لأنفسهم في الصلوات وخارجها وهذا من البرِّ الذي يبقىٰ بعد وفاة الآباء.

وهذه الأمور المذكورة في هذا الحديث هي مضمون قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢].

فما قدموا: هو ما باشروا فعله في حياتهم من الأعمال الحسنة والسيئة، وآثارهم: ما ترتب على أعمالهم بعد موتهم من خير أوشر.

وما يصل إلى العبد من آثار عمله بعد موته ثلاثة أشياء:

الأول: أمور عملها غيره بعد موته بسببه وبدعايته وتوجيهه إليها قبل موته.

الثاني: أمور انتفع بها الغير من مشاريع نافعة أقامها الميت قبل موته، أو أوقاف أوقفها في حياته.

الثالث: أمور عملها الحي وأهداها إلى الميت من دعاء وصدقة وغير ذلك من أعمال البرِّ. وروى ابن ماجه: «**إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علم نشره، أو ولدٌ صالح تركه أو مصحف ورَّثه، أومسجدٌ بناه، أو بيت لابن السبيل بناه. أو نهرٌ أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته**». فاحرصوا رحمكم اللَّه على بذل الأسباب النافعة وتقديم الأعمال النافعة التي يستمر نفعها ويجري عليكم أجرها بعد وفاتكم.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن الكريم

من الخطبة الثانية في الحث على العمل الصالح

الحمد اللَّه الذي جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وحث على اغتنام أوقاتها قبل فواتها وقبل الوقوع في الصفقة الخاسرة، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لاشريك له، أنعم علينا بنعمه الباطنة والظاهرة، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهرة، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في اللَّه حق جهاده حتى أصبحت ملة نبيهم هي الملة الظاهرة، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى، واعلموا أنه كما تبقى آثار الأعمال الصالحة ويجري نفعها للعامل بعد موته. فكذلك الأعمال السيئة يبقى شرُّها ويجري ضررها على عاملها بعد وفاته كما جاء في الحديث: «**ومن دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عَمل بها من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا**». وقال اللَّه تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ

﴿كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

فالذي يُورث للناس العلوم الفاسدة والعقائد الباطلة يناله من شرها وعقوبتها بقدر ما يحصل بسببها من ضلال.

والذي يؤلف الكتب المنحرفة، أوينشرها بين الناس يناله من إثمها ويجري عليه شرُّها ما بقيت هذه الكتب تُتَداول بأيدي الناس، ومثله الذي يُسجل الأغاني الماجنة والأفلام الخليعة، والذي يوجد المشاريع الضارة كدور اللهو، والسينما، ومحلات التصوير، أو المؤسسات الصحفية التي تُصدر الصحف والمجلات الخليعة التي تنشر الصور العارية، والأفكار المسمومة، والمقالات المضللة، يناله من شرِّها وإثمها ما بقيت هذه المؤسسات تنشر شرَّها وتبُثُّ سمومها، طال زمنها أو قصر.

والذي يربي أولاده تربية سيئة يناله من إثمهم ما عاشوا على الضلال والانحراف وما مارسوا الإثم والفسوق والعصيان؛ لأنه هو الذي عودهم على ذلك ونشَّأهم عليه، أو أهملهم صغاراً حتى ضاعوا كباراً؛ ولذلك ترون كثيراً من الأولاد المنحرفين إذا آذوا أحداً دعا عليهم وعلى آبائهم الذين ربَّوهم على ذلك.

فاتقوا الله - عباد الله - وكونوا قدوة في الخير، ولا تكونوا قدوة في الشرِّ. والذي يؤسس البنوك والمؤسسات الربوية لتكون مصادر أوبئة اقتصادية تمتص دماء الشعوب، وتُدمِّرُ المجتمعات، وتحارب الله ورسوله، لا شك أنه ينال مؤسسها الأول أوفر نصيب من إثمها، كما أن ابن آدم الأول الذي قتل أخاه ظلمًا وعدوانًا يناله نصيب من إثم كلِّ نفس قتلت بعده ظلمًا وعدوانًا؛ لأنه أول من سنَّ القتل.

نسأل الله أن يجعلنا قادة وقدوة في الخير ولا يجعلنا قادة وقدوة في الشر.

ثم اعلموا - عباد الله - أن خير الحديث كتاب الله... إلخ.



خصال في الإيمان

الحمد لله ذي الفضل والامتنان، يَمُن على من يشاء بهدايته للإيمان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تُوجبُ لمن قالها عارفًا لمعناها عاملاً بمقتضاها دخول الجنان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أنزل عليه القرآن. هدىً للناس وبينات من الهدىٰ

والفرقان. صلى الله عليه وعلى آله وعلى أصحابه والتابعين له بإحسان، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى وامتثلوا ما أمركم به على لسان نبيه من حفظ اللسان وكف الأذى عن الجيران وإكرام الضيفان. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** ». رواه البخاري ومسلم. فهذه ثلاثة أشياء هي من خصال الإيمان ويؤمر بها المؤمن:

الأولى: استعمال اللسان في النطق بالخير، وكفه عن النطق بالشر.

فالنطق بالخير يشمل ذكر الله تعالى بتلاوة القرآن، والتهليل، والتكبير والتسبيح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين، وتعليم الجاهلين، والإصلاح بين المتخاصمين، وإفشاء السلام، ومخاطبة الناس بطيب الكلام، لا سيَّما أهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة: ٨٣].

أي: خاطبوهم بالقول الحسن.

وكف اللسان يشمل السكوت عن الكلام الخبيث، وأشده كلمات الشرك والكفر، وكلمات السبِّ والشتم، والكذب، وشهادة الزور، والغيبة، والنميمة، وكذا السكوت عن فضول الكلام، أي: الكلام الذي لاحاجة إليه، والكلام بما لا يعنيه.

روى الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعًا: « **لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب وإن أبعد الناس عن الله القلبُ القاسي** ».

عباد الله: تحفَّظوا من ألسنتكم ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إنَّ الرجل ليتكلَّمُ بالكلمة ما يتبين فيها يَزِلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب** ».

وخرَّجَ الإمام أحمد، والترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « **إنَ الرجل ليتكلَّمُ بالكلمة لا يرى بها بأسًا يَهوي بها سبعين خريفًا في النار** ».

ثم إنَّ كلامنا يُكتبُ علينا، قال تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٨].

أي: ملكان موكلان بالإنسان يكتبان عمله: الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي

عن شماله يكتب السيئات. ولهذا أمرنا النبيُّ ﷺ بالتحفظ، فقال: «**فليقل خيرًا أو ليصمت**». فأمر بقول الخير والصمت عمَّا عداه، فرُبَّ كلمة أدخلت صاحبها في النار، ورب كلمة تسببت في قتل صاحبها، ورُبَّ كلمة فرَّقت بين الأحبة، ورُبَّ كلمة هَيَّجت فتنة وأثارت حمية جاهلية.

الخصلة الثانية: من الخصال التي أمر النبي ﷺ بها: إكرام الجار والإحسان إليه وكف الأذىٰ عنه، وقد أوصىٰ اللَّه بالإحسان إلىٰ الجار في محكم كتابه.

والجار: هو الذي يسكن إلىٰ جوارك سواء كان بيته ملاصقًا لبيتك، أو كان قريبًا منه، وقد قالت طائفة من السلف: حد الجوار أربعون بيتًا من كل جانب، وإكرام الجار يكون بالإحسان إليه، من إعانته إذا احتاج، والإهداء إليه، وملاطفته بالكلام، ومناصحته إذا صدر منه ما لاينبغي في حق اللَّه أو حق عباده.

وقد جاء في الأثر: «أتدري ما حقُّ الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عُدت عليه، وإذا مرض عُدته، وإذا أصابه خير هنَّيته، وإذا أصابته مصيبة عزَّيته، وإذا مات اتَّبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه».

وأما أذىٰ الجار فهو محرَّمٌ، شديد التحريم؛ لأن الأذىٰ بغير حق محرَّم لكل أحد. ولكن في حق الجار أشد تحريمًا. ففي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه سُئل: أيُ الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل للَّه ندًا وهو خلقك**»، قيل: ثم أيٌّ؟ قال: «**أنّ تقتل ولدك مخافة أن يَطْعَم معك**»، قيل: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**».

وفي «صحيح البخاري» عن أبي شريح عن النبي ﷺ قال: «**واللَّه لايؤمن، واللَّه لايؤمن**». قيل من يا رسول اللَّه؟ قال: «**من لايأمن جاره بوائقه**».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**».

والبوائق: الغوائل والشرور كالتطلع إلىٰ عورات الجيران بالنظر في بيوتهم من فوق السطوح، أو من خلال الفُرج المفتوحة في الجدران، أو باستعمال المناظر التي تَكْشفُ له ما في بيوت الجيران من المناظر المحرمة، أو بالاستماع إلىٰ أحاديث الجيران وأسرارهم.

ومن أذية الجيران إزعاجهم بالأصوات التي تُقلقهم وتَحْرِمهم من النوم والراحة،

لاسيما إذا كانت هذه الأصوات محرمة كأصوات الأغاني والملاهي التي تبثُّها وسائل الإعلام، أو آلات التسجيل.

ومن أذية الجيران طرح القمامة في طرقاتهم وأمام بيوتهم وإرسال مياه الغسيل في ممراتهم، وقد تُعرِّضُهم للانزلاق بها أو تؤذيهم بالروائح المنتنة.

الخصلة الثالثة: مما أمر به النبي ﷺ إكرام الضيف.

والضيافة من آداب الإسلام وأخلاق الأنبياء والصالحين، وقِرَىٰ الضيف واجب في الإسلام إذا كان في مكان لا يوجد فيه فنادق ولا مطاعم. والضيافة الواجبة يومٌ وليلة إلىٰ ثلاثة أيام، لما في «الصحيحين» من حديث أبي شريح رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**». قالوا: وما جائزتُه؟ قال: «**يوم وليلة**»، قال: «**والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة**».

فالواجب المتأكد من الضيافة يومٌ وليلة؛ واليومان الباقيان من تمام الضيافة وفي وجوبهما خلاف.

وقد جاء نهيُ الضيف عن إطالة الإقامة عند المضيف، قال ﷺ: «**لايَحلُّ أن يأوي عنده حتى يحرجه**»، وفي رواية: «**حتى يؤثمه**». فعلىٰ الضيف أن يتحرىٰ النزول عند من يستطيع القيام بضيافته، ويتجنَّب من لا يستطيع القيام بها لفقره، فإن ذلك يُحرجه ويَشُقُّ عليه.

ومن امتنع عن القيام بالضيافة الواجبة أثم؛ لأنه ترك واجبًا عليه، وللضيف المطالبة بحقه من الضيافة وعلىٰ من عَلِمَ بذلك من المسلمين مناصرته حتىٰ يأخذ حقه. وفي «الصحيحين» من حديث عقبة بن عامر قال: قلنا يا رسول اللَّه إنَّك تبعثنا، فننزل بقوم لا يَقْروننا، فما ترىٰ؟ فقال لنا رسول اللَّه ﷺ: «**إن نزلتم بقوم فأَمَروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم**».

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**من لم يضيف فليس من محمد صلى الله عليه وسلم ولا من إبراهيم عليه السلام**».

وقال أبوهريرة لقوم نزل عليهم، فاستضافهم فلم يُضيفوه، فتَنَحَّىٰ ونزل، فدعاهم إلىٰ طعام فلم يجيبوه، فقال لهم: لا تنزلون الضيف، ولا تجيبون الدعوة، ما أنتم من الإسلام علىٰ شيء.

عباد الله: إن دين الإسلام يأمر بكف الأذىٰ وبذل المعروف والإحسان، لا سيما إلىٰ الضيوف والجيران، وما ذاك إلا لأنه دين الرحمة ودين المواساة ودين التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وقد كان حُسْنُ الجوار وكرم الضيافة خُلقين معروفين عند العرب في الجاهلية فأقرهما الإسلام وأكَّد عليهما؛ لأنه دين ينمي مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فالحمد للَّه علىٰ هذا الدين الذي هو أعظم نعمة علىٰ البشرية.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ⑨ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩-١٠].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في خصال من الإيمان

الحمد للَّه الذي أنعم علينا بدين الإسلام، الذي به هدايتُنا لدار السلام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من قال: ربنا الله، ثم استقام وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرام

أما بعد: أيها الناس، اتقوا ربكم وأحسنوا إلىٰ من أمركم اللَّه بالإحسان إليه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

جمع اللَّه تعالىٰ في هذه الآية عشرة حقوق، بدأها بحقه سبحانه، ثم حق الوالدين، ثم حق الأقارب، ثم حق الضَّعَفَة والمحتاجين من اليتامىٰ والمساكين، ثم حق الجيران والمخالطين، ثم حق الوافد علىٰ الإنسان غير المقيم، وهو ابن السبيل، ويدخل فيه الضيف، ثم حق المماليك من الآدميين، وأدخل بعض السلف ما يملكه الإنسان من البهائم. وقد جاء في «مسند البزار» من حديث جابر مرفوعًا تقسيم الجار إلىٰ ثلاثة أنواع:

جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق...

فأما الجار الذي له حق واحد فهو الجار غير المسلم وغير القريب، له حق الجوار فقط..

والجار الذي له حقان هو الجار المسلم الذي ليس له قرابة. له حق الإسلام وحق الجوار.

والجار الذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم، له حق الإسلام، وحق الجوار، وحق الرحم.

وقيل: الجار ذوالقربىٰ: هو القريب الملاصق، والجار الجنب، والجار البعيد.

وأما الصاحب بالجنب: ففُسر بالزوجة وفُسر بالرفيق في السفر، ومن باب إلىٰ الرفيق الملازم في الحضر... فاتقوا اللَّه وأعطوا كل ذي حق حقه، فإنكم مسئولون عن تلك الحقوق، واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتُها... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في خلق الحياء وفوائده

الحمد للَّه ذي الفضل والإحسان، جَعَلَ الحياء شعبة من شعب الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن: ٢٩].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلىٰ جميع الثقلين الإنس والجان صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين نشروا دينه في جميع الأوطان.. وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالىٰ، واستحيوا منه حق الحياء، واعلموا أنه رقيب عليكم أينما كنتم يسمع ويرىٰ، فلا تبارزوه بالمعاصي وتظنوا أنكم تَخفون عليه، فإنه يسمع السرَّ والنجوىٰ.

عباد اللَّه: إن الحياء خصلة حميدة تكُفُّ صاحبها عمَّا لا يليق. وقد قال النبي ﷺ: «**إن الحياء لا يأتي إلا بخير**». وأخبر أنه شعبة من شعب الإيمان. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة. فأفضلُها قول لا إله إلا اللَّه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» وقد مَرَّ النبي ﷺ برجل وهو يَعظ أخاه في الحياء، أي: يلومه عليه فقال: «**دَعه فإنَّ الحياء من الإيمان**». دلَّت هذه الأحاديث علىٰ أنَّ الحياء خلق فاضل.

قال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه: والحياء من الحياة، ومنه الحيا للمطر، وعلىٰ حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلُق الحياء وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيىٰ كان الحياء أتم. فحقيقة الحياء أنه خُلُقٌ يبعث علىٰ ترك القبائح ويمنع من

التفريط في حق صاحب الحق.

والحياء يكون بين العبد وبين ربه عز وجل، فيستحي العبد من ربه أن يراه على معصيته ومخالفته، ويكون بين العبد وبين الناس. فالحياء الذي بين العبد و ربه قد بينه ﷺ في الحديث جاء في «سنن الترمذي» مرفوعًا أنَّ النبي ﷺ قال: «**استحيوا من اللَّه حق الحياء**». قالوا: إنا نَستحيي يا رسول اللَّه. قال: «**ليس ذلكم، ولكن من استحيى من اللَّه حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيى من اللَّه حق الحياء**»، فقد بين ﷺ في هذا الحديث علامات الحياء من اللَّه عز وجل: أنها تكون بحفظ الجوارح عن معاصي اللَّه، وبتذكر الموت وتقصير الأمل في الدنيا، وعدم الانشغال عن الآخرة بملاذ الشهوات والانسياق وراء الدنيا. وقد جاء في الحديث الآخر: «**إن من استحيى من اللَّه استحيى اللَّه تعالى منه**».

وحياء الرب من عبده حياء كرم وبرٍّ وجُودٍ وجلال، فإنه تبارك وتعالى حَيِيٌّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صِفرًا، ويستحيي أن يعذِّب ذا شيبة شابت في الإسلام.

وأما الحياء الذي بين العبد وبين الناس، فهو الذي يكُفُّ العبد عن فعل ما لا يليق به، فيكره أن يطلع الناس منه على عيب ومذمة، فيكُفُّه الحياء عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، فالذي يستحيي من اللَّه يجتنب ما نهاه عنه في كل حالاته: في حال حضوره مع الناس، وفي حال غيبته عنهم، وهذا حياء العبودية والخوف والخشية من اللَّه عز وجل، وهو الحياء المكتسب من معرفة اللَّه، ومعرفة عظمته، وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور. وهذا الحياء من أعلى خصال الإيمان بل هو من أعلى درجات الإحسان، كما في الحديث: «**الإحسان أن تعبُدَ اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

والذي يستحيي من الناس لا بد أن يكون مبتعدًا عما يُذَمُّ من قبيح الخصال، وسيِّئ الأعمال والأقوال، فلا يكون سبّابًا، ولا نمَّامًا ومغتابًا، ولا يكون فاحشًا ولا متفحشًا، ولا يجاهر بمعصية، ولا يتظاهر بقبيح، حياؤه من اللَّه يمنعه من فساد الباطن، وحياؤه من الناس يمنعه من فساد الظاهر، فيكون صالحًا في باطنه وظاهره، وفي سرِّه وعلانيته، فلهذا صار الحياء من الإيمان. ومَن سلب الحياء لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق

الدنيئة، وصار كأنه لا إيمان له، كما قال النبي ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**». رواه البخاري. ومعناه: إنَّ من لم يستح صَنَعَ ما شاء من القبائح والنقائص، فإنَّ المانع له من ذلك هو الحياء وهو غير موجود، ومن لم يكن له حياءٌ انهمك في كل فحشاء ومنكر.

فعن سلمان الفارسي رضي اللَّه عنه قال: إنَّ اللَّه إذا أراد بعبده هلاكًا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا، فإذا كان مقيتًا ممقتًا نزع منه الأمانة فلم تلقه إلا خائنًا مخونًا، فإذا كان خائنًا مخونًا نزع منه الرحمة فلم تلقه إلا فظًا غليظًا، فإذا كان فظًا غليظًا نزع رِبْقَةَ الإيمان من عنقه، فإذا نزع رِبْقَةَ الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطانًا لعينًا ملعنًا. وعن ابن عباس قال: الحياء والإيمان في قرن، فإذا نُزِع الحياء تَبِعَه الآخرُ.

وقد دل الحديث وهذان الأثران على أنَّ مَن فقد الحياء لم يبق ما يمنعه من فعل القبائح، فلا يتورع عن الحرام، ولا يخاف من الآثام، ولا يكُفُّ لسانه عن قبيح الكلام، ولهذا لمَّا قل الحياء في هذا الزمان أو انعدم عند بعض الناس، كثرت المنكرات، وظهرت العورات، وجاهروا بالفضائح، واستحسنوا القبائح، وقلت الغيرة على المحارم، أو انعدمت عند كثير من الناس، بل صارت القبائح والرذائل عند بعض الناس فضائل وافتخروا بها، فمنهم المطرب والملحن والمغني الماجن، ومنهم اللاعب التاعب الذي أنهك جسمه وضيَّع وقته في أنواع اللعب وفنون الرياضة التافهة كاشفًا لعورته أمام الناس إلا سترة يسيرة يضعها على عورته المغلظة. وأقل حياء وأشد تفاهة من هؤلاء المغنين واللاعبين مَن يستمع لغوهم أو ينظر ألعابهم ويضيع كثيرًا من أوقاته في ذلك.

ومن قلة الحياء وضعف الغيرة في قلوب بعض الرجال استقدامهم النساء الأجنبيات السافرات أو الكافرات، وخلطهم لهن مع عوائلهم داخل بيوتهم، وجعلُهُن يزاولن الأعمال بين الرجال، وربما يستقبلن الزائرين ويقمن بصب القهوة للرجال، أو استقدامهم للرجال الأجانب سائقين وخدَّامين يَطلعون على محارمهم ويَخلون مع نسائهم في البيوت وفي السيارات في الذهاب بهن إلى المدارس والأسواق، فأين الغيرة، وأين الحياء، وأين الشهامة والرجولة؟!!

ومن ذهاب الحياء في النساء اليوم ما ظهر في الكثير منهن من عدم التستر والحجاب،

والخروج إلى الأسواق متطيبات متجملات لابسات لأنواع الحلي والزينة لا يُبالين بنظر الرجال إليهن، بل ربما يفتخرن بذلك، ومنهن من تُغطي وجهها في الشارع، وإذا دخلت المعرض كشفت عن وجهها وذراعيها عند صاحب المعرض ومازحته بالكلام وخضعت له بالقول لتطمع الذي في قلبه مرض.

ومن ذهاب الحياء من بعض الرجال أو النساء شغفهم باستماع الأغاني والمزامير من الإذاعات ومن أشرطة التسجيل، حتى إنهم يطلبون من الإذاعات إعادة بث هذه الأغاني ويهدونها إلى أقاربهم وأصحابهم.

وأين الحياء ممن يشتري الأفلام الخليعة ويعرضها في بيته أمام نسائه وأولاده بما فيها من مناظر الفجور وقتل الأخلاق وإثارة الشهوة والدعوة إلى الفحشاء والمنكر؟!!

أين الحياء ممن ضيَّعوا أولادهم في الشوارع يخالطون من شاءوا، ويصاحبون من هب ودب من ذوي الأخلاق السيئة، أو يضايقون الناس في طرقاتهم، ويقفون بسيارتهم في وسط الشارع حتى يمنعوا المارة، أويهددون حياتهم بالعبث بالسيارات وبما يُسمونه بالتفحيط؟!

أين الحياء من المدخن الذي ينفث الدخان من فمه في وجوه جلسائه ومنْ حوله، فيخنق أنفاسهم ويقزز نفوسهم ويملأ مشامهم من نتنه ورائحته الكريهة؟!

أين الحياء من الموظف الذي يستهتر بالمسئولية، ويُتعب المراجعين بحبس معاملاتهم؟

أين الحياء من التاجر يخدع الزبائن ويغش السلع ويكذب على الناس؟!

إن الذي حمل هؤلاء على النزول إلى هذه المستويات الهابطة هو ذهاب الحياء كما قال ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» فاتقوا الله عباد الله وراقبوا الله في تصرفاتكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٢-١٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في موضوع الحياء

الحمد للّه الذي يمن على من يشاء من عباده بالفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله اللّه وحده لا شريك له الحليم الكريم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه بالدين القويم. صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللّه تعالى، واعلموا أنَّ الحياء الممدوح هو الحياء الذي يكُفُّ صاحبه عن مساوئ الأخلاق، ويحمله على فعل ما يُجَمله ويُزينه، أما الحياء الذي يمنع صاحبه من السعي فيما ينفعه في دينه ودنياه، فإنه حياء مذموم، وهو ضعف وخور وعجز ومهانة، فلا يستحي المؤمن أن يقول كلمة الحق، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يستحي المؤمن أن يسأل عن أمور دينه، فإنَّ الحياء الذي يمنع من فعل الخير أو قول الحق إنَّما هو تخذيل من الشيطان فاتقوا اللّه عباد اللّه، واعلموا أنَّ خير الحديث كتاب اللّه... إلخ.



في الإنفاق في سبيل اللّه وإخلاص النية في ذلك

الحمد للّه رب العالمين على فضله وإحسانه، خلقنا ورزقنا، وأمرنا بالإنفاق مما أعطانا ليدخر ثوابه لنا، وأشهد أنَّ لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، شهادة نقولها ونعتقدها سرًّا وعلنًا، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ما ترك خيراً إلا بينه لنا، وحثنا عليه وأمرنا، ولا شرًّا إلا نهانا عنه وحذَّرنا. صلى اللّه عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين يُنفقون أموالهم في سبيل اللّه ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة، وسلّم تسليمًا كثيرا.

أما بعد: أيها الناس: اتقوا اللّه تعالى واشكروه على ما رزقكم وأنفقوا مما آتاكم، واعلموا أنَّه ليس لكم من أموالكم إلا ما قدمتم لآخرتكم، قال ﷺ: «**أيُّكم مالُ وارثه أحب إليه من ماله؟**» قالوا: يا رسول اللّه، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «**فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر**» رواه البخاري.

ومعناه: أنَّ ما ينفقه الإنسان من ماله في حال حياته في وجوه البر والإحسان من الصدقات وإقامة المشاريع الخيرية والأوقاف النافعة وكفالة اليتامى وإطعام الجائعين وسد حاجة المحتاجين وإعانة المعسرين، كل هذا يقدمه أمامه ويجد ثوابه مدخراً عند اللّه

ومضاعفًا أضعافًا كثيرة، فهو ماله الحقيقي الذي يبقىٰ لديه ويجري نفعه عليه، وما عداه فإنَّ ملكيته له محدودة بحال صحته وسلامة فكره؛ لأنَّه إذا مَرِضَ مَرَضَ الموت فإنَّه يُحجر عليه فلا يتصرف فيه بصدقة ولا هبة، بل ولا يصح في هذه الحالة إقراره بحق عليه لأحد.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل، فقال: يا رسول اللّه أيُّ: الصدقة أفضل أو أعظم أجـرًا؟ قـال: «**أن تصدق وأنت شحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

ففي هذه الحال يُمنع الإنسان من التصرف في ماله الذي أتعب جسمه وفكره وقضىٰ عمره في جمعه؛ لأنه علىٰ وشك زوال ملكه عنه وانتقاله إلىٰ غيره، وقد فرَّط في حال الصحة يوم أن كان ملكه عليه تامًا وتصرفه فيه نافذًا، فينبغي أن يقدم منه شيئًا لنفسه ليبقىٰ له، وينعم به في الدار الآخرة نعيمًا مؤبدًا. نَعَم. قد رخص اللَّه له قبل الموت أن يُوصي بشيء منه في وجوه البِرِّ بعد وفاته في حدود الثلث فأقل لغير وارث.

عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه عن النبيﷺ قال: «**إنَّ اللَّه تصدق عليكم بثُلث أموالكم عند وفاتكم زيادة في حسناتكم ليجعلها لكم زيادة في أعمالكم**»...

فينبغي للمسلم أن يستفيد من هذه الصدقة التي تصدق اللَّه بها عليه فيما ينفع فيوصي بثلث ماله فأقلَّ في وجوه البِر والإحسان، ولايضيع ذلك فيما لا يَحل له، كأن يوصي به في الإعانة علىٰ إثم أو إحياء بدعة، أو يوصي به لأحد من ورثته محاباة له.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّهﷺ قال: «**إنَّ الرجلَ ليعملُ أو المرأةَ بطاعة اللَّه ستين سنة، ثم يحضرهما الموت، فيُضاران في الوصية، فتجب لهما النار**». وقرأ أبو هريرة: ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ**﴾ [النساء: ١٢]. إلىٰ قوله: ﴿**وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء: ١٣]. رواه أبو داود والترمذي.

فيا من أنعم اللَّه عليهم بالأموال، قدِّموا لأنفسكم من أموالكم ما تشترون به منازل لكم في الجنة، قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة: ١١١].

بعض الناس يجمع المال ويقول: أؤمن به مستقبلي، يعني: مستقبله الدنيوي، وهو لا يدري هل يعيش مستقبلاً يتمتع فيه بهذا المال أو يموت ويتركه لغيره، لكنه لا يفكر في تأمين مستقبله الذي لا بُدَّ له منه في الدار الآخرة بأن يقدم من ماله ما يجده مدخرًا مضاعفًا أضعافًا كثيرة، وهو أحوج ما يكون إليه.

ثم انظروا يا عباد اللَّه إلى كرم اللَّه وفضله عليكم؛ فإنه يشتري منكم ما تفضل به عليكم، ويأمركم بالإنفاق مما أعطاكم، ويقترض منكم مما آتاكم، فيقول سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ [المنافقون: ١٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١٨]، ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

عباد اللَّه: ليس طلبُ التصدق خاصًا بالأغنياء، بل إنَّ الفقير مطلوب منه أن يتصدق بما يقدر عليه ولو كان قليلاً، قال ﷺ: «**فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»، وقال ﷺ: «**مَن تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل اللَّه إلا الطيب، فإن اللَّه يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوَه، حتى تكون مثل الجبل**» وقد مدح اللَّه سبحانه وتعالى الذين يُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

ثم إن التصدقَ سبب لحصول الرزق والخلف من اللَّه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

أي: يعطي بدله وخيرًا منه في الدنيا والآخرة ويعوض عنه أكثر منه..

فالصدقة لا تُنقص المال، وإنما تَزيده، قال: ﷺ «**ما نقصت صدقة من مال**» وقال ﷺ: «**ثلاثة أُقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلا زاده اللَّه عزًا، ولا فَتَحَ عبدٌ باب مسألة إلَّا فَتَحَ الله عليه بابَ فقر**» الحديث. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

فلا يتصور الإنسان منًا أن ما يتصدق به من المال قد تَلِفَ وذهب، بل يَثِقُ ويوقن أنه هو الذي يبقى له ويُضاعف، وما أمسك بيده هو الذي يذهب.

عن أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها: «أنهم ذبحوا شاة»، فقال النبي ﷺ: «**ما بقي منها؟**» قالت: «ما بَقي منها إلاَّ كتفها»، قال: «**بقي كلها إلا كتفها**» رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

ومعناه: أنهم لما تصدقوا بها كلّها إلا كتفها أخبر ﷺ أنها بقيت لهم في الآخرة إلا كتفها الذي لم يتصدَّقوا به، فإنه لم يبق لهم ليبين ﷺ لأمته أن الذي يتصدق به من المال هو الذي يبقى لصاحبه، وأنَّ الذي لا يُتصدَّق به هو الذي يذهب ويزول عن صاحبه.

ومَنْعُ الصدقة سببٌ لتلف المال، قال ﷺ: «**ما من يوم يُصبحُ العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهمَّ أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللَّهم أعط ممسكًا تلفًا**» متفق

عليه .

عباد الله: عليكم بالإنفاق من جيد المال ولا تنفقوا من رديئه، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

يأمر تعالىٰ بالإنفاق من جيد المال، وينهىٰ عن الإنفاق من رديئه، ويقول: كما أنكم لا ترضوْن بالرديء لو دفعه إليكم غيركم، فلا تدفعوه إلىٰ غيركم، فإنه لا يرضاه، فكيف ترضوْن للناس ما لا ترضونه لأنفسكم؟!!

ثم أخبر سبحانه أنه غني عن صدقاتكم، وإنما أمركم بالتصدق لأنفسكم، فلا تُقدموا لها الرديء، فإنه لا ينفعكم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

أي: لن تكونوا من أهل الإحسان والتقوىٰ والمنازل العالية في الجنة إلا إذا تصدقتم بأحب أموالكم إليكم.

ولَمَّا نزلت هذه الآية بادر الصحابة رضي اللّه عنهم بتقديم أنفس أموالهم وأحبها إليهم تقربًا إلىٰ اللّه تعالىٰ، فتصدق أبو طلحة الأنصاري رضي اللّه عنه بحائطه الذي هو أحب إليه، وكان عند عمر جارية تعجبه، فأعتقها، وقال: إن اللّه عز وجل يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وكذلك ابنه عبداللّه كان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به ابتغاء وجه اللّه، وقد وصف اللّه الأبرار بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

وكثير من الناس اليوم لا يتصدقون إلا بالشيء الذي تعافه أنفسهم، أو يريدون أن يرموه في المزابل مما ذهب نفعه وقلت الرغبة فيه، وهذا لا يفيدهم شيئًا، كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فعليكم عباد اللّه بالإنفاق من الطيبات، فإن اللّه تعالىٰ طيب لا يقبل إلا طيبًا. والطيب هو: الحلال الجيد.

واحذروا - عباد اللّه - من موانع قبول الصدقة التي منها أن يتصدق الإنسان وهو كاره، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ

وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

أي: ينفقون بغير انشراح صدر وطيب نفس ورغبة في ثواب النفقة. ومن كان كذلك فإنه يعتبر النفقة مغرمًا لا مغنمًا.

ومن موانع قبول الصدقة المنُّ بها، قال تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٣-٢٦٤].

أخبر سبحانه أن الصدقة تَبْطُلُ بالمنِّ والأذىٰ، وهي أن يفعل مع من تصدق عليه مكروهًا من الأقوال والأفعال، فهذا يحبط به ثواب صدقته؛ لأن إثم المن والأذىٰ لا يُغطيه ثواب الصدقة. وقد وردت الأحاديث بالنهي عن المن بالصدقة، منها ما في «صحيح مسلم» عن أبي ذر رضي اللَّه عنه: قال: قال رسول اللَّهﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمُسبِلُ إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»**.

ومن موانع قبول الصدقة: أن يقصد بها الرياء والسمعة، قال تعالى: ﴿ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ورئاء الناس: مراءاتهم.

والمرائي: هو الذي يُحبُّ أن يرىٰ الناس عمله، ويريد مدحهم وثناءهم عليه، ولا يريد ثواب اللَّه؛ لأنه ليس في قلبه إيمان، وقد شبه اللَّه قلبه بالحجر الأملس المغطىٰ بالتراب، فيظن الرائي أنه إذا أصابه المطر أنبت كما تُنْبت الأرض الطيبة.. ولكن المطر يُزيل عنه التراب ويُظهره علىٰ حقيقته حجرًا لا يقبل الإنبات، وهكذا قلب المرائي الذي لا إيمان فيه، فأعماله ونفقاته باطلة لا أصل لها تؤسس عليه.

عباد اللَّه: إن الشح والبخل آفتان نفسيتان يمنعان من التصدق والإنفاق في سبيل اللَّه، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وعن جابر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّهﷺ قال: **«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم**

القيـامة، واتقـوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهلك مَن كـان قبلكم، حـملهم على أن سفكـوا دماءهم واستحلوا محارمهم» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه سَمع رسول اللَّه ﷺ يقـول: «مـثل البخـيل والمنفق كمـثل رجلين عليهمـا جُنَّتان من حـديد من ثديهما إلى تراقـيهمـا فأما المنفق فلا يُنفق إلا سَبَـغَت أو وفرت على جلده حتى تُخفي بنانه وتعـفو أثره، وأمـا البخيل فـلا يريد أن يُنفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع» متفق عليه.

والجُنة: الدرع، ومعناه أن المنفق كُلما أنفق توسع درعه، وطال حتى يُضفي عليه كله. والمراد: أن الجواد إذا هَمَّ بالصدقة انفسح لها صدره، وطابت نفسه وتوسعت في الإنفاق والبخيل إذا حدَّثها بها شحت بها، فضاق صدره، وانقبضت يداه.

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه، واحذروا الصفات المذمومة، واتصفوا بالصفات الحميدة.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩-١١].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الإنفاق

الحمـد للَّه رب العـالمين، أغنى وأقنى، وَعَدَ من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى، بأن يُيسره لليسرى، وتوعَّد مَن بَخِل واستغنى وكذَّب بالحسنى بأن ييسره للعسرى، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لاشريك له، له الآخرة والأولى، وأشهد أنَّ محـمداً عبده ورسوله المخصوص من بين الرسل بالشفـاعة العظمى، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لتكون كلمة اللَّه هي العليا، وسلَّم تسليمًا كثيراً.

وأمـا بـعـد: أيهـا النـاس، اتقوا اللَّه، وقدموا لأنفسكم من أموالكم، قبل مماتكم وانتقـالكم، واحرصـوا على وضع الصدقـات في مـواضعـهـا الصـحـيحة من إعطائها للمحتاجين من الفقراء واليتامى والمساكين المدينين المعسرين، واعلموا أن إخفاء الصدقة أفضل من إظهارها، لما فيه من البُعد عن الرياء، والستر على الفقير الذي يستحي من أخذ الصدقة. وإذا كان في إظهار الصدقة مصلحة شرعية بأن يكون قدوة لغيره في التصدق. أوتكون في مشروع خيري ظاهر فلا بأس بذلك قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ

وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وتحروا - عباد اللّه - بصدقاتكم المحتاجين المتعففين عن السؤال؛ لأن هذا الصنف أفضل ما وضعت فيه الصدقات، قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فهم لا يستطيعون الاكتساب، ولا يسألون الناس تعففًا وحياء، يحسبهم من يجهل حالهم أغنياء من تسترهم، قال ﷺ: «**ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيُتصدق عليه، ولايقوم فيسأل الناس**» متفق عليه.

والسائل له حق على المسئول، فإن كان صادقًا في أنه محتاج فلا إثم عليه، وإن كان كاذبًا فإنه آثم، وما أخذه حرام وسُحتٌ وجمر من جهنم، قال رسول اللّه ﷺ: «**من سأل الناس تكثرًا - أي: من غير حاجة، وإنما يسأل ليُكثر ماله - فإنما يسأل جمرًا فليستقلَّ أو ليستكثر**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**إن المسألة كدٌّ يَكُدُّ بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سلطانًا أو في أمر لابد منه**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. والكدُّ: الخَدشُ ونحوه.

وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى اللّه تعالى وليس في وجهه مُزعَةُ لحم**» متفق عليه.

وعن أبي عبداللّه الزبير بن العوام رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لأنْ يأخُذَ أحدكم حبله، ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكف اللّه بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**» رواه البخاري.

نسأل اللّه أن يغنينا بحلاله عن حرامه وأن يكفينا بفضله عمن سواه... إن خير الحديث كتاب اللّه... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على إخراج زكاة الحبوب والثمار

الحمد للَّه رب العالمين، حث على طلب الرزق والإنفاق في سبيل اللَّه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لاشريك له ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ومصطفاه. صلى اللَّه عليه وعلى أصحابه ومن والاه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى، واطلبوا الرزق من حله، وأنفقوا في وجوهه التي شرع اللَّه الإنفاق فيها. فقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة في الحث على طلب الرزق والإنفاق في وجوه الخير. وقد ذم اللَّه الذين يجمعون المال ولا ينفقون في سبيل الله، قال تعالى في وصف النار: ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨) إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [المعارج: ١٥-٢٥].

وقد نهى عن المكاسب المحرمة. فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ**﴾ [النساء: ٢٩].

أي: لا يأكل بعضكم مال بعض من غير الوجه الذي أباحه اللَّه والأكل بالباطل أنواع كثيرة كالربا، والقمار، والغش، والحيل الباطلة، والخصومات الفاجرة، والسرقة، والنهب، والاغتصاب، وبيع الأشياء المحرمة كالمسكرات والمخدرات والدخان، وآلات اللهو، والصور، وغير ذلك مما حرمه اللَّه؛ لأنَّ اللَّه إذا حرم شيئًا حرَّم ثمنه.

ولَمَّا سئل النبي ﷺ: أي الكسب أطيب؟ قال: «**عملُ الرجل بيده، وكلُّ بيع مبرور**». رواه أحمد والبزار وصححه الحاكم. والبيع المبرور: هو الخالص من الغش والحيل والكذب والأيمان الفاجرة.

ومن أنواع الكسب الطيب: الزراعة وغرس الأشجار التي ينتفع بثمرها. لما في الزراعة وغرس الأشجار من عمل اليد، والتوكل على اللَّه، والنفع العام للخلق.

عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة ولا يرزؤه أحدٌ إلا كان له صدقة إلى يوم**

القيامة». وفي رواية: «فلا يغرس المسلم غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة». وفي رواية: «لا يغرس مسلم غرسًا ولا يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كان له صدقة» رواه مسلم.

وعن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «سبعٌ يجري للعبد أجرُهُنَّ وهو في قبره بعد موته» وذكر منهن «من غَرسَ نخلاً».

وعن جابر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يا معشر الأنصار»، قالوا: لبيك يا رسول اللَّه، قال: «كنتم في الجاهلية إذ لا تعبدون اللـه، تحملون الكلَّ وتفعلون في أموالكم المعروف وتفعلون إلى ابن السبيل حتى إذا منَّ اللَّه عليكم بالإسلام وبنبيِّه إذا أنتم تحصنون أموالكم. فيما يأكل ابن آدم أجر. وفيما يأكل السبع والطير أجر» قال: فَرَجَع القوم، فما منهم أحد إلا هدم من حديقته ثلاثين بابًا. رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وفي هذه الأحاديث فضل الزراعة وغرس الأشجار التي ينتفع منها الخلق، ولا سيما النخيل، وأن ما أُكل منها بعلم صاحبها أو بغير علمه فله أجره، وأنَّ الأجر يستمر ببقاء الأشجار التي يُؤكل منها بعد موته. وقد شرع اللَّه الإنفاق من الأموال التي يحصل عليها الإنسان، وهذا الإنفاق منه ما هو واجبٌ كالزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام وقرينه الصلاة في كتاب اللَّه عزَّ وجل، و التي قاتل الصحابة من منعها.

والإنفاق ما هو مستحب كسائر الصدقات.

ومن الإنفاق في سبيل اللَّه واجبًا أو مستحبًا يُشرَع في جميع الأموال. فقد أوجب اللَّه في الأموال على اختلاف أنواعها أن تُخرج زكاتها منها، ففي النقود زكاة، وفي عُروض التجارة - وهي السلع المعدة للبيع للاتجار بثمنها - زكاة، وفي بهيمة الأنعام - وهي الإبل والبقر والغنم - زكاة، وفي الخارج من الأرض من حبوب وثمار؛ لأنَّ الزراعة قد تطورت في هذا الزمان وسَهُلَت تكاليفها. قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧، ٢٦٨].

يأمر اللَّه سبحانه عباده المؤمنين أن ينفقوا من جيد ما كسبوه من التجارات من النقود وعُروض التجارة المعدَّة للبيع والشراء، وما اقتنوه للدَّر والنَّسل من بهيمة الأنعام وما

أخرج لهم من الأرض من الحبوب كالبرِّ والشعير وأصناف الحبوب، ومن الثمار كالتمر والعنب، وهذا يشملُ الصدقات الواجبة كالزكاة، والصدقات المستحبة كأنواع التطوعات، وينهىٰ سبحانه عن إخراج الخبيث وهو الرديء الذي لو دَفعه إليهم مَن لهم حق عليه لم يقبلوه منه إلا علىٰ كُره فكيف ترضوْن للَّه ما لاترضوْنه لأنفسكم؟ فالواجب إخراج زكاة الشيء منه: الجيد من الجيد، والرديء من الرديء، والمتوسط من المتوسط. ومن أخرج الرديء عن الجيد لم يُجزئه عن الواجب ولا يحصل له الثواب.

ثم بيَّن سبحانه أنه غني عن المخلوقين وعن صدقاتهم، وإنما أمرهم بها وحثهم عليها لنفعهم هم ونفع إخوانهم المحتاجين، ثم بيَّن سبحانه أنهم بين داعييْن: داعي الرحمن الذي يدعوهم إلىٰ الإنفاق، ويعدهم الخير والفضل والثواب، وداعي الشيطان الذي يدعوهم إلىٰ البخل، ويُخوِّفهم من الفقر. وقال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فالذي يُنفق مما يَكرَهُ لا ينال البرَّ، فالواجب أن يُجيبوا داعي الرحمن ويرفضوا ويحذروا داعي الشيطان.

وقد بيَّن سبحانه في آية أخرىٰ وقت وجوب إخراج زكاة الحبوب والثمار. فقال تعالىٰ: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

أي: أخرجوا زكاة الزرع يوم حصاده، ومثله الثمار، فإنها تخرج زكاتها يوم جذاذها، لأنه الوقت الذي تتم به النعمة علىٰ المزارعين وأصحاب النخيل بالتمكن من الحصول علىٰ ثمارهم وحبوبهم، وهو الوقت الذي تتشوف فيه نفوس الفقراء إلىٰ الصدقات والمواساة، ففي هذه الآية دليل علىٰ وجوب الزكاة في الحبوب والثمار، وأنه لا حول لهما، بل حولهما وقت الحصول عليهما بالحصاد للزروع والجذاذ للنخيل؛ وأنه لو أصاب الثمار والحبوب آفة، فتلفت قبل الحصاد والجذاذ من غير تفريط من صاحبها، فلا زكاة فيها، وقد بيَّنت سنة النبي ﷺ المقدار الواجب إخراجه في زكاة الحبوب والثمار وأنَّه العُشْرُ فيما سُقيَ بلا مئونة، ونصف العشر فيما سُقِيَ بمؤنة.

فعن جابر، عن النبي ﷺ قال: «**فيما سَقَت الأنهار والغيم العشُور، وفيما سُقيَ بالسانية نصفُ العشور**»، رواه أحمد ومسلم، والنسائي، وأبو داود، وقال: الأنهار: العيون.

وعن ابن عمر أنَّ النبي ﷺ قال: «**فيما سَقت السماء والعيون أو كان عثريًا العشر، وفيما سُقِي بالنَّضح نصف العشر**».

فالحديثان يدُلان على أن ما يُسقى بلا نفقة كالذي يشرب من السيول أو من الأنهار أو العيون ففيه العُشر، وأنَّ ما يُسقى بنفقة كالذي يُسقى بالسواني أو المكائن الرافعة، ففيه نصف العُشر.

عباد اللَّه: جاء الوعيد الشديد في حق مانعي الزكاة. قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**يا معشر المهاجرين، خصال خمس إن ابتُليتم بهن ونزلن بكم -** أعوذ باللَّه أن تدركوهن -: **لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشت فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، ولم يَمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولا نَقَضوا عهد اللَّه وعهد رسوله إلا سُلطَ عليهم عدو من غيرهم، فيأخذ بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب اللَّه إلا جُعل بأسهم بينهم**» رواه البيهقي.

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**وما تلف مال في بَر ولا بحر إلا بحبس الزكاة**» رواه الطبراني.

فدل الحديثان على أن منع الزكاة يسبِّب احتباس الأمطار التي فيها حياة الناس وحياة البهائم والأشجار، ويُسبِّب تلف الأموال التي لم تُزَكَّ. وأنتم ترون ما يحل بالناس من تأخر نزول الأمطار وما يُصيب الزروع والثمار من الآفات التي تُتلفها أو تُنقص محاصيلها، وذلك بسبب منع الزكاة.

قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ**﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٧].

يُذكِّر سبحانه عباده فيما يُلقونه من البذر في الأرض: هل هم الذين أخرجوه نباتًا من الأرض ثم نمَّوه حتى تكامل وأخرجوا سنبله وصار حبًا حصيدًا، وثمرًا نضيجًا، أم إن الله سبحانه هو الذي فعل ذلك كله، ولم تفعلوا أنتم إلا حرث الأرض ووضع البذر فيها ثم مَن الذي يدفع عن هذا الزرع الآفات التي هو معرض لها من البرد والجراد والأمراض، أتقدرون على دفع ذلك عنه لولا دفع اللَّه عنه حتى يحين حصاده، ولو شاء اللَّه لسَلَّطَ عليه ما يُتلفه ويجعله محطمًا أو ناقصًا لا حب فيه، ولا تقدرون على دفع ذلك عنه، وإنما تتلاومون وتتساءلون عن السبب الذي قضى عليه، وتتحسرون على مصيبتكم وهلاك

زروعكم مع ما بَذَلتم فيها من الأتعاب والنفقات، وتُقرون بالعجز فاشكروا اللَّه الذي زرعه لكم وحماه من الآفات، وتصدقوا منه على ذوي الحاجات، وأدُّوا ما فيه من حق الزكاة.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحث على إخراج زكاة الحبوب والثمار

الحمد للَّه رب العالمين، يَمُنُّ على عباده بالأرزاق، ويأمرهم أن يُنفقوا ممَّا أعطاهم ليجدوه يوم التلاق، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه الملك الخلاق، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، وأفضل خلقه على الإطلاق، بعثه ليُتمم مكارم الأخلاق، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه البررة السباق، وسلم تسليمًا كثيراً...

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى واسمعوا ما جاء في المتصدقين من زروعهم وأشجارهم من الوعد بالخير والبركة، وما جاء في الذين لا يتصدقون منها من الوعيد.

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بينما رجل يمشي في فلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان. فتنحَّى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرْجة من تلك الشِّراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمساحته، فقال له: يا عبد اللَّه، ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سَمِع من السحابة، فقال: يا عبد اللَّه لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق: حديقة فلان ـ لاسمك ـ فما تصنع فيها؟ فقال: أمَّا إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثُلثه، وآكل أنا وعيالي ثُلثا، وأرد فيها ثلثه**» رواه مسلم.

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧-٢٠].

الآيات: إنه كان رجل له حديقة يسير فيها بسيرة حسنة، فكان ما يستغل منها يرد فيها

ما تحتاج إليه ويدَّخر لعياله قوت سنتهم، ويتصدَّق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئا للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفَّر ذلك علينا، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب اللَّه ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة، فلم يبق لهم شيء وكانوا قد عزموا على صرام البستان أول الصباح قبل انتباه الناس وحضور المساكين، فأحرقه اللَّه بالليل عقوبة لهم على نيتهم السيئة، فلما أصبحوا جاءوا لتنفيذ ما عزموا عليه فوجدوها سوداء محترقة، فظنوا أنَّها غيرها. فلما تحقَّقوا أنها هي أدركوا أن اللَّه عاقبهم وحرمهم إيَّاها، فأخذوا بالتأسُّف والتلاوم.

وهذه عبرة لكل من منع حق اللَّه في ماله أن يعاقبه اللَّه بإتلافه كله حتى يُصبح فقيراً مفلسًا.

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه واشكروا نعمة اللَّه بأداء حقها، وتمسَّكوا بكتاب ربِّكم وسنة نبيكم، فإنَّ خير الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ... إلخ.



ظاهرة التأخر في الحضور لصلاة الجمعة والجماعة

الحمد لله رب العالمين، أمر بالمسارعة إلى الخيرات، وحذر من إضاعة الأعمار والأوقات، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وماله من الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حثَّ على المبادرة إلى حضور الجُمع والجماعات، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الذين كان تنافُسهم في الطاعات، وسلم تسليمًا كثيراً...

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى، واستجيبوا لنداء ربكم حيث يقول: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

واعلموا أن الأوقات تمضي، والأعمار تنقضي، ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعة اللَّه غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة، والجنة لا تُدرك بالتمني، ولا بشرف النسب، ولا بعمل الآباء والأجداد، ولا بكثرة الأموال والأولاد قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ

بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

ومَن بَطَّأ به عملُه لم يُسرع به نسبُه.

فالجنة لمن آمن بالله وعمل صالحًا، ولو كان عبدًا حبشيًّا، والنار لمن كفر بالله ولو كان شريفًا قرشيًّا.

عبـاد الله: إنَّنا نَرىٰ الكثير منّا يتكاسلون عن الأعمال الصالحة، وينشطون في طلب الدنيا ويتوسعون في إعطاء نفوسهم ما تشتهي.

ولنضرب لذلك مثلاً في علاقة كثير من الناس بالمساجد وحضور الجمعة والجماعة، فنرىٰ الكثير يسكنون بجوار المساجد ولا يدخلونها، ولا يُعرفُون فيها، يُجاورون المساجد ببيوتهم، ويبعدون عنها بقلوبهم، وذلك دليل علىٰ ضعف الإيمان في قلوبهم أو انعدامه؛ لأن عمارة المساجد بالصلاة والعبادة، والتردد إليها من أجل ذلك علامة الإيمان. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقـال النبيﷺ: «**إذا رأيتم الرجل يعتـاد المساجد فاشـهدوا له بالإيمان**». وتـلا هـذه الآية.. ترىٰ هؤلاء يملئون الأسواق، ويأكلون الأرزاق ولا يتجهون إلىٰ المساجد، ولا يشاركون المسلمين في إقامة شعائر الدين. ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

حرموا أنفسهم أجر المشي إلىٰ المساجد وما فيه من الحسنات وتكفير السيئات، وبقيت أوزارهم علىٰ ظهورهم...

والبعض الآخر من الناس - وهم كثير - يأتون إلىٰ المساجد في فتورٍ، وكسلٍ ويمضون فيها قليلاً من الوقت علىٰ مَضَض وملل، فالكثير منهم إذا سمع الإقامة جاء مسرعًا ثائر النفس، ودخل في الصلاة وهو مشوش الفكر، لم يراع أدب الدخول إلىٰ المسجد، ولم يعمل بسنة الرسولﷺ حيث يقول: «**إذا سمعتم الإقامة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فأتموا**». وفاته أجر التقدم إلىٰ المسجد، وانتظار الصلاة، فقد أخبر النبيﷺ أن الذي يجلس ينتظر الصلاة في المسجد كالمرابط في سبيل الله، وأنه يُكتب له أجر المصلي ما دام ينتظر الصلاة، وأنَّ الملائكة تستغفر له ما دام كذلك، لكن اليوم يؤذن المؤذنون ويمضي وقت طويل والمسجد خال ليس فيه أحد إلىٰ أن تُقام الصلاة،

فيأتون متكاسلين.

عباد الله: إن التأخر في الحضور إلىٰ الصلاة، كما أنه يفوت أجورًا كثيرة، فهو أيضًا يفتح باب التهاون بالصلاة، ويجر في النهاية إلىٰ ترك صلاة الجماعة، فقد روىٰ مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبيﷺ رأىٰ في أصحابه تأخرًا، فقال لهم: «**تقدموا فأتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**». فدل هذا علىٰ خطورة التأخر عن الحضور إلىٰ الصلاة وأن المتأخر يُعاقب بأن الله يؤخره عن رحمته وعظيم فضله، ويكفي في التنفير عن التأخر أن فيه تشبهًا بالمنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿**وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ**﴾ [التوبة: ٥٤]. وقال فيهم: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ**﴾ [النساء: ١٤٢].

أعتقد أنَّ هؤلاء لو كان يفوتهم بتأخرهم طمع من مطامع الدنيا لجاءوا مع أول الناس، ولجلسوا في الانتظار الساعات الطويلة دون ملل، وذاك إلا لأن الدنيا أحب إليهم من الآخرة. لقد أصبحت المساجد اليوم مهجورة مغلقة غالب الوقت، لا تُفتحُ إلا بضع دقائق وبقدر أداء الصلاة علىٰ عجل.

لقد أصبحت المساجد تشكو من قلة المرتادين لها، والجالسين فيها لذكر الله، لقد فقدت الرجال الذين يُسبحون الله فيها بالغدو والآصال لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار... فقدت العاكفين والرُّكع السجود الذين يعمرونها آناء الليل، وآناء النهار، قد كانت المساجد فيما مضىٰ بيوتًا للعبادة ومدارس للعلم وملتقىٰ المسلمين ومنطلقهم، فيها يتعارفون ويتآلفون، ومنها يستمدون الزاد الأخروي، ونور الإيمان، وقوة اليقين، بها تعلَّقت قلوبهم وإليها تهوي أفئدتهم، هي أحب إليهم من بيوتهم وأموالهم، فلا يملون الجلوس فيها، وإن طالت مدته، ولا يسأمون التردد عليها وإن بَعُدَت مسافتها يحتسبون خُطاهم إليها ويستثمرون وقتهم فيها، فيتسابقون في التبكير إليها.

أيها المسلمون: هذه حالة السَّلف في المساجد، واليوم كما تعلمون كَثُر التأخر عن المساجد وقلَّ الجلوس فيها، ففات بذلكم الخير الكثير علىٰ الأمة، وضعُفت منزلة المساجد في قلوب كثير من الناس وقل تأثيرها فيهم، فظهر الجفاء وتناكرت القلوب، وتفككت الروابط حتىٰ صار الجار لا يعرف جاره، ولا يدري عن حاله...

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وأعيدوا للمساجد مكانتها في قلوبكم، وبكروا في الذهاب إليها، وأكثروا من الجلوس فيها، واسمعوا ما جاء عن النبي ﷺ من الحث على المشي إلى المساجد والجلوس فيها لعلكم تذكرون.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل مع الجماعة تُضعَّف على صلاته ببيته وفي سوقه خمسًا وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة لا يُخرجه إلا الصلاة لم يخطو خطوة إلا رُفعت له بها درجة، وحُط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، اللَّهم صلِّ عليه، اللَّهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**» رواه البخاري.

وروى مالك في «الموطأ» من قول أبي هريرة: (مَن توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج عامداً إلى الصلاة، فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة، وإنه يُكتب له بإحدى خطوتيه حسنة، ويمحى عنه بالأخرى سيئة، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسع، فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً). قالوا: لِمَ يا أبا هريرة، قال: من أجل كثرة الخُطا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره. وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**» رواه مالك ومسلم.

وعن بُريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**بَشِّر المشائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**» رواه أبو داود، والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**» رواه مسلم.

عباد الله: لقد عَظَّم الله شأن المساجد، وأثنى على الذين يعمرونها بالطاعة ووعدهم جزيل الثواب . . .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [النور: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [البقرة: ٢١٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في التحذير من التأخر في الحضور إلى المساجد

الحمد لله رب العالمين، جعل يوم الجمعة عيد أهل الإسلام، وأمر بالسعي إلىٰ صلاة الجمعة عند النداء إليها ونهىٰ عن الانشغال عنها بجمع الحطام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، الملك القدوس السلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حث علىٰ التبكير في الحضور لصلاة الجُمعة، واهتم بذلك غاية الاهتمام، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرام، وسلَّم تسليماً كثيراً..

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه، فإن خير الزاد التقوىٰ. يقول تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الجمعة: ٩].

سمَّىٰ الله هذا اليوم العظيم يوم الجمعة، لأن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع في المساجد الكبار لأداء الصلاة التي هي أعظم شعائر الدين بعد الشهادتين كما أن هذا اليوم قد اجتمع فيه من الخصائص ما لم يجتمع في غيره من أيام الأسبوع، ففيه كمُل خلق السموات والأرض، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة الإجابة، وهي ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه.

وقد اختار الله هذا اليوم العظيم لهذه الأمة، وأضل عنه من كان قبلها من الأمم، فاختارت اليهود يوم السبت، واختارت النصارىٰ يوم الأحد، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة، وقد أمر الله المؤمنين فيه بالاجتماع لعبادته بأداء صلاة الجمعة، وحثهم علىٰ المبادرة بالحضور والانتظار في المساجد حتىٰ تُقام صلاة الجمعة وحث النبي ﷺ علىٰ التبكير في الحضور والانتظار في المساجد حتىٰ تُقام صلاة الجمعة وحث علىٰ أن يكون الإنسان علىٰ أحسن هيئة، وفي أجمل لباس وأطيب رائحة، وحث علىٰ التنظف والاغتسال قبل الحضور.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرَّب بدنة، ومَن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومَن راح في الساعة**

الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومَن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» أخرجه الشيخان.

فدل هذا الحديث على طلب التبكير في الحضور لصلاة الجمعة وانتظار في المسجد حتى تقام، وأن يُشْغِلَ وقته حال الانتظار بصلاة النافلة، والذكر وتلاوة القرآن، ودل الحديث على أن الأجر يتفاوت بتفاوت الحضور، وأنه كلما بكر زاد الأجر، وكلما تأخر ينقص الأجر، والظاهر أن الساعة الأولى تبدأ بعد طلوع الشمس، فمطلوب من المسلم أن يتوجه إلى صلاة الجمعة من بعد طلوع الشمس ليحصل على هذه الفضيلة. وكان المسلمون إلى عهد قريب يُبكرون في الحضور لصلاة الجمعة، ويملئون المساجد بوقت مبكر، وأما اليوم فَقَلَّ من يعمل بذلك.. فالكثير لا يحضر إلا عند الخطبة أو عند الإقامة، أو في آخر الصلاة، فيحرمون أنفسهم من أجر التبكير ومن سماع الخطبة. بل ربما لا يتمكنون من إدراك الصلاة، وهذا حرمان عظيم ونقص كبير، يجلس أحدهم في بيته، وهو بجوار المسجد ولا يقوم إلى الصلاة إلا عندما يدخل الإمام يخشى أن يُمضي شيئًا من الوقت في المسجد قبل حضور الإمام، وهو لا يأنس بجلوسه في المسجد، بل يعتبر ذلك حبسًا، لأنه لايدري عمَّا فيه من الفضل، بل يظن أنَّ المطلوب هو أداء الصلاة فقط، فلذلك لا يأتي إلا عند الإقامة، ولا يدري أنَّه مطلوب منه التبكير والانتظار، وأن صرف الوقت في ذلك من أفضل الأعمال، ولا يدري أنَّه مطلوب منه سماعه للخطبة والتذكير، ولا يدري أن الخطبة هي الذكر، أو هي من الذكر الذي أمر اللَّه بالسعي إليه في قوله: ﴿**فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: ٩].

وذلك لأن اللَّه شَرَعَ الخطبة لتعليم الناس ما يجهلون، وتحذيرهم مما يضرُّهم وتنبيههم وإرشادهم، فالخطبة درس الأسبوع وموعظة المسلمين، وكلهم بحاجة إلى استماعها والانتفاع بها.

فاتقوا اللَّه ـ عباد اللَّه ـ واهتموا بالحضور لصلاة الجمعة مبكرين.

﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الحشر: ١٩].

وقد عاتب اللَّه سبحانه من انصرف عن سماع الخطبة إلى طلب الدنيا، فقال سبحانه: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا**﴾ [الجمعة: ١١].

وقد أخبر النبيﷺ أن الذي لا ينصت لسماع الخطبة يكون كالحمار يحمل أسفارًا، فعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّهﷺ: **«من تكلم يوم الجمعة والإمام**

يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً» رواه أحمد وغيره، وذلك لأنه تكلف الحضور، ولم يستفد منه، فهو كالحمار الذي يتكلف حمل الكتب الكبيرة وهو لا يستفيد منها. فاتقوا اللَّه ـ عباد اللَّه ـ واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في خصال الفطرة

الحمد للَّه رب العالمين، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وخصه بالإنعام والتكريم، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له.

﴿**يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر: ٢٤].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أثنى اللَّه عليه بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤].

صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا تحت رايته، وتمسكوا بسنته، وكانوا على صراط مستقيم، وسلَّم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى واعملوا بسنة نبيكم، كما أمركم اللَّه بذلك فقال: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر: ٧].

ألا وإن من سنته ﷺ العمل بخصال هي من خصال الفطرة، وفي العمل بها جمال الإنسان ونظافته وحسن مظهره، ومخالفة أهل النقائص و المعائب الكفرة والفسقة، وعدم التشبه بالدواب من السباع والبهائم والحيوانات.

قال ﷺ: «**خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر**». متفق عليه.

ومعنى الحديث: أن من فعل هذه الخصال الخمس فقد اتصف بالفطرة التي فطر اللَّه العباد عليها، وحثهم على فعلها، لما فيها من جمال المظهر وحسن الهيئة ونظافة الجسم.

والفطرة: هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء، واتفقت عليها الشرائع:

وأول هذه الخصال الاستحداد: وهو حلق العانة أو إزالتها بأي مادة مزيلة لما في بقائها من التشويه وتراكم الأوساخ.

والثانية من خصال الفطرة الختان: هي قطع جميع الجلدة التي تُغطي حشفة الذكر وإزالتها، والمقصود من الختان: تطهير الإنسان من النجاسة التي تتجمع تحت القلفة لو بقيت، ويستحب المبادرة بختان الصبي؛ لأنه أسرع في البُرء، ولينشأ الطفل على أكمل الأحوال.

والثالثة من خصال الفطرةقص الشارب أو إحفاؤه وهو المبالغة في أخذه. وفي الحديث: «**من لم يأخذ من شاربه فليس منا**» رواه أحمد والنسائي والترمذي، وقال: حديث صحيح ومنه السبالان، وهما طرفا الشارب، فلا تَجُز إطالتهما كما يفعل بعض الجهال. فقد روى الإمام أحمد وغيره: «**قُصوا سبالاتكم ولا تشبهوا باليهود**».

وقد ذكر العلماء من فوائد أخذ الشارب: عدم التشابه باليهود والمجوس، وحصول النظافة عند الأكل والشرب؛ لأن الشارب الطويل يعلق به شيء من الطعام والشراب فيتسخ بذلك، وربما ينغمس في الشراب فيكرهه غيره، وأيضًا قد يتسرب شيء من الأنف، فيتلبَّد على الشارب، ولايخفى ما في ذلك من الكراهة والتشويه.

وجاء في الأحاديث الصحيحة أن من خصال الفطرة إعفاء اللحية، وهو توفيرها، ففي «الصحيحين» «**خالفوا المشركين وَفِّروا اللحى وأحْفُوا الشوارب**».

وفي رواية: «**وأوفُوا اللحى**». أي: اتركوها وافية، وبعض الناس اليوم ابتلوا بمخالفة أحاديث الرسول ﷺ ومخالفة سنته في اللحى والشوارب، فبعضهم يُوفر الشارب ويحلق اللحية وهذا الفعل فيه معاكسة لأمر الرسول ﷺ، حيث وفر ما أمر الرسول ﷺ بأخذه وإزالته، وأزال ما أمر الرسول ﷺ بإبقائه وتوفيره، فحلق لحيته وأبقى شاربه تقليداً للمشركين ومخالفة لسنة سيد المرسلين، وذلك لأن الشيطان زين له سوء عمله فرآه حسنًا، بل لقد بلغ الأمر أن بعض الأنظمة في بعض الدول الإسلامية تفرض على منسوبيها حلق لحاهم ومعاقبة من يُوفرون لحاهم بطردهم من الخدمة الوظيفية.

ومن الناس من يقص لحيته ولا يبقي منها إلا شيئًا يسيراً، وهذا يُخالف ما أمر به الرسول ﷺ من توفيرها وإعفائها، فإن معنى ذلك إبقاؤها كاملة من غير تعرض لها بقص أو نتف، ولكن الشيطان لما لم يدرك منه إزالتها بالكلية اكتفى منه بإزالة بعضها؛ لأنه يريد

منه مخالفة السنة على أي وجه.

ومن الناس من ابتُليَ بصبغ لحيته بالسواد، وهذا محرم، وعليه وعيد شديد؛ لأن النبي ﷺنهى عن الصبغ بالسواد في أحاديث صحيحة، وقد روى أبو داود، والنسائي، وصححه ابن حبَّان، والحاكم، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يكون قوم يخضبون لحاهم في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة»**.

وهذا وعيد شديد يدل على شدة تحريم هذا العمل، أما تغيير لون الشيب بغير السواد فإنه مشروع كصبغه بالحناء أو الكتم أو غيرهما مما ليس لونه من الأسود الخالص.

ومما يُنهى عنه نتف الشيب، فقد قال النبي ﷺ: **«لا تنتفوا الشيب فإنه هو المسلم»** رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وحسنه.

وبعض الناس قد يفعل السيئتين بحيث يقص لحيته ويُبقي منها شيئًا قليلاً يصبغه بالسواد، وكلا الفعلين محرم ومعصية.

إن اللحية جمال الرجل وهيبته، وهي الفارقة بين وجه الرجل، ووجه المرأة. فما بال بعض الناس يعادونها ويعبثون بها، لكنه التقليد الأعمى واتباع الهوى والشيطان، فالواجب على من ابتُلي بفعل شيء من ذلك أن يتوب إلى اللَّه ويطيع رسول اللَّه. فإنه ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

واهتدى بهدي اللَّه كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

الخصلة الرابعة من خصال الفطرة: نتف الإبط، أي: نزع ما ينبت فيه من شعر أو إزالته بأي وسيلة. كالحلق وأنواع المزيلات لما في إزالته من قطع الرائحة الكريهة، وإزالة الوسخ المجتمع عليه وغير ذلك من الفوائد. ولما في بقائه من التشويه.

الخصلة الخامسة من خصال الفطرة: تقليم أظافر اليدين، والرجلين: أي: قصَّها لما في تركها طويلة من تشويه الخلقة، والتشبه بالسباع، ولما يتراكم تحتها من الأوساخ المنافية للنظافة المطلوبة شرعًا، ولأنها تمنع وصول الماء إلى ما تحتها في الطهارة للصلاة...

وبعض النساء، وبعض الشباب قد ابتلوا بتطويل الأظافر وعدم قصها تشبهًا بالكفار ومخالفة للسنة الثابتة عن النبي ﷺوبعض النساء قد تضع على الأظافر صبغًا سميكًا يسمى بالمناكير يتجمد على الظفر، ويمنع وصول ماء الطهارة إليه، وهذه لا تصح طهارتها، لأنه قد بقي جزء من جسمها لم يصله الماء وهذا خطر عظيم يجب التنبه له والتنبيه عليه.

ومن خصال الفطرة الثابتة بالأحاديث الكثيرة الصحيحة: السواك، فقد ورد في فضله والحث عليه أكثر من مائة حديث، واتفق العلماء على أنه سنة مؤكدة، وهو استعمال عود ونحوه في الأسنان، ليذهب الصفرة ونحوها والرائحة الكريهة. . .

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**». رواه أحمد والنسائي والبخاري تعليقًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» رواه الجماعة، وفي رواية لأحمد: «**لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء**».

ويستحب السواك كل وقت، ويتأكد عند الوضوء قبل المضمضة، وعند الصلاة، وقراءة القرآن والانتباه من النوم، وعند تغير رائحة الفم - لأن المسلم ينبغي له أن يكون نظيف الفم طيب الرائحة دائمًا، ولا سيما عند عبادة ربه ومخاطبته، والدخول في بيت من بيوته، فهو نوع من التطهير المشروع من أجل الرب سبحانه؛ لأن مخاطبة العظماء مع طهارة الأفواه تعظيم لهم، ولذلك قال النبي ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**».

ويستحب أن يستاك بعود الأراك فهو أحسن أنواع المسواك أو بشراخ عذق النخيل، أو بأي شيء يُزيل رائحة الفم، ويُنظف الأسنان. وفي السواك فوائد كثيرة، فلا ينبغي للمسلم تركه. والله الموفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم: ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في خصال الفطرة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وسخر له كل شيء في هذه الأكوان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العظمة والسلطان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى كافة الثقلين الإنس والجان. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كل وقت وأوان، وسلّم تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم، واقتدوا

برسوله واعملوا بسنته، لعلكم ترحمون.

عباد الله: ينبغي تعاهد الأشياء التي يُشْرَعُ أخذُها كالشارب والأظفار وشعر الإبط والعانة، بحيث لاتترك تطول طولاً مشوهًا، ويحصُلُ منها أضرار ولما في طول بقائها من مخالفة السنة.

عن أنس بن مالك قال: «**وُقِّتَ لنا في قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة أن لاتترك أكثر من أربعين ليلة**» رواه مسلم وابن ماجه.

وفيه دليل على أنه لا يجوز تركها أكثر من ذلك، والأفضل أن يتعاهدها كل أسبوع، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم نظيفًا جميل الهيئة عاملاً بالسنة، ولا يتجارئ مع العوائد المخالفة للسنة، فإن خير الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الطهارة للصلاة

الحمد للَّه رب العالمين يُحب التوابين ويحب المتطهرين، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له مخلصًا له الدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا...

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى، واعلموا أن الطهارة مفتاح الصلاة، ومن أعظم شروط صحتها، قال اللَّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: ٦].

ففي هذه الآية الكريمة الأمر بالطهارة للصلاة من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالاغتسال لجميع البدن.

وفيها أن الطهارة من الحدثين تكون بالماء الطهور عند وجوده والقدرة على استعماله،

فإن لم يجد الماء، أو وجده ولم يقدر على استعماله، لمرض، أو لكون الماء قليلاً لا يكفي لطهارته وحاجته إليه للشرب والطبخ، فإنه يتيمم بالتراب بدلاً من الماء.

وفي الآية بيان تيسير اللَّه لعباده ورفع الحرج عنهم فيما شرعه لهم من الطهارة بالماء، أو بالتراب عند عدم وجود الماء، أو العجز عن استعماله، وأنه سبحانه يريد أن يطهرهم من الحدث والنجاسة، ومن الذنوب والأخلاق الذميمة. ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

بالترخيص لكم بالتيمم بدلاً من الطهارة بالماء عند تعذرها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦] اللَّه على نعمته وتيسيره، ورفعه للحرج عنكم، وذلك بالثناء عليه سبحانه والاعتراف بفضله والقيام بطاعته.

وفي الآية الكريمة بيان أعضاء الوضوء، وهي الوجه واليدان والرأس والرجلان، وأن الفرض في الوجه واليدين والرجلين الغسل، والفرض في الرأس المسح بكامله، وأنه في الحدث الأكبر، وهو الجنابة ونحوها يجب غسل جميع البدن، وأما صفت التيمم بالتراب فقد بينتها السنة النبوية، وذلك بأن يضرب بيديه على تُراب طهور له غبار يعلق باليد، ويمسح بهما وجهه وكفيه، ومثل التراب ما كان عليه غبار طاهر من فراش أو جدار ونحوهما، فإن لم يكن على الفراش أو الجدار ونحوهما غبار فإنه لا يجزئ التيمم بالضرب عليه.

عباد اللَّه: وصفةُ الوضوء أن ينوي بقلبه، رفع الحدث، ثم يقول: بسم اللَّه، ثم يغسل كفيه ثلاث مرات، ثم يتمضمض ثلاث مرات، ويستنشق ثلاث مرات، ويبالغ في المضمضة بأن يدير الماء إلى أقصى فمه، ويبالغ في الاستنشاق بأن يجتذب بالماء إلى أقصى أنفه، إلا أن يكون صائمًا، فإنه لا يبالغ في المضمضة والاستنشاق خشية أن يذهب الماء إلى حلقه، ثم يغسل وجهه من منابت الرأس المعتاد إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضًا، واللحية من الوجه يجب غسل ظاهرها ولو طالت، ويستحب تخليل باطنها بالماء، ثم يغسل يديه مع المرفقين ثلاث مرات، ثم يمسح جميع رأسه بأن يضع يديه مبلولتين بالماء على مقدَّم رأسه، ويمرهما إلى قفاه، ثم يردهما إلى المكان الذي بدأ منه، والأذنان من الرأس يمسح ظاهرهما وباطنهما، وذلك بأن يُدخل أصبعيه السبابتين في خرقي أذنيه، ويدير إبهاميه على ظاهرهما، ثم يغسل رجليه ثلاثًا مع الكعبين، ويجب تعميم أعضاء الوضوء بجريان الماء عليهما، فإن بقي منها شيء لم يصل

إليه الماء لم يصح وضوؤه، لما روىٰ عمر رضي اللّٰه عنه أن رجلا ترك موضع ظُفْر في قدمه اليمنىٰ فأبصره النبيﷺ فقال: «**ارجع فأحسن وضوءك**» رواه مسلم.

وإذا كان في بعض أعضاء الوضوء جرح يتضرر بالماء، فإنه يُجَنِّب الماء الجرح، ويغسل باقي العضو، ويتيمم عن موضع الجُرح، وإن كان علىٰ الجُرح غطاء من ضماد أو لصوق أو جبيرة علىٰ كسر، فإنه يمسح عليه بالماء ويكفيه عن غسله.

وإذا كان علىٰ رجليه خفان أوكنادر ساترة للكعبين وما تحتهما فإنه يمسح عليهما ويكفيه ذلك من غسل الرجلين. والشراب إذا كانت ضافية علىٰ الكعبين وما تحتهما، وكانت متينة تستر الجلد، فإنه يمسح عليهما ويقومان مقام الخُفين علىٰ الصحيح من قولي العلماء.

ومدة المسح علىٰ الخفين وما يقوم مقامهما من الشَّراب يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر الذي يباح له قصر الصلاة. وأمَّا ما علىٰ الجُرح من ضماد ونحوه فإنه يمسح عليه إلىٰ نزعه أو بُرء ما تحته. وصفة الغُسل من الجنابة ونحوها: أن ينوي الاغتسال للجنابة ونحوها، ثم يسمي، ثم يغسل كفيه ثلاثًا، ثم يستنجي، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يحثي الماء علىٰ رأسه ثلاث مرات يُعمِّمُه بها ويروي أصول شعره، ثم يُفيض الماء علىٰ سائر بدنه ويُعمِّمُه به ولا يترك منه شيئًا لا يصل إليه الماء لأنه لو بقي منه شيء ولو قليل لم يغسله لم تصح طهارته حتىٰ يغسله.

عباد اللّٰه: والحكمة ـ واللّٰه أعلم ـ في غسل هذه الأعضاء في الوضوء أنها هي التي يباشر بها العبد ما يريد فعله، وبها يعصي اللّٰه ويطيعه، وهي أسرع ما يتحرك من الإنسان للطاعة والمعصية. وقد أخبر النبيﷺ أنه كلما غسل عضواً منها حط اللّٰه عنه كل خطيئة أصابها بذلك العضو.

ولمَّا أمر سبحانه بغسيل هذه الأعضاء في الوضوء، وغسل جميع البدن في الاغتسال من الجنابة ونحوها، قال تعالىٰ: ﴿**وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: ٦].

فبيَّن سبحانه أن الحكمة في ذلك، إرادته تطهير المسلم من الحدث، وتطهيره من الخطايا. وجاء في الحديث: أن هذه الأمة يُبعثون يوم القيامة غُرًّا محجَّلين من آثار الوضوء ويعرفون بذلك بين الأمم، مما يدل علىٰ فضل الوضوء وفائدته للمسلم في الدنيا والآخرة.

وإذا فرغ من الطهارة استُحب له أن يقول: أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له،

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، لما روىٰ عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيُسبغ الوضوء،ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء**» رواه أحمد ومسلم وفي رواية يقول زيادة علىٰ ذلك: «**اللَّهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**». والحكمة في قول هذا الذكر بعد الوضوء ليجمع بين طهارة الباطن بشهادة التوحيد وطهارة الظاهر بالوضوء.

عباد اللَّه: إياكم والإسراف في الماء في الوضوء والاغتسال، فقد نهىٰ النبي ﷺ عن ذلك، وكان ﷺ يتوضأ بالمُد، ويغتسل بالصاع، وهو القدوة ﷺ، فالإكثار من صب الماء في الوضوء والاغتسال إسراف لا داعي له، وربما أن الإنسان يُسرف في صب الماء ولا يتطهر الطهارة المطلوبة بحيث يبقىٰ شيء لم يصل إليه الماء، لأنه لم يتنبه لذلك.

فاتقوا اللَّه ـ عباد اللَّه ـ وحافظوا علىٰ الطهارة للصلاة وتطهروا كما أمركم اللَّه، واقتدوا برسول اللَّه ﷺ: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٢].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الطهارة

الحمد للَّه ربِّ العالمين علىٰ فضله وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله. صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّم تسليماًكثيراً.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالىٰ، واعلموا أن الطهور شطر الإيمان، وأن التطهر للصلاة بالوضوء والاغتسال أمانة بين العبد وبين ربه، يُسأل عنها يوم القيامة. قال تعالىٰ في وصف المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٨].

وبعض الناس يتساهل في شأن الطهارة فلا يُتمها كما أمر اللَّه، وقد يُصلي طول عمره أو غالبه من غير طهارة صحيحة فلا تصح صلواته. ويُذكر عن بعض البادية أنهم يتيممون بالتراب دائماً مع وجود الماء، ويظنون أن التيمم يكفي عن الماء، واللَّه تعالىٰ إنما جعل التيمم بدل الماء عند فقده أو العجز عن استعماله، فمن تيمم وهو واجد للماء وقادر علىٰ استعماله لم تَصح صلاته؛ لأنه صلىٰ بغير طهارة، فترك شرطًا من شروط صحة الصلاة.

واعلموا أنه كما تجب الطهارة من الحدث بالوضوء أو الاغتسال تجب الطهارة من النجاسة في الثياب والبقعة، فيجب أن يصلي ببدن طاهر وبثياب طاهرة، وفي بقعة طاهرة. وإذا أصابت البدن أو الثوب أو البقعة نجاسة وجب غسلُها بالماء حتى تزول.

فاتقوا اللَّه - عباد اللَّه - واعلموا أن خير الحديث كتاب اللَّه . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

شروط الصلاة

الحمد للَّه ذي الفضل والإحسان، جعل إقامة الصلاة من أعظم صفات أهل الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له شهادة تنجي من قالها وعمل بها من النيران، وتوجب له دخول الجنان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيَّد بالمعجزات والبرهان، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان، وسلَّم تسليمًا كثيراً . . .

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالى واعلموا أن اللَّه سبحانه وتعالى أمر بإقامة الصلاة وأثنى على الذين يُقيمونها، ووعدهم بجزيل الثواب والسلامة من العقاب.

ومعنى إقامة الصلاة: الإتيان بها كما أمر اللَّه في مواقيتها، ومع جماعة المسلمين في المساجد، وأن تكون مستوفية لشروطها وأركانها وواجباتها، وما تيسر من سننها، وذلك مما يستدعي منا ويؤكد علينا تعلم أحكامها ومعرفة مايشرع فيها، وما يُخلُّ بها أو ينقصها، فإن بعض الناس يحسب أنه يُصلي وهو لا يصلي لجهله بأحكام الصلاة وإخلاله بأحكامها، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

وذلك لأنهم يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فهم يصلون صورة، ولايصلون حقيقة، فيستحقون العقاب على هذه الصلاة بدلاً من الثواب.

عباد اللَّه: وإن من أهم ما يجب علينا، أن نعرف شروط صحة الصلاة، التي إذا اختل شرط منها لغير عُذر شرعي بطلت الصلاة؛ لأن المشروط تتوقف صحته على تحقق وجود الشرط. ولذلك قال العلماء: الشرط: هو ما يلزم من عدمه العدم . . وقد ذكر العلماء أن للصلاة تسعة شروط، أخذوها من أدلة الكتاب والسنة، وهذه الشروط هي: - الإسلام، والعقل، والتمييز، ورفع الحدث، وإزالة النجاسة، وستر العورة، ودخول الوقت،

واستقبال القبلة، والنية.

فالإسلام شرط لصحة كل عبادة؛ لأن الكافر لا يصح منه عمل، ولا تُقبل منه عبادة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ومن زال عقله بجنون، أو إغماء، أو نوم، أو سكر، فإنه لا تصح منه صلاة في هذه الحالة. والسكران يجب عليه التوبة، ويُقام عليه الحد، ولا تصح صلاته حال سكره لفقدان العقل، قال ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاثة: الصغير حتى يبلغ والمجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ**».

والطفل غير المميز وهو من دون السابعة لا يؤمر بصلاة، ولا تصح منه لو صلى، وأما المميز فإنه يؤمر بالصلاة وتصح منه نافلة، قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**».

وهذا أمر يغفل عنه أو يتساهل فيه كثير من الناس اليوم فلا يأمرون أولادهم بالصلاة، ولا يضربون من يستحق الضرب على تركها، وسيسألهم اللَّه عن ترك هذا الواجب العظيم، وعن هذه الأمانة التي حملهم اللَّه إياها فأضاعوها.

ومن شروط صحة الصلاة: الطهارة، وذلك بالوضوء من الحدث الأصغر والاغتسال من الحدث الأكبر، وذلك بالماء الطهور، فمن لم يجد الماء أو وجده وعجز عن استعماله لمرض ونحوه، فإنه يتيمم بالتراب، بأن يضرب بيديه على الأرض أو على شيء له غبار طاهر ويمسح بهما وجهه وكفيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

ومن شروط صحة الصلاة: إزالة النجاسة من البدن والثوب والبقعة التي يُصلي فيها؛ لأن النبي ﷺ خلع النعلين وهو في الصلاة لما علم أن فيهما نجاسة، وأمر المرأة بغسل الدم الذي يصيب ثوبها من أجل الصلاة فيه، وأمر بصب الماء على بول الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد.

ومن شروط الصلاة: ستر العورة، والعورة: ما يُستحي منه ويقبح ظهوره، وقد سمَّى

اللَّه كشف العورة فاحشة، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة، ويزعمون أن هذا من الدين، فرد اللَّه عليهم بذلك وأمر بستر العورة فقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

فأمر اللَّه بستر العورة عند كل صلاة وسماه زينة، وقد أجمع العلماء على فساد صلاة من صلى عريانًا وهو يقدر على ستر عورته.

أنه يجب ستر العورة دائمًا في الصلاة وغيرها، لأن كشف العورة، والنظر إليها يجرُّ إلى الفاحشة ويدل على عدم الحياء، وفساد الخُلقُ وإن كان شياطين الجن والإنس والدول المنحطة اليوم يعتبرون العري تقدمًا وفضيلة، وحد عورة الرجل من السرة إلى الركبة، هذا الذي لا بد من ستره، ويُستحب له أن يتجمل باللباس الزائد عن ذلك؛ لأن اللَّه سبحانه أمر بقدر زائد على ستر العورة فقال: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

فأمر بالتزين باللباس للصلاة، وذلك زائد على ستر العورة، فينبغي للمسلم أن يلبس أحسن ثيابه وأجملها للصلاة؛ لأنه سيقف فيها بين يدي اللَّه تعالى، كما تُسن له النظافة في ثوبه وبدنه في الصلاة وغيرها. وأما المرأة الحرة فكلها عورة في الصلاة إلا وجهها، فإنه يباح لها كشفه في الصلاة، إلا إذا كان عندها رجال غير محارم لها، فإنها تُغطيه عنهم في الصلاة وغيرها. ولابد أن يكون ما تستر به العورة ضافيًا عليها يستر جميع بدنها، وأن يكون ساترًا لما تحته، لا يرى من ورائه لون الجلد ولا يكون ضيقًا يبين تقاطيع بدنها. فإن الصلاة لا تصح إلا مع الستر الكامل للعورة حسب الاستطاعة، هذا ويجب على كل مسلم ومسلمة ستر عورته في الصلاة حتى عن نفسه، وفي خلوة، وفي ظلمة، وخارج الصلاة. وهذا أمر قد تساهل فيه كثير من الناس اليوم خصوصًا من يزاولون الألعاب الرياضية، وكثير من النساء عند الخروج من البيوت أو بحضرة الرجال تأثرًا بما عليه المجتمعات الكفرية أو المجتمعات المتسمية بالإسلام حيث يعدون العري تقدمًا وتحضرًا وفضيلة، ويعدون الستر تأخرًا ورجعية، وهذا من كيد الشيطان لبني آدم من قديم الزمان، وقد حذرنا اللَّه منه، فقال سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

فيجب على المسلمين الحذر من كيد شياطين الإنس والجن في هذا وغيره.

ومن شروط صحة الصلاة دخول وقتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

أي: مفروضة في أوقات معينة لا يصح فعلها في غيرها، فمن صلَّىٰ قبل دخول الوقت، لم تصح صلاته. وكذا لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها من غير عُذر شرعي

ولهذا شرع الأذان إعلامًا بدخول الوقت: ووقت الظهر يبدأ بزوال الشمس، ووقت العصر يبدأ بمصير ظل الشيء مساويًا له، ووقت المغرب يبدأ بغروب الشمس، ووقت العشاء يبدأ بمغيب الشفق الأحمر، ووقت الفجر يبدأ بطلوع الفجر الثاني، وهذه علامات واضحة يعرفها العامي والمتعلم، ويجب على المسلمين التقيد بها، والمحافظة على أداء الصلاة فيها. وصلاة المسلمين جميعًا في المساجد فيها ضمانٌ للمحافظة على أدائها في أوقاتها، فهذا من أعظم فوائد صلاة الجماعة التي تساهل فيها اليوم كثير من الناس.

ومن شروط الصلاة: استقبال القبلة، وهي الكعبة المشرفة، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فمن كان يرىٰ الكعبة وجب عليه استقبال نفس الكعبة بجميع بدنه، ومن كان قريبًا منها لكنه لا يراها لحائل بينه وبينها فإنه يجتهد بالتوجه إليها وإصابته لها مهما أمكنه ذلك، ومن كان بعيدًا عنها في أي جهة من جهات الأرض، فإنه يستقبل الجهة التي فيها الكعبة، قال ﷺ: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**».

وهذا بالنسبة لأهل المدينة، ومن كان شمالي الكعبة، ومثلهم من كان في الجهات الأخرىٰ، فأهل الجنوب يتجهون شمالاً، وأهل المشرق يتجهون غربًا، وأهل المغرب يتجهون شرقًا. وهذا من تيسير اللَّه لهذه الأمة، قال تعالىٰ: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

أي: أين وجدتم في بر أو بحر أو جو، فاتجهوا في الصلاة إلىٰ الجهة التي فيها الكعبة، ولا يضر الميل اليسير.

ويُستدل علىٰ القبلة بأشياء كثيرة، منها السؤال: بأن يسأل من يعرف اتجاه القبلة ويعمل بخبره إذا كان ثقة، ومنها الاستدلال بالنجوم والشمس والقمر والجبال والرياح والأنهار، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

ومن شروط صحة الصلاة: النية، وهي القصد والعزم علىٰ فعل العبادة، تقربًا إلىٰ اللَّه

تعالىٰ، وهي شرط لصحة كل العبادات، قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»؛ ومحلها القلب، ولا يجوز التلفظ بها؛ لأنه بدعة. فلا يقول: نويت أن أصليَ الظهر، نويت أن أصلي العصر أوغير ذلك من الألفاظ، وإنما يقصد ذلك بقلبه فينوي الصلاة التي يريدها من فريضة أو نافلة وأنها ظهر أو عصر أو غيرهما، ينويها عند تكبيرة الإحرام لتكون النية مقارنة للعبادة، وإن تقدمت النية علىٰ تكبيرة الإحرام بزمن يسير بعد دخول الوقت فلا بأس.

ويجب الحذر من الوسواس في ذلك، فإن الشيطان كثيرًا ما يتسلَّط علىٰ الإنسان في شأن النية، وفي تكبيرة الإحرام، فيقول له: لم تنو، لم تُكبر، لم، لم... حتىٰ يُشغله عن صلاته، أو يحمله علىٰ العمل بالبدعة وهو التلفظ بالنية، وهذا كله من وسوسة الشيطان، فإن المسلم إذا توضأ، وخرج إلىٰ المسجد ووقف في الصف فإنه قد نوىٰ ولو لم يتلفظ، ولم يكن النبي ﷺ ولا أصحابه ولا الأئمة المعروفون من السلف يجهرون بالنية، لأن النية عمل قلبي، واللَّه تعالىٰ يعلم ما في القلوب، ولو لم يتلفظ بذلك اللسان قال تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ**﴾ [ق: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿**قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحجرات: ١٦].

فاتقوا اللَّه - عباد اللَّه - وأدوا الصلاة كما شرعها اللَّه، وكما بينها رسول اللَّه، وأخلصوا للَّه في جميع أعمالكم وأقوالكم ونياتكم ومقاصدكم، فإن اللَّه لا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه وصوابًا علىٰ سنة رسوله ﷺ.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٣].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن الكريم

من الخطبة الثانية في بيان شروط الصلاة

الحمد لله رب العالمين، أمر بالمحافظة علىٰ الصلاة إلىٰ الممات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وماله في الأسماء والصفات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المؤيدُ بالمعجزات الباهرات، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ذوي المناقب العظيمة والكرامات، وسلَّم تسليمًا كثيرًا...

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أن هناك أمكنة لا تصحُّ الصلاة فيها:
منها المقبرةُ فلا تصح الصلاة فيها إلا صلاة الجنازة، لقوله ﷺ: «الأرض كلُّها مسجد إلا المقبرة» وقال ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»

وكذا لا تصح الصلاة في المساجد المبنية علىٰ القبور، وهي المعروفة الآن بالأضرحة لقوله ﷺ: «لا تتخذوا القبور مساجد»

وكذا لا تصح الصلاة في الحمامات والحشوش، ولا تصح في أعطان الإبل، ولا تصح الصلاة في قارعة الطريق، ولا تصح الصلاة في أرض مغصوبة، ولا في مجزرة ومزبلة، كل هذه المواضع منهي عن الصلاة فيها، والنهيُ يقتضي الفسادَ وعدم الصحة، فاتقوا الله - عباد الله - وتعلموا أحكام صلاتكم وجميع عبادتكم، وأدوها علىٰ وفق كتاب الله وسنة رسول الله . . . فإن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان أركان الصلاة وواجباتها

الحمد للَّه ربِّ العالمين، أمر بإقام الصلاة، فقال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخبر أن الصلاة عمود الدين، صلَّىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً . . .

أمَّا بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالىٰ، وتعلَّموا أحكام صلاتكم حتىٰ تؤدوها علىٰ الوجه المشروع، وتجنبوا المُبتدع فيها والممنوع، لتكون صحيحة مقبولة . . .

فالصلاة عبادة عظيمة تشتمل علىٰ أقوال وأفعال تتكونُ منها صفتها الكاملة، وهذه الأفعال والأقوال تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام، أركان وواجبات وسُنن . .

فالأركان إذا ترك المُصلي منها شيئًا سهواً أوعمداً بطلت الصلاة بتركه.

والواجبات إذا ترك منها شيئًا عمداً بطلت الصلاة بتركه، وإن تركه سهواً لم تبطل الصلاة، ويجبره بسجود السهو . .

والسنن لا تبطل الصلاة بتركها عمداً ولا سهواً، لكنها تنقص هيئتها الكاملة. والنبي ﷺ صلى صلاة كاملة بجميع أركانها وواجباتها وسُننها، وقال: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي».

وروى لنا أصحابه الذين صلَّوا خلفه صفة صلاته في الأحاديث الواردة عنهم حتى كأننا نشاهدها، فرضي اللَّه عنهم وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وأركان الصلاة أربعة عشر:

الركن الأول: القيام في صلاة الفريضة، فلا تصح صلاة الفريضة من جالس وهو يقدر على القيام بالإجماع، لقوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال النبي ﷺ: «**صلِّ قائمًا فإن لم تستطع فجالسًا**» فدلت الآية والحديث على وجوب القيام في الصلاة المفروضة مع القدرة عليه، وهو الانتصاب قائمًا، فلو خفض رأسه حتى صار كهيئة الراكع لم تصح صلاته. أما إذا خفض رأسه على هيئة الإطراق لم تبطل، لكنه لا ينبغي، وقد رأى عمر رضي اللَّه عنه رجلاً قد طأطأ رأسه في الصلاة، فقال: يا هذا ارفع رأسك، فإن الخشوع في القلوب، وليس الخشوع في الرقاب...

الركن الثاني: تكبيرة الإحرام، بأن يقول وهو قائم منتصب مستقبل القبلة: اللَّه أكبر. ومعناه: اللَّه أكبر وأعظم من كل كبير وعظيم، ومنزه عن كل نقص وعيب؛ وحكمة افتتاح الصلاة بالتكبير ليستحضر عظمة اللَّه وهو قائم بين يديه، فيخشع له ويستحيي منه، فلا يشتغل قلبه بغيره. وسُمِّيت تكبيرة الإحرام؛ لأنها تُحرِّم ما كان مباحًا قبلها من الكلام والأكل وغير ذلك، فالمصلي إذا كبَّر ودخل في الصلاة كان ممنوعًا من الأقوال والأفعال المخالفة للصلاة، ويرفع يديه عند تكبيرة الإحرام، لقول ابن عمر: كان رسول اللَّه ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حَذْوَ منكبيه، ثم يكبر. متفق عليه.

الركن الثالث: قراءة الفاتحة في كل ركعة، لحديث: «**لا صلاة لِمَن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»، فيجب على الإمام والمنفرد قراءتُها، والأحوط إن المأموم يقرؤها في الصلاة السرية وفي سكتات الإمام من الصلاة الجهرية..

الركن الرابع: الركوع في كل ركعة، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا**﴾ [الحج: ٧٧].

ولفعل الرسول ﷺ وقوله: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلي**».

والركوع في اللغة: الانحناء. والركوع المشروع أن ينحني حتىٰ تبلغ كفاه ركبتيه ويمد ظهره مستويًا، ويجعل رأسه محاذيًا ظهره لايرفعه ولا يخفضه؛ لأن النبي ﷺ إذا رَكَع سوَّىٰ ظهره، حتىٰ لو صُبَّ عليه الماء لاستقرَّ، رواه ابن ماجه.

وفي «الصحيحين»: «إذا ركع لم يرفع رأسه ولم يصوِّبه ولكن بين ذلك»وبعض الناس يُخلُّ بهذا، فتراه رافعًا رأسه في الركوع أو مدَلّيًا له إلىٰ أسفل.

الركن الخامس: من أركان الصلاة: الرفع من الركوع والاعتدال واقفًا كحاله قبل الركوع، لقوله ﷺ: **«ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا»**، ولأنه ﷺ فعل ذلك وداوم عليه وقال: **«صلُّوا كما رأيتموني أصلي»**.

الركن السادس: السجود، وهو وضع الأعضاء السبعة علىٰ الأرض: الجبهة مع الأنف، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين، فلا بد أن يباشر كل واحد من هذه الأعضاء موضع السجود سواء كان علىٰ الأرض مباشرة أو علىٰ فراش أو مصلىٰ، ولا يمد جسمه حتىٰ يكون كهيئة المنبطح علىٰ الأرض كما يفعل بعض المتكلفين اليوم، فإن بعضهم يُقدم رأسه جداً، ويؤخر رجليه جداً حتىٰ ربَّما يضايق الصف الذي أمامه والصف الذي خلفه، وهذا من الغُلو المذموم الذي نهىٰ عنه النبي ﷺ.

عباد الله: إنَّ السجود أعظم أركان الصلاة؛ لأن العبد يخضع لربه ويضع أشرف أعضائه وهو الجبهة والأنف في مواطئ الأقدام، ولذلك كان الساجد أقرب إلىٰ ربه حيث خضع له غاية الخضوع، وهو أحرىٰ لِقبول الدعاء فاهتموا بشأنه..

الركن السابع والثامن: الرفع من السجود والجلوس بين السجدتين، لقول عائشة رضي اللَّه عنها: كان النبي ﷺ إذا رفع رأسه من السجود لم يسجُد حتىٰ يستوي قاعْداً. رواه مسلم.

والركن التاسع: الطمأنينة في جميع أفعال الصلاة، وهي السكون بقدر ما يأتي بالذكر الواجب ويستقر كل عضو مكانه، فمن ترك الطمأنينة فقد أخبر رسول اللَّه ﷺ أنه لم يُصل، ويسمىٰ المسيء في صلاته، وقد أمره النبي ﷺ بإعادة الصلاة، وقال له: **«صل، فإنك لم تصل»**.

ورأىٰ حذيفة رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده، فقال: ما صلَّيت، ولو مِتَّ مِتَّ علىٰ

غير الفطرة التي فطر اللَّه عليها محمداً ﷺ ، وقد أخبر النبي ﷺ أن نقر الصلاة من صفات المنافقين ، فليتنبه المسلم لذلك وليحذر أن يصلي صورة وهو لا يصلي حقيقة .

الركن العاشر والحادي عشر: التشهد الأخير وجلسته ، لقوله ﷺ : «**إذا قعد أحدكم في صلاته (أي: جلس للتشهد)، فليقل: التحيات للَّه والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة اللَّه وبركاته، السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين، أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**» . متفق عليه .

الركن الثاني عشر: الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير ـ بأن يقول : «**اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» ، لأمره ﷺ بذلك لما سئل كيف نصلي عليك؟ فقال : «**قولوا: اللَّهم صل على محمد**» .

الركن الثالث عشر: الترتيب بين هذه الأركان على الصفة التي كان يُصليها النبي ﷺ ، لقوله ﷺ : «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» وقد علَّمها النبي ﷺ للمسيء في صلاته مرتبة بـ(ثم) المقتضية للترتيب .

الركن الرابع عشر: التسليمتان ـ بأن يقول عن يمينه : السلام عليكم ورحمة اللَّه ؛ وعن يساره كذلك ، وهو ختام الصلاة وعلامة الخروج منها لقوله ﷺ : «**وتحليلها التسليم**» . وفي رواية : «**ختامها التسليم**» ، وهو دعاء بالسلامة يدعو به الإمام والمأموم والمنفرد لأنفسهم وللحاضرين من الملائكة . ينوون به الخروج من الصلاة واستباحة ما حرَّم عليهم في أثناء الصلاة من الكلام وغيره . . .

عباد اللَّه: من ترك ركنًا من هذه الأركان ، فإن كان تكبيرة الإحرام لم تنعقد صلاته ، وإن كان غير تكبيرة الإحرام وقد تركه عمداً بطلت صلاته ، وإن تركه سهواً فإن ذكره قبل شروعه في قراءة الركعة الأخرىٰ فإنه يرجع ويأتي به وبما بعده ، وإن لم يذكره إلا بعد الشروع في قراءة الركعة الأخرىٰ لغت الركعة المتروك منها ذلك الركن ، وقامت الركعة التي تليها مقامها ، ويكمل صلاته ، ثُم يسجد للسهو قبل السلام ، وإن لم يذكر الركن المتروك إلا بعد السلام فإنه يكون كترك ركعة كاملة ، فإن لم يطل الفصل بعد السلام ، فإنه يأتي بركعة ويسجد للسهو ، وإن طال الفصل أوانتقض وضوؤه فإنه يعيد الصلاة كاملة .

أيها المؤمنون: هذه أركان الصلاة، وهي الجوانب القوية التي يقوم عليها بنيانها، ولا تصح إلا بها مع القدرة عليها، ومن عجز عن الإتيان بشيء منها كاملاً فإنه يأتي منه بما يستطيع، لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

ولقوله ﷺ: «صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب». ومن عجز عن الركوع والسجود، فإنه يومئ برأسه يخفضه في سجوده أكثر من ركوعه، ومن عجز عن قراءة الفاتحة فإنه يحمد اللَّه ويُكبره ويهلله ثم يركع، لقوله ﷺ: «إن كان معك قرآن فاقرأ وإلا فاحمد اللَّه وكبر وهلِّله ثم اركع». رواه أبو داود والترمذي.

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لا أستطيع أن آخذ شيئًا من القرآن فعلمني ما يُجزئني، قال: «قل: سبحان اللَّه. والحمد للَّه. ولا إله إلا اللَّه. واللَّه أكبر. ولاحول ولا قوة إلا باللَّه» رواه أحمد وأبو داود والنسائي.. وهذا إنما هو في الذي لا يستطيع أن يتعلم أو لم يجد من يعلمه، أما الذي يستطيع أن يتعلم الفاتحة فإنه يجب عليه أن يتعلمها مع ما تيسر من القرآن، وعلم من ذلك أن الصلاة لاتسقط بحال، وإنما يُصلي المسلم على حسب استطاعته..

فاتقوا اللَّه ـ عباد اللَّه ـ واهتموا بأداء صلاتكم على الوجه المشروع حتى تُقيموا عمود الإسلام وثاني أركانه بعد الشهادتين، فإنه لا دين لمن لا صلاة له، ولاصلاة لمن لم يُتم شروطها وأركانها وواجباتها حسب استطاعته.

وفق اللَّه الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، ورزقنا وإياكم الإخلاص والقبول.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨-٢٣٩].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

في الخطبة الثانية
في بيان واجبات الصلاة وسننها

الحمد للَّه ربِّ العالمين، جعل الصلاة كتابًا موقوتًا على المؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له مخلصين له الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق

الناصح الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى، فإن تقواه سبب لنيل العلم النافع، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقد سبق أن تحدثنا عن أركان الصلاة وأحكامها، والآن نواصل الحديث عن واجبات الصلاة، وسننها، . .

فواجبات الصلاة ثمانية: وهي:

جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام. . وأما تكبيرة الإحرام فهي ركن كما سبق.

وقول سمع الله لمن حمده للإمام والمنفرد، وأما المأموم فلا يقولها.

وقول: ربنا ولك الحمد بعد الاعتدال من الركوع في حق الجميع.

وقول: سبحان ربي العظيم في الركوع.

وقول: سبحان ربي الأعلى في السجود.

وقول: رب اغفر لي بين السجدتين، والتشهد الأول مع الجلوس له. وهو يقول: التحيات لله . . . إلى: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

فمن ترك واجبًا من هذه الواجبات متعمدًا لم تصح صلاته، وإن تركه سهوًا فإنه يسجد للسهو عوضًا عنه.

وما عدا الأركان والواجبات المذكورة فإنه سنن أقوال وأفعال لا تبطُلُ الصلاة بتركه عمدًا ولا سهوًا، ولكن الإتيان به أكمل للصلاة وأفضل.

وسنن الأقوال كثيرة: كالاستفتاح، والتعوذ، والبسملة، والتأمين، وقراءة ما تيسر من القرآن بعد الفاتحة في صلاة الفجر وفي الركعتين الأوليين من الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وما زاد على المرة الواحدة من تسبيح الركوع والسجود، وما زاد على المرة من قوله: رب اغفر لي بين السجدتين، وأن يقول في التشهد الأخير قبل التسليم: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، وما تيسر مع ذلك من الدعاء. .

وأما سنن الأفعال فهي كثيرة، منها: رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع، ووضع اليد اليمنىٰ علىٰ اليد اليسرىٰ: علىٰ صدره أوتحت سُرته حال القيام، والنظر إلىٰ موضع سجوده، ووضع اليدين علىٰ الركبتين في الركوع، ومد ظهره مستويًا، وجعل رأسه حياله في الركوع، ومجافاة بطنه عن فخذيه، وفخذيه عن ساقيه وعضديه عن جنبيه في السجود. . . إلىٰ غير ذلك من سنن الأقوال والأفعال التي تبلغ خمسًا وأربعين سُنة أو أكثر، لكن لا ينبغي التشدد في فعل السنن حتىٰ تُصبح كأنها فرائض أو التزيد في صورة تطبيقها حتىٰ تخرج عن كيفيتها الشرعية، كما نشاهد من بعض الناس حيث يجمع أحدهم يديه في حال القيام علىٰ ثغرة نحره بدلاً من وضعهما علىٰ صدره أو تحت سُرته، ويحني رأسه إلىٰ قرب الركوع، وإذا سجد مد رجليه إلىٰ خلف، ورأسه إلىٰ أمام حتىٰ يصبح كهيئة المنبطح علىٰ الأرض. وإذا وقف في الصلاة باعد بين رجليه يمينًا وشمالاً، حتىٰ إنه ليشغل موضع رجلين ويضايق من بجانبه، وبعضهم يتشدد في شأن السترة حتىٰ يترك القيام في الصف لأداء الراتبة، ويذهب إلىٰ مكان آخر يبحث فيه عن سترة فيفوته المكان الذي ربما يكون أفضل من تحصيل السترة وهو القرب من الإمام في الصف الأول. . إلىٰ غير ذلك من أنواع التشدد في فعل بعض السنن الذي رُبَّما يُخرجها عن كيفيتها المشروعة أو يُفوت سننًا أفضل منها، والمطلوب الاعتدال والاستقامة من غير إفراط ولا تفريط. وعلىٰ مقتضىٰ الكتاب والسنة فإن خير الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها. . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان ما يجوز وما لا يجوز فعله في الصلاة

الحمد للَّه رب العالمين، جعل الخشوع في الصلاة من صفات المؤمنين المفلحين، وأخبر أنهم يرثون الفردوس، هم فيها خالدون، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ولو كره المشركون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا اللَّه تعالىٰ، واعلموا أن الخشوع في الصلاة هو روحها،

وهو الذي تحصل به إقامتها حقيقة، فصلاة بلا خشوع كجسد بلا روح، وقد علّق الله سبحانه الفلاح بخشوع المصلي في صلاته، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

فمن فاته الخشوع في الصلاة لم يكن من أهل الفلاح، ومن علامات الخشوع في الصلاة سكون الجوارح، وعدم الحركة، وحضور القلب، والتلذذ بكلام الله ودعائه.

ومن علاماته إتمام أركان الصلاة، وواجباتها، وسننها وعدم السرعة فيها، ومن علامات الخشوع: متابعة الإمام وعدم مسابقته أو التخلف عنه.

ومن علامات الخشوع في الصلاة تجنب ما نُهي عنه فيها، فهناك أشياء نهى النبي ﷺ عنها في الصلاة، وهي نوعان:

النوع الأول: ما يبطل الصلاة، وهو ثمانية أشياء: «الكلام العمد، والضحك، والأكل والشرب، وكشف العورة، والانحراف عن القبلة، والعبث الكثير، وحدوث النجاسة..

والنوع الثاني: ما يُنهىٰ عنه في الصلاة ولا يُبطلها، لكن يُنقصها، وهو أنواع كثيرة:

فيُنهىٰ في الصلاة عن رفع البصر إلى السماء؛ لأن النبي ﷺ أنكر على من يفعل ذلك فقال: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم**»، واشتد قوله في ذلك حتى قال: «**لينتهن أو لَتُخْطَفن أبصارهم**» رواه البخاري. هذا وعيدٌ شديد يوجب على المسلم الحذر من ذلك والامتناع من رفع البصر في الصلاة..

وكذلك لا يجوز تسريح البصر فيما أمامه من الأشياء؛ لأن ذلك يشغلُه عن صلاته، وبعض الناس يتساهل في هذا الأمر، فتراه ينظر هنا وهناك وهو قائم يصلي..

والمطلوب من المصلي أن يقصر نظره على موضع سجوده ولا يسرحه فيما أمامه من الجدران والنقوش والكتابة والقناديل المعلقة وغيرها.

ونهى النبي ﷺ عن التشبه بالحيوانات في الصلاة، فنهى عن بروك كبروك البعير، والتفات كالتفات الثعلب، وافتراش كافتراش السَّبع، وإقعاء كإقعاء الكلب، ونقر كنقر الغراب، ورفع الأيدي وقت السلام كأذناب الخيل الشُّمْس، فهذه ست حيوانات نُهي المصلي عن التشبه بها في الصلاة.

فنُهي المصلي أن يَبْرُك كبروك البعير حال انحطاطه للسجود، فالمشروع للمصلي إذا انحط للسجود أن يكون أول ما يضع على الأرض ركبتيه ثم يديه، ثم جبهته وأنفه ولا

يضع يديه قبل ركبتيه، فإن هذا بروك البعير الذي نُهينا عنه في الصلاة إلا إذا كان كبير السن أو مريضًا واحتاج إلى وضع يديه قبل ركبتيه فلا بأس بذلك.

ونُهيَ المصلي عن الالتفات في الصلاة كما يلتفت الثعلب، وأخبر ﷺ: **«أن الالتفات في الصلاة اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»** رواه البخاري.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى.

والثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده مادام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال: **«... اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»**، وفي أثر: **«يقول الله تعالى إلى خير منِّي، إلى خير مني»** ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه وأقبل يُناديه ويخاطبه وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالاً، وقد انصرف قلبه عن السلطان فلم يفهم ما يخاطبه به؛ لأن قلبه ليس حاضراً معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا مُبعدًا قد سقط من عينيه، فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته، الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبه من هيبته، وذلت عنقه له، واستحى من ربه تعالى أن يُقبل على غيره أو يلتفت عنه..

ونهي المصلي عن افتراش كافتراش السبع، وذلك بأن يفترش ذراعيه في حال السجود بأن يُمُدَّهما على الأرض مع إلصاقهما بها، والمشروع أن يضع كفيه مبسوطتين بباطنهما على الأرض حذو منكبيه وأذنيه، ويرفع مرفقيه، ويجافي عَضده من جنبيه، لقوله ﷺ: **«إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك»** رواه مسلم.

ومما نُهي عنه المصلي: إقعاء كإقعاء الكلب، وقد فسَّر ذلك أهل العلم بأن معناه أن يفرش قدميه بأن يجعل ظهورهما مما يلي الأرض، ويجلس على عقبيه وذلك بين السجدتين، والمشروع في تلك الجلسة أن يجلس مفترشًا يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها، وينصب رجله اليُمنى ويُخرجها من تحته ويثني أصابعها نحو القبلة.

ومما نهي عنه المصلي: نقر كنقر الغراب، ومعناه أن يسرع في الصلاة فلا يُتم ركوعها ولا سجودها ولا الطمأنينة فيها، عن أبي عبد اللَّه الأشعري قال: صلىٰ رسول اللَّه ﷺ بأصحابه ثم جلس في طائفة منهم، فدخل رجل، فقام يُصلي، فجعل يركع وينقر في سجوده ورسول اللَّه ﷺ ينظر إليه، فقال: **«ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد، ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم، إنما مثل هذا الذي يصلي ولا يركع في سجوده كالجائع لا يأكل إلا تمرة أو تمرتين فما يُغنيان عنه»** وقد جعل رسول اللَّه ﷺ لص الصلاة وسارقها شرًّا من لص الأموال وسارقها، حيث قال ﷺ: **«أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته»**، قالوا يا رسول اللَّه: كيف يسرق صلاته؟ قال: **«لا يُتم ركوعها ولا سجودها»**، أو قال: **«لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»**.

ومما نُهيَ عنه في الصلاة فرقعة أصابعه وتشبيكها، روىٰ الإمام أحمد عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: **«إذا كان أحدكم في المسجد فلا يشبكن، فإن التشبيك من الشيطان، وإن أحدكم لا يزال في صلاة ما دام في المسجد حتى يخرج منه»**.

وعن كعب بن عجرة مرفوعًا: **«إذا توضأ أحدُكم ثم خرج عامدًا إلى الصلاة فلا يُشبكَن بين يديه فإنه في صلاة»** رواه أحمد وأبو داود والترمذي. وعن علي رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا تُقعقع أصابعك وأنت في الصلاة»** رواه ابن ماجه.

وتشبيك الأصابع: إدخال بعضها في بعض، وقعقعتها: غمزُ مفاصلها حتىٰ يُسمع لها صوت، وقد نُهيَ عن هذين الفعلين؛ لأنهما من العبث في الصلاة، ولأنهما يَدلان علىٰ الكسل، وبعض الناس إذا قام في الصلاة تسمع صوت أصابعه يعبث بها ويفرقعها ويُؤذي من حوله...

والمشروع للمصلي أن يقبض يده اليسرىٰ بيده اليمنىٰ، ويجعلهما فوق صدره طول قيامه في الصلاة.

ويُكره التمطي في الصلاة، وهو التمغُّطُ؛ لأنَّه يدل علىٰ الكسل وعدم الخشوع، ويُكره التثاؤب في الصلاة، فإن غلبَه كَظَمَ ما استطاع، فإن لم يقدر وضَع يده علىٰ فمه، وبعض الناس يفتح فمه في التثاؤب ويُصَوِّتُ به تصويتًا مزعجًا.

وتُكره كَثْرَةُ الحركة في الصلاة من غير حاجة؛ كمسح جبهته، ومسِّ لحيته وعقصِ شعره، والعَبَث بملابسه، وإدخال أصابعه في أنفه لتنظيفه، وما أشبه ذلك من الحركات التي تُشغل عن حضور القلب والخشوع في الصلاة، وإذا كثرت هذه الأفعال من غير

ضرورة فإنَّها تُبطلُ الصلاة كما سبق.

ويُكره أن يدخُل في الصلاة وهو مشوش الفكر منشغلُ البالِ بسبب حضرة طعام يشتهيه أو بسبب إحساسه ببولٍ أو غائط أو بسبب كونِ المكان الذي يصلي فيه حاراً شديداً أو بارداً شديداً، قال ﷺ: «**لا صلاة إلا بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**» رواه مسلم.

ويُكره أن يصلِّيَ وأمامَهُ ما يُلهيه من زخارف ونقوش، فعن أنس قال: كان قِرامٌ لعائشة (أي: سترٌ ذو ألوان) سترت به جانب بيتها، فقال لها النبي ﷺ: «**أميطي عنَّا قِرامَكِ هذا، فإنَّه لا تزالُ تصاويرُهُ تُعْرَض لي في صلاتي**» رواه البخاري.

قال العلماء: فيه دليلٌ على كراهة الصلاة على المفارش والسجاجيد المنقوشة، وكراهة تزويق المساجد ونقشها، وكراهة استقبال كل ما يَشْغَلُ المصلي.

وتُكْره الصلاة بمكانٍ فيه تصاويرُ لما فيه من التشبُّهِ بعبادة الأصنام، سواءٌ أكانت الصورة منصوبةً أو غير منصوبة على الصحيح، ولكن إنْ كانت منصوبةً فالكراهةُ أشدُّ.

ويُكْرَهُ للمصلي مسحُ موضع سجوده، أو مس ما على جبهته من أثر السجود وهو يصلي، لحديث أبي ذر مرفوعاً: «**إذا قامَ أحدُكم في الصلاة فلا يمسح الحصا؛ فإنَّ الرحمة تواجهُهُ**» رواه أحمد وأصحاب السنن.

لكن إن كان في موضع سجوده ما يؤذيه فله مَسحُهُ وإزالته، والأولى أن يسويَ موضع سجوده قبل الدخول في الصلاة.

ومما يجبُ التنبيه عليه: حكم النحنحة في الصلاة، فالنحنحةُ إن كانت لحاجة كما لو استأذن عليه أحد وهو يُصلي فتنحنح لينبِّهه فلا بأس بذلك لِمَا روى أحمد وابن ماجه عن علي - رضي اللَّه عنه - قال: «كان لي مدخلان من رسولِ اللَّه ﷺ بالليلِ والنهار، فإذا دخلتُ عليه وهو يُصلِّي تنحنحَ لي». وإن كانت النحنحة لغير حاجة فالأولى تركها في الصلاة.

وبعض العلماء يرى أنَّها تُبطل الصلاة إذا كانت لغير حاجة، والواقع أن فيها تشويشاً على المصلين وعلى قراءة الإمام، فلا ينبغي فعلها إلا عند الحاجة مع خفض الصوت.

وكذا الكحة لا بأس بها عند الحاجة مع التقليل منها وكظمها ما أمكن.

والصلاة - أيها المسلمون - عبادة عظيمة تجب العناية بها، والتقيد بفعل ما شرع وترك ما يخل بها أو يُنقصها من الأفعال، والأقوال، والحركات.

فاتقوا اللَّه في صلاتكم، فإن العبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن يُفسد عليه صلاته، فإذا لم يتمكن من منعه من الصلاة بالكلية، فإنه يحاول أن يَشغله عنها فيذكره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها. حتى رُبَّما يكون قد نسي الشيء، وأيس منه فيذكره إياه في الصلاة ليشغله به . .

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه واحذروا صلاة المنافق، قالﷺ: **«تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر اللَّه فيها إلا قليلاً»** .

قال الإمام ابن القيم رحمه اللَّه: فهذه ست صفات في الصلاة مع علامة النفاق: الكسل عند القيام إليها، ومراءاة الناس في فعلها، وتأخيرها، ونقرها، وقلة ذكر اللَّه فيها، والتخلف عن جماعتها.

فاحذروا عباد اللَّه من تلك الصفات في الصلاة . . .

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن الكريم

في بيان ما يجوز فعله في الصلاة

الحمد للَّه ربِّ العالمين، شرع فيسر وما جعل علينا في الدين من حرج، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها الناس: اتقوا اللَّه تعالى، وتعلموا أحكام صلاتكم حتى تؤدوها على الوجه المشروع. وقد سبق أن بيَّنا لكم بعض ما يُنهى عن فعله في الصلاة، والآن نُبين لكم ما يجوز أو يُشرع فعله فيها.

فاعلموا أنه يُستحب للمصلي رد المار بين يديه، لقولهﷺ: **«إذا كان أحدُكم يصلي فلا يدعن أحدًا يمر بين يديه، فإنْ أبى فليقاتلْهُ (أي: يدفعه بشدة) فإنَّ معه القرين»** (أي الشيطان). رواه مسلم.

وهذا إذا لم يكن المارُّ محتاجًا إلى المرور فإن كان محتاجًا إليه لعدم وجود طريق آخر فإنه يَمُرُّ بينَ يدي المصلي للضرورة. وفي المسجد الحرام لا يُمنَعُ الناسُ من المرور بينَ يديه؛

لأنَّ النبيَّ ﷺ صلَّىٰ بمكة والناسُ يمرُّونَ بين يديه وليسَ دونهم سترةٌ. رواه أحمد وأصحاب «السنن».

وللمصلي قتلُ الحية والعقرب؛ لأنَّه ﷺ أمرَ بقتلِ الأسودين: الحية والعقرب في الصلاة. رواه أبو داود والترمذي، وصححه.

ولا بأس بالعملِ اليسير في الصلاة كالتقدّمِ أو التأخُّر قليلاً للحاجة.

وله التعوُّذُ عند آية الوعيد، والسؤال عند آية الرحمة في صلاة النافلة، لفعله ﷺ وإذا عَرَضَ للمصلي أمرٌ وهو في الصلاة كاستئذانٍ عليه أو سهو إمامه، أو خافَ علىٰ إنسانٍ من الوقوع في هلكة، فله التنبيه علىٰ ذلك بأن يُسبِّح الرجل وتُصفِّقَ المرأة، لقوله ﷺ: «**إذا نابكم شيءٌ في صلاتكم فليسبِّح الرجالُ ولتصفق النساءُ**» متفق عليه.

وإذا احتاجَ المصلي إلىٰ إصلاح لباسه فلا بأس بذلك، وكذا إذا تَذَكَّرَ أنَّ في بعض لباسه نجاسةً فَخَلَعَهُ في أثناء الصلاة فلا بأس بذلك؛ لأنه ﷺ التَحَفَ بإزاره وهو في الصلاة، ولَمَّا عَلَمِ ﷺ وهو في الصلاة أنَّ في نعليه نجاسةُ خَلَعَهما، ومضَىٰ في صلاته.

فهذه أفعال يسيرةٌ تُفعلُ لحاجةٍ أو لدفع مضرة، وهي لا تخل بالصلاة. فالحمدُ لله علىٰ التيسير، واعلَمُوا عبادَ الله أن خيرَ الحديث كتابُ الله وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمد ﷺ... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان أحكام صلاة الجماعة

الحمدُ لله رب العالمين، أمرنا بالاجتماع علىٰ دينه والاعتصام بحبله، ونهانا عن التفرق والاختلاف، لِما في الاجتماع من القوة والألفة، وما في الافتراق من الضعف والنفرة، أحمَدُه علىٰ نعمة الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةٌ تفتح لمن قالها صادقًا دار السلام، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله إلىٰ جميع الأنام. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ اله وأصحابه البررة. وسَلَّمَ تسليمًا كثيراً علىٰ الدوام...

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله واعلمُوا أنَّ صلاةَ الجماعة من أعظم شعائرِ الإسلام، وفيها مصالحُ عظيمةٌ وخيرات كثيرةٌ، بها يحصُلُ التعارفُ والتآلف والتعاون بين المسلمين، وتظهَرُ بها قوةُ الدين، وإغاظَةُ الكفار والمنافقين، يحصُلُ بها النشاطُ علىٰ

العلم. والسلامةُ من الكسل، والاحتراز من وساوسِ الشيطان، فإن الشيطان يتسلَّطُ على المنفرد في صلاته ويبتعد عن المصلي في الجماعة، وفي صلاة الجماعة مضاعفةُ الأجر، ورفعةُ الدرجات. وتكفيرُ السيئات، والبراءةُ من النفاق، والتخلُّقُ بصفات المؤمنين الذين يعمُرون بيوتَ الله بالطاعة. كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾ [التوبة: ١٨].

عباد الله: إن لصلاة الجماعة أحكامًا تجبُ على المسلم معرفُتها، حتى يؤديَها على الوجهِ المطلوب الذي تبرأ به ذمتُه، ويحصُلُ على ثوابِها:

منها: أنه يُشرَعُ التبكيرُ لحضورها والجلوسُ، لانتظار إقامتها في المسجد، وقد أَخلَّ كثيرٌ من الناس بهذه الفضيلة، فصاروا يتأخرون في الحضور تأخُّرًا كثيرًا يَفُوت عليهم خيراتٌ كثيرةٌ.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أنَّ مَنْ دخل المسجد بعد الإقامة فإنه يمشي بسكينة ووقارٍ، فلا يُسرعُ ولا يركض، لقوله ﷺ: «**إذا سمعتم الإقامَةَ فامشوا وعليكم السكينةُ، فما أدركتُم فصلُّوا وما فاتكم فأتمُّوا**». وقد أخلَّ كثيرٌ من الناس بهذا الحكم، فتراهم إذا دَخَلُوا المسجدَ بعدَ الإقامة أسرعوا وركَضُوا وخصوصًا إذا رأوا الإمامَ راكعًا، فخالفوا السنة وشوَّشوا على المصلين وعلى الإمام، ولم يراعوا حُرمةَ المسجد، ثم دخلوا في الصلاة وهم ثائرو النفس مشوشو الفكر، وقد يذهلون عن تكبيرة الإحرام أو يأتون بها بعدما يركعون، ومعلوم أن تكبيرة الإحرام ركنٌ من أركان الصلاة ولا تنعقدُ الصلاةُ ولا تصحُّ إلا بالإتيان بها. وهو قائم معتدلٌ قبل أن يركعَ، ثم يُكبِّرُ تكبيرة ثانية للركوع في حال انخفاضه له، ولو أنَّ هؤلاء بكَّروا في الإتيان إلى المسجد لَسَلِمُوا من هذا الخَلَلِ وحَصَلُوا على عظيم الأجر.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أنها لا تَصحُّ صلاة الرجل وحدَه خلفَ الصف، لقوله ﷺ: «**لاصلاة لفرد خلفَ الصف**» رواه أحمدُ وابن ماجه، وقد رأى ﷺ رجلاً يُصَلِّي خلف الصف وحدَه فأمرَه أن يُعيدَ الصلاةَ، رواه الخمسة إلا النسائي. فلابُدَّ من المصافة في صلاة الجماعة فلا تَصحُّ صلاةُ الفذ خلفَ الصفِّ بل يجب عليه أن يدخُلَ في الصف أو عن يمين الإمام أو ينتظر مَنْ يأتي ويصف معه.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أنه ينبغي أن يكونَ الكبارُ وأهل العلم أقربَ إلى الإمام، ويكون الصغار بعدهم، لقوله ﷺ: «**لِيَلِيني منكم أولو الأحلام والنُّهى**» رواه أحمد ومسلم. وتكونُ النساء خلفَ الرجال ولو كانت امرأةٌ واحدة، فإنها تَقف خلفَ الصف ولا تقفُ في صف الرجال. ولو صلّت امرأة مع رجلٍ فإنها تكونُ خلفَه ولا تَقفُ إلى جنبه.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أن لا يؤمَّ أحدٌ في المسجد غيرُ إمامه الراتب إلا بإذنه أوعذره، فيجبُ على الجماعة مراعاةُ حقِّ الإمام ما دام ملتزمًا بحق الإمامة، كما أنه يجب على الإمام أن يحترم حق المأمومين، ولا يحْرجهم، ولايشقَّ عليهم بانتظار حضوره أكثر من المعتاد. ولايجوزُ له أنه يخلفَ مَنْ لا يصلح للإمامة عند غيابه، وإنَّما يُخلّفُ من يصلح ومَنْ تبرأ به الذمةُ.

ومِنْ أحكام صلاة الجماعة: أنَّها إذا أُقيمت الصلاة بأنْ شرَعَ المؤذنُ في الإقامة، فإنه لا يجوز الشروع في صلاةٍ نافلة، ولاراتبةٍ ولا تحيةِ مسجد ولا غيرهما، لقوله ﷺ: «**إذا أُقيمت الصلاةُ فلا صلاةَ إلا المكتوبةُ**» رواه مسلم. وفي رواية: «**فلا صلاة إلا التي أُقيمت**». أما إذا أُقيمت الصلاة وهو في صلاة نافلة فإنه يُتمّها خفيفة ولا يقطعُها، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمد: ٣٣]. هذا هو الأحوطُ في هذه المسألة.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أنَّ مَنْ جاء والناسُ يصلون فإنه يدخل معهم على أي حال وجدَهم قائمين أو راكعين أو ساجدين أوجالسين، فإن وَجَدهم راكعين دَخَلَ معهم في الركوع، وكان بذلك مدركًا للركعة على الصحيح، وإن فاتَه الركوعُ دخل معهم فيما بقي ولا يعتد بتلك الركعة؛ وبعض الناس إذا جاء بعد الركوع بقي واقفًا إلى أن يقوم الإمامُ للركعة التي بعدها، وهذا خطأ وخلافُ المشروع. وبعضُهم إذا جاء والإمامُ في التَّشهدِ الأخير لم يدخُلْ معه، وهذا خطأ أيضًا؛ لأنه خلاف السنة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجود فاسجُدوا ولا تَعُدُّوها شيئًا، ومَنْ أدركَ الركعةَ فقد أدرك الصلاة**». رواه أبو داود.

وعن علي بن أبي طالب ومعاذِ بن جبل رضي الله عنهما قالا: قالَ رسول الله ﷺ: «**إذا أتى أحدُكم الصلاةَ والإمامُ على حالٍ فليصنَعْ كما يصنع الإمام**» رواه الترمذي.

ومن أحكام صلاة الجماعة: وجوبُ اقتداء المأموم بالإمام بالمتابعة التامة. بأن تكون أفعالُهُ وأقواله بعد أفعال وأقوال الإمام، فلا يسابقُه ولا يوافقه فيها؛ لأن المأمومَ متَّبعٌ لإمامه ومقتدٍ به، والتابعُ المقتدي لا يتقدمُ على متبوعه وقدوته. قال النبي ﷺ: «**أما يخشى أحدُكم إذا رَفَعَ رأسَه قبلَ الإمام أن يحوِّل الله رأسَه رأسَ حمارٍ، أو يجعلَ صورته صورة حمارٍ**» متفق عليه.

فمن تقدَّم على إمامه كان كالحمارِ الذي لايفقَهُ ما يرادُ بعمله، ومَنْ فعل ذلك استحقَّ العقوبة.

وفي الحديث الصحيح: «**إنَّما جُعلَ الإمام ليُؤتَمَّ به، فلا تركعوا حتى يركع، ولا تسجدوا حتى يسجُدَ**» وروى الإمام أحمد وأبو داود: «**إنما جُعلَ الإمامُ ليؤتَمَّ به، فإذا رَكَعَ فاركعوا، ولا تركعوا حتى يَرْكَعَ، وإذا سَجَدَ فاسجُدُوا، ولا تسجُدُوا حتى يسجُدَ**».

وكانَ الصحابةُ خلفَ النبي ﷺ لا يحني أحدٌ ظهرَه حتى يقعَ رسول الله ﷺ ساجداً، ثم يقعون سجوداً بعده، ولما رأى عمر رضي الله عنه رجلاً يسابقُ الإمام ضربه، وقال: «لا وحدك صليت، ولا بإمامك اقتديت». وهذا أمرٌ يتساهَلُ فيه بعضُ الناس أو يجهلونه فيسابقون الإمامَ ويتعرضون للإثم والوعيد أو لبطلان صلاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: مسابقةُ الإمام حرامٌ باتفاقِ الأئمة، لايجوز لأحدٍ أن يركع قبل إمامه، ولا يرفع قبله، ولا يسجد قبله، قد استفاضت الأحاديثُ عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك، و مسابقةُ الإمام تلاعبٌ من الشيطان ببعض المصلين ليخل بصلاته وإلا فماذا يستفيد الذي يسابق الإمام، فإنه لن يخرُجَ من الصلاة إلا بعد سلامِ الإمام.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أنَّ المسبوقَ يقومُ بعد فراغ إمامه من التسليمة الثانية لِيُتمَّ ما فاته من الصلاة، و لايقومُ قبل ذلك، فإنَّ بعضَ الناس قد يستعجِلُ فيقول إذا سمع التسليمة الأولى. وهذا يُخلُّ بصلاته، وربما يُبطلها عند بعض العلماء.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أنَّ المأموم يستمع لقراءة إمامه إذا كانت الصلاة جهرية، لقولهِ تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

أما إذا كانت الصلاة سريةً أوكان المأموم لا يسمَعُ قراءةَ الإمام لبُعدهِ عنه فإنَّ المأمومَ يقرأ، لكن بحيثُ لا يُشوِّشُ على مَنْ بجانبِهِ.

ومن أحكام صلاة الجماعة: إكمال الصف الأول فالأول ومراصَّة الصفوف وتعديلها، عن جابر بنَ سَمُرَة رضي الله عنه قال: خَرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال: «**ألا تصفونَ كما تَصُفُّ الملائكةُ عندَ ربها؟** فقلنا: يا رسول الله، كيف تُصَفُّ الملائكةُ عند ربها؟ قال: «**يتمون الصفَّ الأولَ ويتراصُّون في الصفِّ**» رواه مسلم وغيره.

وعن أنس - رضي الله عنه - أنَّ النبي ﷺ قال: «**سوُّوا صفوفكم، فإن تسويةَ الصفِّ من تمام الصلاة**».

وعن أنس قالَ: كان رسول الله ﷺ يُقْبِلُ علينا بوجهِهِ قبل أن يُكَبِّرَ فيقولُ: «**تراصُّوا واعتدلُوا**».

وعن النُّعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُسَوي صفوفنا كأنَّما يُسوي بها القداح حتى رأى أنَّنا عَقَلْنا عنه، ثم خَرَجَ يومًا فقام حتى كادَ أن يُكَبِّرَ، فرأى رجلا باديًا صدرُه من الصف فقالَ: «**عبادَ الله، لَتُسَوُّنَّ صفوفَكُمْ أو ليخالفَنَّ الله في وجوهكم**» قال: فرأيتُ الرجلَ يُلْزِقُ كَعبَه بكعبِ صاحبه وركبتهُ بركبته ومنكبه بمنكبه.

عن أبي أُمامةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَوا صفوفَكُمْ وحاذُوا بين مناكبكم، ولينوا في أيدي إخوانكم وسُدُّوا الخللَ، فإنَّ الشيطان يدخُلُ فيما بينكم بمنزلة الحذف**». يعني أولاد الضأن الصغار رواه أحمد. وهذه الأحاديث تدُلُّ على وجوب الاهتمام بالصفوف من حيثُ إتمامها وتعديلها وسدّ الفُرَج، وذلك بتقارب المصلِّين بعضَهم من بعض. وليس بمعنى إلزاقه الكعب بالكعب أنَّ الإنسان يفحجُ كما يفعَلُ بعضُ الناس اليوم بحيث يباعدُ بينَ رجليه حتى يأخُذ مكان رجلين ويؤذي مَنْ بجانبه ويتركَ بين رجليه فتحةَ واسعة فإن هذا خلافُ السنة.

فإنَّ السنةَ مراصَّةُ الصفوف بأن يَقْرُب بعضُ المصلين من بعض حتى لا يَدَعُوا بينهم فُرْجَة.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أنَّ المأمومَ يفتحُ على الإمام إذا غَلطَ في القراءة أوانغلقت عليه، فيُسمعه القراءة الصحيحة ويُذَكِّرُهُ بها، عن مسْورَ بن يزيد المالكي، قال: صلى النبي ﷺ فَتَركَ آية، فقال له رجل: يا رسول الله آية كذا وكذا، قال: «**فهلاَّ ذكرتَنيها**» رواه أبو داود.

وعن ابن عمر أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى صلاةً فقرأ فيها، فلُبِّسَ عليه، فلما انصرفَ قال

لأبيٍّ: «أصليت معنا؟» قال: نعم، قال: «فما مَنَعَك».رواه أبو داود.

وعن أنس قال: كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يُلَقِّنُ بعضُهم بعضًا في الصلاة. رواه الحاكم وغيره.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أنَّ الإمامَ إذا سَهَا في الصلاة فإنَّ المأموم ينبهه على ذلك بأن يسبح الرجالُ وتُصفقَ النساءُ إذا كان خلفه نساء.

فعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا نابَكم شيءٌ في صلاتكم فليسبح الرجالُ ولتصفِّق النساءُ**» رواه أبو داود. وأصلهُ في الصحيحين. وهو يدلُّ على مشروعية تنبيه الإمام بذلك إذا سها في الصلاة.

ومن أحكام صلاة الجماعة: أن الإمام يُراعي حال المأمومين، فلا يُطيلُ الصلاةَ إطالةَ تشُقُّ عليهم، ولا يخففُها تخفيفًا يخل بها. قال النبي ﷺ: «**إذا صَلَّى أحدُكم بالناس فليخففْ، فإن فيهم السقيم والضعيفَ وذا الحاجة**» متفق عليه. والمراد: الاعتدالُ، فلا يطيلُ عليهم إطالةً تشق عليهم ولا يخفِّف الصلاة تخفيفًا مخلاً لا يتمكنُ معه المأمومُ من متابعته والإتيان بما يجبُ عليه من أركانِ الصلاة وواجباتها.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ في أمورِكم عامة، وفي صلاتِكم خاصةً، فإنها عمود الإسلام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٣].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في أحكام صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، شَرَعَ لنبيه سُنن الهدىٰ. وأمرَ بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم السر وأخفىٰ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله النبي المصطفىٰ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ سارَ علىٰ نهجهم واقتدىٰ. وسلّم تسليمًا كثيراً.

أما بعدُ: أيها الناس، اتقوا الله تعالىٰ، واعلَمُوا أنَّ من أهم أحكام صلاة الجماعة أداؤها في المساجد التي أمر الله ببنائها لإقامة الصلاة فيها، وشَهِدَ بالإيمان لمن يترددُ عليها.

فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

وأخبرَ النبي ﷺ أنَّ من السبعةِ الذين يُظِلُّهم الله في ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظلّه: «رجلاً قلبُه معلق بالمساجد».

وقد هَمَّ النبي ﷺ بتحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة في المساجد ووَصَفَهم بالنفاق.

وفي السنن: «مَنْ سَمِعَ النداءَ ثم لم يُجِبْ من غير عذر فلا صلاة له» قال الإمام ابن القيم: ومن تأمَّلَ الأحاديثَ حقَّ التأملِ تبينَ له أن فعلها في المساجد فرض على الأعيان إلا لعارض يجوزُ معه تركُ الجماعة.

فتركُ حضور المسجد لغير عذر كتركِ أصل الجماعة لغير عذر، وبهذا تتفقُ جميعُ الأحاديث والآثار.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصلاة في المساجد من أكبر شعائر الدين وعلاماته، وفي تركها بالكلية أو في المساجد محوُ آثار الصلاة، بحيث إنه يفضي إلى تركها ولو كان الواجبُ فعل الجماعة (يعني: ولو في غير المسجد) لَما جاز الجمعُ للمطر ونحوه، وتركُ الشرطِ وهو الوقتُ لأجلِ السُّنة. ومَنْ تأملَ الشرعَ المطهر علِمَ أنَّ إتيان المسجد لها فرضُ عين إلا لعُذرٍ، وفي الأثر: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» وفي إقامة صلاة الجماعة في غير المساجد تعطيلٌ للمساجد التي أمر الله ببنائها ودعوة الناس للصلاة فيها، بقول: (حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح) أي: تعالَوْا لإقامة الصلاة في المسجد.

وفي الحديث: «مَنْ سمعَ النداءَ فلم يجبْ فلا صلاةَ له إلا من عذر».

فاتقوا الله - عبادَ الله - وأقبلوا على المساجد واعمُروها بذكرِ الله وطاعته لعلكم تُرْحمُونَ واعلَمُوا أنَّ خير الحديث كتاب الله.. إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان صلاة أهل الأعذار

الحمد لله رب العالمين، سَهَّلَ لعباده طريق العبادة ويسر، وأشهَدُ أَنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له شهادة تُؤمنُ مَنْ قالها وعَمِلَ بها من هول يوم الفزع الأكبر، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صاحبُ الوجه الأنور والجبين الأزهر. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه

السادة الغُرَرِ، وسلم تسليمًا كثيرًا . . .

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى وتَمَسَّكُوا بدينكم في سائر أحوالكم، فإنه نجاتكم ورأس مالكم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ومنْ رحمة الله أن جَعَلَ هذا الدين سهلاً سمحًا لا آصارَ فيه ولا أغلالَ. يتمشى مع حالة الإنسان واستطاعته، فقد جاءَ باليسر والفَرَج والسماحة ورفع الحرج، ومن ذلك تسريعُه في الصلاة بالنسبة لمن عنده عذرٌ من مرضٍ أو سفر أو خوف.

فَمَنْ حَصَلَ له عذرٌ من تلك الأعذار فإنه يُصلِّي حسبَ استطاعته ولا تسقُط عنه الصلاة في حالة من الأحوال ما دام عقلُه باقيًا، فالمريض يلزمَهُ أن يؤديَ الصلاةَ قائمًا وإن احتاج إلى الاعتماد على عصا ونحوه فلا بأس بذلك، فإن لم يستطع الصلاة قائمًا بأنْ عَجَزَ عن القيام أو شَقَّ عليه، أو خيفَ من قيامه زيادةُ مَرضَه أو تأخُر بُرئِه، فإنَّه يصلِّي قاعدًا، وتكون هيئة قعوده حسبَ الأسهل عليه، ويُؤمئ برأسه في الركوع بأن يحني رأسَهُ ويقولَ: سبحانَ ربي العظيم. وأما السجودُ فإن استطاع من صلى قاعدًا أن يسجُدَ على الأرض وَجَبَ عليه ذلك، وإن لم يستطع، فإنه يوميءُ برأسه في السجود ويجعلُه أخفضُ من الإيماء بالركوع ويقول: سبحانَ ربي الأعلى، فإن لم يستطع الصلاةَ جالسًا فإنه يصلِّي على جنبه، والأفضلُ أن يكون على جنبه الأيمن فإن لم يستطع التوجه إلى القبلة أو لم يكن عنده من يوجهه إليها، وخَشِيَ خروجَ الوقت، فإنه يصلِّي حسبَ حاله إلى أي جهة تسهُلُ عليه، ويؤمئ برأسه في الركوع ويقول: سبحان ربي العظيم، ثم يرفَعُ رأسَهُ من الركوع، ويقول: ربنا ولك الحمد، ثم يومئ برأسه في السجود ويجعلُه أخفضَ من الركوع، ويقول: سبحان ربي الأعلى، ثم يرفع رأسَهُ من السجود، ويقول: ربِّ اغفرْ لي، ثم يومئ برأسه للسجدة الثانية مثلَ الأولى، فإن لم يستطع المريضُ الصلاةَ على جنبه فإنه يصلّي مستلقيًا على ظهره وتكون رجلاه إلى القبلة إن أمكن، ويومئ برأسه للركوع والسجود كما سبق.

والدليلُ على صلاة المريض على هذه الكيفيات السابقة ما أخرجَه الإمامُ البخاري وأهل السنن من حديث عمرانَ بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسيرُ، فسألتُ النبي ﷺ فقال: «**صَلِّ قائمًا، فإن لم تستطعْ فقاعدًا، فإن لم تستطعْ فعلى جنبك**». زاد النسائي: «**فإن لم تستطع فمستلقيًا**».

﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فإن لم يستطع المريضُ الإيماء برأسه أومأ بطرفه، أي: عينيه عندَ جماعة من العلماء، وهو الأحوط، أمَّا ما يقوله بعض العوام: إنه يومئ بأصبعه أو يده، فهو قول لا أصل له في الشرع ولا تَصحُّ به الصلاة؛ لأنَّ اليدين ليسا من موضع الإيماء، وإنما موضعُ الإيماء هو الرأسُ والوجه أو الطرف عند بعض العلماء. ومما سبق يتبينُ لنا أنَّ الصلاة لا تسقُطُ عن المريض مهما بلغَ به المرضُ ما دامَ عقلُه باقيًا، بل يصلِّي على حسب حاله، ولايجوز له تأخير الصلاة عن وقتها، فما يفعله بعض المرضى ومَنْ تُجرى لهم عمليات جراحية ويرقُدون على سُرُرِ المستشفيات ويتركون الصلاة مدة بقائهم في تلك المستشفيات ومدة رُقادِهم على تلك السُّرر بحجة أنهم لايقدرون على أداة الصلاة بصفة كاملة، أو لا يقدرون على الوضوء، وإن عليهم ملابس نجسةً ولا يقدرون على استبدالها، أو غير ذلك من الأعذار التي يظنونها تُسقطُ عنهم الصلاة، فإنهم قد أخطئوا في ذلك، فالصلاةُ تُؤدَّى حسب الاستطاعة، ومَنْ عَجَزَ عن بعض شروطها أو أركانها أو واجباتها فإنه يسقُطُ عنه ما عَجَزَ عنه من ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

فإن استطاعَ المريض الوضوء توضَّأَ، وإن لم يستطع فإنه يتيَمَّمُ بالتراب، بأن يضربَ بيديه على تراب طهور أو على شيءٍ عليه غبارٌ طهور من فراشٍ أو جدار أو بلاط، ثم يَمسَحُ وجهه وكفَّيه بما عَلِقَ على يديه من الغبار وإذا جِيء له بتراب يسير يجعلُه عند سريره في منديل أو إناءٍ صغير يضرب عليه للتيمم فحَسَنٌ، وإن لم يجد ماءً ولاترابًا وَخَشِيَ خروج الوقت فإنه يصلي بلا وضوء ولا تيمم، وصلاتُه صحيحة ومجزئة؛ لأنه فَعَلَ ما يستطيع، والله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

والثيابُ التي عليها نجاسة إن استطاعَ أن يغسل النجاسة عنها ويصلي فيها فعلَ، أو استطاع أن يستبدلها بثيابٍ طاهرة أو خلع ما لا يحتاج إليه في الصلاة منها، فإنه يجبُ عليه ذلك، وإن لم يستطع غسلَها واستبدالها ولا خلعَ شيء منها، وخَشِيَ خروجَ وقتِ الصلاة، فإنه يصلِّي فيها وصلاته صحيحة.

وإذا كانَ في أحدِ أعضاء الوضوء جرحٌ أو موضع عملية وعليه ضماد فإنه يمسَحُ عند كل وضوءٍ على ذلك الضمادِ الذي فوق الجرح، ويكفيه المسحُ على الضماد عن غسلِ ما تحته إلى أنْ يُزالَ أو يبرأ ما تحته.

ويجب علينا جميعًا أن نَعْلَمَ ونُعلِّمَ مرضانا أنَّ الصلاة يجبُ أداؤها في مواقيتها حسب

الإمكان، فإنَّ بعض المرضىٰ قد يتركُ الصلاة مدةَ بقائه في المستشفىٰ، ويقول: أقضيها بعد ذلك إذا خرجتُ من المستشفىٰ، وهذا خطأ عظيم، نشأ عن الجهل بشأنِ الصلاة، والجهل بأحكام وكيفية صلاة المريض، فيجبُ التنبُّهُ لذلك، ويجب علىٰ المسئولين عن المستشفيات أن يعتنوا بتفقد أحوال المرضىٰ ويعلِّموهم كيفَ يصلُّون، وذلك بواسطة توزيع نشرات أو تسجيلات تُذاع في المستشفىٰ عن أحكام الصلاة وأحكام الطهارة وغيرها من أحكام المريض، ويجوزُ للمريض إذا احتاجَ إلىٰ الجمع بين الصلاتين أن يجمع بين المغرب والعشاء في وقت إحداهما تقديمًا أو تأخيرًا، وبين الظهر والعصر في وقت إحداهما تقديمًا أو تأخيرًا حسب الأرفق به إذا كان يلحقُهُ بترك الجمع مشقة.

ومن أهل الأعــذار: المسافرُ: الذي يقصدُ مسافةً تبلُغُ ثمانين كيلو مترًا فأكثرَ، فإنه يُسْتحب له قصرُ الصلاة الرباعية إلىٰ ركعتين رُخصةً من الله تعالىٰ، وصدقةً تصدَّق بها علينا للتخفيف عنه، قال تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ يعني: سافرتم ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ**﴾ [النساء: ١٠١].

يعني: الرباعية فتصلوها ركعتين وهي الظهرُ، والعصر، والعشاء دون المغرب والفجر فإنهما لاتُقصران بالإجماع؛ لأنَّ المغرب وترُ النهار، والفجر شُرعت ركعتين في الحضر والسفر.

ولا يقصُرُ المسافرُ إلا إذا خرجَ من بلده وفارق عامرَ قريتِه، ويجوزُ القصرُ للمسافر ولو تكرر سفرُه كصاحبِ البريد وصاحبِ سيارةِ الأجرة.

ويلزَم المسافرَ إتمامُ الصلاة إذا صلَّىٰ خلفَ مقيم، وإذا نوىٰ في أثناء سفره إقامةً تزيد علىٰ أربعة أيام فإنه يُتِمُّ الصلاةَ لانقطاع أحكام السفر في حقه، أمَّا إن نَوَىٰ إقامةً لا تزيدُ علىٰ أربعة أيام، أو نوىٰ إقامةً غير محددة، فإنه يقصُرُ الصلاة لعدمِ انقطاع أحكام السفر في حقه.

وأمَّا النوافلُ فإن المسافر يحافظُ منها علىٰ الوتر، وعلىٰ قيام الليل، وعلىٰ راتبةِ الفجر، وهما الركعتان اللتان قبلها، وأمَّا بقيةُ الرواتب التي مع الفرائض فإنه لا يصليها، لأنه لم يُنْقَلْ عن النبي ﷺ أنه صلىٰ سنةً راتبةً في السفر غير سنة الفجر، والوتر.

قال الإمام ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: وكانَ من هديهِ ﷺ في سفره الاقتصارُ علىٰ الفرض، ولم يُحْفَظْ عنه ﷺ أنَّه صلَّىٰ سنةَ الصلاة قبلها ولابعدها، إلا ما كان من الوتر

وسنة الفجر، وثبتَ أنَّه ﷺ يصلّي التهجُّد على راحلته، ويُباحُ للمسافر في أثناء السير في الطريق أن يجمَعَ بين الظهر والعصر في وقت إحداهما جمعَ تقديم أو تأخير، وبين المغرب والعشاء في وقت إحداهما جمعَ تقديم أو تأخير حسب الأرفق به فإذا دخل عليه وقت الأولى قبل ركوبه فإنه يجمع جمع تقديم، ثم يركب وإن دخل عليه وقت الأولى وهو يسيرُ في الطريق فإنه يؤخرها ويصلّيها معَ الثانية إذا نزل جمع تأخير، وإن كان في طائرة لا تنزل إلا بعد خروج وقت الثانية فإنه يصلي في الطائرة على حسب حاله، ولا يؤخر الصلاة إلى النزول، وإذا كان المسافر نازلاً فإنه يصلي كل صلاة في وقتها قصراً بلا جمع، لأنَّ النبي ﷺ ما كان يجمعُ إلا إذا جدَّ به السيرُ، ولم يثبُتْ عنه أنه جمع وهو نازل إلا في عرفة ومزدلفة لأجلِ اتصال الوقوف، ويُباح الجمع في الحضر بين المغرب والعشاء خاصة في حالة المطر، والوحل، والبرد الشديد لأنه ﷺ جمع بين المغرب والعشاء في ليلة مطيرة، وفَعَلَه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وتركُ الجمع في المسجد في هذه الحالة، والصلاة في البيوت بدعةٌ مخالفة للسنة.

ومن أهل الأعـذار: الخائفون الذين يمنَعُهم الخوف من أداء الصلاة كاملة على الوجه الذي يؤديها به الآمن، فإن هؤلاء يصلُّون على حسب حالهم. وللخائف حالتان:

الحالة الأولى: حالةُ الخوف الشديد كالهارب من عدو أوسيل أوسَبُع ومن في حالة التحام القتال مع العدو، فإن هؤلاء في هذه الحالة يصلّون رجالاً أو ركبانًا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

قال الإمام البغوي - رحمه الله - معناه -: إن لم يُمكنكم أن تصلوا قانتين مُوفين للصلاة حقها لخوف فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على ظهور دوابكم وهذا في حال المقاتلة والمسايفة، يصلي حيث كان وجهه راجلاً، أو راكبًا مستقبل القبلة وغير مستقبلها، ويومئ بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع.

وكذلك إذا قَصَدَه سبُع أو غَشِيَهُ سيلٌ يخاف منه على نفسه، فعدا أمَامَهُ، وصلَّى بالإيماء، فإنه يجوز.

والحالة الثانية: إذا كان الخوفُ غير شديد، وكان العدو مقابلاً لهم قريبًا منهم يخشونَ أن يهجمَ عليهم في الصلاة، ففي هذه الحالة يقسمُ الإمام الجند إلى طائفتين طائفة تُصلي معه، وطائفة تحرس وتراقب تحركات العدو، فإذا صلى بالذين معه ركعة ثبتَ قائمًا، وأتموا لأنفسهم وسَلَّموا، ثم ذهبوا إلى مكان الحراسة، وجاءت الطائفة التي كانت تحرس

في الركعة الأولىٰ وصَلوا مع الإمام الركعة الثانية، ثم أتموا لأنفسهم وانتظرهم جالسًا ثم سلَّم بهم.

ولصلاة الخوف صورٌ أخرىٰ جاءت بها الأحاديثُ بحسب الأحوال. قال الإمام أحمد رحمه الله: صَحَّت صلاةُ الخوف عن النبي ﷺ من خمسة أوجه أو ستة أوجه، كلها جائزة، ومن ذهب إليها كلها فَحَسَنٌ.

فالحمد لله علىٰ التيسير ونسأله سبحانه أن يُثَبِّتنا علىٰ دينه ويرزقنا التمسك بكتابه وسنة رسوله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨: ٢٣٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في صلاة أهل الأعذار

الحمد لله رب العالمين، علىٰ نعَمه الظاهرة والباطنة.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحكيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يهدي إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين ساروا علي نهجِه القويم، وسلم تسليمًا كثيراً...

أما بعدُ: أيها الناس، اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا مكانة الصلاة في الإسلام، فقد تبيَّنَ لكم من خلال عرضنا لكيفية صلاة أهلِ الأعذار أنَّ الصلاة لا تسقُطُ بحالٍ من الأحوال، لا في حالة السفر ولا في حالة المرض ولا في حالة الخوف، ولم يجز تأخيرُها عن وقتها في تلك الأحوال الشديدة، فما بالُ أقوام يتخلَّفون الآن عن صلاةِ الجماعة وهي تُقامُ بجوارِ بيوتهم وعلىٰ مسمَع ومرأىٰ منهم وهم آمنون أَصِحَّاءُ.

وما بالُ أقوام يُؤخرون الصلاة عن مواقيتها ولا يصلُّونَها إلا بعدَ قيامهم من النوم أو فراغهم من الشغل؛ وهم يقرءون قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

أي: فرضًا فرضه الله في أوقات محددة، أليسوا مؤمنين؟ ألم يعلموا أنَّ مَنْ أخّر الصلاة عن وقتها فقد أضاعها وسها عنها؟

وقد قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥].

أما آن لهؤلاء أن يتقوا الله في أنفسهم وفي أهليهم، فينقذوا أنفسهم وأهليهم من نار ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

هل يريدون أن يستقيم لهم دين بدون صلاة؟ هل يريدون أن تصح لهم صلاة بدون التزام بشروطها وأحكامها؟

فاتقوا الله - عباد الله - في أنفسكم، وخذوا على أيدي من ألزمكم الله الأخذ على أيديهم.

أنقذوهم من المعاصي أشد مما تنقذونهم من الغرق والحريق، فإن العذاب والعقوبة إذا نزلا لا يقتصران على المذنب، بل يعمَّان معه مَنْ لم ينكر عليه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



في أحكام صلاة الجمعة

الحمد لله رب العالمين، شرَعَ لعباده الجمع والجماعات، ليطهِّرهم بها من السيئات، ويرفعَ بها الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته والأسماء والصفات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أنزل عليه الآيات البينات، صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا، في جميع الأوقات.

أمَّا بعدُ: أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واشكروه على ماخصَّكُم به من نعمه العظيمة التي من أعظمها هذا الذي خصَّ الله به هذه الأمة وهو يوم الجمعة، وقد شرع فيه أداء

شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، وهي صلاة الجمعة، وهذه الصلاة لها أحكام منها:

أنَّ الله سبحانه شَرَعَ الاجتماع لها بأكبر عدد ممكن، فلا يجوز تعدد أمكنة إقامتها في البلد إلا عند عدم التمكن من إقامتها في مكان واحد، فقد قال العلماء -رحمهم الله-: يَحْرُمُ إقامة الجمعة في أكثر من موضع من البلد إلا إذا دعت الحاجة إلى تعدد الجوامع بحسب الحاجة وقد تساهل الناس اليوم في هذا الحكم، فصاروا يعددون الجوامع في أمكنة متقاربة من غير حاجة إلى ذلك، وهي فرضُ عين، فتلزمُ كل مسلم ذكر بالغ عاقل مقيم في البلد أوخارجه، إذا كان يسمع النداء لها.

وقد وَرَدَ الوعيد الشديد على من يتخلف عن صلاة الجمعة. عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سَمِعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «**لَينتهينَّ أقوامٌ من وَدْعهم الجُمُعات، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونُن من الغافلين**» رواه مسلم.

ولاتجبُ الجمعة على مسافر سَفر قصر؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يسافرون في الحج وغيره فلم يُصَلِّ الجمعة وصلاها مع المقيمين أجزأته. وإذا نوى المسافرُ الإقامة في بلد إقامة تزيد على أربعة أيام وَجَبَت عليه صلاةُ الجمعة مع أهل ذلك البلد.

ومن أحكام صلاة الجمعة أنها يستحب التهيؤ لها قبل حضورها بالاغتسال والتنظيف والتطيب، ولبس أحسن الثياب، وتجميل الهيئة بقص الشارب وتقليم الأظافر.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة فاغتسلَ الرجلُ وغسلَ رأسهُ، ثم تطيب من أطيب طيبه، ولبس من صالح ثيابه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يفرق بين اثنين، ثم استمع إلى الإمام غفر له من الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام**» رواه ابن خزيمة في «صحيحه».

ومن أحكام صلاة الجمعة أنها يُسْتَحَبُّ التكبير بالحضور لها في المسجد. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قَرَّبَ بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**» رواه مالك والبخاري ومسلم.

ففي هذا الحديث الترغيب في التبكير لحضور صلاة الجمعة لما يترتب على التبكير من تحصيل مكان في الصف الأول، والحصول على فضيلة انتظار الصلاة، وحصول

الاشتغال بذكر الله بصلاة النافلة، وتلاوة القرآن، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، والدعاء، وهذه الفضائل تفوت كلُّها على المتأخر، ومعَ الأسف في هذا الزمان قل الاهتمام بالتبكير لحضور صلاة الجمعة، فالكثير لا يأتون إليها إلا عند دخول الإمام أوعندَ الإقامة، يحرمون أنفسهم من هذه الأجور العظيمة والفضائل المتعددة لا لشيء إلا لأن الشيطان خَذَلَهم عن التبكير وزهدهم في الثواب. فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: «إذا كان يومُ الجمعة خَرجَتِ الشياطين يربثون الناس إلى أسواقهم» يعني: يؤخِّرونَهم عن الحضور.

ومن أحكام صلاة الجمعة أنه يُشترط له تقدُّم خطبتين يشتملان على حمد الله والثناء عليه، وشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، والصلاة والسلام عليه، والوصية بتقوى الله وموعظة المسلمين، وتوجيههم وتنبيههم إلى مايحتاجون إلى التنبيه إليه كل وقت بحسبه، ووصيتهم بما يقربهم إلى الله، ونهيهم عمَّا يُبعدهم عن الله، ويوجب لهم سخطه وناره، مع جزالة الألفاظ وجودة الإلقاء، ولا تكون طويلة مملة ولا قصيرة مُخلة، . . ولا تكون حشواً من الكلام لا فائدة فيه، بل يختار لها الموضوع المناسب المفيد، ويتجنب الموضوع الذي لا مناسبة له أولافائدة فيه.

فقد كان النبي ﷺ يهتم بشأن الخطبة موضوعًا وإلقاءً، عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذاخطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبُه حتى كأنه مُنذرُ جيشٍ، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم، وكان يُعلِّم أصحابه في خطبه قواعدَ الإسلام وشرائعه ويُكثر فيها من تلاوة القرآن، وكان يقصُرُ الخطبة ويُطيل الصلاة، ويُكثرُ الذكر، ويقصد الكلماتِ الجوامع، وكان يقول: «إنَّ طولَ صلاة الرجل وقِصَرَ خُطبته مَئِنَّةٌ من فقهه».

فيجب على الخطباء أن يقتدوا به في خطبهن، فإنَّ بعض الخطباء اليوم يُطيل الخطبة مملاً ويتناول فيها موضوعات لا مناسبة لها فيها، ولافائدة للحاضرين منها، أو هي غريبة على أسماعهم، ومع هذايقصرون الصلاة ويقلّلون القراءةَ فيها، وهذا خلاف السنة.

واعلمُوا رحمكم الله أنه يجبُ على الحاضرين الإنصاتُ والاستماع للخطبة، ويحرمُ الكلامُ وقتَ إلقائها، ويحرمُ العبَثُ حالَ الخطبة بكثرة الحركة بيد أو رجل أو تحريك شيء من غير حاجة أو مس لحية أوثوب، لأن ذلك يشغل عن استماع الخطبة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تكلمَ يومَ الجمعة والإمامُ يخطُبُ فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصتْ ليست له

جمعة». رواه الإمام أحمد

وإنما شَبَّه المتكلم وقت الخطبة بالحمار يحمل أسفاراً، لأنه فاتَه الانتفاع مع تَكلفه الحضور، فهو كالحمار الذي يتكلّفُ حملَ الكتب وهو لا ينتفع بها، وأخبر النبي ﷺ أنَّ الذي ينهاه عن الكلام وقتَ الخُطبة ويقول له اسكُت، ليست له جمعةٌ، مع أن ذلك في الأصل أمر بمعروف ونهي عن منكر ممايدُلُّ على أن غيرَ ذلك من الكلام ممنوعٌ من بابِ أولى حالَ الخطبة.

وقال ﷺ: **«من مسَّ الحصا فقد لغا، ومن لغَا فلاجمعة له»** صححه الترمذي.

ومعنى: مس الحصا، أي: سَوَّى الأرضَ بيده. لأن هذا من العبث الذي يَشْغلُ عن استماع الخطبة، ويذهب بالخشوع.

ومن دخل المسجد والإمام يخطب لم يجلس حتى يصلي ركعتين خفيفتين، لقوله ﷺ: **«إذا دخل أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصل ركعتين»** متفق عليه. زاد مسلم: **«وليتجوَّزْ فيهما»**.

ومن أحكام صلاة الجمعة أنه يستحبُّ أن يقرأ جهراً في الركعة الأولى بسورة الجمعة، وفي الركعة الثانية بسورة (إذا جاءك المنافقون)، أويقرأ بـ(سبح اسمَ ربِّك الأعلى)، وفي الثانية بـ«الغاشية»، لفعله ﷺ.

ومن أحكام صلاة الجمعة أن من أدركَ منها ركعة مع الإمام أتمها جمعة، وإن أدرك منها أقل من ذلك بأن جاء ودخل مع الإمام بعد رفعه رأسه من الركعة الثانية، فإنه يُتمُّها ظُهراً إذا كان نوى الظهر عند تكبيرة الإحرام، لقوله ﷺ: **«ومَن أدرك ركعة من الجمعةَ فقد أدرك الصلاة»** فإن لم ينوها ظهراً عند تكبيرة الإحرام فإنه يُتمُّها نافلةً، ويصلي الظهرَ بعدها...

ومن أحكام صلاة الجمعة أنها لا راتبة لها قبلها. لكن مَنْ دخل المسجد لصلاة الجمعة وكان مبكرًا، فإنه يصلِّي من النوافل ما تَيَسَّرَ له إلى أن يدخُلَ الإمام للخطبة، وفي الحديث: **«ثم يُصَلِّي ماكتب له»**.

وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلُّون من حين يدخلون ما تَيَسَّرَ، وراتبة الجمعة بعدها. لما في «صحيح مسلم»: **«إذا صلَّى أحدُكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات»** وكان ﷺ إذا صلى الجمعة دَخَلَ إلى منزله فصلى ركعتين سنتها، فمَن صلى راتبة الجمعة في المسجد صلاها أربعًا ومن صلاها في بيته صلاها ركعتين،

جمعًا بين الأحاديث .

ومن أحكام صلاة الجمعة أنه يحرُمُ البيعُ والشراء . ويجب السعيُ إليها على من تلزَمُه بعدَ النداء الثاني ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩].

ويحرُمُ السفرُ بعد الزوال من يومها على من تلزَمُهُ حتى يُصَلِّيها ، وقبل الزوال يُكْرَهُ السفر حتى يصلِّيها .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وحافظوا على الجُمَعِ والجماعات لتكونوا من المفلحين .

بارك اللّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في صلاة الجمعة

الحمد لله على فضله وإحسانه ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيراً .

أما بعدُ: أيها الناسُ ، اتقوا الله تعالى ، وأطيعوه ، وحافظوا على الصلوات ، وعلى الجُمَعِ والجماعات ، تنالوا من الله الأجْرَ والكرامات ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : «**الصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعة ورمضانُ إلى رمضان مكفراتٌ لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» رواه مسلم وغيره .

وعن أبي لُبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «**إنَّ يومَ الجمعة سيدُ الأيام، وأعظمُها عند الله، وهوأعظمُ عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، وفيه خمس خلال: خَلَقَ الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يَسْألُ الله فيها العبدُ شيئًا إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقومُ الساعة،ما منْ ملك مقربٍ ولا سماء ولا أرضٍ ولا رياحٍ ولا جبالٍ ولا بحرٍ إلا وَهُنَّ يُشفقْنَ من يوم الجمعة**» رواه أحمد وابن ماجه .

فاحمدوا الله على ما خصَّكم به من هذا اليوم ، وما جعل فيه الخير لمن وفَّقه الله واعلموا أنْ خيرَ الحديث كتاب الله . . إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الذكر بعد الصلاة

الحمد لله رب العالمين، أمر بذكره في كل الأوقات، وخاصة في أدبار الصلوات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله وخيرته من جميع البريات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا ما تعاقبت الأوقات.

أما بعدُ: أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واعلموا أنَّ الله أمَرَكمْ بالإكثار من ذكره، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٤١].

وخصَّص سبحانه الأمرَ بذكره بعد أداء العبادات، فأمرَ بذكره بعد الفراغ من الصلوات، فقال سبحانه: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ**﴾ [النساء: ١٠٣] وقال سبحانه: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ**﴾ [الجمعة: ١٠].

وأمر بذكره بعد إكمال صيام رمضان، فقال سبحانه: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأمر بذكره بعد قضاء مناسك الحج، فقال سبحانه: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وذلك والله أعلم جبرٌ لما يحصُلُ في العبادة من النقص والوساوس، ولإشعار الإنسان أنه مطلوب منه مواصلة الذكر والعبادة لئلا يَظُنّ أنه إذا فَرَغَ من العبادة فقد أدى ما عليه.

والذكرُ المشروع بعد صلاة الفريضة يجبُ أن يكونَ على الصفة الواردة عن النبي ﷺ لا على الصفة المحدثة المبتدعة التي يفعلها الصوفية المبتدعة.

ففي «صحيح مسلم» عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرفَ من صلاته استغفرَ الله ثلاثًا، وقال: «**اللَّهمَّ أنت السلامُ، ومنك السلامُ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**».

وفي «الصحيحين» عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال: «**لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع ما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**».

وفي«صحيح مسلم» عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يهلل دُبُر كل صلاةٍ حينَ يُسلِّمْ بهؤلاء الكلمات: «**لا إله إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لاحول ولا قوة إلا بالله. لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولوكره الكافرون**».

وفي «السنن» من حديث أبي ذر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قال في دُبُرُ صلاة الفجر وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قديرٌ، عشر مرات، كُتبَ له عشر حسنات،ومحي عنه عشر سيئات، ورُفع له عشر درجات،وكان يومُه ذلك كله في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لِذَنْب أن يُدركَه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله**» قالَ الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح.

وَوَرَدَ أنَّ هذه التهليلات العشر تُقالُ بعدَ صلاةِ المغرب أيضًا في حديث أم سلمة عند أحمد وحديث أبي أيوب الأنصاي في «صحيح ابن حبان» ويقول بعد المغرب والفجر أيضًا: «**رب أجرني من النارِ**» سبع مرات. لِما رواه أحمدُ، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم.

ثم يسبح بعد كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، ويحمَدُه ثلاثًا وثلاثين، ويكبره ثلاثًا وثلاثين، ويقولُ تمامَ المئةِ: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءقدير» لما روى مسلم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ سَبَّحَ الله في دُبُرِ كلِّ صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحَمِد الله ثلاثًا وثلاثين. وكبَّرَ الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. غُفِرتْ له خطاياه وإن كانت مثلَ زَبَدِ البحر**».

ثم يقرأ آية الكرسي، وقل هو الله أحد، وقُل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذُ برب الناس. لمارواه النسائي والطبراني عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دُبُرَ كُلِّ صلاة لـم يمنعه من دخولِ الجنة إلا أن يموتَ»، يعني: لم يكن بينَه وبين دخول الجنة إلا الموتُ.

وفي حديث آخر: «كانَ في ذِمَّةِ الله إلى الصلاة الأخرى».

وفي «السنن» عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: أمرني رسولُ الله ﷺ أَنْ أقرأَ المعوذتين دُبُرَ كل صلاةٍ.

عباد الله: دلت هذه الأحاديث الشريفة على مشروعية هذه الأفكار بعد الصلوات المكتوبة، وعلى مايحصُلُ عليه مَنْ قالَها من الأجر والثواب، فينبغي لنا المحافظةُ عليها والإتيان بها على الصفة الواردة عن النبي ﷺ وأن نأتي بها بعد السلام من الصلاة مباشرة قبلَ أن نقوم من المكان الذي صلَّينا فيه، ونرتبها على هذا الترتيب.

فإذا سلمنا من الصلاة، نستغفر الله ثلاثًا، ثم نقولُ: اللّهم أنتَ السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم نقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لمامنعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. أي: لا ينفع الغني منك غناه، وإنما ينفعه العمل الصالح.

ثم نقول: لا حول ولاقوة إلابالله، لا إله إلا الله، ولانعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. ثم نسبح الله ثلاثًا وثلاثين، ونحمده ثلاثًا وثلاثين، ونكبره ثلاثًا وثلاثين، ونقول تمام المئة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وبعدَ صلاة المغرب وصلاة الفجر نأتي بالتهليلات العشر، ونقول: رب أجرني من النار سبع مرات، ثم بعد أن نفرَغ من هذه الأذكار على هذا الترتيب نقرأُ آية الكرسي، وسُور: قل هوالله أحد، والمعوذتين.

ويستحب تكرار قراءة هذه السور بعد صلاة المغرب وصلاة الفجر ثلاث مراتٍ ويستحب الجَهْرُ بالتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير عَقِبَ الصلاة، لكن لا يكون

بصوتٍ جماعي، وإنَّما يرفع به كلُّ واحدٍ صوته منفرداً، ويستعين على ضبط عدد التهليلات وعدد التسبيح والتحميد والتكبير بعقد الأصابع، لأنَّ الأصابع مسئولات مُستنطَقات يوم القيامة.

ويُباحُ استعمالُ السبحة لِيَعُدَّ بها الأذكار والتسبيحات من غير اعتقاد أنَّ فيها فضيلة خاصة، وكَرِهَها بعض العلماء، وإن اعتقد أنَّ لها فضيلة فاتخاذها بدعة، وذلك مثل السِّبح التي يتخذها الصوفية ويعلِّقونها في أعناقهم، أويجعلونها كالأسورة في أيديهم، هذا كونه بدعة، فإنه رياء وتكلفًا.

ثم بعد الفراغ من هذه الأذكار يدعو سراً بما شاء، فإنَّ الدعاء عَقِبَ هذه العبادة وهذه الأذكار العظيمة أحرَىٰ بالإجابة، ولا يرفعُ يديه بالدعاء بعد الفريضة كما يفعلُ بعضُ الناس، فإن ذلك بدعة. وإنما يفعلُ هذا بعد النافلة أحيانًا، و لايجهَرُ بالدعاء، بل يُخفيه، لأنَّ ذلك أقرب إلىٰ الإخلاص والخشوع، وأبعدُ عن الرياء.

ومايفعلُه بعض الناس في بعض البلاد من الدعاء الجماعي بعد الصلوات بأصوات مرتفعة مع رفع الأيدي، أو يدعو الإمام والحاضرون يؤمنون رافعي أيديهم، فهذا العملُ بدعة منكرة، لأنه لم يُنْقَلْ عن النبي ﷺ أنه كان إذا صلىٰ بالناس يدعو بعد الفراغ من الصلاة علىٰ هذه الصفة لا في الفجر ولا في العصر ولا في غيرهما من الصلوات. ولا استحَبَّ ذلك أحد من الأئمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (مَنْ نقل ذلك عن الإمام الشافعي فقدْ غَلِطَ عليه، فيجبُ التقيدُ بما جاء عن النبي ﷺ في ذلك وفي غيره، لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
سنن الرواتب مع الفرائض

الحمد لله رب العالمين، أمرَ بالتزوُّد من الخيرات، وذلك بفعلِ الطاعات والإكثارِ من الحسنات، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، تُسبِّحُ بحمدِهِ الأرضُ والسموات وجميع المخلوقات، وأشهَدُ أن محمداً عبده ورسوله، حث على أداءِ السنن والرواتبِ بعد الصلوات المفروضات، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانَ تنافُسُهم في المسابقةِ إلى الخيرات، وسلَّمَ تسليمًا كثيراً . . .

أمَّا بعد: عباد الله: اتقوا الله تعالى، وأكثروا من الحسنات، وتوبوا من السيئات، وحافظوا على الصلوات، قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤].

ثم اعلموا - رحمكم الله - أن النبيَّ ﷺ شَرَعَ لكم سننًا رواتبَ مع الفرائض، وهي سننٌ متأكدة يُكْرَه تركُها، ومن داوم على تركِها سَقَطَت عدالتُه، فتُرَدُّ شهادته، لأن ذلك يدُلُّ على قلة دينه، فحافظُوا عليها، وهي عشرُ ركعات أو اثنتا عشرة ركعة، ركعتان قبلَ الظهر، وقيل: أربعَ ركعات، وهو الصحيح، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل صلاة الفجر، وركعتان بعدَ طلوع الفجر لقولِ ابن عُمر رضي الله عنهما: (حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ عشرَ ركعات: ركعتين قبلَ الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعدَ المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبلَ الصُبح، كانت ساعةً لا يدخُلُ على النبي ﷺ فيها أحدٌ، حدَّثتني حفصةُ أنَّه كان إذا أذَّنَ المؤذنُ وطلع الفجر صَلَّى ركعتين) متفق عليه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: (لم يكن النبي ﷺ على شيءٍ من النوافل أشدَّ تعاهُدًا منه على ركعتين الفجر)، متفق عليه.

وفي «صحيح البخاري»: عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كانَ لا يَدَع أربعًا قبلَ الظهر. ومَن فاته راتبةُ الفجر قبلَها فالأفضلُ أن يصليها بعدما تطلع الشمس، وإن صلاَّها بعدَ صلاة الفجر فلا بأسَ. واعلموا أن خيرَ الحديثِ كتاب الله وخيرَ الهَدي هديُ محمد ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في فضل صلاة التطوع

الحمد لله رب العالمين، أمَرَ عباده بالتزَوُّدِ للدار الآخرة بالأعمال الصالحة من فرائض ونوافل، ونَهَاهم عن الغفلةِ والإعراضِ، والانشغال بالدنيا عنِ الدين، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، السعيدُ مَن أطاعه واتَّقَاه، والشقيُّ من خالَفَ أمرَهُ وعصاه وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، نبي غَفَرَ الله له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك كان يقومُ من الليل حتى تفطَّرَت قدماه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدَوا به في فعل الطاعات، وسلَّم تسليمًا كثيراً . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وحافظوا على أداء فرائض الله فإنها أحبُّ الطاعات إلى الله، ثم تزوَّدوا مع الفرائضِ من النوافل والتطوعات، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:١٥٨].

ومعنى: ﴿**تطوَّعَ خيراً**﴾ فَعَلَ غير المفترض عليه من صلاةٍ وصدقةٍ وصومٍ وحجٍّ وغير ذلك من أنواع التطوّعات، فالتطوعُ هنا الإتيانُ بالطاعةِ غير الواجبة.

وقال تعالى: ﴿**فإن الله شاكرٌ عليم**﴾ معناه: أنه سبحانه يشكُرُ لعباده فعلَ الطاعات فيثيبَهُم على القليل بالكثيرِ، ويعلَمُ أعمالهم صغيرها وكبيرها ومقدارَ ما يستحقونه من الجزاء عليها، فلا يظلِمُ مثقالَ ذرَّةٍ، وإن تَكُ حسنة يضاعفها ويؤتِ من لدنه أجراً عظيمًا.

وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى:

«وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ من أداءِ ما افترضتُه عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّه».

فالتقرُّبُ إلى الله بالنوافل سببٌ لنيل محبة الله للعبد، كما أنَّ التقرب إلى الله بالنوافلِ يجبر به ما يحصُلُ في الفرائض مَن نقصٍ يوم القيامة، فقد جاء في الحديث: «**أول ما يحاسَبُ به العبدُ يوم القيامة الصلاة المكتوبة، فإن أتَمَّهَا، وإلا قال الله تعالى:**

«انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ، فإن كانَ له تطوُّعٌ أكملت منه الفريضة، ثم يفعَلُ بسائرِ الأعمال المفروضة مثلَ ذلك».

فالفرائضُ أكملُ من النوافلِ في ذاتها وفضلها وكثرةِ ثوابها، والسننُ نوعان: نوعٌ

مستقل بنفسه كنوافل الصلاةِ ونوافلِ الصيام والصدقة والحج وغيرها، ونوعٌ تابعٌ للفرائض غير مستقل فهذا النوعُ الأخير ينبغي للعبدِ أن يعتنيَ به اعتناء عظيمًا بعد اعتنائه بأصلِ الواجبات، لأنَّه مكملٌ لها، ويثاب عليه معها.

وإذا كانت الصلوات الخمس أولَ ما يحاسَبُ عنه العبدُ يومَ القيامة من عمله، فإنَّه يجبُ على المسلم أن يحافظ على هذه الصلوات الخمس، ويتأكَّد عليه كذلك أن يُحافظ على نوافلِ الصلوات، ولا سيِّما الرواتب التي مع الفرائض: وهيَ عشرُ الركعاتِ التي قال فيها ابنُ عمر رضي الله عنهما: (حفظتُ عن رسول الله ﷺ عشرَ ركعات، ركعتين قبلَ الظهر، وركعتين بعدَها. وركعتين بعدَ المغرب، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبلَ صلاة الفجر)، وكانت محافظته ﷺ على سنةِ الفجر أشدَّ من جميعِ النوافل، فلم يَدَعها، هي والوتر لا حضرًا ولا سفرًا.

أما غيرُ سنة الفجر من الرواتب فلم يكُن ﷺ يفعَلُها مع الفرائضِ في السفر...

عباد الله: ومن الصلوات النوافل صلاةُ الليل، وهي سنةٌ مؤكدة. قال تعالى في مدح قوَّام الليل: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [السجدة: ١٦].

أي إنهم يتركون النومَ على الفُرُشِ اللينة واللُّحُف الدفيئة في الشتاء ويقومون لصلاةِ التهجد (يدعون ربهم) فيها خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه.... ثم ذكر سبحانه جزاءَهم، فقال: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٧].

فإنَّ الجزاءَ من جنسِ العمل. فهم لَمَّا أخفَوْا قيامَهُم بالليلِ أخفى الله جزاءهم، فأعطاهُم ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بشر، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح.

وقد أخبر النبي ﷺ أن صلاة الرجل في جوف الليل تُطفئُ الخطيئة كما يطفئُ الماءُ النار وتلا هذه الآية: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ [السجدة: ١٦].

حتى بلغ: ﴿**يعملون**﴾.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: فيشمَلُ ذلك مَنْ ترَكَ النومَ بالليلِ لذكر الله ودعائه، فيدخل فيه: مَنْ صَلَّى بين العشائين ومن انتظَر صلاة العشاء فلم يَنَمْ حتى يصليَها، لا

سيَّما مع حاجته إلى النوم ومجاهدته نفسه على تركه لأداء الفريضة، وقد قال النبيُّ ﷺ لمن انتظرَ صلاةَ العشاء: «**إنّكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة**» ويدخل فيه من نام ثمَّ قام من نومه بالليل للتهجُّد وهو أفضلُ أنواع التطوع بالصلاة مُطلقًا، وربمًا دَخَلَ فيه مَن تَرَكَ النومَ عند طلوع الفجر، وقامَ إلى أداء صلاة الصبح، لا سيِّما مع غلبة النوم عليه.

عبادَ الله: إن قيام الليل سببٌ لدخول الجنة بسلام، كما في حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: أولَ ما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة انجفلَ الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأمَّلتُ وجهَه واستبَنْته عرفتُ أن وجهَه ليس بوجه كذَّاب... قالَ: فكان أولَ ما سمعتُ من كلامه أنْ قال: «**أيُّها الناس، أفشوا السلامَ، وأطعموا الطعامَ، وصلُوا الأرحام، وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ تدخُلُوا الجنةَ بسلام**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وقيامُ الليل سببٌ للانطلاق من أسرِ الشيطان وطيب النفس واستقبال صلاة الفجر بنشاطٍ، وسبب انشراح الصدر في النهار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ ﷺ قال: «**يَعْقِدُ الشيطانُ على قافية رأس أحدكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقد، يضربُ على كلِ عقدة: عليكَ ليلٌ طويل فارقُد، فإن استيقظَ وذكَرَ الله تعالى انحلَّت عقدةٌ، فإن توضأَ انحلَّت عقدةٌ، فإن صَلَّى انحلت عقدةٌ فإن صَلَّى انحلت عقده كلها، فأصبحَ نشيطًا طيبَ النفس، وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلان**» رواه مالك والبخاري ومسلم وغيرهم.

ولقيام الليل فوائد كثيرة وعظيمة: فاجعلوا لكم حظًا منه ولو كان قليلاً، ولا تَحْرِمُوا أنفسكم من ثوابِه واجعلُوا آخر صلاتكم في الليلِ وترًا، فإن الوترَ سنةٌ مؤكدة، ولم يكن النبيُّ ﷺ يتركُه حضراً ولا سفراً، حتى قالَ بعضُ أهل العلم بوجوبه وتظاهرَتِ الأحاديثُ في فضله والحث عليه، وقال الإمامُ أحمد: مَنْ تَرَكَ الوتر - يعني داوم على تركه - فهو رجل سُوءٍ لا ينبغي أن تقبل شهادته.

فحافظوا - رحمكم الله - على أداءِ الوترِ، واجعلوه آخرَ صلاتكم من الليل كما أمرَ بذلك النبي ﷺ في قوله: «**اجعلوا آخرَ صلاتكم بالليل وترًا**» ومَن كان لا يثقُ من قيامه في آخر الليل فليُوترِ قبلَ أن ينامَ، لما رَوَىٰ الإمَامُ مسلم عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «**أيُّكم خافَ أن لا يقومَ من آخر الليل فليوتر ثم ليَرْقُد، ومن وَثِقَ بقيامٍ من آخر الليل فليوتر من آخره، فإن قراءة آخر الليل محضورةٌ، وذلك أفضل**».

وإذا أوترَ الإنسانُ من أول الليل، ثم تَيَسَّرَ له القيامُ في آخرِ الليل، فإنه يُصَلِّي ما تيسَّرَ له ولا يعيدُ الوترَ، ويكفيه الوترُ الذي فعلَه في أول الليل، لقوله ﷺ: «**لا وتران في ليلة**».

وأقلُّ الوترِ ركعةٌ واحدة. وأكثرُه إحدىٰ عشرة ركعةً، يُسَلِّم من كل ركعتين، ثم يوترُ منها بواحدةٍ، لقول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي بالليل إحدىٰ عشر ركعة يوتِر منها بواحدة» رواه مسلم.

وفي «الصحيحين»: «**صلاةُ الليل مثنى مثنى، فإذا خَشيتَ الصبحَ فأوتر بواحدة**».

وأدنىٰ الكمالِ في عدد ركعاتِ الوترِ ثلاثٌ، يصلي ركعتين منها، ويسلم، ثم يصلِّي الثالثة ويقنتُ فيها بعدَ الركوعِ فيدعو بالدعاء الوارد، وإذا أوترَ بثلاثٍ، فإنه يستحَبُّ له أن يقرأَ في الركعة الأولىٰ بعد الفاتحة بسورة (سبح اسم ربك الأعلىٰ) وفي الركعة الثانية بعد الفاتحةِ بسورة (قل يا أيها الكافرون) وفي الركعة الثالثة بعد الفاتحة بسورة (قل هو الله أحد) لأنه صَلَّىٰ الله عليه وسلم كانَ يقرأُ بهذه السور في وترِه، رواه أبو داود وغيره.

عبادَ الله: ويُستَحبُّ التطوعُ بالصلاة في النهار فيما عدا الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، ومن ذلك صلاةُ الضحي ووقتُها مِنَ ارتفاعِ الشمس إلىٰ قُربِ زوال الشمس من وقت الظهيرة، وأقلُّها ركعتان واكثرها ثمانِ ركعات، يُسَلمُ من كل ركعتين، والدليلُ علىٰ مشروعيةِ صلاة الضحىٰ وفضلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر؟ وركعتي الضحىٰ وأن أوترَ قبلَ أن أنامَ. رواه أحمدُ ومسلم. فيستحبُ فعلُها والمداومة عليها خصوصًا لِمَنْ لم يَقُمْ من الليل.

أيها المسلمون: وهناك نوافلُ لها أسبابٌ تُفْعَلُ إذا وُجدت هذه الأسبابُ، مثل تحية المسجد لِمَنْ دخَلَهُ وأراد الجلوسَ فيه، وسنة الوضوء، وصلاة الكسوف وركعتي الطواف، فهذه النوافلُ تُفْعلُ عند وجودِ أسبابها، وهذه هي النوافلُ الليلية والنهارية، وهي زيادة في عمل المسلم وإتاحَة للفُرصة أمامه، ليتزوَّدَ لآخرته، وليتَّصلَ بربه، ويرفعَ إليه شكواه وحوائجه ويتقرب إليه، وصلاةُ الليل أفضل من صلاة النهار، لقوله ﷺ: «**أفضلُ الصلاة بعدَ المكتوبة صلاةُ الليل**» رواه مسلم.

فالتطوُعُ المطلق أفضلُه صلاة الليل، لأنَّ الليلَ تنقطعُ فيه الشواغلُ ويتفرغ فيه القلب

لذكر الله وتدبُّر القرآن، ولأنَّ آخرَ الليل وقت النزول الإلهي في سماء الدنيا، ووقتُ إجابة الدعاء. فاجعَلُوا لكم نصيبًا من قيام الليل، ولا تكونوا من الغافلين، فإنَّ كثيرًا من الناس اليوم يسهَرون الليل إما على اللهوِ واللعبِ والمعاصي يسهرون على لعب الورق أو استماع الأغاني والمزامير وأنواع الملاهي - أو على مشاهدة الأفلام الخليعة المدمِّرة للأخلاق، أو مشاهدة المسلسلات التي تحمِلُ أفكارًا مسمومةً، أو على مزاح، وقيلَ وقالَ، وضَحِك وغفلةٍ، وربَّما ينامونَ عن صلاة الفجر ويخرجونها عن وقتها، أو يتأخَّرون عن صلاة الجماعة في المسجد، فتكونُ المصيبةُ بذلك أعظَمَ، لأنهم سَهِروا على فعلٍ محرَّمٍ، وناموا عن أداءِ واجبٍ.

وهكذا المعاصي يجُرُّ بعضها إلى بعض - فاتقوا الله - عباد الله - واحفَظُوا أوقاتكم فيما يفيدُكم في دينكم ودنياكم، ولا تضيِّعوها فتخسروها وتندموا على فواتِها حينَ لا ينفَعُ الندمُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في بيان الأوقات التي ينهى عن الصلاة فيها

الحمد لله على فضله وإحسانه لا نُحصي ثناء عليه، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له ولا ملجأ منه إلا إليه، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا...

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى، واشكروه على ما يَسَّرَ لكم من فعل الخيرات واعلَمُوا - يا عبادَ الله - أن هناك أوقاتًا يُنْهَى عن صلاة التطوُّع فيها، وهي خمسة أوقات، بيَّنَها النبيُّ ﷺ:

الأول: مِنْ طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، فإذا طلَعَ الفجرُ الثاني امتَنَع فعلُ

صلاة النافلة ما عدا سنة الفجر، لقوله ﷺ: «**إذا طلعَ الفجرُ فلا صلاة إلا ركعتي الفجر**» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

الثاني: من طلوعِ الشمس حتىٰ ترتفعَ قدرَ رُمْح.

الثالث: عند قيام الشمس حتىٰ تزولَ، لقولِ عقبة بن عامر: ثلاثُ ساعات نهانا رسولُ الله ﷺ أن نصلِّيَ فيهن وأن نقبُرَ فيهن موتانا: «**حين تطلُعُ الشمسُ بازغةً حتى ترتفعَ، وحين يقومُ قائمُ الظهيرة حتى تزولَ، وحين تتضيفُ الشمس للغروب حتى تغرُبَ**». رواه مسلم.

الرابع: مِن صلاةِ العصر إلىٰ قرْبِ غروب الشمس.

الخامس: حينَ تشرَع في الغُروبِ حتىٰ تغربَ لقوله ﷺ: «**لا صلاةَ بعد الفجر حتى تطلُعَ الشمس ولا صلاة بعد العصر حتى تغيبَ الشمسُ**» متفق عليه، وهناك صلواتٌ يجوزُ فعلُها في أوقات النهي:

فيجوزُ قضاءُ الفرائض الفائتة في هذه الأوقات، لقولِه ﷺ: «**مَنْ نامَ عن صلاةٍ أو نَسيهَا فليُصلِّها إذا ذَكَرها**» متفق عليه.

ويجوزُ فيها فعلُ ركعتي الطواف، لقولِه ﷺ: «**لا تمنَعُوا أحدًا طافَ بهذا البيت وصلَّى أية ساعة من ليل أو نهار**» رواه الترمذي وصحَّحه.

وتجوزُ الصلاةُ علىٰ الجنازة بعد الفجرِ وبعد العصرِ، لأنَّ في تأخيرِ الجنازة ضَرَرًا عليها، ويجوزُ فيها فعلُ سنة الفجر بعدها إذا لم يتمكَّن من أدائِها قبلَها فتنبَّهُوا لذلك - رحمكم الله - وتقيَّدُوا به.

واعلموا أن خيرَ الحديثِ كتاب الله... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في أحكام الجنائز

الحمد لله رب العالمين، حكمَ بالموت علىٰ بني الإنسان: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وبعدَ الموت يودَعُون في القبور إلى يوم البعث والنشور، وأحمدُه على كل حال، وأشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبيرُ المتعال، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهُدى ودينِ الحق، وبقمع الكفر والضلال، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خيرِ صَحْبٍ وآل، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى وتَذَكَّروا الموتَ وقُربَ نزوله، فاستَعدُّوا له بالأعمال الصالحةِ والتوبةِ مِنَ الذنوب والسيئات، فإنَّ نسيانَ الموت يُقسي القلبَ، ويرغبُ في الدنيا. عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: **«أكثروا من ذكرِ هاذم اللـذات»**. يعني الموت. رواه ابن ماجه والترمذي وحسّنه، وابن حبان في «صحيحه» وزاد: **«فما ذَكَرَه عبد قط في ضيقٍ إلا وسعه عليه، ولا ذكره وهو في سَعة إلا ضَيقها عليه»**.

وعن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخَذَ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال: **«كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل»**، وكانَ ابنُ عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تَنتظر المساءَ، وخُذْ من صحتِك لمرضِك، ومن حياتِك لموتِك. رواه البخاري.

وعن عبد الله، عنِ النبي ﷺ قال: **«الجنةُ أقربُ إلى أحدكم من شِراك نعله والنارُ مثلُ ذلك»**. رواه البخاريُّ وغيره.

عباد الله: إن تذكُّرَ الموتِ يُزَهّدُ في الدنيا، ويُحفزُ على العمل الصالح، وعلى التوبة من الذنوب والتخلُّص من مظالم العباد وإعطاءِ الناس حقوقَهم، ولمَّا كان الموت نهايةَ حياة الإنسان في هذه الدنيا، وقد شرَعَ الله سبحانه للأموات أحكامًا تجبُ معرفتُها وتنفيذها في أموات المسلمين، تُعْرَفُ بأحكامِ الجنائز، كان واجبًا علينا معرفتُها.

قال الإمام ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ كان هَدْيُ النبي ﷺ في الجنائز أكملَ الهدي، مخالفًا لهَديِ سائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفَعُه في قبرِه ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهلِه وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعاملُ على أكملِ الأحوالِ، والإحسانُ إلى الميتِ وتجهيزُه إلى الله على أحسنِ أحواله وأفضلِها. ووقوفُه ﷺ ووقوف أصحابه صفوفًا يحمَدُون الله ويستغفرون للميت ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه، ثم المشي بين يديه إلى أن يُودِعوه في حُفرته، ثم يقومُ هو

وأصحابه بينَ يديه على قبره سائلين له التثبيتَ أحوجَ ما كان إليه، ثم يتعاهدُه بالزيارة له في قبره، والسلام عليه، والدعاء له كما يتعاهَدُ الحيُّ صاحبَهُ في دار الدنيا.

فأولُ ذلك تعاهدُه في مرضه وتذكيرُهُ الآخرةَ، وأمرُه بالوصيةِ والتوبةِ، وأمرُ مَنْ حَضَرَ بتلقينه شهادةَ أن لا إله إلا الله، لتكون آخرَ كلامه. فقد أجملَ الإمامُ ابن القيم رحمه الله في هذه الكلمة الطيبة أحكام الجنائز ونحن نفصلُّها حسبَ المكان.

فأولُ هذه الأحكام: أنه يُسْتَحَب تلقينُ المحتضر: لا إله إلا الله، لقوله ﷺ: «**لَقِّنُوا موتاكم لا إله إلا الله**» رواه مسلم: وذلك لتكون هذه الكلمة الطيبة آخرَ كلامه، ويختَمَ له بها. فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره مرفوعًا: «**مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دَخَلَ الجنة**»، ولأنَّ الشيطانَ يعرض للإنسان في حالة احتضاره ليُفْسدَ عقيدتَه، فإذا لُقِّنَ هذه الكلمة العظيمة ونَطَقَ بها فإنَّ ذلك يطرُدُ عنه الشيطان، ويذَكِّره بعقيدةِ التوحيد.

ومن هذه الأحكام أنه إذا مات يُسرعُ في تجهيزه، من تغسيله وتكفينه، والصلاة عليه ونقله إلى قبره، لقول النبي ﷺ: «**لا ينبغي لجيفة مسلمٍ أن تُحبَسَ بينَ ظهراني أهله**» رواه أبو داود.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وكانَ من هَدْيه ﷺ الإسراع بتجهيزِ الميت إلى الله وتطهيره وتنظيفه وتكفينه في الثياب البيض قال: وكان يأمر بغسل الميت ثلاثًا أو خمسًا أو أكثرَ بحسب ما يراهُ الغاسلُ ويأمرُ بالكافورِ في الغَسْلَةِ الأخيرة، وكان يأمرُ مَنْ وَلِيَ الميتَ أن يُحْسن كفنَه، ويكفنَه بالبياض، وينهى عن المغالاة في الكفن.

والرجلُ يتولّى تغسيلَه الرجالُ والمرأةُ يتولّى تغسيلَها النساءُ، ويجوز للرجل أن يغسلَ زوجته. وللمرأة أن تغسلَ زوجَها، ومن تعذَّر غسلُه لعدم الماء أو لكون جسمه محترقًا أو متقطعًا لا يتحملُ الماء فإنه يُيَممُ بالتراب، وإن تعذرَ غسْلُ بعضِه غُسِلَ ما أمكنَ منه ويُمّم عن الباقي.

والسِّقطُ إذا كان له أربعة أشهُرٍ غُسلَ وصُلِّيَ عليه، لقولِهِ ﷺ: «**والسقطُ يُصَلَّى عليه ويُدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة**» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

فإذا غُسِلَ الميتُ وكُفِّنَ، فإنَّهُ يصلَّى عليه، والصلاةُ عليه جماعةً أفضلُ لفعلِه ﷺ وفعل أصحابه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ومقصودُ الصلاة على الجنازة هو الدعاء للميت. وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

لَمَّا نهى الله نبيه عن الصلاة على المنافقين كان دليلاً على أن المؤمنَ يُصَلَّى عليه قبلَ الدفن، ويقامُ على قبرِهِ بعدَه، ودلَّت الآية أيضًا على أنَّ الصلاةَ على المسلمين من أكبرِ القُربات وأفضل الطاعات، ورتَّبَ الشارعُ عليها الجزاء الجزيل كما في الصحاح وغيرِها، ودلَّت الآيةُ على أنَّ الصلاةَ عليه كانت عادة النبيﷺ في المسلمين وأمرًا متقررًا عند المسلمين، وكُلَّما كثُرَ المصلون كان أفضل، لما روى مسلم في «صحيحه»: «**ما من ميت يصلِّي عليه أمةٌ من المسلمين يبلُغُون مئة كلُّهم يشفعُون له إلا شُفِّعُوا فيه**». وله من حديث ابن عباس: «**وما من مسلمٍ يموتُ، فيقومُ على قبرِه أربعون رجلاً لا يشركونَ بالله شيئًا إلاَّ شفعُوا فيه**».

ومَن فاتته الصلاةُ على الميت قبلَ دفنه صَلَّى على قبره، لما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة وابن عباس: أنَّ النبيﷺ صلَّى على قبرٍ، وذلك أنَّ امرأة سوداء كانت تَقُمُّ المسجدَ، ففقدَها رسولُ اللهﷺ، فسألَ عنها، فقالوا ماتت، فقال: «**أفَلا كُنتم آذنْتُموني؟**» قال: فكأنَّهم صَغَرُوا أمرها، فقال: «**دُلُّوني على قبرها**» فدلُّوه، فصلَّى عليها.

ثم بعدَ الصلاةِ على الميتِ يبادرُ بحملِهِ إلى قبره، ويُستَحبُّ للمسلم حضور الصلاة على أخيه المسلم واتباع جنازته إلى قبره، بسكينة وأدب وعدم رفع صوت لا بقراءة ولا ذكر ولا غير ذلك، فعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «**من شهدَ الجنازةَ حتى يُصلى عليها فله قيراط، ومَنْ شهدَها حتى تُدْفنَ فله قيراطان**» قيل: وما القيراطان؟ قال: «**مثل الجبلين العظيمين**» متفقٌ عليه.

ويسن توسيعُ القبر وتعميقه، ويوضعُ الميتُ فيه موجهًا إلى القبلة على جنبه الأيمن، ويُسَد اللحدُ عليه سدا محكمًا، ثم يُهال عليه الترابُ. ويرْفعُ القبر عن الأرض قَدَر شِبرٍ ويكون مسنمًا، أي محدَّبًا، وذلك ليرى فيعْرَفُ أنه قبر فلا يُوطأ، ولا بأسَ أن يجعل علامةٌ عليه، بأن يوضَع عليه حجرٌ ونحوه ليعرفَهُ مَنْ يريدُ زيارته للسلام عليه والدعاء له.

ولا تجوزُ الكتابة على القبر، لا كتابة اسم الميت ولا غيرها، ولا يجوزُ تجصيصُه ولا البناء عليه، ولا تجوز إضاءةُ المقابر بالأنوار الكهربائية ولا غيرها، لحديثِ جابر قال نَهَى

والنسائي، وأبو داود، والترمذي وصحَّحه، ولفظه: نَهَىٰ أن تُجَصَّصَ القبور، وأن يُكتبَ عليها، وأن يُبنَىٰ عليها، وأن توطأ.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ولم يكن من هَدْيِهِ ﷺ تعليةُ القبور ولا بناؤها بآجر ولا بحجرٍ ولبن ولا تشييدها، ولا تطيينُها، ولا القِباب عليها، فكلُّ هذا بدعة مكروهة مخالفة لهَديه ﷺ، وقد بَعَثَ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن أن لا يدَعَ تمثالاً إلا طمَسَهُ ولا قبراً مشرفًا إلا سوّاهُ.

فسنتُه تسويةُ هذه القبور المشرفة كلها، ونهىٰ أن يُجَصَّصَ القبرُ، وأن يُبنىٰ عليه، وأن يُكتبَ عليه؛ وكانت قبور أصحابه لا مشرفةٌ ولا لاطئة، وهكذا كان قبرُهُ الكريم وقبرا صاحبيه، فقبرُهُ ﷺ مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مُطينٌ. وهكذا كان قبرا صاحبيه، وكان يُعلِّمُ قبرَ مَنْ يريدُ تعرُّف قبره بصخرةٍ. ونهىٰ ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السُّرج عليها واشتدَّ نهيُه في ذلك حتىٰ لَعَنَ فاعلَه، ونهىٰ عن الصلاة إلىٰ القبور، ونهىٰ أُمته أن يتخذوا قبرَه عيداً، ولَعنَ زوارات القبور، وكان هديُه أنْ لا تُهانَ القبورَ وتوطأ، وألا يُجْلسَ عليها ويتَّكأ عليها، ولا تُعظَّمَ بحيثُ تتَّخذُ مساجدَ فيُصلىٰ عندها وإليها، أو تتخذَ أعيادًا وأوثانًا.

وكان إذا زارَ قبورَ أصحابه يزورها للدعاء لهم والترُّحم عليهم والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنَّها لأمته وشرَعَ لَهُم وأمرَهُم أن يقولوا إذا زاروها: «**السلامُ عليكم أهلَ الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسألُ الله لنا ولكم العافيةَ**»، وكان هديُهُ أن يقولَ ويفعَل عند زيارتها من جنسِ ما يقولُه عند الصلاة علىٰ الميت من الدعاء والترحُّم والاستغفار، فأبىٰ المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به والإقسام علىٰ الله به وسؤال الحوائج والاستعانة به والتوجه إليه، بعكس هَدْيِهِ ﷺ فإنه هديُ توحيدٍ وإحسانٍ إلىٰ الميتِ، وهَدْيُ هؤلاءِ شِركٌ وإساءةٌ إلىٰ نفوسهم وإلىٰ الميتِ وهم ثلاثة أقسام:

إما أن يدعو الميت، أو يدعو به أو عندَه، ويرَوَن الدعاء عنده أوجبَ وأولىٰ من الدعاء في المساجد.

أيها المسلمون: ومن البدع المُحدثَة القراءة عند الجنائز، أو عند القبور، قراءة شيءٍ من القرآن، يزعمُون أنَّ ذلك ينفَعُ الميتَ، وهذا بدعة؛ لأنَّه لم يكن من سنةِ الرسولِ ﷺ ومن

عوائد الكُفَّار ومَنْ يُقلِّدُهم من جهلة المسلمين إلقاء أكاليل الزهور على القبور، ومن عوائد الكُفَّار ومَنْ يُقَلِّدُهم من جهلة المسلمين اليوم إعلان الإحداد على الأموات، ولُبْسُ السواد، وتنكيسُ الأعلام، وتعطيلُ الأعمال الرسمية من أجل ذلك، والوقوفُ والصمتُ بضعَ دقائق لروح الميت، وما أشبهَ ذلك من عوائدِ الجاهلية الباطلة، فيجبُ على المسلمين الحذرُ من تقليدهم والتشبه بهم.

أيها المسلمون: إن الذي ينفعُ الميتَ بعد موته هو ما شَرَعَه الرسولُ ﷺ من المبادرة بقضاء ديونه، فإن المسلم مرتهَن بدينِه حتى يُقْضَى عنه وتنفيذ وصاياه الشرعية، والدعاء له والتصدُّق عنه والحجُ والعمرة عنه، قال ﷺ: «**إذا ماتَ ابن آدم انقطعَ عملُه إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم يُنتفع به، وولد صالح يدعو له**».

ومما يجبُ أن يُعْلَمَ أنه يحرُمُ على النساء اتباعُ الجنائزِ وزيارةُ القبور، لحديثِ أم عطية رضي الله عنها قالت: نُهينا عن اتباع الجنائز. والنهي يقتضي التحريم، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسولَ الله لَعَنَ زائرات القبور رواه الخمسة وصححه الترمذي فالمرأة لا تزور القبورُ لا قبر النبي ﷺ ولا قبر غيره. وإنما زيارةُ القبور خاصةٌ بالرجال.

فاتقوا الله - عباد الله - ولا تَنْسُوا فتغفلوا عن العمل:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون: ٩-١١].

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في أحكام الجنائز

الحمدُ لله رب العالمين: ﴿**خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الملك: ٢].

وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. خَلَقَ الخلقَ ورزقهم ولم يتركْهم هَمَلاً، بل أنزلَ عليهم الكتبَ، وأرسلَ إليهم رسلاً، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله

عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بسنته ولم يرتضوا بها بدلاً، وسلم تسليمًا كثيرًا . . .

أما بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله شرَع الصبر، عند المصائب، ووعدَ الصابرين بجزيل الثواب، ونَهى عن التسخُّط والجزَع، وتوعَّدَ على ذلك بأليم العقاب، فنهى سبحانه عن عادة الأمم التي لا تؤمنُ بالبعث والنشور، من لطم الخدود، وشقِّ الجيوب، وحلقِ الرءوس، ورفع الصوت بالندب والنياحة، وتوابع ذلك.

أما البكاءُ الذي لا صوتَ معه وحُزْنُ القلب فلا بأسَ بهما، وقد قالَ النبيُّ ﷺ: **«تدمَعُ العينُ ويَحْزنُ القلبُ ولا نقولُ إلا ما يُرضي الربَّ»** رواه البخاري.

وتُستحبُّ تعزيةُ المصاب بالميتِ وحثه على الصبرِ والاحتساب، ولفظُ التعزيَة أن يقولَ: «أعظمَ الله أجركَ وأحسنَ عزاءَك، وغفر لميتك» ولا ينبغي الجلوس للعَزاءِ، والإعلان عن مكان الجلوس للعزاء.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وكان من هديه تعزيةُ أهلِ الميت، ولم يكن من هَدْيِهِ أن يجتمع للعَزاء ويقرأ له القرآن لا عند قبره ولا غيره، وكلُّ هذا بدعةٌ حادثة مكروهة، وكان من هَدْيه السكونُ والرضا بقضاء الله، والحمد لله والاسترجاعُ، ويبرأ ممن خرقَ لأجل المصيبة ثيابه، أو رَفَعَ صوتَه بالندب والنياحة، أو حَلَقَ لها شعره.

وكان من هَدْيِهِ أنَّ أهل الميت لا يُكَلَّفُون الطعامَ للناس، بل أمرَ أن يصنَعَ الناسُ لهم طعامًا يرسلونه إليهم، وهذا من أعظم مكارم الأخلاق والشيَم والحمل عن أهل الميت، فإنهم في شُغلٍ بمُصابهم عن إطعام الناس.

وكان من هَدْيِهِ ﷺ تركُ نعي الميت، بل كان يَنْهى عنه، ويقول: **«هو عملُ الجاهليةِ»** وقد كَرِهَ حذيفة أن يعلم به أهله الناسَ إذا مات، . وقال أخافُ أن يكون من النعي، فهذا الذي حَذَّرَ منه ابن القيم يفعَلُه كثيرٌ من الناس اليوم يجتمعون للعزاء، ويُعلنون عن مكانه في الصحف. وبعضُهم يهيئُون مكانًا لاجتماع الناس، ويصنعون الطعام، ويستأجرون المُقرئين. وقد روى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله قال: كُنا نَعدُّ الاجتماعَ إلى أهل الميتِ وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة. ورجالُ إسناده ثقات.

فلا ينبغي جلوسُ المُصابِ في مكان لأجلِ العزاء، بل يخرجُ لعمله كعادته قبل المصيبة، ومَن لقيهُ في طريقه فإنه يُعزيه التعزيةَ المشروعة، أو في أي مكان.

ويذكر أنه في بعض الجهات يأتي الناس من بعيدٍ وقريب لأجل التعزية، ويأتُون معهم بأغنامٍ وأكياس من الطعام تُجمع عند المصاب فيُذْبحُ من الأغنام، ويطبخُ منها ومن الطعام ويقدَّمُ للناس مدةً معينة من الأيام. وهذا العمل بدعة ومنكَر لا يجوزُ فعلُه، وصرف للأموال والأوقات بغير فائدة، والواجبُ العمل بسنة الرسولﷺ في هذا وفي غيره، فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهَدْيِ هدي محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها . . . إلخ.

خطبة الاستسقاء

الحمد لله الغنيِّ الحميد، يَفْعلُ ما يشاء ويحكُم ما يريد، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ينزلُ الغيثَ من بعد ما قَنَطُوا، وينشُرُ رحمتَه وهو الولي الحميد، وأشهَدُ أن محمداً عبده ورسوله، بعثَه رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على الخلائق أجمعين، فَبَلَّغَ الرسالة، وأدَّىٰ الأمانةَ، ونصَحَ الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلىٰ الله عليه وآله وصحابته ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلمَ تسليمًا. . . أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وأطيعوه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾ [فاطر: ١٥-١٧].

وهو مع غناه عنكم يأمرُكم بدعائه ليستجيب لكم، وسؤاله ليُعطيكم، واستغفاره ليغفرَ لكم وأنتم مع فقركُم وحاجتكم إليه تُعرضون عنه وتَعصون، وأنتم تعلمون أنَّ معصيته تُسبِّبُ غَضبَهُ عليكم وعقوبتَه لكم، ففي «سنن ابن ماجه» من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضيَ الله عنهما قال: كنت عاشر عشرة رهطٍ من المهاجرين عندَ رسول اللهﷺ، فأقبلَ علينا رسول اللهﷺ بوجهه فقال: «**يا معشَر المهاجرين، خمسُ خصال أعوذُ بالله أن تدركوهن: ما ظَهَرت الفاحشةُ في قومٍ حتى أعلنوا بها إلا ابتُلو بالطواعين والأوجاع التي لم تكُن في أسلافهم الذين مضَوا. ولا نَقَصَ قومٌ المكيالَ إلا ابتُلوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان. وما مَنَعَ قومٌ زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم العهدَ إلا سَلطَ الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم. وما لم تعملْ أئمتُهم بما أنزلَ الله في كتابه إلا جَعَلَ الله بأسَهم بينهم**».

فذكرﷺ في هذا الحديث خمسة أنواع من المعاصي، كلُّ نوع منها يُسبب عقوبة من العقوبات، ومن ذلك: منعُ الزكاة، ونقصُ المكيال يُسببان منعَ المطر، وحصول القحط،

وشدة المئونة، وجور السلطان، وأنتم في هذه الأيام تَرَوْنَ تأخرُ المطر عن وقته، وإجدابَ المراعي، مما يترتَّبُ عليه تضرُّرُ العباد والبلاد والبهائم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أن الحُبارىٰ لتموتُ في وكرها من ظلم الظالم وقال مجاهدٌ: إن البهائم تلعَنُ عصاة بني آدم إذا اشتدَّت السنةُ، وأمسكَ المطرُ، تقولُ هذا بشؤم معصية ابن آدم.

أمَّا منعُ الزكاة فقد ابتُليَ كثيرٌ من الناس اليوم بتضخُم الأموال في أيديهم، وصاروا يتساهَلُون في إخراج الزكاة إما بُخلاً بها إذا نظروا إلىٰ كثرتها، وإمَّا تكاسُلاً، عن إحصائها وصَرْفها في مصارفها.

وأما نقص المكاييل فالبعض من الناس حَمَلَهم الطمعُ والجشع علىٰ الغشُ في المعاملات ونقص المكاييل والموازين وبَخس الناس أشياءَهم، فيأتي علىٰ الأكياس والصناديق ويُفرغُ منها ويبيعها علىٰ أنها تامةٌ، وهي منقوصة مبخوسة، وبائعو الخضار والفواكه والتمور يغشون الناس في الصناديق فيضعون الرديء في الأسفل، والجيدَ في الأعلىٰ، ويقولُون: كلُّه من النوع الجيد، وقد أنكرَ النبيُّ ﷺ علىٰ مَن فَعَلَ هذا وزجره حينَما مَرَّ علىٰ بائع طعام، فأدخَلَ يدهﷺ فيه، فأدركَ في أسفله بللاً، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**» قال: أصابته السماءُ يا رسول الله، يعني: المطرُ فقال: «**أفلا جعلتَه ظاهراً حتى يراه الناس، مَنْ غشَّنا فليسَ منَّا**».

فقد اعتبرﷺ إخفاءَ المعيب وإظهارَ السليم غشًّا للمسلمين وتَبرأ من فاعله، وبعض الباعة يغرِّرون بالمشترين الذين لا يعرفونَ أقيامَ السِّلع، ويثقون بهم، فيرفعون عليهم القيمةَ، ويغبنونهم غُبنًا فاحشًا، وكلُّ هذه الجرائم وغيرها مما يجري في أسواق المسلمين تُسبِّبُ العقوبات الخاصة والعامة، ومن ذلك ما تشاهدون من تأخُّر المطر الذي به حياتُكم وحياةُ بهائمكم وحياة زروعكم وأشجاركم، قال تعالىٰ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾ [الفرقان: ٤٨، ٥٠].

قال الحافظُ ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا**﴾.

أي: أمطرنا هذه الأرضَ دونَ هذه، وسُقنا السحاب يَمُرُّ علىٰ الأرض، ويتعدَّاها ويتجاوزُها إلىٰ الأرض الأخرىٰ، فيُمطرها ويكفيها ويجعلُها غَدَقًا، والتي وراءَها لم ينزل

فيها قطرة من ماء. وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة. قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم: ليسَ عامٌ بأكثر مطراً من عام ولكن الله يُصرِّفه كيفَ يشاء، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ [الفرقان: ٥٠].

أي: ليذكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادرٌ على إحياء الأموات والعظام الرُّفات، أو ليذكَّر مَنْ مُنعَ المطرَ إنما أصابه ذلك بذنب أصابَه فيُقلع عمَّا هو فيه، فالمطرُ نعمة من الله على عباده قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝٦٨ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠].

فهو الذي أنزلَ هذا المطر بمنِّه وفضله، ولو شاء لحَبَسه فتضرَّرَ العبادُ، وهو الذي جعلَه عذبًا فُراتًا سائغًا شرابُه، ولو شاء جعلَه مِلْحًا أجاجًا لا يصلُحُ للشرب.

عبادَ الله: إنَّ الله أرشَدَنا عند احتباس المطر إلى أن نستغفرَه من ذنوبنا التي بسببها حَبَسَ عنا المطرَ. قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

فالإكثار من الاستغفار والتوبة سببٌ لنزول المطر، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح: ١٠-١٢].

أي: إذا تبتُم إلى الله واستغفرتموه، وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأنبتَ لكم من بركات الأرض، وأنبتَ لكم الزرع وأدر لكم الضَّرعَ، وأمدَّكُم بأموالٍ وبنين وجَعَلَ لكم جناتٍ فيها أنواعُ الثمار وتتخلَّلُها الأنهار الجارية.

وقد شرع النبيﷺ لأمته الاستسقاء عند احتباس المطر، وذلك بالصلاة والدعاء والتضرع إلى الله تعالى، فقد ثبتَ عنهﷺ أنه استسقى على وجوه: منها أنه استسقى يومَ الجمعة على المنبر في أثناء خُطبته، ومنها أنه وعَدَ الناسَ يومًا يخرجون فيه إلى المصلى، فصلَّى بالناس ركعتين وخَطَبَ ودعا، مما يدل على أنه مطلوب من المسلمين جميعًا عند امتناع المطر أن يحاسبوا أنفسَهم ويتوبوا إلى ربهم، لأن ذلك بسبب ذنوبهم، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (ما نَزَلَ بلاءٌ إلاَّ بذنبٍ، ولا رفع بلاء إلا بتوبة) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]. وقال

تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣].

فاتقوا الله - عباد الله - وتوبوا إلىٰ ربكم، وخذوا علىٰ أيدي سفهائكم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

اللهم أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيثَ، ولا تجعلْنا من القانطين، اللهُمْ اجعلْ ما أنزلته علينا قوة لنا علىٰ طاعتك ومتاعًا إلىٰ حين، اللهم اسقنا غيثًا مُغيثًا غَدَقًا سَحا طبقًا، عامًا نافعًا غير ضارّ، هنيئًا مريئًا عاجلاً غير آجل، اللهم سُقيا رحمة لا سُقيا عذاب، ولا هَدْمٍ ولا غرقٍ، اللهم اسقِ عبادَك وبلادك وبهائمك، وانشر رحمتَك وأحي بلدَك الميت، اللهم إنَّ بالعباد والبلاد من اللأواء والشدة والجهد والضيق والضنك ما لا نشكوه إلا إليك يا سميعَ الدعاء. اللهم أنبتْ لنا الزرعَ وأدر لنا الضرعَ، وأنزل علينا من بركات السماء. واجعَلْ ما أنزلتَهُ قوة لنا علىٰ طاعتك يا أرحمَ الرَّاحمين اللهم إنا نسألك من فضلك ورحمتك، فإنهما بيديك ولا يملكهما أحدٌ سواك يا حي يا قيوم: (ثم يقلب ردائه ويدعو سرًا مستقبل القبلة فيقول: (اللهم إنك أمرتَنا بدعائك ووعدتَنا الإجابة وقد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا).

اللهم صلِّ علىٰ عبدِك ورسولك نبينا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين، ثم ينصرف.



الخطبة الأولى لعيد الفطر المبارك

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر كبيراً.. والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.

الحمد لله الذي سَهَّلَ لعباده طريق العبادة ويسَّر، وجَعَلَ لهم عيداً يعود عليهم بعد إكمال صيامهم ويتكرر، وواصلَ لهم مواسم الخيرات ليوفيهم أجورَهم ويزيدهم من فضله الذي لا يُحْصَرُ، فما انقضىٰ شهرُ الصيام إلا وأعقبه بأشهرِ الحج إلىٰ بيته المُطهَّرِ.

أحمدُه وهو أحقُّ أن يُحْمَدَ ويشْكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

شهادة يأمن من قالها وعمل بمقتضاها يوم الفزع الأكبر، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود والكوثر، صلَّىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وأصحابه، وسلَّم تسليمًا كثيراً إلىٰ يوم البعث والمحشر.

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما مَنَّ به عليكم من إكمال الصيام، واسألوه أن يتقبلَ منكم ما قدَّمتموه فيه من الصيام والقيام، وأن يغفرَ لكم ما حَصَلَ منكم فيه من تقصيرٍ أو إجرامٍ، واعلموا أنَّ هذا اليوم يومُ عيد يفرح فيه المؤمنون بما مَنَّ الله به عليهم من إكمالِ شهرِ صيامهم وقيامهم، وتمكينهم من اغتنامِ فضائله وشغلِ أوقاته بالطاعات والقُرُبات، فإنَّ الفرحَ بذلك هو الفرحُ المشروع.

وأمَّا الفرحُ بنيل الشهوات الفانية والحصول علىٰ المطامع العاجلة فهو فرح مذمومٌ غير مشروع.. قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٨].

فهذا اليومُ يوم شكر وذكر، وأكل وشرب وفطر، يحرُمُ صومُه لما في صومه من الإعراض عن ضيافة الله عز وجل، ومخالفة أمره حيثُ شَرَعَ الإفطارَ فيه، فإنه لما قَدمَ النبيُّ ﷺ المدينة كان لهم يومان يلعبُونَ فيهما. فقال: «**إن الله قد أبدلَكُم يومين خيراً منهما: يومَ الفطر ويوم الأضحى**».

فأبدلَ الله لهذه الأمة بيومي اللعب واللهو يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو.

ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثةُ أعياد كلُّ عيد منها يأتي بعد استكمال عبادة من العبادات العظيمة في الإسلام.

فعيدٌ يتكرر كلَّ أسبوع، وهو يوم الجمعة: فهو عيد الأسبوع، جعلَه الله سبحانه يأتي بعد استكمال الصلوات المكتوبات في الأسبوع، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ فرَضَ علىٰ المسلمين في كل يوم وليلة خمس صلواتٍ، فإذا استكملَ المسلمون صلوات الأسبوع، جاء يومَ الجمعة الذي جعله الله عيداً للأسبوع، وشرع فيه صلاةً عظيمة يجتمعُ لها المسلمون، ويسبقُها خطبتان تشتملان علىٰ حمد الله والثناء عليه والشهادة له بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة ويشتملان علىٰ الوعظ والتذكير، كما أنَّ يومَ الجمعة هو اليوم الذي أكملَ فيه الخلقَ وفيه خُلِقَ آدمُ، وأدخلَ الجنة وأخرج منها، وفيه تقومُ الساعة وتنتهي الدنيا.

فهو يومُ تجتمع فيه خصائص، ويشتمل علىٰ فضائل، وقد خصَّ الله به هذه الأمة

وأضل عنه الأُمَمَ قبلها، وهو عيد لإكمال الصلوات المكتوبة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، بل هي أعظمُ أركان الإسلام بعد الشهادتين.

وعيدُ الفطر المبارك يأتي بعد استكمالِ صوم شهر رمضان الذي جعله الله الركن الرابع من أركان الإسلام بعدما استكملَ المسلمون صيامَ شهرهم المفروض عليهم، واستوجبوا من الله المغفرة والعتْقَ من النار، فإنَّ صيامَه يُكَفِّرُ الله به ما مَضَىٰ من الذنوب، وآخرُه عتقٌ من النَّار، ولَمَّا استكملوه شرَعَ الله تعالىٰ عقبه عيداً يجتمعون فيه علىٰ شُكرِ الله وذكره وتكبيرِه علىٰ ما هداهُم له، وهو يوم الجوائز، يستوفي فيه الصائمون أجرَ صيامهم ويرجعون إلىٰ بيوتِهم بالمغفرة والرضوان.

عـــبـــاد الله: ومن أعظم ما شـرَع الله في هذا اليوم صلاة العيد، والدليلُ علىٰ مشروعيتها: الكتابُ والسنة وإجماعُ المسلمين.

قال تعالىٰ: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ** ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

قال بعض العلماء (تزكىٰ): أي: أخرجَ صدقةَ الفطر، و(صَلَّىٰ): أدَّىٰ صلاة العيد، وأمَرَ النبيُّ ﷺ بالخروج إليها، حتىٰ النساء يخرجنَ إليها من بيوتِهن يشهدنَ الخير ودعوة المسلمين.

قالت أم عطية رضي الله عنها: كُنَّا نُؤْمَرُ أن نخرجَ يومَ العيد، حتىٰ تَخْرُجَ البِكْرُ من خدْرِها، وحتىٰ تخرُجَ الحُيَّضُ فيكنَّ خلفَ النساءِ فيُكَبِّرنَ بتكبيرِهم، ويدعون بدعائهم، يرجُونَ بركةَ ذلك اليوم وطهرته.

فالخروجُ لأداء صلاة العيد علىٰ هذا النمطِ المشهودِ من الجميع فيه إظهارٌ لشعار الإسلام. فصلاة العيد من أعلام الدين الظاهرة، لو تركها أهل بلدٍ مع استكمالِ شروط إقامتها فيهم وجب علىٰ إمام المسلمين قتالهم.

وينبغي أن تؤدىٰ صلاة العيد في صحراء قريبة من البلد، كما كانَ النبي ﷺ يُصليها خارجَ البلد، ولم يُنْقَل عنه أنه صلاَّها في المسجد لغيرعذر؛ لأنَّ في أدائها خارجَ البلد إظهاراً لهيبة المسلمين، وإعلانًا لشعار الإسلام، ولحصولِ الأجر للمصلين، ولتمكين العدد الكبير من حضورها إلىٰ غير ذلك من المصالح والحكم. فهيَ مظهرٌ عظيم من مظاهرِ الإسلامِ، لا ينبغي للمسلمِ أن يتكاسلَ عن حضورِها، وينعزلَ عن جماعةِ المسلمين.

والعيد الثالث: من أعيادِ الإسلام التي شَرَعَهَا الله عيد الأضحىٰ، وهو أكبرُ الأعياد

الإسلامية وأفضلُها.

شَرَعه الله بعد إكمال الحج الذي هو الركنُ الخامس من أركانِ الإسلام ومبانيه العظام، وهكذا نجدُ الأعياد الإسلامية، تأتي بعدَ استكمال العبادات، ويشرع فيها أنواع من الطاعات، شكراً لله سبحانَه على توفيقه. وليس في الإسلام أعيادٌ غير هذه الأعياد الثلاثة، لا أعياد الموالد، ولا الأعيادُ الوطنية، ولا أعيادُ الذكريات والأحداث والانتصارات، لأنَّ في ذلك ابتداعًا في الدين أو تشبُّهًا بالكفار والمشركين، فكم حَصَلَ للمسلمين من الانتصارات العظيمة ولم يحدثوا لذلك أعيادًا لم يشرعها الله ولا رسوله.

واعلموا - عبادَ الله - أن الأعياد الشرعية لم تُجْعَل للهو واللعب، وإنَّما جُعلت لإقامة ذكرِ الله وطاعته والإكثار من الاستغفار، فعيدُنا - أهلُ الإسلام - ليس كعيدِ الكُفَّار، جُعِلَ للفخر والاستكبار، وإنما جُعِلَ لإقامةِ ذكر الله والخضوع له وشكره على استكمال الصيام والقيام والتَّقرب إليه ببذْلِ الصدقات وإقام الصلاة.

واعلمُوا أنه ليسَ السعيدُ من أدرك العيد، وجمَّلَ ظاهره باللباس الجديد، وملأ بطنه بأنواعِ الطعام، وأطلق لسانه بالمزاح والضحك وكثرة الكلام، وإنما السعيدُ من تقبَّلَ الله صيامَه وقيامه، وغفَرَ له ذنوبه وإجرامه. وتزكَّى وصلَّى صلاةَ العيد في ختامِ صيامه، ورَجَعَ من مصلاه بجائزة الربِّ وإكرامه.

عباد الله: تذكَّروا مَنْ صلَّى معكم في مثل هذا اليوم من الأعوام الماضية من آبائكمُ وأقربائكم وإخوانكم المسلمين ممَّن رَحَلُوا عن هذه الدنيا، ولم يستصحبوا منها سوى ما قدَّموا من أعمالٍ، وتركُوا الدورَ والقصورِ والأموال، لم تمنَعُهم من الموت أموال ولا جنود ولا حُصونٌ، ولا ينفعُهم عندَ الله مالٌ ولا بنون، إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليم.

فلا تغُرنَّكم الحياةُ الدنيا، ولا ما تَرَون في هذا اليوم من مظاهر الزينة فإن الزينة الحقيقة زينة التقوى. قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

نَظَرَ بعضُ الصالحين إلى زينةِ الناس يوم العيد، فقال: هل ترون إلا خِرقًا تَبْلَى، ولحمًا يأكلُه الدودُ غداً.

ورأى آخرُ قومًا يضحكون في يوم عيد الفطر، فقال: إن كان هؤلاء تُقُبِّلَ منهم صيامُهم فما هذا فعلُ الشاكرين، وإن كانوا لم يُتقبل منهم صيامُهُم فما هذا فعلَ الخائفين

فاتقوا الله واستحضروا عظمة هذا العيد، وتأملوا لأي شيء جُعِلَ، وماذا شُرِعَ فيه؟ وتذكَّروا بمروره وتكرره عليكم انقضاءَ أعماركم، وانتهاءَ آثاركم، وختَمَ أعمالكم، وحضورَ آجالكم، فتزودوا بالتقوىٰ للسفر البعيد.

الذي قال الله فيه: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ١٩-٢٢].

وتذكروا باجتماعكم هذا الاجتماع الأكبر، علىٰ أرض المحشر: ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

الخطبة الثانية لعيد الفطر المبارك

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر - لا إله إلا الله - والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الحمد لله رب العالمين، خَلَقَ الإنسان من سلالةٍ من طين، ثم جَعَلَه نطفةً في قرار مكين، ثم نقله في الخلق حتىٰ تكامَلَ جسمُهُ وحواسه وسمعُه وبصرُه، فتباركَ الله أحسنُ الخالقين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصًا له الدين، وأشهَدُ أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين: صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ نعمة الإسلام حيثُ هداكم إليه، وجعلَكُم به خيرَ أمةٍ أخرجت للناس. فقُوموا بواجباته، وتجنَّبوا ما يُخالفه ويناقضه أو ينقصه، وتمسكوا به تكونوا من المفلحين، ولا تبتغوا دينًا غيره فتكونوا من الهالكين: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وانظروا إلىٰ الأمم ممن حولكم وما تعيشُ فيه من جاهلية جهلاء، وضلالات عمياء، وديانات باطلة، ومذاهب منحرفة، وحزبيات متطاحنة، وطوائف متناحرة، وصدقَ الله

سبحانه إذ يقول: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وهذه سنةُ الله في خلقه أنَّ من تَرَكَ الحقَّ ابتُلي بالباطل:

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ ﴾ [يونس: ٣٢].

ولا يعرفُ هذا إلا مَنْ عاش في نعمة الإسلام، فالضدُّ يُظْهِرُ حسنةَ الضدِّ، وبضدِّها تتميَّزُ الأشياء، إنه لا يعرف قدرَ الصحةِ إلا مَنْ عرفَ حالةَ المرضى، ولا يَعْرِفُ فضلَ النور إلا من وقع في الظلمة.

ثم اعلَمُوا - يا عبادَ الله - أنَّ الإسلام ليسَ بالتَّسمي والانتساب من غير التزام لأحكامه، وقيامٍ بواجباته، وابتعاد عن مناقضاته ومنقصاته.

إنَّ للإسلام أركانًا وشرائعَ وسُنَنًا، فهو يشمَلُ عبادةَ الخالق، والإحسان إلى المخلوق.

فالمسلمُ مَن أدَّى الواجبات واجتنب المحرمات، فشَهِدَ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وأقامَ الصلاة وآتى الزكاةَ، وصامَ رمضان وحج بيت الله الحرام، وأمرَ بالمعروف ونهى عن المنكر.

المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فاحذَروا قتلَ النفس التي حَرَّمَ الله قتلها إلاَّ بالحق، واحذَروا أذية المسلمين بأي نوع من أنواع الأذى، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

أيها المسلمون: غُضُّوا من أبصاركم، فإن النظرَ سهمٌ مسموم من سهام إبليس، يزرَعُ الشهوةَ في القلب، ويجرُّ إلى الوقوع في الفواحش، واحذَروا الإسبَالَ في الثياب والبشوت والأزر والسراويل، فإنَّ ما كان منها أسفلَ الكعبين نازلاً فهو في النار، وعليكم بالتواضع، فإن الله لا يُحبُّ المستكبرين، وألزِموا نساءكم بالسترِ والحجابِ والابتعادِ عن مخالطةِ الرجالِ والخلوةِ مع السائق والخادم، فإنه «**ما خلا رجلٌ بامرأة لا تحل له إلا كانَ ثالثهما الشيطان**».

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٣].

واحذَروا الغِش في بيعكم وشرائكم ومقاولاتكم وسائرِ أعمالكم، فإنَّ الغشَّ ظلمٌ

والظلمُ ظُلماتٌ يوم القيامة، ومَنْ غشَّ المسلمين فليسَ منهم، كما جاءَ بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ وإيَّاكم والفجورَ في الخصومات، والتساهُل بالأيمان والشهادات. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

واحذروا أخذَ الرشوةِ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، فإنها من كبائرِ الذنوب، وهي أخبثُ المكاسب الموجبة لغضب الله ولعنته وناره، وهي سُحْتٌ ومَحْقٌ، تدمِّرُ المجتمعات، وتقضي على الفضائل والحسنات.

فاتقوا الله ـ عبادَ الله ـ واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله وخير الهدي هديُ محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتُها، وعليكم بالجماعة؛ فإن يدَ الله على الجماعة، ومَنْ شَذَّ شَذَّ في النار.

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليمًا اللَّهُمَّ صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ، وارضَ اللهم عن خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين.

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين ودمِّرْ أعداء الدين، اللهمَّ اجعَلْ هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائرَ بلاد المسلمين عامةً يا رب العالمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠-٩١].



الخطبة الأولى لعيد النحر

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحانَ الله بكرةً وأصيلاً الله أكبر، الله أكبر ولله الحمدُ، الله أكبر كُلَّما أحرَمُوا من الميقات. وكُلَّما لَبَّى الملبون وزيد في الحسنات الله أكبر كلما دخلوا فجاج مكة آمنين وكلما طافوا بالبيت الحرام وسَعَوْا بين الصفا والمروة، ذاكرين الله

مكبِّرين .

الله أكبر كلما وَقَفُوا بعرفة خاضعين مهللين وداعين . . الله أكبر كلما وقفوا بالمشعرِ الحرام ذاكرين . . . الله أكبر كُلَّما رَمَوْا الجمرات محلِّقين رءوسهم ومقصرين . . .

الله أكبر كلَّما سالت منهم العبراتُ خاشعين لربِّهم راجين وخائفين ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

الحمدُ لله الذي شَرَعَ لعباده عيداً يذكرونه فيه ، ويشكرونه على فضله وإحسانه ، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يستوي عنده ما في سر العبد وإعلانه ، وأشهَدُ أن محمداً عبده ورسوله أرسلَه الله لتبليغ الحق وتبيانه وصلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هاجروا وجاهدوا والذين آووا ونصروا . وسلَّم تسليمًا كثيرًا . . أما بعدُ :

أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه على نعمه العظيمة واعلمُوا أن يومَكُم هذا هو يوم الحج الأكبر ، جعلَه الله عيداً لأهلِ الإسلام ، يأتي بعد يوم عرفة الذي يؤدي الحُجَّاجُ فيه الركنَ الأعظم من أركان الحج ، كما قال ﷺ: «**الحجُّ عرفةُ**» ويومُ عرفة : هو يوم العتقِ من النار ، يعتقُ الله فيه مَنْ وقَفَ بعرفة ، ومن لم يَقِف بها من المسلمين ممَّن تقبَّلَ الله توبته ، وصَلَحَتْ أعمالُه ونيتُه .

فلذلك صارَ اليوم الذي يليه عيداً لجميع المسلمين في جميع أمصارهم من الحجَّاجِ وغيرهم ، لاشتراكهم في العتقِ والمغفرةِ في يوم عرفة ، فكما اشتركوا في المغفرة والعتق من النار يشتركون في هذا العيد الذي يتقرَّبون فيه بذَبحِ القرابين من الهَدي والأضاحي .

فالحُجاجُ يرمُون فيه الجمرةَ ويشرعون في التحلُّل من إحرامِهم ويقضون تفثَهم ، ويوفون نذورَهم ، ويطوفون بالبيت العتيق . وأهل الأمصار يجتمعون على ذكرِ الله وتكبيره ، ويُؤدون صلاة العيد في جمع حاشد ، وفي صعيدٍ واحد ، ثم يذبحون بعد ذلك ضحاياهم ، وقد أمرَ الله نبيه أن يجعلَ شكره على إعطائه الكوثَر أن يصليَ لربه وينحرَ .

فمن خصائص هذه الأيام المباركة ذبحُ الهدي للحجاجِ وذبح الأضاحي للمسلمين من حُجَّاج وغيرهم .

والأضاحي سنة إبراهيم ومحمد صلَّى الله عليهما وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، فإن الله سبحانه شرَعَها لإبراهيم حين فدَىٰ ابنَه الذي أمَره بذبحه امتحانًا له ، فبادَرَ بامتثالِ أمر ربه : ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ** ﴾ . [الصافات : ١٠٣] .

وروىٰ ابن ماجه وغيره من حديثِ زيد بن أرقم: قيل: يا رسولَ الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة إبراهيم»، قيل له: فما لنا بها؟ قال: «بكل شعرة حسنةٌ» قيل: فالصوف؟ قال: «لكل شعرة من الصوف حسنة» وضَحَّىٰ النبي ﷺ بكَبشين أقرنين أملحين، أحدُهُما عن محمدٍ وآلِ محمدٍ، والآخرُ عن أمةِ محمدٍ.

فبادروا رحمَكم الله بإحياءِ سنة المصطفين الأخيار، فإنَّ بعض العلماء يرىٰ أنَّ الأضحية واجبةٌ علىٰ ذوي اليَسار، والجمهور يرون أنَّها سنةٌ، وهو القولُ المختار، وهي أفضلُ عملٍ يعملُه المسلم في هذا اليوم، وذبحُها أفضلُ من الصدقةِ بثمنها، لأنَّ في ذبحِها إحياء للسنة.

وأفضل الأضاحي أكرمُها وأسمنُها وأغلاها ثمنًا، وتجزئ الشاةُ عن الرجل وأهلِ بيته، والبدنةُ والبقرةُ عن سبعةٍ.

والمجزئُ من الضأن ما تمَّ له ستةُ أشهر فأكثر، ومِنَ المعزِ ما تَمَّ له سنةً، ومن البقرِ ما تمَّ له سنتان، ومن الإبل ما تَمَّ له خمسَ سنين، واجتنبوا ذوات العيوب، فإنها لا تجزئ في الأضاحي.

فلا تجزئُ العوراءُ البيِّنُ عَوَرُها، ولا العرجاءُ البَيِّنُ عَرَجُها، وهي التي لا تُطيقُ المشيَ مع الصحاح، ولا المريضةُ البيِّنُ مَرَضُها، ولا الهزيلة التي لا مُخَّ فيها، ولا العوراءُ التي استبانَ عَوَرُها، ولا العضباءُ التي قُطعَ أكثرُ قرْنِها أو أذنها، ولا الهتماءُ التي ذهبتْ ثناياها واقتُلعَتْ من أصولها.

وتجزئ الجمَّاءُ والصمعاءُ وهي صغيرةُ الأذن، أو التي لم يُخْلقْ لها أذنٌ وتجزئ البتراءُ وهي التي قُطعَ ذنبُها أو لم يخلق لها ذنبٌ، ويجزئ الخَصيُّ وهو ما قُطعت خصيتاه، والسنةُ نحر الإبلِ قائمةً معقولة يدُها اليسرىٰ، يطعُنُها في وهدتِها، وهي ما بين أصل العنق والصدرِ، ويذبَحُ الغنم والبقر مضجعة علىٰ جنبها الأيسر، ويقولُ عند الذبح: بسم الله، الله أكبر، اللهُمَّ إنَّ هذا منك ولَكَ، ويتلفَّظُ بالنية، فيقول: عن فلان، ويرفقُ بالحيوان بأن يُحسنَ الذبحَ، ويحد الشفرة، وهي السكين التي يذبح بها في مكان لا تراه البهيمة الأخرىٰ ولا يذبحُ بآلة كالَّة، ويجبُ قطعُ المريء وهو مجرىٰ الطعام والشراب، والحلقوم، وهو مجرىٰ التنفس. وأحدِ الودجين أو كليهما، وهما ـ أي: الودجَان ـ عرقانِ العنق يجري معهما الدم. . .

والسنة أن يقسم لحم الأضحية : أثلاثًا، فيأكلُ ثلثًا، ويهدي إلىٰ أصدقائه ثلثًا، ويتصدَّقُ بثلثٍ علىٰ الفقراء، ووقتُ الذبح من انقضاءِ صلاة العيد إلىٰ آخر اليوم الثالث بعدَ يوم العيد، أي : يوم العيد وثلاثةُ أيام بعده، فينتهي وقتُ الذبح بغروب الشمس ومن اليوم الثالثَ عشرَ من ذي الحجة، والأفضلُ أن يذبَحَها يومَ العيد، وأن يتولّىٰ ذبحَ أضحيَته بنفسه، ويجوزُ له أن يُوكلَ مَنْ يذبُحها عنه بحضوره أو في غيبته، ومن أراد أن يُضَحيَ فإنه لا يجوز له أن يأخذ شيئًا من شعره ولا من أظفاره إلىٰ أن يذبح أضحيته أو يذبحها وكيله.

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. ولله الحمد أيها الناس إنكم اليوم في يوم من أعظم الأيام، في يوم عيدٍ من أعيادِ الإسلام، وأعيادُ الإسلام كلها تأتي بعد أداء رُكنٍ من أركَانِه العظام...

وعيدُ اليوم بعدَ أداء رُكنِ الحج إلىٰ بيت الله العتيق، تتنزلُ المغفرة والعتق من النار في يوم عرفة علىٰ المسلمين، وليس العيدُ لِمَنْ لَبِسَ الجديد، وتجمَّلَ في ظاهرِهِ مع خرابِ باطنه.

ولكنَّ العيدَ لمن أطاعَ الله ظاهراً وباطنًا، وخاف يوم الوعيد، وليس الفرحُ بالعيد من أجلِ حصول المآكل والمشارب والملابس الفاخرة، والمراكب الفخمة، ولكنَّ الفرحَ بالعيد من أجل نيلِ المغفرةِ، والعتق من النار، وأداءِ الطاعات، فمَنْ نالَ من ذلك شيئًا فهذا اليوم له عيدٌ سعيدٌ، وإلا فهو مطرود بعيد... قال الحسن رحمه الله : كل يوم لا نعصي الله فيه فهو عيد، كلُّ يوم يقطَعه المؤمن في طاعة الله وذكرِه وشكره فهو له عيد.

وإذا كانت الأممُ والشعوب غيرُ المسلمة تتخذُ لها أعياداً تخترعُها وتبتدعُها لمناسبات تافهة أو مناسبات باطلة كُفرية شركية، فإنَّ أعياد المسلمين إنماجعلها الله لمناسباتٍ عظيمةَ وبعدَ انقضاء مواسم جليلة، فهي تأتي بعدَ أداءِ أركانِ الإسلام ونزول المغفرة والإنعام.

فاحمدُوا الله وأشكروه، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ**

﴿لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٧]. الله أكبر . الله أكبر . ولله الحمد .

الخطبة الثانية ليوم النحر

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

الحمدُ لله معيد الجمع والأعياد، ليُفيضَ فيها من الخيرات على العباد، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ادَّخرَها ليوم المعاد، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله أرسلَه رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، فَبَلَّغ الرسالةَ وأدَّىٰ الأمانة، وجاهَدَ في الله حقَّ الجهاد. صلَّىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه صلاةً وسلامًا دائمين إلىٰ قيام الأشهاد... أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ نعمةِ الإسلام الذي أكملهَ لكم وأتمَّ عليكم به النعمةَ ورَضِيَه لكم دينًا.

في «الصحيحين» أنَّ رجلاً من اليهود قال لأمير المؤمنين عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه: يا أميرَ المؤمنين آيةً في كتابكم لو علينا نَزَلتْ معشرَ اليهود لاتَّخذنا ذلك اليومَ عيدًا فقال: أيّ آية: قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فقال عمر رضي الله عنه: إنِّي لأعلمُ اليومَ الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه. نزلت ورسول الله ﷺ وهو قائمٌ بعرفةَ يومَ جُمعة.

عباد الله: إذا تأملنا ما تضمنَّته هذه الآيةُ العظيمة واليومَ الذي نزلت فيه أدركنا عظمةَ مضمونها وعظمةَ اليوم الذي نزلت فيه، وعظمة الأيام التي تليه، إنها تتضمَّنُ امتنان الله علىٰ عباده المؤمنين بإكمال دينهم لهم، فلم يبقَ فيه نقصٌ في تشريعاته وأحكامِه، ولم يتطرَّقَ إليه خَلَلٌ في نظامِه، ولم يدخُل التحريفُ والتبديلُ والزيادة والنقص في مصادره التي يُرْجَعُ إليها لمعرفة تفاصيل أحكامه. وهي الكتاب والسنة، فقد تكفَّلَ الله بحفظها فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال ﷺ: «**إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلُّوا: كتابَ الله وسنتي**».

فهو دين متكامل، ونظامٌ شاملٌ لمصالح العبادِ وصالحٌ لكل زمان ومكان ما بقيت الدنيا ومن عليها، وهو مع ذلك محفوظٌ من العبث والتغيير والتبديل، كاملٌ في أصوله وفروعه وفي مبانيه ومعانيه، في عباداته ومعاملاته، شاملٌ لنظام الأمة والأفراد، كفيلٌ بجلب المصالح، ودفع المفاسد، وحماية الحقوق، وردعِ المفسدين، وفصل الخصومات، وقطع المنازعات، وتوفير أساليب السياسة الداخلية والخارجية، لا يعتريه نقصٌ ولا يتطرَّقُ إليه خَللٌ.

﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

يسعُ العالـمَ كلهم العيشُ تحت ظله، ويشمَلُهم بعدله، شَهِدَ الله له بالكمال، وبأنه أعظمُ نعمةٍ أنعمَها على المسلمين، وأنه لا يرضىٰ بدين سواه.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فمَنْ زَعَمَ أنَّ الإسلام لا يصلُحُ لهذا الزمان أو شكَ في صلاحيته، أو قالَ: إنه مختصٌ بعلاقة العبد بربه، وأمَّا شئون الناس فيما بينَهم وشئونُ السياسة والاقتصاد والحكم فإنَّ الإسلامَ لا يتناولُها، وإنما هي متروكة للبشر يضعون لها القوانين التي يرونها مَنْ قال هذا أو اعتقده فهو كافرٌ مرتدٌّ عن دينِ الإسلامِ مكذِّب لله تعالىٰ في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. يجبُ أن يُستتابَ فإن تاب وإلا قُتل مرتداً.

عبادَ الله: وإذا تأملْنا اليومَ الذي نزلت فيه هذه الآية وهو يومُ عرفة، وفي يوم الجمعة أدْركنا شرفَ الزمانِ الذي نزلت فيه فهو خير يوم طلعت فيه الشمسُ، وأدركنا عظمةَ هذا اليوم الذي نحن فيه وهو يومُ النحر الذي يلي عرفة، وهو يومُ الحج الأكبر، وقد خطَب فيه النبيُّ ﷺ فقال: «**أتدرون أيُّ يوم هذا**»؟ قلنا: الله ورسولُه أعلمُ، فسكتَ حتَّىٰ ظنَّنا أنَّه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس ذا الحجة؟**» قلنا: بلىٰ: قال: «**أي بلد هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكتَ حتَّىٰ ظننا أنه سيُسَميه بغير اسمه، قال: «**أليست البلدةَ؟**» قلنا بلىٰ: قال: «**فإنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلىٰ يوم تلقون الله ربكم، ألا هل بلغتُ؟**» قالوا: نعم، قال: «**اللهم فاشهَدَ فليبلغ الشاهدُ الغائبَ فرُبَّ مبلغ أوعى من سامعٍ، فلا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضكم**

رقاب بعض» رواه أحمد والبخاري، فبين أنَّ حرمةَ الدماء والأموال كحرمةِ الشهر الحرام في البلد الحرام.

فاتقوا الله أيها المسلمون وعظموا حرماته، ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحقِّ، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، اجتنبوا الربَا، والرشوةَ، والخيانةَ، والسرقة، والغش في المعاملات والمقاولات والأعمال والبيع والشراء، فإنَّ من غشَّ المسلمين فليسَ منهم، وحافظوا على الصلواتِ، والجُمَع والجماعات، ووقِّروا اليمين بالله في خصوماتكم. وتجنَّبوا شهادةَ الزُّورِ في بيناتكم، فإنَّ شهادةَ الزور قرينةُ الشرك في كتاب الله قال الله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠].

غُضُّوا أبصارَكم، واحفظوا فروجَكم، واستُروا نساءكم بالحجاب الضافي من الثياب، وامنَعُوهن من الخروج من البيوت إلا لما لا بُدَّ منه مع التستر وعدم التبرُّجِ بالزينة، ومع تجنُّبِ مخالطة الرجال والخلوةِ معَ غير محرمها في مكانٍ خالٍ أو في سيارةٍ.

واحذَروا أيُّها الرجالُ من إسبال الملابس فإن الإسبالَ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوب، وما كان أسفلَ الكعبين فهو في النار ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهُمَّ صَلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى أصحابه أجمعين، وخُصَّ اللهم الخلفاء الراشدين: أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا، وسائر الصحابة بالرحمةِ والرضوان، والتابعين لهم بإحسانٍ.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين وأذلَّ الشركَ والمشركين، واحم حوزةَ الدين، اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائرَ بلاد المسلمين، اللهُمَّ أقم علم الجهاد واقمَعْ سبيلَ أهلِ الشرك والريب والفساد وانشُر رحمتك على هؤلاء العباد، يا مَنْ له الدنيا والآخرة وإليه المعادُ.

عباد الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكُركُم، واشكروه على نعمِهِ يزدكم، ولذكرُ الله أكبر والله يعلم ما تصنعُون.

بسم الله الرحمن الرحيم

استقبال شهر رمضان المبارك

الحمد لله الذي جعل لعباده مواسمَ للخيرات، يتسابقون فيها بأنواع الطاعات، ويتوبون من السيئات، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وما له من الأسماء والصفات، وأشهَدُ أن محمداً عبدُه ورسوله أولَ سابقٍ إلى الخيرات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كلُّ أوقاتهم طاعاتٌ. وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله واغتنموا مواسم الخير قبل فواتها، وحاسبوا أنفسكم عن زلاَّتها وهَفواتها، واعلَمُوا أنَّ الفرَصَ لا تدومُ، وأنَّ الأعمار محددة بأجلٍ معلوم، وسيَحِلُّ بكم شهرٌ عظيم وينزلُ بكم ضيفٌ كريم.

﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٥].

جعَلَ الله صيَامَه أحدَ أركان الإسلام، وقيامَ ليله من النوافل العظام، وهو شهرُ الصبر، وشهر الإحسان، وشهر التلاوة للقرآن، وشهرُ الرحمة والمغفرة والعتق من النيران، وشهرُ مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات، شهر ينتصرُ فيه الحقُّ على الباطل، فيتغلَّبُ فيه المؤمنُ على النفس الأمارة بالسوء، ويُغَلُّ فيه الشيطانُ، فتزولُ المعوقاتُ عن فعل الطاعات، شهرٌ فيه ليلةٌ خير من ألفِ شهر، مَنْ حُرِمَ خيرَهَا فقد حُرِمَ، فاستقبلوا رحمكم الله هذا الشهرَ بما يليقُ به من الاحترام واسألُوا ربكم أن يبلغكم إيَّاهُ، ويعينكم فيه على فعلٍ ما يرضيه، ويتقبلُ منكم صالحَ الأعمال، فإنَّ مَنْ بلَّغه الله شهر رمضان، ومكَّنه فيه من فعل الخيرات فقد مَنَّ عليه بنعمةٍ عظيمة يجبُ عليه أن يفرَحَ بها غايةَ الفرح، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: ٥٨].

فالفرحُ المحمود إنَّما يكونُ بفضل الله ورحمته، وهو الفرحُ بالهُدى ودينِ الحق الذي جاءَ به رسولُ الله ﷺ- ولا سيِّما في مواسم الهُدى والدين كهذا الشهر المبارك، فإن المؤمن يفرَحُ بقدومه ويستبشر بحلوله وإدراكه لينالَهُ من خيره ويصيبَ من برِّه ونفحاته، وأمَّا الفرحُ بحصول مطامع الدنيا وملذَّاتها فهو فرحٌ مذموم. قال تعالى: ﴿ **وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ** ﴾ [الرعد: ٢٦].

وهذا الفرح هو الذي لا يحب الله أهله كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

لأنه فرحٌ بمتاعٍ زائل، وفرحٌ يبعثُ على الأشَرِ والبَطَرِ، ويُلْهي عن الطاعةِ، وينسي الآخرة.

أيها المسلمون: إنَّ أعظمَ ما يُتقربُ به إلىٰ الله في هذا الشهر وفي غيره هو المحافظةُ علىٰ الفرائض وأداء الواجبات، وتركُ المعاصي والمحرمات، يقولُ الله تعالىٰ في الحديث القدسي: **«وما تقربَ إليَّ عبدي بمثلِ ما افترضتُه عليه»** وأعظمُ فرائض الله بعد الشهادتين أداءُ الصلوات الخمس في مواقيتها في بيوت الله مع جَماعة المسلمين، فحافظُوا عليها في شَهْرِ رمضان وغيره، فإنَّ بعضَ الناس يتساهَلُون بأداء هذه الصلوات طولَ السنة، فإذاجاء شهرُ رمضان اجتَهَدُوا فيه وهم مضيِّعُون للصلوات الخمس قبلَ رمضان وبعدَه، فهؤلاء لا ينفعُهم اجتهادهم في رمضان، لأنَّهم مثلُ مَن يحاول الحصول علىٰ ربح وليس معه رأسُ مال، والربحُ لا يتحقق إلا بعد سلامة رأس المال، كذلك الاجتهادُ في النوافل أو الاجتهادُ في بعض الأوقات لا ينفعُ مع تضييعِ الفرائض، لكن مَنْ كان مضيِّعًا مُفرِّطًا فيما مضىٰ، ثم تَنَبَّهَ لَمَّا جاء شهر رمضان، فتاب إلىٰ الله توبةً صحيحةً يستمرُّ عليها في المستقبلِ طولَ حياته، فإنَّ الله يتوبُ عليه، ويكونُ شهر رمضان سببًا ليقظته ومبدأ لتوبته.

ومن أعظم فرائض الله في شهر رمضان بعدَ الصلوات الخمس صيامُ أيامه الذي جعلَه الله أحدَ أركان الإسلام، ومبانيه العظام، قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فيجبُ علىٰ كل مسلمٍ بالغ عاقل مقيم يستطيعُ الصيام أن يصومَ هذا الشهرَ عبادةً لله تعالىٰ، وطاعة له، رجاء لثوابه، وخوفًا من عقابه، وقد حدَّد الله صيامَ الشهر بما بين الهلالين، هلال دخولِه وهلال خروجه. قال ﷺ: **«صُومُوا لرؤيته، وأفطرُوا لرؤيته»** وحدَّد سبحانه الصوم اليومي بما بَيْنَ طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس. قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والصيام هو الإمساكُ بنيةٍ عن المفطرات: من طلوع الفجر الثاني إلىٰ غروب الشمس، ويسَنُّ تأخيرُ السحور إلىٰ ما قبلَ طلوع الفجر وتعجيل الإفطار عند تحقق غروب الشمس،

ويرجعُ في وقتِ الإمساك والإفطار إما إلى رؤية الفجر والغروب إذا تمكَّنَ الصائم من رؤيتهما بنفسه، أو خبرِ ثقة بذلك، أو أذانِ المؤذن الذي يتقيد بالوقت، فيؤذن عند طلوع الفجر وغروب الشمس، فإن المؤذن مؤتَمَن ومتحمِّلٌ لمسئولية عظيمة، لأن الناسَ يصومون ويُفطرون بأذانه، ويُصلون كذلك اعتماداً عليه.

فاتقوا الله أيها المؤذنون وراقبوا الوقتَ مراقبةً دقيقة ولا تُؤذنوا إلا عند دخول الوقت، لا تتقدمُوا عليه ولا تتأخروا عنه فتغروا الناسَ، وتتحمَّلُو آثامَهم، فإن بعضَ المؤذنين لا يُبالي متى أذَّنَ، فمنهم من يؤذِّنُ قبلَ دخول الوقت، ومنهم مَنْ يؤذِّنُ متأخراً، فيصومُ الناس أو يفطرون على آذانه في غير وقت الصيام والإفطار، فيتحمَّلُون أوزارَ الناس بسبب إهمالهم.

إنه إذا تأخَّر المؤذِّنُ على الأذان مع طلوع الفجر، فلا يجوزُ له أن يؤذِّنَ بعد ذلك لئلاَّ يَغرَّ الناسَ، بل يكتفي بأذان مَن حولَه من المساجد، ولا يجوزُ لكم أيها المسلمون أن تعتمدوا على أذانِ هذا المؤذن المتساهلِ إذا تأخَّرَ عن المؤذنين كثيراً، لأنه أصبحَ غير ثقة، فاتقوا الله وتنبهُوا لذلك. ثم اعلَمُوا ـ وفَّقكم الله ـ أن من أعظم المزايا التي اختَّص بها هذا الشهر المبارك صلاةَ التراويح، فهي سنةٌ مؤكدة لا ينبغي للمسلم تركها، ويستَحبُّ فعلُها جماعة في المسجد لأنها من الشعائر الظاهرة، وقد قال ﷺ: «**مَنْ قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**».

وليس لعددِ ركعات التراويح حد معين فللإمام أن يصلِّي عشرين ركعة، وله أن يصليَ ستًا وثلاثين ركعة، وله أن يُصليَ إحدىٰ عشرة ركعة، أو ثلاثَ عشرة ركعةً، فإنَّ كلَّ عدد من هذه الأعداد قال به جماعة من الأئمة، والراجحُ أن من أراد أن يطيل الصلاة قلَل عدد الركعات كما كان يفعل النبي ﷺ ومن أرادَ أن يخفِّفَ الصلاةَ أكثر من عدد الركعات. والأمر في هذا واسعٌ، لكن لا يجوزُ للإمام أن يُخففَ صلاةَ التراويح تخفيفًا مخلاً، فيُسرعَ بالقراءة سرعةً يسقُط معها بعضُ الحروف أو لا يستفيدُ منها مَنْ وراءَه أو يُخففَ الركوع والسجود بحيث لا يستطيع من وراءه أن يأتي بالتسبيح الواجب، ولا يطمئن الطمأنينة المطلوبة.

فاتَّقُوا الله أيُّها الأئمة في صلاتكم، واتقوا الله فيمَنْ خلفكم، فأَتقنوا القراءة، وأتقنوا الصلاة، وأخلصوا عملَكم لله.

ومما يجبُ التنبيهُ عليه أنَّ بعض الأئمة ـ هداهم الله ـ تنتشرُ أصواتهم في الصلاة خارج المساجد في رمضان وغيره، وذلك بواسطة مكبرات الصوت، وذلك لا يجوز لأنه يشوه العبادةَ ويشُوشُ علىٰ مَن حوله من المساجدِ الأخرىٰ، والمطلوبُ من الإمام أن يقتصر سماعُ صوته علىٰ من خلفه فيجبُ حصرُ الصوتِ داخل المسجد، وقد تسبَّبَ من انتشار أصوات المكروفونات بالصلاة خارجَ المساجد مفسدةٌ أخرىٰ، وهي تأخُر الكسالىٰ عن الحضورِ للصلاة خصوصًا صلاة الفجر، فإنَّ أحدهم يبقىٰ في منامه إلىٰ أن يسمَعَ قراءة الإمام، وحينئذ لا يمكنُه إدراكُ الصلاة أو إدراك معظمها، ولقد كَثُرَ التأخر من إدراك الصلاة لهذا السبب فيجبُ منعه.

واتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ وبادروا مبكرين بالحضور إلىٰ الجُمع والجماعات.

لتنالوا الأجورَ وتكفيرَ السيئات ورفعةَ الدرجات، وخذُوا علىٰ أيدي الكُسالىٰ من أولادكم وإخوانكم وجيرانكم ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة: ٢].

بارك الله لي ولكم

من الخطبة الثانية في استقبال شهر رمضان

الحمدُ لله رب العالمين علىٰ فضله وإحسانه، أمرَ باغتنام الأوقات قبلَ فواتها. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُبوِّيءُ من قالها عاملاً بها من الجنة أعلىٰ درجاتها، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أمرَ بمحاسبة النفوس عن هفواتِها، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وعظِّموا شهرَ رمضان كما عَظَّمَهُ الله، وذلك باغتنامه والمحافظة علىٰ صيامِه وقيامه، وصيانته عن تعاطي ما حرَّمَ الله، فإنه سيكونُ شاهداً لكم أو عليكم بما فعلتُموه فيه من حسن أو قبيح، فإنَّ بعض الناس يزيدُ شرُّهم في رمضان عن غيره، لأنهم لا يعرفون له حرمةً، ولا يُقدرون له قيمةً، ولا يخافون مما يُسَجَّلُ عليهم فيه من مخالفات وآثام.

فتجدُ أحدَهم جيفة في النهار مستغرقًا في نومه لا يهتَمُّ بصلاة ولا غيرها من الأعمال

الصالحة، وفي ليالي رمضان يسهرُ على القيل والقال والأكلِ والشُّرب ومشاهدة المسلسلات والتمثيليات واستماع الأغاني والمزامير، أو لعبِ الورقِ أو لعبِ القمار، لا يُصَلِّي فيه ركعةً من النوافل، بل قد يتركُ صلاةَ الفريضة.

والبعضُ الآخر يتسيَّبُ في الشوارع لملاحقة النساء اللاتي يخرُجْنَ من بيوتهن فاتنات مفتونات، كاسياتٍ عاريات، مائلاتٍ مميلات، قد جنَّدَهن الشيطانُ للفتنة، فهُنَّ حبائلُ الشيطان اللاتي يصطادُ بها مَنْ أراد الله فتنتَهُ من الرجال، وأولياءُ أمور هؤلاء النسوة يقفون منهن مكتوفي الأيدي لا يُنكرون ولا يغارون، عميٌ لا يُبصرون، بُكم لا ينطقون.

والبعض الآخر من الناس يعتبرُ شهر رمضان موسمًا للتجارة الدنيوية، فيمضي معظم وقتِه في متجره، وربَّما لا يحافظُ على صلاة الفريضة في الجماعة فضلاً عن صلاة التراويح، فأي شيء اكتسبَه هؤلاء من شهر رمضان سوى الإفلاس والآثام، إنَّها لَمَّا كَثرت أسبابُ المغفرة في رمضان كانَ الذي تفوته فيه المغفرة محرومًا غاية الحرمان، فقد صَعِدَ النبيُّ ﷺ المنبر فقال: «آمين. آمين. آمين» قيل: يا رسول الله إنك صعدت المنبر.

فقلتَ: آمين، آمين، آمين. فقال: «**إن جبريلَ عليه السلام أتاني، فقالَ: من أدركَ شهر رمضان فلم يُغفَرْ له فدخلَ النار، فأبعده الله، قُلْ آمين، فقلتُ: آمين**» الحديث رواه ابنُ حبان.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وعَظِّموا شهرَ رمضان كما عَظَّمه الله واغتنموه كما أمركم الله واعلَموا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في آخر جمعة من شعبان

بيان ما يثبُتُ به دخول شهر رمضان المبارك وخروجه

الحمد لله الذي جعل الأهِلَّة مواقيتَ للناس، يعرفون بها أوقاتَ عباداتهم وآجالَ معاملاتهم، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبدُ إلا إيَّاهُ له الملك وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قدير، وأشهَدُ أن محمدًا عبدهُ ورسوله. حدَّدَ لأُمَّته بدايةَ الصيام ونهايته، فقال: «**صُوموا لرؤيتِه، وأفطِرُوا لرؤيته، فإنْ غُمَّ عليكم فأكمِلُوا عدةَ**

شعبانَ ثلاثينَ يومًا» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلمُ تسليمًا كثيراً.

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه على تيسيره ﴿**هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ**﴾ [المائدة: ٦]

ومن تيسير الله ورفعه الحرج عنا أنْ حدَّد بداياتِ مواقيت العبادات ونهايتَها بعلامات واضحة يعرِفُها كلُّ أحدٍ من العامة والمتعلمين.

ومن ذلك بدايةُ شهر رمضان المبارك ونهايتهُ، قالَ ﷺ: «**لا تصوموا حتى تَرَوا الهلالَ، ولا تُفطروا حتى تروه فإنْ غُمَّ عليكم فأكملُوا العدَّةَ ثلاثين**» .. فقد بيَّن ﷺ أنه يجبُ الصيام والإفطارُ بأحد أمرين.. رؤيةِ الهلالَ، أو إكمالِ عدة الشهر ثلاثين. وإذا رآه واحدٌ من المسلمين عند دخوله ثبتَتْ بدايةُ الشهر ولَزِمَ المسلمينَ الصيامُ، فليس من شرطه أن يراهُ جماعة من الناس قالَ جابر رضي الله عنه: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: إنِّي رأيتُ الهلالَ (يعني: هلالَ رمضان): فقالَ النبيُّ ﷺ: «**أتشهَدُ أنْ لا إله إلا الله؟**» فقال: نعم، قال: «**أتشهَدُ أنَّ محمداً رسول الله؟**» قال: نعم؟ قال: «**يا بلالُ، أذِّنْ في الناس أن يصوموا غداً**» رواه أبو داود.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قالَ: تراءَىٰ الناسُ الهلالَ، فأخبرتُ رسولَ الله ﷺ أنِّي رأيتُه، فصامَ وأمرَ الناسَ بصيامه.

وأما الشهادةُ بخروج شهر رمضان فلا بُدَّ فيها من شهادة رجلين. قال الإمام ابن القيم رحمه الله، وكانَ من هدْيِه ﷺ أمرُ الناس بالصومِ بشهادة الرجل الواحد المسلم، وخروجهم منه بشهادة اثنين، انتهى. وذلك ـ والله أعلم ـ لأنَّ الدخول لا تُهمةَ فيه، فقُبل فيه خبرِ الواحد، ولأنه أحوطُ للعبادة، وأمَّا الخروجُ فلوجودِ التُّهمة فيه بالرغبة في الإفطار لم يُقْبل فيه إلا شهادةُ عدلين واحتياط للعبادة، ولأنَّ الأصلَ بقاءُ رمضان، ولا يخرجُ عن الأصلِ إلا بيقين.

والأمر الثاني: مما أمَرَ النبيُّ ﷺ أن يُصام ويُفطَرَ بموجبه إكمال الشهر ثلاثين يومًا عندما لا يرىٰ الهلال، لأن الأصلَ بقاءُ الشهر واحتياطًا للعبادة في الخروج، وإذا كان الأمرُ كذلك فإنَّ مَنْ زعمَ أنه يُصام ويفطر بغير هاتين العلامتين اللتين حدَّدهما رسولُ الله ﷺ لأمته كمن يقولُ: إنه يُصامُ ويُفطرُ بناءً على خبرِ الحاسب وخبر الفلكيين، فقد زادَ ما

شَرَعَهُ الله ورسوله وأجمع عليه المسلمون، زاد علامة ثالثة ابتدعها من عنده: «وكل بدعة ضلالة».

فإنَّ هناك جماعة من أدعياء علم الحساب الجهلة يشوِّشون على الناس كل عام، ويشكِّكون في رؤية الهلال ويغلِّطون من رآه ويتهمونه بالكذب إذا خالف تخرُّصاتهم ويريدون من المسلمين أن يبنوا صومَهم وفطرَهم على قول أهل الحساب، لأنَّهم بزعمهم أضبطُ، وفي هؤلاء يقول شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: إنِّي رأيتُ الناسَ في شهر صومهم، وفي غيره أيضًا منهم مَنْ يُصغي إلى ما يقوله بعض جهال أهل الحساب من أنَّ الهلالَ يُرى أو لا يرى، ويَبني على ذلك إما في باطنه، وإما في باطنه وظاهره، حتى بلغني أنَّ منَ القضاة مَنْ كان يردُّ شهادةَ العدد من العدول لقول الحاسب الجاهل الكاذب أنه يُرى أو لا يُرى، فيكون ممَّن كَذَّبَ بالحقِّ لَمَّا جاءَه - إلى أن قال:

فإنَّنا نعلَمُ بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ العملَ في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المعلَّقة بالهلال بخبر الحاسب أنه يُرى أو لا يرى لا يجوزُ، والنصوص المستفيضة عن النبي ﷺ بذلك كثيرة، وقد أجمَع المسلمون عليه ولا يُعرف فيه خلافٌ قديم أصلاً، ولا خلافٌ حديث... انتهى.

وقول هؤلاء الجهال يُعتبرُ بدعةً في الدين، لأنَّه مخالفٌ لما أمرَ به النبي، وقد قالَ ﷺ: «مَنْ عَملَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ» وفيه طعنٌ بالشهود العدول ووصفُهم بالكذب والزُّورِ، وفيه بلبلةٌ لأفكارِ العوامِّ، وتشويشٌ على المسلمين، وفيه طعنٌ في القضاة واتهامُهم بالتساهُلِ في قبول شهادة الشهود، إبطالٌ لحكمِهم بذلك، وفيه طعنٌ في ولاة أمور المسلمين الذين يُنفذون حكمَ القضاة ويأمُرون الناسَ بالصوم والفطر بموجبه.

وهذا الذي يقولونه مع أنه يتضمَّنُ كل هذه المحاذير وأكثر منها فيه تعريضٌ لصيام المسلمين وإفطارهم للخطر فإنَّ عملَ الحاسب عرضةٌ للخطأ، لأنَه عملٌ بَشَري، ولا يخلوا من التخرّص، وهو أيضًا إحراجٌ وتضييق لأنَّ الحسابَ لا يعرفُه كلُّ أحدٍ، ولا يتوفر المختصون فيه في كل زمان ومكان لو فرضنا صحةَ الأخذ به وسلامتَه من الخطأ وهو فرض بعيد، ودينُنا مبنيٌّ على اليُسر والسهولة والحمد لله لا تعقيدَ فيه؛ ولذلك أحالَ المسلمين في فطرهم وصيامهم على علامةٍ واضحة يعرفُها كلُّ أحد وفي كلِّ مكان وزمان، للحاضرة والبادية، للجماعات والأفراد، للمتعلمين والعوام. فالحمدُ لله على التيسير،

فلا تغترُّوا أيها المسلمون بما يقولُه هؤلاء فإنه شذوذٌ وجهلٌ وشرعُ دين لم يأذنْ به الله.

صُوموا مع جماعة المسلمين وأفطرُوا. كما أمركُم النبيُّ ﷺ بذلك في قوله: **«صومُكُم يومَ تصومون وفطرُكم يوم تُفطرون»** رواه الترمذي وغيره، وقال الإمام أحمد وغيره: يصومُ ويُفطرُ معَ الإمام وجماعة المسلمين في الصحو والغيم، وقال: يد الله على الجماعة، ولو قُدِّرَ أنَّ المسلمين اجتهدوا في تحرِّي الهلال ليلةَ الثلاثين فلم يروهُ فأكملوا الشهرَ ثلاثين، ثم تبيَّن بعد ذلك أنه قد رئيَ في تلك الليلة فإنهم يقضُون اليومَ الذي أفطَروه ولا حَرَجَ عليهم وهم معذورون ومأجورون.

وأما لو صاموا بخبرِ الحاسب فإنهم آثمون لو أصابوا؛ لأنَّهم فعلُوا غيرَ ما أُمروا به، ثم إنَّ عملَهم بقول الحاسب قد يؤدي إلى أن يصوموا قبلَ وقت الصيام، وقد نهى النبيُّ ﷺ عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين.

قال عليه الصلاة والسلام: **«لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين»** رواه أبو داود، كما أن علمهم بذلك قد يؤدي إلى أن يصام يوم الشكِّ، وهذا يخالفُ قولَه ﷺ: **«فإن غُم عليكم فأكملُوا عُدَّةَ الشهر ثلاثين»**.

وقال عمارُ بن ياسر رضي الله عنه: (مَنْ صامَ اليومَ الذي يُشَكُّ فيه فقد عَصَى أبا القاسم ﷺ) رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي، ورواه البخاري تعليقًا وقد يؤدي العملُ بقول الحاسب إلى التأخُّرِ في الصيام عن أول الشهر.

قد يقول بعض المتحذلقين: أنَّ العلمَ قد تطوَّرَ، ويعنون بالعلم تقدمَ الصناعة والمخترعات الحديثة والدراسات الفلكية، ويقولون: إنَّ علمَ الحساب قد تطور وصار بإمكان الحاسب أن يعرفَ ما إذا كان الهلالُ يُرىٰ أو لا يرىٰ... ونقول لهؤلاء أولاً: علمُ الحساب كان موجودًا من قديم، ولم يعوِّلْ عليه الشارع، لأنه عُرضةٌ للخطأ والاختلاف، فأهلُ الحساب لا يتفقون أبدًا.

ثانيًا: العباداتُ توقيفية مدارُها على الأمرِ والنهي، وقد أمرَ الشارع بالصوم لرؤيةِ الهلال، والفطرِ لرؤيته، ونَهَىٰ عن الصوم والإفطارِ بدون رؤيةِ الهلال أو إكمال ثلاثين تيسيرًا على العباد وإبعادًا لهم عن الشكوك والأوهام عَلَّقَ الحكمَ على شيء محسوس ليس فيه مجالٌ للاختلاف.

ولا مانعَ من استعمال الآلاتِ التي تُساعد على الرؤيةِ كالمراصد والمناظر المكبرة إذا تيسَّر

ذلك بدون تكلُّفٍ، ولسنا مُلزَمين بإيجادها واستعمالِها، لكن لو وُجدت فلا مانع من الاستعانةِ بها.

فاتقوا الله أيها المسلمون ـ وتقيَّدوا بما شرَعَه الله لكم فإنَّ فيه الكفايةَ والهدايةَ أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في بيان ما يثبت به دخول شهر رمضان وخروجه

الحمدُ لله الذي أنعَمَ علينا بنعمه الباطنة والظاهرة، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدَّخرها للدارِ الآخرة، وأشهَدُ أن محمداً عبدُه ورسوله المؤيدُ بالمعجزات الباهرة، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ: أيُّها المسلمون: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله تعالىٰ وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، واعلَمُوا أنه لا يجوزُ صومُ يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان إذ لم يُرَ هلالُ رمضان بسبب الغيم أو القتر، لأنَّ النبي ﷺ أمرَ باعتبار هذا اليوم من شعبان، حيث قال: «**فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين**» رواه البخاري ويجوز صوم هذا اليوم تطوعًا، إذا كان عادته صيام يوم الإثنين والخميس وصادَفَ يومُ الشك أحدَ هذين اليومين، فإنه يصومُه تطوُّعًا علىٰ عبادتِه، وكذا مَنْ عليه قضاءٌ من رمضان سابق، فإنه يصومُ هذا اليوم عن ذلك القضاء.

لأنَّ الممنوعَ صيامُهُ علىٰ أنه رمضان الجديد من باب الاحتياط أو اعتمادًا علىٰ قول أهلِ الحساب أنه من رمضان، لأنَّ ذلك بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهم صلِّ وسلم علىٰ نبينا محمد... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض أحكام الصيام

الحمدُ لله ذي الفضل والإنعام، أوجَبَ الصيامَ على أمة الإسلام، وجعَلَه أحدَ أركان الدين العظام، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله أفضلُ من صلَّى وصام وأطاعَ أمر ربه واستقامَ. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واشكروه على بلوغ شهر رمضان، واسألُوهُ التوفيق والإعانة على اغتنام أوقاته بالطاعة، وأن لا يجعلَكم فيه من أهل التفريط والإطاعة، فإنه إنَّما يفرحُ بطولِ العمر لأجل إدراك مواسمِ الخيرات، والإكثار من الطاعات.

وفي الحديث: «**خيرُكم مَنْ طالَ عمرُهُ وحسنَ عمله**» ولا يُفرحُ بطولِ العمر من أجلِ العيش في الدنيا فقط لأنَّ العيش في الدنيا في غيرِ الطاعة ينتهي سريعًا ويعقب حسرة وندامة يوم القيامة.

وأمَّا العيشُ في الدنيا في الطاعة فإنه يبقى أثرُه ويمتدُّ خيره إلى ما لا نهايةَ، لأنَّه يتَّصلُ بعيشِ الآخرة، وقد قال النبيُّ ﷺ «**اللهمَّ لا عيشَ إلا عيش الآخرة**» وقال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧].

فحياةُ المؤمن ممتدةٌ متواصلةٌ بالخير والسرور في دنياه وفي قبره ويوم نشوره. ففي الحياةِ الدنيا يتلذَّذُ بالطاعة ويطمئنُ قلبُه بذكرِ الله، فيعيشُ فيها منشرحَ الصدر قرير العين، وفي قبره يُفْتَحُ له بابٌ إلى الجنة، فيأتيه من طيبِها ونعيمها، ويقالُ له: نَمْ نومةَ العروس لا يوقظُهُ إلا أحبُّ أهلِه إليه، وفي بعثه يُبْعَثُ على أحسنِ حال، فيحاسَبُ حسابًا يسيرًا، وينقلبُ إلى أهله مسرورا ويدخلُ الجنة دار النعيم خالدًا مخلدًا فيها لا يَمَسَّهُ نَصَبٌ، ولا يخشى موتًا ولا همًّا ولا مَرَضًا ﴿**وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر: ٤٨].

وأما الكافرُ فإنه وإن حيزت له الدنيا بحذافيرها فإنه يعيشُ فيها مهمومًا مذمومًا وتزولُ

عنه سريعًا، ثم يموتُ ويعذَّبُ في قبره، ثم يبعثُ إلى النار وبئسَ القرارُ، هكذا عذابٌ متواصل، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤].

عباد الله: وإنَّ من أعظمِ ما يمُرُّ في عمرِ المؤمن إدراك مواسم الخير، التي من أعظمها شهرُ رمضان المبارك، فإنه أعظمُ كسبٍ في حياة المؤمن، وفي حديث الثلاثة الذين استشهد منهم اثنان وبقيَ الثالثُ بعدَهما، وماتَ على فراشه، فرُئي سابقًا لهما، فتعجَّبَ الناس من ذلك. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أليسَ عاش بعدهما وصلّى كذا وكذا وأدركَ شهرَ رمضان فصامَه، والذي نفسي بيده إنَّ بينَهما كما بينَ السماء والأرض**». فاحمدُوا الله - أيُّها المسلمون - على بلوغِ هذا الشهر، وأكثروا فيه من فعلِ الطّاعات واكتساب الحسنات.

واعلَمُوا أنَّ أعظمَ عمل شرَعه الله في هذا الشهر بعدَ الصلوات المفروضة هو الصيام، فقد جَعَلَ الله صَوْمَ هذا الشهر أحدَ أركان الإسلامِ، فمن جحدَه فهو كافرٌ مرتدٌّ عن دين الإسلام، ومَنْ أقرَّ بوجوبه ولم يَصمْه تكاسُلاً فهو مستحقٌّ لأعظم الوعيد، ويجبُ عليه التوبة إلى الله وقضاء ما أفطر منه ومن علم بفطره من المسلمين وجب عليه أن يرفع عنه لولاة الأمور ليؤدِّبوه ويُلزِمُوه بالصيام، ويجبُ الصيام على كُلِّ مسلم بالغ عاقل مقيم صحيح.

وأمّا الصغيرُ الذي دون البلوغ فلا يجبُ عليه، ولكن يؤمَر به إذا كان يُطيقُه ليعتادَه ويتربَّى عليه، ويكونَ له نافلة ولوليه أجرًا.

وأمَّا المسافرُ والمريض فيُفطران ويقضيان من أيام أُخر.

ومَنْ زالَ عقلُه بجنون دائم أو كبرٍ وهرَم، فلا صومَ عليه.. وأمَّا الكبيرُ الذي يعقلُ ولكنَّه لا يستطيعُ الصيامَ لضعف بدنه وقواه، فإنه يجبُ عليه أن يُطْعِمَ عن كل يوم مسكينًا. ومثلُه المريض الذي لا يستطيعُ الصوم، والمرضُ مستمر معه دائمًا فإنه لا صومَ عليه، ويُطعمُ عن كُلِّ يوم مسكينًا.

عبادَ الله: والصوم، معناه الإمساك عن المُفطرات بنيةٍ من طلوع الفجرِ الثاني إلى غروب الشمس.

والمفطرات: هي الأكلُ والشرب فمَن أكَلَ أو شَرِبَ متعمدًا بطلَ صومُه ويجب عليه التوبةُ إلى الله والإمساك بقيةَ يومه ثم يقضي ما أفطره.

ومَنْ أكلَ أو شرب ناسيًا فلا حَرَجَ عليه، وصومُه صحيح.

ومثلُ الأكل والشرب في إفساد الصيام ما كان بمعناهما، مثلُ الإبر المُغذية والحبوب الدوائية، والإبر التي تُحقَنُ عن طريقِ الوريد، لأنَّ هذه الأشياء تدخلُ في الجسم وتخالطُ الدَم أو تغذِّي، وتفعَلُ ما يفعل الطعامُ والشراب، ومثلُ الأكل والشرب أيضًا: استعمالُ القطرة في العين أو الأنف أو الأذن، لأنها تتسربُ إلى الحلق وتدخلُ الجوفُ، فمن استعملَ القطرة متعمداً، ووجدَ طعمها في حلقه فإنه يَفْسدُ صومُه.

فقد قال النبي ﷺ: «**وبالغْ في الاستنشاق إلاَّ أن تكونَ صائمًا**» فقد نهي عن المبالغةَ في استنشاق الصائم لئلاَّ يَصِلَ الماءُ إلى حلقه، وذلك يدُلُّ على الإخلال بصيامه، ومثلُه القطرةُ لأنَّها سائل وَصَلَ الحلقَ عَمْدًا فتفسدُ الصومَ.

ومن مفسدات الصوم: الجماعُ؛ فمن جامع في نهارِ رمضان فَسَدَ صومُهُ، ويجبُ عليه أن يتوبَ إلى اللهَ، ويُمسكَ بقيةَ يومه، ثم يقضي هذا اليوم الذي جامَعَ فيه، وعليه مع القضاء الكفارةُ المغلَّظة، وهي إعتاق رقبة، فإن لم يَجِد صامَ شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعَم ستين مسكينًا.

وعلى المسلم أن يتجنَّبَ كُلَّ الوسائل التي قد توقعُه في هذا المحذور، من نظرٍ بشهوة، أو تقبيلٍ لزوجته بشهوة، أو لمسٍ لها بشهوةٍ.

ومنَ المُفسدات للصوم: إنزالُ المني بدون الجماع بسبب ما ذكرناه من نظرٍ، أو تقبيلٍ، أو لَمْسٍ، أو استمناءٍ باليد، وهو ما يُسمَّى بالعادة السريَّة.

أمَّا مَن احتلمَ وهو نائمٌ في نهار رمضان فأنزلَ، فإنه لا يُؤَثِّرُ على صيامه، لأنَّه بغيرِ اختياره وإنَّما يجبُ عليه الاغتسال.

ومن مفسدات الصوم: استفراغُ ما في المعدَة عمداً، وهو التقيُّؤ، لقولهِ ﷺ: «**من استقاءَ فليقضِ**» أمَّا من غلبَه القيءُ وخرجَ بدون اختياره فصيامُهُ صحيح.

ومن مفسدات الصوم: استخراجُ الدم الكثير من البدن بحجامةٍ أو فَصْدٍ أو سحب للدم، فإذا فَعَل ذلك فقد أفطرَ لصحةِ الحديث في أنَّ الحجامةَ تُفَطِّرُ الصائمَ.

أمَّا من انجرحَ ونَزَفَ منه دمٌ كثير، أو خَلَعَ ضرسًا، فخرجَ منه دمٌ فلا حَرَجَ وعليه أن يَتْفُلَ الدمَ مِن فمه.

ومن موانع صحة الصوم: الحيض والنفاسُ، فالحائض والنفساءُ تُفطران مدة الحيض والنفاس وجوبًا، ولا يجوزُ لهما الصيام ولا يصح منهما، وتَقضيانِ ما أفطرَتا فيهما من أيامٍ أُخَرَ.

فاتقوا الله ـ عبادَ الله ـ وحافظوا على صيامكم من المفسدات، وقد جَعَلَ الله لكم الليلَ مجالاً لتناوُلِ ما تحتاجون إليه أو تشتهونه مِمَّا أباحَ الله لكم. أمَّا النهارُ فاحفَظوه بالصيام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ**﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ١٨٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في أحكام الصيام

الحمد لله على فضله وإحسانه، شَرَعَ لنا الصيامَ والقيامَ لننالَ منه الأجر والإكرامِ، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله. عليه وعلى آله وأصحابه أزكى الصلاة والسلام.

أما بعدُ: عباد الله: اتقوا الله، واعلموا أنَّ هناك مفطرات معنوية إلى جانب المفطراتِ الحسية، فيجبُ عليكم معرفتُها واجتنابها، وهي:

كلُّ قولٍ أو فعل محرَّم في غير الصيام فإنه يتأكَّدُ تحريمُه ويتضاعف إثمهُ في وقت الصيام، وذلك كالغِيبةِ والنَّميمةِ، والشتم، والسِّباب، وقولِ الزور، والنظرِ إلى ما حرَّمَ الله النظر إليه من النساء والصور الفاتنة والأفلام الخليعة والاستماع إلى ما حَرَّم الله الاستماعَ إليه من الأغاني والمعازف والمزامير وسائر المعاصي، فإنها تؤثِّرُ على الصيام وتوجبُ الآثام، فليسَ الصيامُ مجردَ تركِ الطعام والشرب والجوع والعطش، ولكنه مع ذلك تركُ كلِّ ما حرَّمَ الله من الأقوال والأفعال المحرَّمة والمؤثمة، يصومُ البطنُ عن الطعام والشراب والفرجُ عن الاستمتاع، والنظرُ عن المَرائي المحرمة، واللسانُ عن الألفاظِ القبيحة.

فتركُ الطعام والشراب لا يكفي مع عدم ترك هذه الأشياء، بل يصبحُ تعبًا بلا فائدةٍ، وعملاً بلا أجر.

فاتقوا الله في صيامكم وتمسكوا بكتاب ربّكم وسنة نبيكم. . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على تعلُّم القرآن وتلاوته والعمل به

الحمدُ لله ذي الفضل والإحسان، أنعمَ علينا بنِعَم لا تُحصىٰ، وأجلها نعمة القرآن، وأشهَدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له شهادة تُنجي مَنْ نَطَقَ بها وعرف معناها وعَملَ بمقتضاها من النيران، ويستحقُّ بها دخولَ الجنان، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله المؤيد بمعجزة القرآن، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم علىٰ طريق الإيمان، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما مَنَّ به عليكم من نعمة الإيمان، وخصكّم به من إنزال القرآن، فهو القرآنُ العظيم، والذكرُ الحكيم، والصراطُ المستقيم، هو كلامُ الله الذي لا يُشبهه كلام. ولا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد، تكفَّلَ الله بحفظه فلا يتطرَّقُ إليه نقصٌ ولا زيادة، مكتوبٌ في اللوح المحفوظ وفي المصاحف، محفوظٌ في الصدور، متلوٌّ بالألسن ميسَّرٌ للتعلم والتدبر.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

يستطيعُ حفظَه واستظهارَه الصغارُ والأعاجم لا تَكلُّ الألسن من تلاوته، ولا تَمَلُّ الأسماع من حلاوته ولذته، ولا تَشبَعُ العلماءُ من تدبُّرِه والتفقه في معانيه، ولا يستطيعُ الإنس والجن أن يأتوا بمثل أقصرِ سورة منه؛ لأنه المعجزةُ الخالدة، والحجة الباقية أمر الله بتلاوته وتدبره وجعلَه مباركًا، فقال تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال ﷺ «مَنْ قرأ حرفًا من كتابِ الله فله حسنةٌ، والحسنةُ بعشر أمثالها، لا أقولُ ألم

حرفٌ، ولكن ألفٌ حرف، ولام حرف، وميمٌ حرف» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وقد جعل الله ميزةً وفضيلة لحملة القرآن العاملين به على غيرهم من الناس، قالﷺ: «خيرُكم مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمه» رواه البخاري.

وقال ﷺ: «مثلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآن مثلُ الأترجَّة ريحُها طيبٌ وطعمُها طيبٌ، ومثلُ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريحَ لها وطعمُها طيبٌ حلوٌ، ومثلُ المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليسَ لها ريحٌ وطعمُها مر» رواه البخاري ومسلم.

ففي هذه النصوص حثٌ على تعلُّم القرآن أولاً، ثم تلاوته وتدبره ثانيًا، ثم العمل به ثالثًا وقد انقسم الناس مع القرآن إلى أقسام فمنهم من يتلوه حق تلاوته ويهتم بدراسته علمًا وعملاً وهؤلاء هم السعداء الذين هم أهلُ القرآن حقيقة.

ومنهم مَنْ أعرضَ عنه فلم يتعلَّمه ولم يلْتَفتْ إليه، وهؤلاء قد توعدهم الله بأشد الوعيد، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

ومن الناس من تعلَّم القرآن ولكنه أهملَ تلاوته، وهذا هَجْرٌ للقرآن، وحرمانٌ للنفس من الأجر العظيم في تلاوته، وسببٌ لنسيانه، وقد يدخُلُ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ فإنَّ الإعراضَ عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان خسارةٌ كبيرة، وسببٌ لتسلط الشيطان على العبد، وسببٌ لقسوة القلب.

ومن الناس مَنْ يتلو القرآن مجردَ تلاوةٍ من غير تدبُّرٍ ولا اعتبار، وهذا لا يستفيدُ من تلاوته فائدة كبيرة. وقد ذمَّ الله من اقتصر على التلاوة من غير تفهّم، فقال سبحانه في اليهود: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

أي: يتلونه تلاوة مجردة عن الفهم. فيجبُ على المسلم عند تلاوته للقرآن أن يُحْضِرَ

قلبَه لتفهُّمه على قدرِ استطاعته، ولا يكتفي بمجردِ سَردِهِ وختمه من غيرَ تفهُّمٍ وتأثُّرٍ.

ومن الناس مَنْ يتخذُ تلاوة القرآن حرفة يتأكلُ بها، فيقرأهُ في المحافل والمآتم والموالدِ لأجل ما يُدْفع إليه من الأجرة، ويقرؤونه على غير الوجه المشروع فيمطِّطُونه ويلحِّنونه بألحان الأغاني، فهؤلاء جَمَعُوا بين عدة جرائم:

أولاً: قراءة القرآن في مواطن البدعة والمعصية كالمآتم والموالد وبعض المحافل التي تشتمل على المنكراتِ والهزليات.

ثانيًا: اتخاذُ تلاوة القرآن لطلب الدنيا، والتلاوةُ عبادة لا يجوزُ أن يُقْصَدَ بها الدنيا، وإنما يقصَدُ بها وجهُ الله وطلبُ الأجر والثواب.

ثالثًا: قراءةُ القرآن على غير الوجه الصحيح، بل على وجه التطريب والألحان المحرمة.

ومن الناس من يتلو القرآنَ ويُحسنُ التلاوة لأجل الرياء والسُّمعة، وهو لا يؤمن به.

وهؤلاء هم المنافقون نفاقًا اعتقاديًا الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**ومثلُ المنافق الذي يقرأ القرآن كمثلِ الريحانة ريحُها طيبٌ وطعمها مرٌّ**» وقد يقرأُ القرآن من أجل المجادلة به واتباع متشابهه، كما قال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران: ٧].

أمَّا مَنْ قرأ القرآنَ وهو مؤمنٌ به، ولكنَّه بقراءته يحسنُ صوته يقصدُ ثناء الناس عليه ومدحَهم له والاجتماع حوله، فهذا نفاقٌ عملي وشركٌ أصغرُ يُبطلُ الثوابَ ويوجبُ العقابَ، قال الله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾ [الماعون: ٤، ٦]

وإن كان يقصدُ بذلك نفعَ الناس بإسماعهم القرآن فهو مثابٌ مأجور.

عباد الله: إنَّ وجودَ القرآن بيننا وتيسيرَ الحصول عليه لِمَنْ طلبه، وتوفيرَ المصاحف في المساجد والبيوت والمكاتب، وإذاعةَ تلاوته في الإذاعات التي يسمَعُها مَن قَرُبَ ومن بَعُدَ كلُّ هذا من أعظم النعم على من وَفَّقَه الله لتعلُّم كتاب الله واستماعه والعمل به. ومِنْ أعظم قيام الحجة على مَنْ أعرضَ عنه، أو خالفَه، فقد قال الله لرسوله ﷺ: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩]. وقال ﷺ: «**والقرآنُ حجةٌ لك أو عليك**».

فاتقوا الله عباد الله واهتموا بكتاب الله تعلُّمًا وتعليمًا وعلمًا وعملاً تكونوا من أهله.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩-١٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في شأن القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، جعل القرآن نورًا للمؤمنين، وحجة على الكافرين وأشهدُ أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين، بَلَّغَ البلاغَ المبين، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، وسلم تسليمًا كثيرًا...

أما بعدُ: أيها الناسُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله: اعلموا أنَّ لكتابِ الله حرمةً ومكانةً عظيمةً توجبُ على المسلم احترامهُ وتعظيمه والتأدُّبَ عند تلاوته، واستماعه بإنصات وخُشوع وحضور قلب قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

ومِنْ تعظيم القرآن أنه لا يجوزُ أن يمسَّ المصحف إلا طاهرٌ قال ﷺ «لا يَمَسّ القرآن إلا طاهرٌ» ومِنْ ذلك تحريم تلاوته على الجُنُبِ، سواءٌ من المصحف أو حفظًا لأن النبي ﷺ لا يحجبُه عن قراءةِ القرآن شيء إلا الجنابة، وكذلك الحائض والنفساء لا يجوز لهما قراءة القرآن حتى تطهُرا. وقد رَخَّص بعضُ العلماء للحائض والنفساء بقراءة القرآن حفظًا إذا خشيتْ نسيانَه، وأما المحدثُ حدثًا أصغرَ فيجوز له أن يقرأن القرآن حفظًا.

ولا تجوزُ كتابةُ القرآنِ على شيءٍ يتعرَّضُ للإهانة ككتابته على الستور وعلى الجدرانِ من أجلِ الزخرفةِ والزينة أو كتابته على لوحات تُعَلَّقُ، وهذا كَثرَ فعله في هذا الزمان. بحيث تكتبُ آياتٌ على شكلِ زخارف وبخطوط غير عادية، وربَّما تُكْتَبُ الآية على شكلِ حيوان أو على شكل مصباح كهربائي، وهذا كلُّه من العبثِ بكتابِ الله وتعريضه للإهانة، وفي ذلك ابتذالٌ له، واتخاذُه حرفةً للكَسبِ والبيع والشراء، فإنَّ الذين يكتبون هذه

اللوحات يبيعونها للناس ويأكلون ثمنَها، والذين يشترونها يُعلِّقونها على جدرانِهم من أجلِ الزخرفة والزينة والمناظر الجميلة وقد تُعلَّقُ مع صورٍ محرمةٍ وفي أمكنةٍ غير لائقة، فاحترموا كتابَ الله وصونوه عن هذا العبث.

واعلَموا أنه يحرمُ دخول الخلاء بالمصحفِ أو بشيءٍ من القرآن كما تحرُمُ قراءة شيءٍ من القرآن داخلَ محلِّ قضاء الحاجة.

ومما يجدرُ التنبيه عليه: المجلات والجرائد التي يكتب فيها شيء من القرآن لا يجوز إلقاؤها وتعريضها للامتهانِ، بل يجبُ رفعُها أو انتزاع ما فيها من القرآن قبلَ إلقائها وامتهانها.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الزكاة وأحكامها

الحمد لله رب العالمين، جَعَل في أموالِ الأغنياء حقًا للفقراء والمساكين وللمصارف التي بها صلاحُ الدنيا والدين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبدُ إلا إيَّاه مخلصين موحدين، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلمَ تسليمًا كثيرًا...

أما بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى، واعلَمُوا أن الزكاة هي الركنُ الثالث من أركانِ الإسلام، وهي الموالية للصلاة بين تلك الأركان، وقرينتها في الذكر في كثيرٍ من آي القرآن. حيثُ قَرَنها الله سبحانه بالصلاة في نيفٍ وثلاثين آية. مما يدُلُّ على أهميتها وعظيم مكانتها، وفيها مصالح عظيمةٌ:

أعظمُها: شكر الله تعالى وامتثالُ أمرِه بالإنفاق مما رزقَ، والحصولُ على وعده الكريم للمنفقين بالأجر.

ومنها: مواساة الأغنياء لإخوانهم الفقراء في سد حاجاتهم ودفع الفاقة عنهم.

ومنها: تطهيرُ نفس المزكِّي من البخل والشُّح والأخلاقِ الذميمة، وجعلُه في صفوف المحسنين الذين يُحبُّهم الله ويحبهم الناس، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

وتُزكِّيهم﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

ومنها أنَّها تسبِّب نماءَ المال وحلولَ البركة فيه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وفي الحديث الصحيح: «**يقولُ الله تعالى: يابنَ آدم أنفق أُنفِقْ عليك**».

ومنع الزكاة يسببُ أضراراً عظيمة.

منهـــا: الحرمانُ من هذه المصالح المترتبة على إخراجها، ومنها تعريضُ المال للتلف والهلاك، ففي الحديث الذي رواه البزارُ عن عائشة رضي الله عنها: «**ما خالطت الزكاةُ مالاً قطُّ إلا أهلكَتْهُ**» وأنتم تَرَوْنَ وتسمعونَ اليومَ ما يُصيبُ الأموالَ من الكوارثِ التي تتلفُها من حريقٍ، وغرَقٍ، ونهبٍ، وسلب، وخسارة وإفلاس، وما يصيبُ الثمارَ، من الآفاتِ التي تقضي عليها أو تُنقصها نقصًا ظاهرًا وهذا من عقوبات منع الزكاة.

ومنها: منعُ القطر من السماء الذي به حياةُ الناس والبهائم ونموُّ الأشجار والثمار وفي الحديث: «**وما مَنَعَ قومٌ زكاةَ أموالهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء**» كما تشاهدون انحباسَ الأمطار عن كثير من البلاد وما نَتَجَ عن ذلك من الأضرار العظيمة. هذه عقوبات عاجلة، وأمَّا العقوبات الآجلة فهي أشد من ذلك. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وكلُّ ما لا تؤدىٰ زكاتُه فهو كنز يعذب به يومَ القيامة، يدُلُّ على ذلك الحديثُ الصحيح عن النبي ﷺ أنه قالَ: «**ما مِنْ صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدِّي حقَّها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَت له صفائحُ من نار، فأُحميَ عليها من نار جهنم، فيُكوى به جنبُه وجبينه وظهرُهُ، كلَّما بَردت أعيدت له في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة حتى يُقْضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

يدُلُّ على ذلك الحديثُ الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مثِّلَ له شجاعًا أقرع (أي: ثعبانًا عظيمًا كريهَ المنظر) له زبيبتان يطوَّقُهُ يوم القيامة، ثم يأخُذُ بلَهْزِمَتَيْهِ (يعني: شدقيه) ثم يقول: أنا مالُكَ أنا كنزُكَ**».

هذه عقوبةُ مانع الزكاة في الآخرة قد بيَّنها الله ورسوله، وهي أنَّ المال غيرَ المزكىٰ يجعلُ صفائحَ تُحمَىٰ في نار جهنم يُكْوَىٰ بها جبهتُه وجنبُه وظهرُه، ويُجْعلُ أيضًا ثعبانًا عظيمًا يطوق به عنقَه ويُمسكُ بشدقيه ويلدَغُه، ويُفرغُ فيه السمَّ الكثير الذي يتألَّمُ منه جسمه.

وليسَ هذا العذابُ يحصُلُ في ساعةٍ وينقطع، بل يستمرُّ خمسين ألف سنة، نعوذُ بالله من ذلك.

ومانعُ الزكاة إذا عُرِفَ عنه ذلك فإنه لا يجوز تركُه، بل يجبُ الإنكارُ عليه ونصحه.

فإن أصَرَّ علىٰ منعها وجَبَ علىٰ وليِّ الأمر أن ينظُرَ في شأنه فإن كان جاحدًا لوجوبِها وجَبَ أن يُستتابَ، فإن تاب وأدَّىٰ الزكاة، وإلا وَجَبَ قتلُهُ مرتدًا عن دين الإسلام.

وإن كان مقرًا بوجوبها ولكنه منعَها بُخلاً وجبَ تعزيرُه وأخذُها منه قهرًا، وإن لم يمكن أخذُها منه إلا بقتالٍ فإنه يقاتَلُ كما قاتَلَ الصحابةُ رضي الله عنهم مانعي الزكاة بعد وفاةِ رسول الله ﷺ حتىٰ خضعوا لدفعها والتزموا بحُكْمِها.

واعلموا ـ عباد الله ـ أنَّ الأموال التي تَجِبُ فيها الزكاةُ أربعة أنواع:

النـوع الأول: النقدان: الذهب والفضة وما يقومُ مقامهما من الأوراق النقدية التي يتعاملُ بها الناس اليوم سواء سُميت دراهم أو ريالات أو دنانير أو دولارات أو غير ذلك من الأسماء، فمن كان عنده نصاب من الذهب والفضة أو ما يعادلُ النصابَ من تلك الأوراق النقدية أو أكثر من النصاب، وحالَ عليه الحَوْلُ فإنه تجبُ فيه الزكاة، ومقدارُها ربعُ العشر، أي: ريالان ونصف من كل مائة، سواءٌ ادَّخرها للتجارة، أو للنفقة، أو للزواج أو لشراء بيت، أو سيارة، أو غير ذلك من حوائجه، وسواء كانت هذه النقود لكبيرٍ أو لصغير أو لمجنون، فتجبُ الزكاةُ في أموال الأيتام والقصار، ويخرجها عنهم وليهم.

وربح الدراهم حوله حولها فيزكي الربح مع رأس المال ولو لم يمض علىٰ الربح إلا مدة يسيرة أو لم يمض عليه شيءٌ.

والموظَّف الذي يدَّخرُ من مرتَّبِهِ كلَّ شهر مبلغًا، والأحوطُ له والأسهل عليه أن يجعلَ شهرًا من السنة كشهر رمضان وقتًا لإخراجِ زكاةِ ما اجتمع لديه من النقود إلىٰ مثل هذا الشهر من السنةِ القادمة.

ومَنْ كان له ديونٌ في ذمم الناس سواءٌ كانت قروضًا أو أثمانَ مبيعات مؤجلة أو أجورات فإن كانت هذه الديون على أناسٍ مُوسرين باذلين يستطيع الحصول عليها عندما يطلبها منهم فإنه يُزكِّيها إذا تمَّ لها حولٌ من حين العقد، سواءٌ قبضَها منهم أو لم يقبِضها كما يزكِّي المالَ الذي بيده، وإن كانت هذه الديون على معسرين أو على مماطلينَ، ولا يدري هل يحصُلُ عليها، أم تذهب، فإنه يُزَكِّيها إذا قبضَها عن سنة واحدة فقط على الأصح، وإذا كان على الإنسان ديونٌ للناس وعنده نقودٌ أو عروض تجارة فالأصح من قولِ العلماء أنَّ الدينَ لا يمنعُ وجوب الزكاة فيما عنده فيُزكي ما عندَه من النقودِ والعروض.

النوع الثاني: من الأموال التي تجبُ فيها الزكاة:

عروضُ التجارة، وهي السلعُ المعروضة للبيع طلبًا للربح كالأقمشة، والسيارات، والآليات، وقطع الغيار، والأراضي، والعمارات المعدة للبيع، ومحتويات البقالات من أنواع الأطعمة والأشربة، والمعلبات، ومحتويات الصيدليات من الأدوية والأدوات الطبية وأدوات البناء بأنواعها، وما تحويه المكتباتُ التجارية من الكتب وغيرها، فإنه عندَ تمام الحول عليها أو على ثمنها الذي اشتريت به يُقَوِّمها - أي: يقدرُ قيمتها التي تساويها عند تمام الحول - سواءٌ قدَّرَ قيمتها التي اشتراها بها أو أقلَّ أو أكثر، ولا ينظرُ إلى ما اشتراها به، ويُخرجُ ربعَ العشر من القيمة المقدرة. ولا يتركُ شيئًا مما أُعِدَّ للبيع كبيرًا كان أو صغيرًا إلا ويُقَدرُ قيمتَه، بأن يُجَردَ كُل ما عنده، ويقوِّمه لإخراج زكاته، ولا زكاة فيما أُعدَّ للتأجيرِ من العمارات والسيارات والدكاكين والآليات وغيرها، فلا زكاة في نفسِ هذه الأشياء وإنما الزكاة في أجرتها إذا حالَ عليها الحولُ من حينِ عقد الإجارة.

ولا زكاة على الإنسان فيما أعدَّه للاستعمالِ والمتجر، أي: المحل الذي يجلسُ للبيع والشراء، والسيارات التي يركبها وغير ذلك من مستعملاته؛ والذي عنده مصنعٌ أو ورشةٌ للحدادة أو لإصلاح السيارات، أو عنده مطبعةٌ، لا زكاة عليه في الآليات التي يستخدمها للعمل، وإنما الزكاة في الغلة التي يحصل عليها من هذه الأشياء.

والأسهُمُ التي للإنسان في الشركات: إن كانت شركات استثمار: كشركات المصانع أو شركات النقل وشركات الكهرباء والأسمنت، فهذه تجبُ الزكاة في غلتها، فإذا حَصَلَ المسهمُ على شيءٍ من غلة أسهُمِه في الشركة فإنه يزكيه، وأما الأسهم التي له في الأراضي

التجارية، فتجب عليه زكاة أسهمه منها بأن يقوِّم تلك الأراضي تمام حولها ويخرجَ ربع عشر قيمة نصيبه منها.

النوع الثالث: من الأموال التي تجب فيها الزكاة.

بهيمةُ الأنعام من الإبل والبقر والغنم.

والنوع الرابع: الخارجُ من الأرض.

وتفاصيل أحكام زكاة هذين النوعين مبسوطة في كتب الفقه وبإمكان مَنِ احتاج إلىٰ شيءٍ منها أن يسألَ أهلَ العلم، لأنه لا يتسعُ هذا المقامُ لذكرِها.

واعلموا - رحمكم الله - أنه لا بدَّ من النيةِ عندَ دفعِ الزكاة، لأنها عبادة، والعبادة لا تَصحُّ إلا بنيةٍ، لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكُلِّ امرئٍ ما نوى**» فينوي عندَ دفعها أنَّها زكاةٌ.

ولو دَفَعَ دراهمَ وهو لم ينوِها زكاة ثم نَوَىٰ بعدَ ذلك لم تجز، وعلىٰ المسلمِ أنْ يُحصيَ ما لديه من المال الذي تجبُ فيه الزكاة إحصاء دقيقًا لئلا يبقىٰ من ماله شيءٌ لم تُخْرَجْ زكاتُهُ، فيوجبُ ذلك محقَهُ وتلفَه.

ويجوزُ للإنسان أن يوكِّلَ مَنْ يُحصي مالَه ويخرجُ زكاته نيابةً عنه، ويجبُ علىٰ المزكي أن يُخرجَ الزكاة طيبة بها نفسُه غير متمنِّن بها، ولا مستكثر لها، ولا كاره لإخراجها، قال تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ** ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وكراهية إخراج الزكاة من علامات النفاق قال تعالىٰ في المنافقين: ﴿ **وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٤].

ويستحبُّ أن يدعو عند إخراجها، فيقول: «**اللهمَّ اجعلْها مغنمًا، ولا تجعلها مغرمًا**»، ويقول آخذُها: «**آجرك الله فيما أعطيتَ وبارك لك فيما أبقيتَ وجعلَه لك طهورًا**».

فاتقوا الله - عباد الله - في أمور دينكم عامةً وفي زكاة أموالكم خاصة.

عباد الله: وينبغي للإنسان الاستكثارُ من صدقة التطوع أيضًا في هذا الشهر الكريم والموسم العظيم، لحديث أنس: سُئِلَ النبي ﷺ: أيُّ الصدقةِ أفضل؟ فقال: «**صدقة في رمضانَ**» رواه الترمذي.

وقال ﷺ: «**مَنْ تصدَّقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسب طيبٍ - ولا يصعَدُ إلى الله إلا الطيبُ - فإن**

الله يقبلُها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها حتى تكون مثلَ الجبل الأعظم» متفق عليه.

وعن أنس مرفوعًا: «إنَّ الصدقةَ لتطفئُ غضبَ الرب، وتدفعُ ميتةَ السوء» والآيات والأحاديث في هذا كثيرةٌ معروفة.

والصدقةُ في هذا الشهر فيها اقتداءٌ بالرسول ﷺ، فقد كان يتضاعفُ جودُه فيه أكثر من غيره.

نسألُ الله أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يُحبُه ويرضاه، وأن يشملنا بعفوه ومغفرته ورحمته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٣، ١٠٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في أحكام الزكاة

الحمد لله رب العالمين، له الحمدُ في الآخرة والأولى. أغنى وأقنى، ووَعَدَ من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى أن ييسره لليسرى، وتوعَّدَ مَنْ بَخِل واستغنى وكذَّب بالحسنى، أن يُيسره للعُسرى، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله صاحب المقام المحمود. والحوض المورود والشفاعة العُظمى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى وسلم تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أنَّ ما تُخرجونه من الزكاة وغيرها من الصدقات بنية خالصة ومن كسبٍ حلالٍ أنه يكون قرضًا حسنًا تُقرضونه ربَكم وتجدونه مدَّخرًا لكم ومضاعفًا أضعافًا كثيرة، فهو الرصيدُ الباقي والتوفير النافع والاستثمار المفيدُ، مع ما يخلفُ الله لكم في الدنيا من نموِّ أموالكم وحلولِ البركة فيها، فلا تستكثروا مبالغَ الزكاة.

التي تدفعونَها، فإنَّ بعضَ الناس الذين يملكون الملايينَ الكثيرة قد يستكثرون زكاتها، ولا ينظرون إلى فضل الله عليهم حيث ملَّكهم هذه الملايين، وأنَّه قادرٌ على أن يسلُبها

منهم ويحولهم إلى فقراء مُعْوزين في أسرع لحظة، أو يأخذهم على غرَّة فيتركوها لغيرهم، فيكون عليهم مسئوليتها ولغيرهم منفعتها.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله سبحانه عيَّن مصارف للزكاة لا يجوزُ ولا يُجزئ دفعها في غيرها قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٦٠].

فمن كان يملكُ ما يكفيه ويكفي من يمونهم لمدة سنة، أو له إيرادٌ من راتبٍ أو غيره يكفيه فهو غنيٌّ لا يجوزُ ولا يجزئُ صرفُ الزكاة إليه، ولا يجوزُ له هو أن يأخُذها وكذا مَنْ كان عنده القدرةُ على الكسب الذي يكفيه (وهناك فرص للكسب) فإنه لا يجوزُ ولا يجزئُ دفع الزكاة إليه ولا يجوزُ له هو أخذها، فلا يجوز للمزكي أن يدفَعَ زكاته إلا لمَنْ يغلبُ على الظنِّ أنه من أهلِ الزكاة، فقد جاءَ في الحديث: «**إنَّ الزكاة لا تحلُّ لغنيٍّ ولا لقويٍّ مكتسب**» رواه أبو داود والنسائي.

وكذا لا يجوزُ صرفُ الزكاة في المشاريع الخيرية كبناء المساجد والمدارس وغيرها، وتُموَّلُ هذه المشاريع من بيت المال، أو من التبرعات، فالزكاةُ حقٌّ لله شرَعَه لهذه المصارف المعينة لا تجوز المحاباةُ لمَنْ لا يستحقُّها، ولا أن يجلبَ بها لنفسه نفعًا دنيويًا أو يدفع بها عنه ضررًا، ولا أن يقيَ بها ماله بأن يجعلها بدلاً من حق يجبُ عليه لأحد.

ولا يجوز أن يدفعَ بالزكاة عنه مذمةً، ولا يجوزُ دفعُها إلى أصوله، ولا إلى فروعه، ولا إلى زوجته أو إلى أحد ممن تلزمه نفقته.

فاتقوا الله - عباد الله - وليكُنْ إخراجُ الزكاة وصرفُها وسائر عباداتكم على مقتضى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخير الهَدْي هَدْيُ محمد ﷺ.. إلخ.



في الحثّ على الاجتهاد في العشر الأواخر

الحمد لله ربِّ العالمين، أمرَ بالمسارعة إلى الخيرات، واغتنامِ الأوقات قبلَ الفوات، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وما له من الأسماء

والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أوّلُ سابق إلى الخيرات، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب والكرامات، وسلمَ تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعتبروا بسرعةِ مرور الليالي والأيام، واعلّموا أنَّها تحسَبُ من آجالكم، وأنها خزائن لأعمالكم، فأودعوا فيها الأعمال ما يسركم عند الحساب، يوم يقال للمحسنين: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٢٤].

لا تُودعوا فيها ما يسوؤكم ويُحزِنُكم يوم يقولُ المفرِّطُ والمضيِّعُ: ﴿**يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ [الفجر: ٢٤].

واعلموا - عبادَ الله - أنكم الآنَ تعيشون في أفضل الأيام من شهرِ رمضان، فقد استوفيتُم العشرين الأولَ منه، وها أنتم في العشرِ الأواخر، فمن كان محسنًا من أول الشهر فليستمرَّ على إحسانه، وليضاعفْ من اجتهاده في هذه العشر المباركة ليزداد خيراً على خيرٍ، وليغتنم فضيلةَ هذه الأيام التي تمتاز على الأيام السابقة. ومَنْ كان مفرِّطًا فيما مضى من الشهر فليستدرك بقيته، وليتبْ إلى الله من تفريطه وغفلته، لعلَّ الله يغفرُ له ما سلفَ ويوفّقه فيما بَقيَ، لأنَّ الأعمال بالخواتيم.

عبـادَ الله: إنَّ هذا الشهر يختلف عن غيره من الشهور، وإن كانت حياة المسلم كلها فرصةً عظيمةً، ودرَّةً نفيسة لا تقدَّرُ بقيمة، لكن هذا الشهر خصَّه الله بفضائلَ، وشرَعَ فيه أعمالاً لا توجدُ في غيره، فأوجبَ صيامَ نهاره، وجعلَه أحدَ أركانِ الإسلام، واختصَّ الصوم لنفسه من بين سائر الأعمال، فقال: «**الصوم لي وأنا أجزي به**» فخصَّ سبحانه الصيام بميزتين عظيمتين: الأولى، إضافته إلى نفسه حيث قال سبحانه: «**الصـومُ لي**»، وهذه الإضافةُ تقتضي تشريفَ الصيام. والثانيةُ: أنه سبحانه هو الذي يتولّى جزاءَ الصائم، وذلك يقتضي عِظَمَ ثوابه وكثرتَه كثرةً لا يعلم مقدارَها إلا الله.

وشرَعَ الله في هذا الشهر القيامَ في لياليه بصلاة التراويح جماعةً في المسجد، وأخبرَ ﷺ: «**أنَّ مَنْ قام مع الإمام حتى ينصرفَ كُتبَ له قيامُ ليلة**» و «**أنَّ مَنْ قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبه**» متفق عليه.

وهكذا نرى أنَّ أوقات هذا الشهر مشغولةٌ بالعبادة، فنهاره صيام، وليلهُ قيام، وذلك ليجتمع للمؤمن جهادان: جهادٌ لنفسه بالنهار على الصيام، وجهادٌ لها بالليل على القيام.

والجهادُ يحتاج إلىٰ صبرٍ، ولهذا سُمِّي هذا الشهر شهر الصبر، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فمَنْ جمع بين هذين الجهادين وصَبَرَ عليهما وُفِّي أجرهُ بغيرِ حساب. أما الذي يتركُ صلاة التراويح تكاسُلاً فقد عطَّلَ الليل مما خُصَّ به ولم يَصْبِرْ علىٰ أحدِ الجهادين، وحرم نفسَه من هذا الأجر العظيم. فليتنبه لذلك أناسٌ لا نراهم يُصلُّون التراويحَ طولَ الشهر أو في أكثر الليالي، وإن صَلَّوا في بعض الليالي لم يكملوا ويواصلوا في بقيتها حتىٰ يستوفُوا قيامَ رمضان.

وشَرَعَ سبحانه في هذا الشهر المبارك الإكثار من تلاوة القرآن، قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فاختصاصُ إنزاله في هذا الشهر يقتضي اختصاصه بفضلِ التلاوة فيه، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يَخُصُّ هذا الشهر بمزيد من تلاوة القرآن. ففي «الصحيحين»: أنَّ جبريلَ عليه السلام كان يَلْقىٰ النبيَّ ﷺ كلَّ ليلة من شهر رمضان فيُدارسُه القرآن. فجبريلُ أفضلُ الملائكة، ومحمد أفضلُ الرسل يتدارسان بينهما أفضل الكتب في هذا الشهر الذي هو أفضل الشهور، مما يدُلُّ علىٰ أفضلية التلاوة فيه علىٰ التلاوة في غيره من الشهور، وإن كانت التلاوة مطلوبةٌ في كل وقت وفيها أجرٌ عظيم، لكن أجرها يتضاعَفُ في هذا الشهر أكثر من غيره. كما تدلُّ مدارسةُ جبريلَ للنبيِّ ﷺ علىٰ استحبابِ عرض الإنسان حفظَه للقرآن علىٰ مَنْ هو أحفظُ له منه ليستفيدَ من إتقانه وقراءته.

وتلاوة القرآن في رمضان تشملُ تلاوتَه في صلاة التراويح وصلاة التهجُّد وتلاوته من غير صلاة، وقد كانَ الصحابةُ يطيلون القراءة في صلاة التهجد، فكان القارئُ منهم يقرأ بالمئين في الركعة، حتىٰ كانوا يعتمدون علىٰ العصيِّ من طولِ القيام، وإنما ذكرنا هذا ليقتنع الذين ينفرون من إتمام الصلاة ويستثقلونها، وإذا كان للإمام أن يراعيَ أحوال المأمومين فليسَ معنىٰ هذا أنه ينقُرُ الصلاة ويهذُّ القراءة هذًّا يُخِلُّ بها، وإنما المراد التوسطُ الذي يجمع بين إتقان الصلاة وعدم المشقة علىٰ المأمومين، مع القراءة المتقنة التي يستفيد منها المأموم وتؤثر علىٰ القلوب وأن تكون الصلاة معتدلةً متساوية من أولِ الشهر إلىٰ آخره لأن

بعض أئمة المساجد يُسرع في القراءة ويطيل الصلاة في أول الشهر إلى أن يختمَ القرآن، فإذا ختمه تساهَلَ بالقيام في بقية ليالي الشهر التي هي أفضل لياليه، والتي هي ختامه، وبعضُهم يسافر في هذه الليالي للعمرة ويتركُ مسجده، مع أن بقاءَه في مسجده وإتقانَه لصلاته في كل ليالي الشهر أفضلُ له من العمرة، وليس المقصود من التراويح والتهجُّدِ في رمضان هو ختمُ القرآن وقراءة الدعاء المُعَدِّ للختم، وإنَّما المقصودُ شغلُ ليالي هذا الشهر كلِّها بالقيام، والختمةُ تابعة وليست مقصودةً، فلو لم يختم القرآن مع إتقانه للصلاةِ في جميع الليالي مع النية الصالحة فأجرُه تامٌّ إن شاء الله، ولو خَتَمَ القرآن مع الإخلال بالصلاة والقراءة أو مع ترك بقية الليالي فأجرُهُ ناقصٌ بحسب نقص العمل .

ومما شرَعَه الله في هذا الشهر المبارك زيادة الاجتهاد في العشر الأواخر منه .

لأنها ليالي الإعتاق من النار لِمَنْ استحقوا دخولَ النار إذا تابوا من ذنوبهم واجتهدوا في هذه الليالي بنية صالحة .

ولأنَّها الليالي التي كان اجتهاد النبي ﷺ يتزايَدُ فيها، فكان يُحييها بالتهجد والقيام، وكان يعتكفُ في مسجده للتفرُّغ للعبادة في هذه الليالي والأيام . ففي الاجتهاد فيها اقتداء بالنبي ﷺ، وعملٌ بقوله تعالىٰ : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ولأنها الليالي التي تُرجىٰ فيها ليلةُ القدر التي قال الله تعالىٰ فيها : ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ [القدر : ٣] .

أي : العملُ في هذه الليلة خيرٌ من العمل في ألفِ شهر ليسَ فيها ليلة القدر وقالَ ﷺ : « **مَنْ قامَ ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه** » وقيامُها إنما يحصُلُ يقينًا بالقيام في كل ليالي الشهر، ولا سيما ليالي العشر الأواخر، فهي أرجىٰ لتحرِّيها وآكدُ لموافقتها، فهي لم تحدَّد في ليلة معينة من الشهر، لأنَّ الله سبحانه أخفاها لأجلِ أن يكثر اجتهاد العباد في تحريها ويقوموا ليالي الشهر كلها لطلبها، فتحصُلَ لهم كثرةُ العمل وكثرةُ الأجر، وليتميَّزَ المُجِدُ من الكَسلان .

فاجتهدوا ـ رحمكم الله ـ في العشر التي هي ختامُ الشهرِ وأيام الإعتاق من النار، كما

في الحديث: «**إنه شهرٌ أوله رحمة، وأوسطه مغفرة وآخرُه عتقٌ من النار**».

فالمسلم الذي وفَّقه الله للعمل في هذا الشهر ومرَّت عليه مواسمُ الرحمة والمغفرة والعتق من النار، وقام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا حريٌّ أن يفوزَ بكُل خيرات هذا الشهر ونفحاته، فينال الدرجات العالية، بما أسلفَه في الأيام الخالية، ولقد كان النبي ﷺ يخُصُّ العشر الأواخرَ من رمضان بأعمالٍ يعملُها فيها: منها إحياء لياليها بالتهجُّدِ والقيام ومنها أنه كانَ يوقظُ أهلَه للصلاة وكلَّ صغير وكبير يُطيقُ الصلاة. وهذا شيءٌ أهملَه اليوم كثير من الناس مع أهلهم وأولادهم فيتركونهم يسهَرون على اللعب واللهو يسرَحون في الشوارع أو يجلسون في البيوت يشاهدون الأفلام والمسلسلات، ويستمعون الأغاني والمزامير طيلة ليالي رمضان، فلا يستفيدون منه إلا الآثام، وإذا جاء النهارُ ناموا حتَّى عن أداء فرائض الصلوات، لأنَّهم تربوا على عدم احترام رمضان، وهذا نتيجة إهمال أوليائهم، فبئْست التربيةُ وبئست الولايةُ، وسيسألهم الله يومَ القيامة عن إهمال رعيتهم، وإضاعة مسئوليتهم قال ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيته**».

ومن الأعمال التي كان ﷺ يختصُ بها العشر الأواخر: الاعتكاف، وهو لزومُ المسجد للعبادة وعدمُ الخروج منه إلا لحاجة ضرورية، ثم يرجع إليه، كان ﷺ يعتكف في هذه العشر قطعًا لأشغاله، وتفريغًا لباله، وتخلِّيًا لمناجاة ربه وذكره ودعائه، فاجتهدوا - رحمكم الله - في هذه العشر التي هي ختامُ الشهر، والتي هي أرجىٰ ما يكونُ لموافقة ليلة القدر، وأكثروا من الجلوس في المساجد للذكر وتلاوة القرآن إذا لم تتمكَّنوا من الاعتكاف.

﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحث على اغتنام بقية الشهر

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بإدراك شهر رمضان، ووفَّق مَنْ شاء فيه لنيل المغفرة والرضوان، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه الحسان، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله. كان كلُّ دهره رمضانَ. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليمًا كثيراً.

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى. عبادَ الله، كانَ السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم بعدَ ذلك يهتمون بقبوله ويخافون من ردِّه كما قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ **يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٧].

وبعض الناس اليوم على عكس هذا، فمنهم من لا يُتَمِّمُ العملَ، فقد رأينا مَنْ ينشَطون في أول الشهر، ويفترون في آخره، حتَّى ربَّما يكسلون عن صلاة الجماعة، هؤلاء لا يستفيدون من رمضان، ولا يتغيَّر حالُهم عمَّا كانوا عليه قبله من الإساءة والعصيان، والذي تفوتُه المغفرة في رمضان يكون محرومًا غايةَ الحرمان. فقد صَعِدَ النبي ﷺ المنبر فقال: «آمين، آمين، آمين» قيل يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت: آمين. آمين. آمين فقال: **«إن جبريل أتاني» فقال: «مَنْ أدركَ شهر رمضان فلم يغفرْ له فدخل النار فأبعده الله. قل: آمين. فقلت. آمين»**.

ومنهم مَنْ يسهر الليلَ على لغو الكلام أو جمع الحطام، وينامُ النهارَ عن أداء الصلوات في أوقاتها مع الجماعات، مع الأمنِ من عقاب الله.

فأكثروا - عباد الله - من التوبة والاستغفار في هذه الأيام، لتختموا بذلك شهركُم وتستدركوا به تقصيركُم، فإنَّ الاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فتُختم به الصلاة والحجُ وشهر رمضان وقيامُ الليل، وتُختَمُ به المجالس، والله قد أمرَ بالاستغفار ووعَدَ المستغفرين بالمغفرة إذا كان استغفارُهم صادقًا ولم يكن استغفاراً باللسان فقط. فاتقوا الله - عباد الله - ولا تأمنوا العقوبة، ولا تقنَطوا من الرحمة واعتصموا بكتابِ ربِّكم وسنة نبيكم. فإنَّ خير الحديث كتاب الله. وخير الهدي هديُ محمد ﷺ.. إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان ما يشرع في ختام الشهر

الحمد لله الذي تتمُّ بنعمته الصالحات، جَعَلَ لكلِّ موجودٍ في هذه الدنيا زوالاً، ولكل مقيم انتقالاً، ليعتبرَ بذلك أهلُ الإيمان، فيبادروا بالأعمال، ما داموا في زمن الإمهال، ولا يغترُّوا بطول الآمال، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله القائل: «**بادروا بالأعمال**» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خيرِ صحب وآل، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعد: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى، وتفكَّروا في سرعة مرور الليالي والأيام، واعلَموا أنها تنقُصُ بمرورها أعماركم، وتُطوىَ بها صحائفُ أعمالكم، فبادروا بالتوبة والأعمالِ الصالحة قبل انقضاء الفرصة السانحة.

عباد الله: كنتم بالأمسِ القريب تستقبلون شهرَ رمضان المبارك، واليومَ تودِّعونه مرتحلاً عنكم بما أودعتموه، شاهداً عليكم بما عملتموه، فهنيئًا لِمَنْ كان شاهدًا له عند الله بالخير، شافعًا له بدخولِ الجنة والعِتق من النار، وويلٌ لمن كان شاهداً عليه بسوء صنيعه، شاكيًا إلى ربه من تفريطهِ فيه وتضييعه، فودِّعوا شهرَ الصيام والقيام بخير ختام، فإنَّ الأعمالَ بالخواتيم، فمن كان محسنًا في شهره فعليه بالإتمام، ومن كان مسيئًا فعليه بالتوبةِ والعمل الصالح فيما بَقِيَ له من الأيام، فربما لا يعودُ عليه رمضانُ بعد هذا العام، فاختموه بخيرٍ، واستمرُّوا على مواصلةِ الأعمال الصالحة التي كنتم تؤدُّونها فيه في بقية الشهور، فإنَّ ربَّ الشهور واحد، وهو مطَّلعٌ عليكم وشاهد، وقد أمركم بفعل الطاعات في جميع الأوقات، ومَنْ كان يعبُدُ شهر رمضان فإنَّ شهر رمضان قد انقضى وفَاتَ، ومَن كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لا يموتُ فليستمر على عبادته في جميع أيام الحياة، فإنَّ بعض الناس يتعبدون في شهر رمضان خاصةً، فيحافظون فيه على الصلوات في المساجد، ويُكثرون من تلاوة القرآن، ويتصدَّقون من أموالهم، فإذا انتهى رمضانُ تكاسلوا عن الطاعة، وربَّما تركوا الجمعةَ والجماعةَ، فهَدَموا ما بنوه، ونقضَوا ما أبرموه، وكأنهم يظنون أن اجتهادَهم في رمضان يكفِّرُ عنهم ما يجري منهم في السَّنَةِ من القبائح والموبقات، وترك الواجبات،

وفعل المحرمات، ولم يعلموا أنَّ تكفيرَ رمضان وغيره للسيئات مقيَّدٌ باجتنابِ الكبائر الموبقات، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

وقال النبي ﷺ: «**الصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ ورمضانُ إلى رمضان كفَّارةٌ لمن بينهُنَّ إذا اجتُنبت الكبائر**».

وأيُّ كبيرة بعد الشرك أعظمُ من إضاعة الصلاة؟ وقد صارت إضاعتها عادة مألوفة عند بعض الناس.

إنَّ اجتهاد هؤلاء في رمضان لا ينفَعُهم شيئا عند الله إذا هم أتبعوه بالمعاصي من تركِ الواجبات وفعل المحرمات.

وقد سُئِلَ بعضُ السلف عن قومٍ يجتهدون في شهر رمضان، فإذا انقضى ضيعوا وأساءوا، فقال: بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان. نعم، لأن مَنْ عَرفَ الله خَافَه في كلِّ الزمان.

وبعضُ الناس قد يصومُ رمضان ويصلي فيه ويُظْهِرُ الخيرَ ويترك المعاصي لا إيمانًا واحتسابًا، وإنما يفعَلُ ذلك من باب المجاملة والمجاراة للمجتمع، لأنه يعتبرُ هذا من التقاليد الاجتماعية، وهذا هو النفاقُ الأكبر، فإن المنافقين كانوا يراءون الناس فيما يتظاهرون به من العبادة.

وهذا يعتبرُ شهرَ رمضان سجنًا زمنيًا ينتظر انقضاءَه لينقَضَّ على المعاصي والمحرمات، يفرح بانقضاءِ رمضان لأجلِ الإفراج عنه من سجنه.

روَىٰ ابنُ خزيمة في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**أظلَّكم شهرُكُم هذا بمَحلُوف رسول الله ﷺ ما مرَّ بالمسلمين شهرٌ خيرٌ لهم منه، ولا مرَّ بالمنافقين شهرٌ شر لهم منه، بمَحْلُوف رسول الله ﷺ. إنَّ الله ليكتبُ أجرَه ونوافله، قبل أن يُدْخله، ويكتُبُ وزرَهُ وشقاءَه قبلَ أن يدخلَهُ**» وذلك أنَّ المؤمن يُعدُّ فيه القوتَ والنفقة للعبادة، ويُعدُّ فيه المنافق اتباعَ غَفَلاتِ المؤمنين واتباعَ عوراتهم، فغُنْم يغنَمُه المؤمنُ الحديث...

والمؤمن يفرح بانتهاءِ الشهر لأنه استكمله في العبادة والطاعة، فهو يرجو أجرَه وفضائله، والمنافقُ يفرح بانتهاء الشهر لينطلق إلى المعاصي والشهوات التي كان مسجونًا عنها في رمضان، ولذلك فإن المؤمن يتبعُ شهر رمضان بالاستغفار والتكبير والعبادة،

والمنافقُ يتبعهُ بالمعاصي واللهو وحفلات الغناء والمعازف والطبول فرحًا بفراقهِ . . .

عبـاد الله: لقد شرَع الله لكم في ختام هذا الشهر التكبير في ليلة العيد، قال تعالىٰ: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وشرع لكم صدقة الفطر فهي واجبة على الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والحر والعبد، ويستحبُّ إخراجها عن الحمل في البطن، وهي من غالب قوت البلد تمرًا أو بُرًّا أو شعيرًا أو زبيبًا أو أقطًا. ومقدارُها صاعٌ عن كل شخص - أي: ما يعادلُ ثلاثة كيلوات تقريبًا. ويُجزئ عن هذه الخمسة كلُّ حبٍّ يقتاتُ في البلد: الأرز والذُّرة والدُّخْنِ، ولا يجوزُ فيها إخراجُ الدراهم ولا تجزئ، لأنَّ ذلك خلاف السنة، فالنبيُّ ﷺ أمرَ بإخراج الطعام وقدَّرَه بالصاع، فلا بُدَّ من التقيُّد بأمره ﷺ.

قال الإمام أحمد: لا يعطي القيمة، قيل له: قومٌ يقولون: عمرُ بن عبد العزيز كان يأخُذُ بالقيمة، قال: يدَعون قولَ رسول الله ﷺ، ويقولونَ: قال فلانٌ، فما دامَ في المسألة قولٌ للرسول فلا قولَ لأحدٍ.

ويُخرجُ الإنسان صدقةَ الفطر عن نفسهِ وعمَّن يقومُ بنفقته، ومَحَلُّ إخراجِها هو البلد الذي وافاه تمامُ الشهر وهو فيه، ومَنْ كان في بلد وعائلته في بلدٍ آخر فإنه يُخْرِجُ فطرَتهم مع فطرته في البلد الذي هو فيه، وإن عمَّدهم يخرجون عنه وعنهم في بلدهم جاز، وإن أخرَجَ عن نفسهِ في بلده وأخرجوا عن أنفسِهم في بلدهم جاز.

والذين يُعْطونَ صدقةَ الفطر هم فقراء البلد الذين تَحِلُّ لهم زكاةُ المال، سواءٌ كانوا من أهلِ البلد أو من الفقراء القادمين عليه من بلدٍ آخر.

ولا يجوزُ نقل صدقة الفطر إلى بلدٍ آخر بأنْ يرسلَها إلى فقراء بلدٍ غير بلده، إلا إذا لم يوجد في بلده فقراءٌ من المسلمين، فإنه يُرسلُها إلى فقراء أقربِ بلد إليه، لأنَّ النبي ﷺ أمرَ بإخراجها إلى فقراء البلد الذي يفطُر فيه الصائم ليلة العيد.

وقد نصَّ على ذلك فـقهـاءُ المذاهب الأربعة: فقد نَصُّوا - رحمهم الله - على أنَّ على المسلم توزيعَهَا في البلد الذي وجَبَت عليه فيه، فَعَلى هذا لا يجوزُ إرسالُها إلى فقراء الجهات الأخرىٰ خارج المملكة، ومَنْ أراد أن يُساعدَ فقراء البلدان الأخرىٰ فليساعدهم بغير صدقة الفطر، لأن صدقةَ الفطر عبادةٌ مقيدة بمكان وزمان، لا يجوزُ إخراجها عنها،

وقد ذُكر لنا أنَّ قومًا يطلبون من الناس تقديم دراهم ليرسلوها إلىٰ بلد آخر ليشترىٰ بها طعامٌ من هناك، ويوزَّعُ علىٰ الفقراء فيه، وهذا لا يجزئ عن صدقة الفطر لأن وقتَ إخراجها ليلةُ العيد، بعد ثبوت الهلال إلىٰ الخروج لصلاة العيد في البلد الذي وافاه تمام الشهر وهو فيه، والعبادات توقيفيه لا يجوز التصرُّفُ فيها حسب الأهواء والآراء. ومن فاتته إخراجُها قبل صلاة العيد فإنه يُخرجُها في بقية يوم العيد، ومن فاته إخراجُها في يوم العيد فإنه يخرجُها بعده قضاء، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ولا بُدَّ أن تُدفعَ في وقتِ الإخراج المستحقِّ أو إلىٰ وكيله، ولا يكفي أن يجعلَها أمانة عند شخص ليس وكيلاً للمستحق.

ويجوز للفقير أن يُخرجَ فطرته مما أعطي من الصدقات، ويجوزُ دفعُ صدقة الجماعة إلىٰ فقير واحد، ويجوزُ دفعُ صدقة الشخص الواحد إلىٰ جماعةٍ من الفقراء.

والحكمة في صدقة الفطر أنَّها طهرةٌ للصائم من اللغو والرَّفَث، وطعمةٌ للمساكين وشكرٌ لله تعالىٰ علىٰ إكمال الصيام، فأدُّوها - رحمكم الله - علىٰ الوجه المشروع طيبةً بها نفوسُكم من أوسطِ ما تُطعمون أهليكم.

﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد ﴿٢٦٧﴾ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].

ومن الحكمة من مشروعية صدقة الفطر إغناءُ الفقراء عن السؤال في يوم العيد ليفرحوا مع المسلمين، ويتوسَّعوا بها، ولذلك حُدِّدت بما يكفي الفقيرَ في هذا اليوم وهو الصاع، ومن الحكمة في تحديدها بالصاع أيضًا تيسيرُها علىٰ المتصدق حتىٰ لا تُثْقلَه، لأنه قد لا يكونُ عنده سَعَةٌ من المال، وهي واجبةٌ علىٰ عموم المسلمين لا علىٰ الأغنياء فقط.

ولعلَّ من الحكمة في جعلها طعامًا لا نقودًا أن يكون هذا أيسرَ للمحتاج، لأنه قد لا يجدُ في يوم العيد من بيع الطعام، ولأنَّ في جعلها طعامًا إظهارًا لها بين الناس، لأنَّها من الشعائر الظاهرة، ولو جُعلت نقودًا لكانت صدقةً خفية إلىٰ غير ذلك من الحكم.

فاتَّقوا الله - عباد الله - واعتنوا بإخراجها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قد أفلح من تزكىٰ ﴿١٤﴾ وذكر اسم ربه فصلىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في بيان ما يشرع في ختام الشهر

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بإكمال شهر الصيام، ووَفَّق مَنْ شاء فيه لاغتنام ما فيه من الخيرات العظام، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو ذو الفضل والإنعام، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، أفضلُ مَنْ صلَّى وصام، وعَبَدَ ربَّه واستقام. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا . . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى في سائر الليالي والأيام، فإنه رقيبٌ لا يغيب، قيومٌ لا ينام.

عباد الله: ومما شَرَعَهُ الله لكم في ختام هذا الشهر المبارك أداءُ صلاة العيد شكرًا لله تعالى على أداء فريضة الصيام، كما شَرعَ الله صلاة عيد الأضحى شكرًا له على أداء فريضة الحج، فهُما عيدا أهلِ الإسلام، فقد صحَّ عن النبيﷺ أنَّه لمَّا قدمَ المدينة وكان لأهلها يومان يلعبون فيهما، قالﷺ: **«قد أبدلكم الله بهما خيرًا منها: يوم النحر ويوم الفطر»**، فلا تجوزُ الزيادة على هذين العيدين بإحداث أعيادٍ أخرى كأعيادِ المولد، والأعياد الوطنية والقومية، لأنها أعياد جاهلية، سواء سميت أعيادًا، أو ذكريات، أو أيامًا، أو أسابيع، أو أعوامًا كاليوم الوطني، وعام الطفل، وما أشبه ذلك.

وسمي العيدُ: في الإسلام عيدًا لأنه يعودُ ويتكرر كلَّ عام بالفرح والسرور بما يسّر الله قبله من عبادَة الصيام والحجِّ اللذين هما ركنان من أركان الإسلام.

ولأن الله سبحانه يعودُ فيهما على عباده بالإحسان والعتق من النيران، وقد أمرَ النبي ﷺ بالخروج العامِّ لصلاة العيد حتى النساء، فيسَنُّ حضورهنَّ غيرَ متطيبات ولا لابساتٍ لثياب زينة وشهرة، ولا يختلطن بالرجال، والحائضُ تخرج لحضور دعوة المسلمين وتعتزلُ المُصلَّى، قالت أم عطية رضي الله عنها: كُنَّا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى تخرُجَ البِكْرُ من خِدْرِها، وحتى تخرُجَ الحُيَّضُ فيكُنَّ خلف النساء فيُكبرن بتكبيرِهم ويدعون بدعائهم، يرجون ذلك اليوم وطُهرته.

والخروجُ لصلاةِ العيد إظهارٌ لشعائر الإسلام وعَلَمٌ من أعلامه الظاهرة، فاحرِصوا على حضورها - رحمكم الله - فإنَّها من مُكملاتِ أحكام هذا الشهر المبارك، واحرِصوا على الخشوعِ، وغضِّ البصر وعدم إسبال الثياب، وعلى حفظ اللسان من اللغو والرفث.

وقول الزور، وحفظ السمع من استماع القيل والقال والأغاني والمعازف والمزامير، ولا تحضروا حفلات السَّمَرِ واللهو واللعب التي يُقيمُها بعض الجُهَّال، فإنَّ الطاعة تُتْبَعُ بالطاعة لا بضدِّها. ولهذا شَرَعَ النبيُّ ﷺ لأمته إتباع صوم شهر رمضان بصوم سته أيام من شوال فقد روىٰ الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صامَ رمضانَ، وأتبعه بستٍّ من شوال، فكأنما صام الدهر**» يعني: في الأجر والثواب والمضاعفة، لأنَّ الحسنة بعشر أمثالها، فرمضانُ عن عشر أشهرٍ، وستة الأيام من شوَّال عن شهرين، وهذه أشهر السنة كأنما صامَها المسلمُ كلَّها إذا صام رمضان، وأتبعَه ستًا من شوَّال. فاحرصوا ـ رحمكم الله ـ على صيامِ هذه الأيام الستة لتحظوْا بهذا الثوابِ العظيم. . .

واعلموا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله. . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

فيما يجب على المسلم بعد شهر رمضان

الحمدُ لله مقدرِ المقدور ومصرِّفِ الأيام والشهور. وأحمَدُه على جزيلِ نعَمِه، وهو الغفور الشكور، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله لا شريك له. له الملك وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قدير، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراجُ المنير. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم البعث والنشور. . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى وتَفكَّروا في سرعة مرور الأيام والليال، وتذكَّروا بذلك قربَ انتقالِكم من هذه الدنيا، فتزوَّدوا بصالح الأعمالِ، حَلَّ بكم شهرُ رمضان المبارك بخيراتِهِ وبركاته، وعشتُم جميع أوقاته، ثم انتهى وارتَحَلَ سريعًا شاهداً عند ربه لِمَنْ عَرَفَ قدره واستفادَه من خيرِهِ بالطاعة، وشاهداً على مَنْ تجاهل فضله، وأساء فيه بالإضاعة.

فليحاسب كلٌّ منَّا نفسَه ماذا قدَّمَ في هذا الشهر، فمن قدَّمَ فيه خيراً فليحمَد الله على ذلك، وليسأله القَبولَ والاستمرارَ على الطاعة في مستقبلِ حياته، ومَنْ كان مُفَرطًا فيه فليتُب إلى الله، وليبدأْ حياةً جديدة يستغلُّها بالطاعة، بدلَ الحياةِ التي أضاعَها في الغفلة والإساءة، لعلَّ الله يُكفِّرُ عنه ما مضى ويوفِّقُه فيما بقي من عمره، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ

الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وقال النبي ﷺ «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» وقال تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

عباد الله: إنَّ شهرَ رمضان كما وصفَه رسولُ الله ﷺ: **«شهرٌ أوله رحمةٌ، وأوسطُه مغفرةٌ، وآخره عتقٌ من النار»** وذلك لأنَّ الناس مع هذا الشهر لهم حالاتٌ مختلفة، فمنهم من وافاه هذا الشهر وهو مستقيمٌ علىٰ الطاعة، محافظٌ علىٰ صلاة الجمع والجماعة، متبعدٌ عن المعاصي، ثم اجتهدَ في هذا الشهر بفعلِ الطاعات، فكان زيادةَ خيرٍ له. فهذا تنالُه رحمةُ الله لأنه محسنٌ في عمله، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ومنهم مَنْ وافاه هذا الشهر، فصامَ نهاره، وقام ما تيسَّرَ من ليله، وهو قبل ذلك محافظٌ علىٰ أداء الفرائض وكثيرٍ من الطاعات، لكن عندَه ذنوبٌ دون الكبائر، فهذا تنالُه مغفرةُ الله. قالَ تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وقال النبي ﷺ: **«الصلوات الخمسُ والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضانَ كفارةٌ لما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر»**.

ومنهم مَنْ وافاه شهر رمضان وعنده ذنوبٌ كبائر، لكنها دونَ الشركِ، وقد استوجبَ بها دخول النار، ثم تابَ منها، وصامَ هذا الشهر، وقامَ ما تيسر منه، فهذا ينالُهُ الإعتاقُ من النار بعد ما استوجب دخولَها.

ومنهم من وافاه الشهر وهو مقيمٌ علىٰ المعاصي من فعل المحرمات، وتركِ الواجبات، وإضاعة الصلاة، فلم يتغيَّرْ حالُهُ، ولم يتبْ إلىٰ الله من سيئاته. أو تابَ منها توبةً مؤقتة في رمضان، ولَمَّا انتهىٰ عادَ إليها، فهذا هو الخاسرُ الذي خَسِرَ حياته، وضَيَّعَ أوقاتَهُ، ولم يستفدْ من هذا الشهر إلا الذنوبَ والآثام، وقد قال جبريل للنبي عليهما الصلاة والسلام: **«ومَنْ أدركه شهرُ رمضان، فلم يغفر له فأبعدَه الله قُلْ: آمين، فقال: النبي ﷺ: آمين»** والمحرومُ من حرمَهُ الله، والشقيُّ من أبعدَه الله.

عباد الله: إنَّ عبادةَ الله واجبة في كل وقت وليس لها نهاية إلا بالموت.

قال تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال النبي ﷺ: «إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث. والموتُ قريب.

ولله عباداتٌ تؤدَّىٰ في مواقيتها يوميًّا وأسبوعيًا وسنويًّا وهذه العبادات منها ما هو أركانٌ للإسلام، ومنها ما هو مكملٌ له.

فالصلواتُ الخمسُ تؤدَّىٰ في كل يوم وليلة، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي عمودُ الإسلام، والجمعة تؤدَّىٰ كل أسبوع، وهي من أعظم شعائر الإسلام، يجتمع لها المسلمون في مكان واحدٍ اهتمامًا بها.

والزكاة قرينةُ الصلاة، وهي في غير المُعَشرات تؤدَّىٰ كل سنة، وأما المعشراتُ فتؤدىٰ زكاتُها عندَ الحصولِ عليها.

وصيام شهر رمضان يجبُ في كل سنةٍ.

وحجُّ بيت الله الحرام يجبُ علىٰ المسلم المستطيع في العمر مرة. وكذا العمرةُ، وما زاد علىٰ المرة من الحج والعمرة فهو تطوُّعٌ.

وإلىٰ جانب هذه العبادات الواجبة عباداتٌ مستحبة، مثل: نوافل الصلوات، ونوافل الصدقات، ونوافل الصيام، ونوافل الحج والعمرة، وهذا مما يدل علىٰ أن حياة المسلم كلَّها عبادةٌ إما واجبةٌ وإما مستحبة.

فالذي يظنُّ أن العبادةَ مطلوبة منه في شهر رمضان وبعده يُعفىٰ من العبادة فقد ظَنَّ سُوءًا وجَهِلَ حقَّ الله عليه، ولم يعرفْ دينه، بل لم يعرفِ الله حقَّ معرفته، ولم يقدْرْهُ حقَّ قدره. حيث لم يُطعه إلا في رمضان، ولم يخَفْ منه إلا في رمضان، ولم يرجُ ثوابه إلا في رمضان، إن هذا الإنسان مقطوع الصلة بالله، مع أنَّه لا غنىٰ له عنه طرفَة عين.
والعمل مهما كان؛ إذا كان مقصوراً علىٰ شهرِ رمضان فهو عملٌ مردودٌ علىٰ صاحبه مهما أتعبَ نفسَهُ فيه، لأنَّه عملٌ مبتور لا أصل له ولا فرع، وإنما ينتفع برمضان أهلُ الإيمان الذين هم علىٰ الاستقامةِ في كل الزمان، يعلمون أنَّ رب الشهور واحد، وهو في كل الشهور مطَّلع علىٰ أعمالِ عباده وشاهد.

ولقد بلغَ الجهلُ ببعض المنتسبين إلى الإسلام أن اعتقد أنه إذا صلَّى الجمعة كَفَتْه عن العبادة في بقية الأسبوع، فيُضيع الصلوات الخمس. وبعضُهم يعتقدُ أن صيامَ رمضان والتعبُّد فيه يكفيه عن التعبد في بقية السنة، فيترك الصلوات أحدَ عشرَ شهراً، ويُصلي في شهر واحد. والبعض الآخر يعتقدُ أنه إذا حجَّ مرة في عمره كَفَّرَ الحجُّ عنه ما مَضىٰ وكفاه عن العمل في المستقبل، وربما يستدلُّ خطأ علىٰ ذلك بما جاء في الحديث أنَّ هذه العبادات كفاراتٌ لها بينهن، ولو استكملَ الحديث وتأمَّلَهُ لوجدَ أن التكفير المذكور فيه مشروطٌ باجتناب الكبائر، والله تعالىٰ يقول: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١].

وليس بعدَ الشرك أكبرُ من إضاعة الصلوات الخمس، وهؤلاء قد ضيَّعوها وضيَّعوا غيرَها من أوامر الدين، ولا يُكفر ذلك عنهم إلا التوبة النصوح والعمل الصالح، قال تعالىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

فدلَّت الآية علىٰ أن تركَ الصلاة لا يكفَّرُ إلا بالتوبة ويشترطُ لصحة التوبة ثلاثة شروط:

أحدها: ترك الذنوب تركًا نهائيًا، أما من تابَ بلسانه وهو مقيمٌ علىٰ الذنوب فتوبتُه غير صحيحة ولا مقبولة.

والثاني: أن يندَم علىٰ ما حصل منه من الذنوب، فإن لم يَنْدَمْ ويَخْجَل من الله علىٰ ما حَصَلَ من المعاصي فإنّ توبتَه غير صحيحة.

الثالث: وهذا مُهِمٌ جدًا، أن يعزِمَ علىٰ أن لا يعود إلىٰ المعاصي طولَ حياته إلىٰ الممات.

أما مَنْ تاب من المعَاصي في وقت محدَّدٍ كشهر رمضان، وفي نيته أن يعودَ إليها في وقت آخر، كبعد رمضان فتوبتُه غير مقبولة. وشهر رمضان خير عون لمَنْ يريدُ أن يتوبَ توبةً صحيحة، لأنه يستطيعُ فيه السيطرة علىٰ نفسِه وهواه، ويستطيعُ فيها تركَ مألوفاته وشهواته. ويستطيع فيه فعلَ الطاعات بسهولةٍ، فهو يسهل فعلَ الطاعات، وينبه ذوي الغفلات. والموفَّقُ في هذا الشهر مَن استفادَ من مروره عليه، فتعوَّدَ فعلَ الطاعات.

والابتعادَ عن المعاصي والمحرمات، وصار منطلقًا في المستقبل في الاستمرار على ما اعتادَه فيه من فعل الخير، والمخذول من يعتبرُ شهرَ رمضان سجنًا ثقيلاً يستطيلُ أيامه، وينتظر نهايتهُ لينطلقَ إلى العصيان، وطاعة النفسِ والشيطان.

فاتقوا الله ـ عبا د الله ـ وأتبعوا شهرَ رمضان بالاستمرار على الطاعات.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

من الخطبة الثانية
فيما يجب على المسلم بعد شهر رمضان

الحمدُ لله الذي مَنَّ علينا بنعمةِ الإسلام، ولا يزالُ يوالي على عباده مواسمَ الفضل والإنعام، فبعدَ أن أنتهى شهرُ رمضان أعقبَه بأشهُرِ الحج إلى بيته الحرام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلالِ والإكرام، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله عليه وعلى آله وأصحابه أفضلَ الصلاة والسلام. . .

أما بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى، وتابعوا فعلَ الخيرات بعد رمضان، فإنَّ من علامةِ قبول الحسنة فعلَ الحسنة بعدها، وما شهرُ رمضان إلا منشِّطٌ على الخير ومبدأ للتوبة والعملِ الصالح، ونهايةُ العمل تكون بالموت لا بخروج رمضان وإن من علامة قبول التوبة والأعمال في رمضان أن يكون الإنسانُ بعد رمضان أحسن حالاً في الطاعة عما قبل رمضان.

فتنبَّهوا لأنفسكم رَحمكم الله، وانظروا حالَكم بعد رمضان، واعلموا أنَّ بابَ التوبة مفتوحٌ دائمًا في رمضان، وفي كل زمانٍ، فمن فاتته التوبة في رمضان فلا يقنَط من رحمةِ الله، بل يبادر التوبة في أي وقت كان، فإن الله يتوبُ على من تاب، ويغفرُ الذنوب لمن رَجَعَ إليه وأناب. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣ـ٥٥].

حافظوا على ما كسبتم في رمضان من الحسنات. ولا تُفسدوا بالرجوع إلى المعاصي

والسيئات. فتهدموا ما بنيتُم. وتُبطلوا ما قدَّمتم، فإن السيئات إذا كَثرت أهلكت الإنسان، ورجحت بالحسنات في الميزان: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

واعلموا أن خيرَ الحديث كتاب الله... إلخ.



أشهرُ الحجّ وفضائلها

الحمد لله على ما خَصَّنا به من الفضل والإكرام، فما زال يُوالي علينا مواسمَ الخير والإنعام، ما انتهى شهرُ رمضان حتى أعقبَه بأشهرِ الحج إلى بيته الحرام، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه الحسنى وصفاته العظام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله. أفضلُ مَن صلَّى وصام ووَقَفَ بالمشاعر، وطاف بالبيت الحرام صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام. وسلَّم تسليمًا كثيراً...

أمــا بعــدُ: أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى واشكروه على ما شَرَعَ لكم من الشرائع العظيمة، وما خَصَّكُمُ به من المواسم الكريمة، التي تتوالى عليكم كلَّ يوم، وكل أسبوع، وكل عام، وهي شرائع تحملُ لكم كلَّ خير، وتُبعدُ عنكم كُلَّ شرٍّ.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكرُ الله أكبر، وهو خشوعٌ لله، وخضوعُ بين يديه، واتصال به، وإقبالٌ عليه وهي أكبرُ عونٍ للمؤمنين على القيام بأعباء الدنيا والدين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

والزكــاة: إحسانٌ ومواساة للفقراء والمعسرين، وترغيبٌ للمؤلفة قلوبهم في الدين. وإعانة في فكاكِ الرقاب والغارمين، وطهرةٌ وتزكيةٌ للنفوس والأموال، فهي مَغْنَمٌ لا مغرم، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وهي تنمية للمال، وسببٌ لإنزال البركة فيه ودفع الآفات عنه. قال ﷺ: «ما نقصَت صدقةٌ من مال».

وأما الصيامُ فإنه ترك للشهوات والمألوفات ومحبوبات النفس طاعةً لله عز وجل، وهو مع ذلك تربيةٌ على الأخلاق الفاضلة وتركٌ للأخلاق الرذيلة، قال ﷺ «**إذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخَبْ، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتلَه فليقُلْ: إني صائمٌ، إني صائم**» رواه البخاري.

والحجُّ: جهادٌ في سبيل الله، ينفق فيه المال، ويُتعبُ فيه البدن، وتترك من أجله الأولاد والبلاد.

إجابةً لداعي الله وتلبيةً لندائه على لسان خليله، إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينَ قال الله له: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ [الحج: ٢٧-٢٩].

عبـــاد الله: ونحن الآن في أشهر الحج التي جعلَها الله ميقاتًا للإحرام به والتلبس بنسكه، قال الله تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: ١٩٧].

يخبرُ تعالى أنّ الحجَّ يقعُ في أشهُر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشرةُ أيام من ذي الحجة، وقال تعالى: (معلومات) لأنَّ الناس يعرفونها من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فالحجُّ وقتُه معروفٌ لا يحتاج إلى بيان كما احتاجَ الصيامُ والصلاة إلى بيان مواقيتهما.

وقوله تعالى: ﴿**فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ**﴾ معناه: مَنْ أحرمَ بالحجِّ في هذه الأشهر سواءٌ في أولها أو في وسطها أو في آخرها، فإنَّ الحج الذي يحرمُ به يصيرُ فرضًا عليه، يجبُ عليه أداؤه بفعلِ مناسكه ولو كان نفلاً، فإن الإحرام به يصيره فرضًا عليه لا يجوز له رفضه.

وفي قوله تعالى: ﴿**فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾: بيانٌ لآداب المحرم وما يجبُ عليه أن يتجنَّبه حال الإحرام، أي: يجبُ أن تعظموا الإحرام بالحج وتصونوه عن

كل ما يُفسده أو ينقصه من (الرفث): وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية.

الفسوق: وهو جميعُ المعاصي، ومنها محظورات الإحرام.

الجدال: وهو المحاورات والمنازعة والمخاصمة؛ لأنَّ الجدال يثير الشرَّ ويوقعُ العداوة ويُشغِلُ عن ذكر الله. والمقصودُ من الحج: الذلُّ والانكسارُ بين يدي الله وعند بيته العتيق ومشاعره المقدسة، والتقربُ إلىٰ الله بالطاعات وترك المعاصي والمحرمات ليكون الحجُّ مبروراً.

فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّ «الحجَّ المبرورَ ليس له جزاءٌ إلا الجنة». ولما كان التقرُّبُ إلىٰ الله تعالىٰ لا يتحقق إلا بترك المعاصي وفعل الطاعات فإنه سبحانه بعد أن نهىٰ عن المعاصي في الحج أمرَ بعمل الطاعات، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ وهذا يتضمن الحثَّ علىٰ أفعال الخير خصوصاً في أيام الحج، وفي تلك البقاع الشريفة والمشاعر المقدسة، وفي المسجد الحرام، فإنَّ الحسنات تُضاعف فيها أكثر من غيرها كما ثَبَتَ أنَّ الصلاةَ الواحدة في المسجد الحرام أفضلُ من مئة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، لا سيَّما وقد اجتمعَ للحاج في هذا المكان وهذا الوقت شرفُ المكان.

ومن الجدل الذي نهىٰ الله عنه في الحجِّ: ما كان يجري بين القبائل في الجاهلية في موسم الحج وفي أرض الحرم من التنازُعِ والتفاخُرِ ومدح آبائهم وقبائلهم حتى حوَّلُوا الحجَّ من عبادةٍ إلىٰ نزاعٍ وخصام، ومن تحصيل فضائل إلىٰ تحصيل جرائم وآثامٍ، وقد وُجِدَ في زماننا هذا مَن يريد أن يحيي هذه السنة الجاهلية، والنخوة الشيطانية، فيحوِّل الحجَّ إلىٰ هتافات ومظاهرات وشعارات، ورفع صُوَرٍ، ووثنيات، وصَخبٍ، ولجاج، وإيذاء، وترويع للحجاج. وعدم مراعاة لحرمة الحرم والإحرام، وحرمة تلك الأيام. حيثُ يقول سبحانه: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

وقال تعالىٰ عن الحرم: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

فاللهم مَنْ آذىٰ حجيجَك وروَّع عبيدَك وانتهك حرمةَ بيتك وألحدَ في حرمكَ بظلم وفودك فأذقْه من عذابِك الأليم، الذي توعَّدت به كُلَّ ملحد أثيم. إنَّك علىٰ كل شيء قدير.. وأنت مولانا نِعَم المولىٰ ونعم النصير، اللَّهُمَّ يا مرسلَ الطير الأبابيل، علىٰ أصحاب الفيل، ترميهم بحجارة من سجيل، حتىٰ جعلتهم كعصفٍ مأكول، أذقْ كُلَّ مَنْ حاول أن يفعلَ مثل فعلهم من عذابك الوبيل، وأنتَ حسبنا ونعم الوكيلُ. اللهم آمين،

اللهم آمين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

من الخطبة الثانية
في أشهر الحج وفضائلها

الحمد لله الذي جعل الأوقات مواسم للطاعات، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وما له من الأسماءِ والصفات، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، حَث على اغتنامِ مواسم الخيرِ قبلَ الفوات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يسارعون في الخيرات وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا...

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى. واحفَظُوا أوقاتَكم بفعلِ ما شرَعَ فيها من الطاعات لتجدوا ثوابًا مدَّخرًا، وأجرًا موفَّرًا، ولا تكونوا ممن ضيَّعوا أوقاتَهم، فيتحسرون عند مماتهم، كما قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

فيقال له: (كلا) أي: لا رجوع إلى الدنيا بعد الممات، وما تتمناه قد فاتَ، وهكذا عبادَ الله لا يزال فضلُ الله عليكم يتوالَى، فما إن انقضى شهر الصيام حتى أعقبته أشهرُ الحج إلى بيتِ الله الحرام.

فكما أنَّ مَنْ صام رمضانَ وقامه غُفِرَ له ما تقدمَ من ذنبه، فمن حجَّ البيتَ ولم يرفُثْ ولم يفسُقْ رَجَعَ من ذنوبه كيوم ولدتْه أمه.

فما يمضي من عمر المؤمن ساعةٌ من الساعات إلا ولله فيها وظيفةٌ من وظائف الطاعات، وكلُّ وقت يُخْليه العبدُ من طاعة الله فقد خَسِرَهُ، وكلُّ ساعة يغفُلُ فيها عن ذكر الله تكونُ عليه يوم القيامة حسرةً وترَةً، ومَنْ عَمِلَ من الطاعات فعلامة قَبولها أن يصلها بطاعةٍ أخرى، وعلامة ردها أن يتبعها بمعصيةٍ تكونُ عاقبتها خسرًا. وما أحسن الحسنة بعدَ السيئة تمحوها، وأحسنُ منها الحسنة بعد الحسنة تتلوها، قال الحسنُ ـ رحمه الله: إنَّ الله لم يجعل لعملِ المؤمن أجلاً دون الموت، ثم قرأ ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

واحفَظُوا ـ رحمكم الله ـ أوقاتكم فيما يسركم. ولا تضيِّعوه فيما يضرُّكم، فإنَّ خيرَكم

مَنْ طالَ عمره وحَسُنَ عملُه .

واعلموا أنَّ خير الحديث كتاب الله . . . إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في فضل شهر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين ، أتاح لعباده مواسمَ الخير ونوَّعها ليتزودوا منها صالحَ الأعمال ، ويستدركوا ما يحصُلُ مِنَ الغفلة والإهمال ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه خير صحبٍ وآل وسلَّم تسليمًا كثيرًا . . .

أما بعدُ: أيُّها الناس : اتقوا الله تعالىٰ ، واعلَموا أنكم في هذه الدنيا في دارِ مَمرٍّ ، وما زلتُم في سفر ، وأنَّ إلىٰ ربكم المستقرَّ ، وأنَّها تَمُرُّ بكم مواسمُ عظيمةٌ تضاعَفُ فيها الحسناتُ وتُكَفَّرُ فيها السيئات ، ومن هذه المواسم شهر ذي الحجة ، فقد جمع الله فيه من الفضائل ونوَّع فيه من الطاعات ما لا يَخْفىٰ إلا علىٰ أهلِ الغفلة والإعراض . ففي أول العشر المباركة التي نوَّه الله بها في كتابه الكريم حيث قال سبحانه : ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢] .

فإن المراد بها عشرُ ذي الحجة . قد أقسم الله بها تعظيمًا لشأنها وتنبيهًا علىٰ فضلها وروىٰ البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**ما من أيام العملُ الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام**» يعني : أيام العشر ، قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال : «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خَرَجَ بنفسه وماله، ثم لم يرجعْ من ذلك بشيء**» .

فدَلَّ هذا الحديث علىٰ أنَّ العملَ في هذه الأيام العشر أحبُّ من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء ، وأنه أفضلُ من الجهاد في سبيل الله إلا جهادًا واحدًا ، وهو جهادُ من خَرَجَ بنفسه وماله ، فلم يرجعْ بشيء فهذا الجهادُ بخصوصه يفضُلُ علىٰ العمل في هذه العشر . وأما بقية أنواعِ الجهاد ، فإنَّ العمل في هذه العشر أفضلُ وأحبُّ إلىٰ الله منها .

وقد شَرَعَ الله لعباده صيامَ هذه الأيام، ما عدا اليوم العاشر وهو يوم النحر، ومما يُشْرَعُ في هذه الأيام الإكثارُ من ذكر الله ولا سيَّما التكبيرَ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]؛ وهي أيامُ العشر عند جمهورِ العلماء، وأمَّا الأيامُ المعدودات فهي أيام التشريق، فيُستَحَبُّ الإكثار عند الله في هذه العشر المباركة من التهليل والتكبير والتحميد، وأنْ يجهرَ بذلك في الأسواق، فقد ذكر البخاريُّ في «صحيحه» عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما كانا يخرجان إلىٰ السوق، فيُكبران ويُكبر الناس بتكبيرهما، وهذا من رحمة الله بعباده.

فإنه لَمَّا كانَ ليس كلُّ واحد يقدرُ علىٰ الحج جُعِلَ موسمُ العشر مشتركًا بين الحجاج وغيرِهم، فمَنْ لم يقدر علىٰ الحجِّ فإنه يقدرُ علىٰ أن يعملَ في العشرِ عملاً يفضلُ علىٰ الجهادِ، وفي هذه العشر المباركة يومُ عرفة الذي هو أفضلُ الأيام، رَوَىٰ ابن حبان في «صحيحه» من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: **«أفضل الأيام يوم عرفة»** وورد أنَّ صومَه يُكَفِّرُ الله به السنة الماضية والباقية والمراد بذلك تكفيرُ صغائر الذنوب، فقد روىٰ أبو قتادةَ رضي الله عنه، قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن صوم يوم عرفة، فقال: **«يكفرُ السنةَ الماضية والباقية»** رواه مسلمٌ. وفي لفظٍ قال ﷺ: **«صيامُ يوم عرفة إني احتسب على الله أن يُكَفِّرَ السنة التي بعده والسنة التي قبله»** فيستحب صيامُهُ لغير الحاجِّ، أمَا الحاج فلا ينبغي أن يصومه لأجل أن يتقوىٰ على الوقوف، وذكر الله تعالىٰ وهو يومُ مغفرةِ الذنوب والعتق من النار، والمباهاة بأهل الموقف، كما في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، قال: **«ما من يوم أكثر من أن يعتقَ الله فيه عبيداً من النار من يومِ عرفةَ، وإنه ليدنو، ثم يُباهي بهم الملائكة»**.

ورَوَىٰ ابن حبان في «صحيحه» من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: **«ما من يومٍ أفضلُ عندَ الله من يومِ عرفةَ، ينزلُ الله إلى سماء الدنيا، فيباهي بأهلِ الأرض أهلَ السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي شُعْثًا غُبرًا حاجين جاءوا من كل فجٍّ عميق يرجونَ رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يرَ أكثرُ عتيقًا من النار من يوم عرفة»**.

وروىٰ مالك في «الموطأ» أن النبي ﷺ قال: **«ما رؤي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام»**.

وروى الترمذي: «خير الدعاء دعاء عرفة، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ، وهو على كل شيء قدير».

وفي هذا الشهر المبارك يومُ النحر الذي هو يومُ الحج الأكبر، يُكملُ المسلمون حجَّهم الذي هو الركنُ الخامس من أركان الإسلام بعد ما وَقَفُوا بعرفة، وأدَّوا الركنَ الأعظم من أركان الحج، وحَصَلوا على العتقِ من النار، مَنْ حجَّ ومَنْ لم يَحُجَّ من المسلمين، فصار اليومُ الذي يلي يوم عرفة عيدًا لأهل الإسلام جميعًا لاشتراكهم في العتق من النار، وشَرَعَ لهم فيه ذبحَ القرابين من هَدْي وأضاحٍ، والحجاجُ يستكملون مناسكَ حجِّهم في هذا اليوم المبارك من الرمي، والحلقِ أو التقصير، والطواف بالبيت وبينَ الصفا والمروة، وأهل الأمصار في هذا اليوم يُؤدُّون صلاة العيد لإقامة ذكرِ الله.

وفي هذا الشهر المبارك أيام التشريق التي هي أيام منى: روى مسلمٌ في «صحيحه» من حديث نبيشة الهُذلي أنَّ النبي ﷺ قال: «أيام منى أيامُ أكلٍ وشرب وذكر لله عز وجل» وهي الأيامُ المعدودات التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وهي ثلاثة أيام بعدَ يوم النحرِ، وقد أمرَ الله بذكرِه في هذه الأيام المعدودات، وذكر الله في هذه الأيام أنواعٌ متعددة:

منها: ذكرُ الله عز وجل عقيبَ الصلوات المكتوبات بالتكبير المقيَّد في أدبارها.

ومنها: ذكره بالتسمية والتكبير عند ذبح النسك.

ومنها: ذكر الله عز وجل على الأكل والشرب، فأيامُ التشريق أيامُ أكل وشرب وذكرٌ لله، فإنه يُسمي الله عند بداية أكله وشربه ويحمده عند نهايتها.

ومنها: ذكرُ الله تعال بالتكبير عند رمي الجمار.

وبالجملة: فشهرُ ذي الحجة قد تنوَّعت فيه الفضائلُ والخيرات التي أعظمُها إيقاع الحج فيه إلى بيت الله الحرام، وهو من الأشهر الحرم حَرَّمَ الله القتال فيها لوقوع الحج فيه، فاشكروا الله أيُّها المسلمون على هذه النعمة العظيمة، واغتنموا خيرات هذا الشهر، ولا تكونوا من الغافلين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ

أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٨ - ٢٠٣].

من الخطبة الثانية في فضل شهر ذي الحجة

الحمدُ لله يخلقُ ما يشاءُ ويختار، وأشهدُ أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله المصطفى المختار. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار المهاجرين منهم والأنصار، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه يحرُمُ صيامُ أيام التشريق، قال ﷺ: «**أيام منىً أيامُ أكل وشرب**» رواه أحمدُ ومسلمٌ.

عن عائشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما قالا: «**لم يُرَخَّصْ في أيام التشريق أن يُصَمْنَ إلا لمن لم يجد الهَدْيَ**» رواه البخاري.

وفي النهي عن صيام هذه الأيام والأمر بالأكل والشرب فيها حكمة بالغة، وذلك أنَّ الله تعالى لمَّا عَلِمَ ما يلاقي الحجاجُ من مشاقِّ السفر، وتَعَبِ الإحرام، وجهاد النفوس على قضاء المناسك، شَرَعَ لهم الاستراحة عقبَ ذلك بالإقامة بمنى يومَ النحر وثلاثة أيام بعده، وأمرَهم بالأكلِ فيها من لحوم نُسُكهم، فهم في ضيافةِ الله عز وجل، ويشاركُهم أهل الأمصار غير الحُجاج في ذلك، لأنَّهم شاركوهم في العملِ في صيام عشر ذي الحجة، وفي الذكر، والاجتهاد في العبادات وشاركوهم في التقرُّبِ إلى الله بذبحِ الأضاحي، فاشتركَ الجميعُ بالعيد، والأكل والشرب والراحة. فصارَ المسلمون كلُّهم في ضيافة الله عز وجل.

وفي هذه الأيام يأكلون من رزقه ويشكرونه على فضلِه. ونُهوا عن صيام هذه الأيام من أجل ذلك.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واشكروه على نعمه ، واعلموا أن خيرَ الحديث كتاب الله . . . إلخ .



في بيان عظمة البيت الحرام

الحمد لله الذي جعل بيته الحرام مثابةً للناس وأمنًا ، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُنجي من نَطَقَ بها وحقَّقَ مدلولها مبنىٰ ومعنىٰ ، وأشهَدُ أن محمدًا عبده ورسوله عرج به فوق السموات العلىٰ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٩].

صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه نجوم الهدىٰ ومصابيح الدُّجىٰ ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا في الآخرة والأولىٰ .

أما بعدُ: أيها الناس : اتقوا الله تعالىٰ ، واشكروه علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ ، ومن أعظمها أنْ جعلَ لكم هذا البيت الشريف ، وهذا الحرم المنيف ، يتجهُ المسلمون إليه في صلواتهم من جميع أقطار الأرض ، ويفدون إليه حاجِّين ومعتمرين من كُلِّ فجٍّ عميق . ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٨].

فيلتقون حولَه ويتعارفون عنده ، فتتآلف قلوبهم ويتعاونون علىٰ تحصيل مصالحهم وحلِّ مشاكلهم ، وتظهر قوة الإسلام ووحدة المسلمين ، ويُرفع شعارُ الدين ، وتزولُ كلُّ الفوارق المصطنعة إلا فارق التقوىٰ ، وتسقط كل الشعارات البشرية والشرائع الجاهلية ، ولا يبقىٰ إلا شعارُ الدين ، وشريعة ربِّ العالمين ، وتبطُلُ كلُّ الاعتقادات الشركية ، ولا يبقىٰ إلا العقيدةُ الحنيفية ، ملة إبراهيم إمام الملة الإسلامية .

فإن هذا البيت أسِّسَ علىٰ التوحيد حين أمرَ الله إبراهيم وإسماعيل ببنائه ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦].

فمَنْ حاولَ أن يجلبَ الوثنية إلىٰ هذا البيت ، ويقيمَها حولَه ، أزاله الله من الوجود ،

وأذاقَه العذاب الأليم، كما فَعَلَ بعمرو بن لُحَيّ الخُزاعي الذي رآه النبيُّ ﷺ يَجُرُّ قصبَه في النار جزاءً له على ما أحدثَ من تغيير دين إبراهيم وتسييب السوائب للأصنام، وكما فَعَلَ بقريش على يدِ محمد ﷺ، نبيِّ الإسلام وصحابته الكرام، حينَ فتحوا مكةَ ومَحَوْا ما فيها وحولها من الأصنام.

ومن أراد بهذا البيت وقاصديه والمتعبدين فيه سوءًا، أذابَه الله بالعذاب كما يذوبُ الملح في الماء. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

ولَمَّا أراد أبرهة ملك الحبشة هدمَ هذا البيت وصرف الناس عنه وجهَّز لذلك جيشًا هائلاً، وفيه فيل عظيم ليهدمَ به الكعبة بأن يجعلَ السلاسل في أركانها ويربطَها في عنق الفيل ليجرَّها ويلقي جدرانها جملة واحدة، وكان لا يَمُر في طريقه بقبيلةٍ من قبائل العرب إلا دَهَمَها، إلى أنْ وَصَلَ إلى أرضِ الحرم فخرجَ أهلُ مكة إلى رءوس الجبال خوفًا منه، ولَمَّا تهيأ الجيش لدخول مكة وهيئوا الفيلَ ووجَّهوه نحوها بَرَكَ، فضربوه ليقومَ فأبى، وإذا وجَّهوه إلى غير مكة يهرولُ، وبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيرًا من البحرِ أمثال الخطاطيف، مَعَ كل طائر منها ثلاثة أحجار، حجرٌ في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، فحَلَّقت فوقَهم ورمتهم بتلك الحجارة فهَلكوا، وأنزَل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝﴾ [الفيل: ١-٥].

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكَهم ودمَّرهم فأصْبَحُوا مُلقَيْنَ على الأرض كعصفِ مأكول، وهو التبنُ الذي أكلتهُ البهائمُ وراثَتْه، وفي هذا أعظم عبرةٍ وأكبر زاجرٍ لمن يريد هذا البيت بسوء أن الله يهلكه ويجعله عبرةً للمعتبرين.

وهذا البيت الشريفُ له خصائصُ عظيمة:

منها: أنه أول بيت وُضع للناس على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

فأخبرَ سبحانه أنَّه أوَّل المساجد في الأرض، فهو قبل بيت المقدس، وهذا من أعظم الآيات البينات فيه، حيث تعاقَبَتْ عليه آلاف السنين، وهو باقٍ كما وضعه الله منارة للتوحيد ومثابةً للناس، مع حرْصِ الكفار على إزالته والقضاء عليه بكل وسيلة، ومع هذا بقي يتحدَّىٰ كُلَّ عدو، ولهذا سمَّاه الله بالبيت العتيق. قيل: سُمي عتيقًا، لأنه أول بيت وضع للناس، وقيل: لأن الله أعتقه من الجبابرة، فلم يظهَرْ عليه جبار قط، وقيل: لأنه أُعتق يوم الغرق زمانَ نوح عليه السلام، وأنه مباركٌ، أي: ذو بركة لِما جَعَلَ الله في حجِّه والطواف به من الأجر وتكفير السيئات، وأنه تُضاعفُ فيه الحسناتُ، والبركة: كثرة الخير.

﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ إليه اتجاهُهم في صلاتهم وتعبداتهم، فالمؤمنون يأتون حُجَّاجًا وعماراً، فتحصلُ لهم بذلك أنواع الهداية من معرفةِ الحقِّ وصلاح العقيدة، وغير ذلك. ولهذا يقول أحد المستشرقين لأصحابه لَمَّا اجتمعوا ليخططوا لإضلال المسلمين، قال لهم: لا تطمعوا في إضلالهم ما بقيَ لهم هذا المصحفُ وهذه الكعبة.

وقوله تعالىٰ: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ يعني: دلالات واضحات على التوحيد، من: الركن والمقام، والصفا والمروة والمشاعر كلها.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ يعني: أنَّ الله جعلَ حول هذا البيت حرمًا إذا دخله الخائف يأمنُ من كل سوءٍ حتىٰ في وقت الجاهلية كان الرجل يلقَىٰ قاتلَ أبيه، فلا يمسُّه حتىٰ يخرُجَ من هذا الحرم وقال تعالىٰ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

حتىٰ إنَّ الصيدَ فيه لا يُقْتلُ ولا ينفر من أوكاره ولا يُقْطع شجره، ولا يُقْلعُ حشيشه.

ومن خصائص هذا البيت:

أنه لا يشرع الطواف بغيره على وجه الأرض، فلا يشرع أن يطاف بالقبورِ والأضرحة ولا بالأشجار والأحجار، فمن اعتقد أنه يُشرعُ الطوافُ بغيرِالبيت فهو كافرٌ لأنَّه اعتقد ما لم يشرِّعه الله ولا رسوله.

ومن خصائص هذا البيت:

أن الله أوجبَ على الأمة كُلها حجَّه كل عام، وأوجبَ على الأفراد حجه مرة في العُمْر

مع الاستطاعة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

فحجُّة على المجموع فرضُ كفاية كل عام، وحجُّه على الأفراد فرضُ عين مرة في العمر مع الاستطاعة.

وإنَّما شَرَعَ الله للناسِ الحجَّ إلى بيته ليشهدوا منافعَ لهم، لا لحاجةٍ به إلى الحجاج كما يحتاجُ المخلوق إلى من يقصدُه ويعظِّمه.

وقد افتتح الله سبحانه بيانَ شرعية حج هذا البيت بذكرِ محاسنه ليُرَغبَ الناس في قصده والإتيان إليه، ولهذا أقبلت قلوب العباد إليه حبًّا وشوقًا إلى رؤيته، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥]؛ أي: يثوبون إليه ويرجعون إليه كل عام من جميع الأقطار، ولا يقضون فيه وطراً، بل كلَّما ازدادوا له زيارة ازدادوا اشتياقًا إليه.

وقد حكَمَ الله بكفر من تَرَكَ الحجَّ وهو يقدرُ عليه فقال تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

فمن تركَهُ جاحدًا لوجوبه فلا شَكَّ في كفره، وهذا بإجماع المسلمين، ومن تركَه تكاسُلاً أُجبِرَ عليه، وإن ماتَ قبل أن يَحُجَّ أخرجَ من تركته قدرُ ما يُحَجُّ به عنه.

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «فلا يضرّه ماتَ يهوديًا أو نصرانيًا»، وذلك بأنَّ الله قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. رواه أبو جرير.

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من أطاق الحجَّ فلم يحُجَّ فسواءٌ عليه مات يهوديًا أو نصرانيًا».

وقال أيضًا رضي الله عنه: «لقد هممْتُ أن أبعثَ رجالاً إلى هذه الأمصر فينظروا إلى كل مَنْ كان عنده جِدةٌ فلم يحُجَّ فيضربوا عليهم الجزيةَ، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين».

فليس على وجهِ الأرض بقعةٌ يجبُ على كلِ قادر السعي إليها، ولا بيتٌ يُشْرَعُ الطوافُ حولَه إلا المسجد الحرام والبيت العتيق، فأفضلُ بقاعِ الأرض هو المسجد الحرام، وأفضلُ

بيت على وجه الأرض هو الكعبة المشرفة.

وقال ﷺ في مكة: «والله إنَّك لخيرُ أرضِ الله وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك لما خَرَجتُ»، قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

فالحمد لله الذي جعل للمسلمين هذا البيت العظيم الذي تَقَرُّ به أعينُهم وتُحَط بزيارته والطواف به والصلاة عنده أوزارُهم، قال ﷺ: «مَنْ أتى هذا البيت فلم يرفُث ولم يفسُقْ رجعَ كيوم ولدَته أمُّه» فاشكروا الله - أيها المسلمون - على نعمته، واسألوه أن يَعمَّكم بواسع رحمته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ - ٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في فضل مسجد الرسول ﷺ وحرم المدينة

الحمدُ لله رب العالمين، فضَّلَ مسجدَ رسوله المصطفى، وأخبرَ أنَّه أول مسجد أُسِّسَ على التقوى، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، وأشهَدُ أن محمداً عبده ورسوله صاحب الحوض المورود والشفاعة العظمى. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسَّكُوا من الإسلام بالعروة الوثقى، وسلَّم تسليماً كثيراً:

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعْلَمُوا أنَّ زيارَةَ المسجد النبوي للصلاة فيه مشروعةٌ، وفيها فضلٌ عظيم، فهو أحدُ المساجد الثلاثة التي يسافَرُ إليها للصلاة فيها.

والصلاةُ في المسجد النبوي خيرٌ من ألفِ صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجدَ الحرام، كما ثبتَ، بذلك الحديث، عن النبي ﷺ، فيصلي فيه الزائرُ ما تيسَّر له من غيرِ تحديد.

وزيارتُه تُشْرَعُ في كل وقت قبلَ الحج وبعده، ولا علاقة لها بالحجِّ، وإنما هي عبادة مستقلة غير مؤقتة بوقت معين، وليس في المدينة مسجدٌ يُزارُ للصلاة فيه إلا مسجد قباء، فتُستحبُّ زيارتُهُ للصلاة فيه لمن كان في المدينة أو قدم إليها.

وقد حَرَّمَ النبي ﷺ المدينةَ كما حَرَّمَ إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكةَ، وحَرَمُها من الشمال إلى الجنوب ما بينَ عير إلى ثور، وهما جبلان معروفان، ومن الشرق إلى الغربِ ما بين الحرَّتين الشرقية والغربية، وفي «الصحيحين» عن علي رضي الله عنه مرفوعًا، **«المدينة حرامٌ ما بينَ عير إلى ثور من أحدثَ فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبَلُ الله منه صرْفًا ولا عدْلاً»**.

وروَىٰ الإمام أحمد من حديث جابر: **«حرامٌ ما بين حرَّتيها»** فيحرمُ قتل صيدِ حَرَمِها، ويحرم قطعُ شجَرِه، ولا جزاءَ فيما حُرِّمَ من صيدها وشجرها، وليس في الدنيا حَرَمٌ غير هذين الحرمين الشريفين، حرم مكة وحرم المدينة، فعَظِّموا هذين الحرمين واعرفوا أحكامَها، وما يحرمُ فيها حتى تجتنبوه.

واعلَمُوا أنَّ من زارَ مسجد الرسول ﷺ فإنه يستحَبُّ له أن يُسَلِّمَ على النبي ﷺ وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فيأتي قبرَ النبي ﷺ، ويقفُ قِبَلَ وجهه ويقولُ: السلام عليك يا رسول الله ورحمةُ الله وبركاته، ثم يتقدَّمُ قليلاً من مقام سلامه على النبي ﷺ نحو ذراع عن يمينه، ويقولُ: السلامُ عليك يا أبا بكر الصديق، ثم يتقدَّمُ نحو ذراع عن يمينه أيضًا، ويقول: السلامُ عليك يا عمرُ الفاروق.

وإن زارَ مقبرَةَ البقيع وقبورَ الشهداء عند أُحدٍ، وسَلَّمَ على الأموات واستغفرَ لهم ودعا لهم فَحَسَنٌ.

ثم اعلَمُوا أنَّ زيارة القبور تستحبُّ للرجال دون النساء، فالنساء لا تجوزُ لهن زيارةُ القبور، لا قبر النبي ﷺ ولا غيره، لأنَّ النبي ﷺ لعن زوَّارات القبور.

إنَّ خير الحديث كتاب الله . . . إلخ

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيان مزايا الحج وشروطه ووجوبه

الحمد لله رب العالمين، شَرَعَ لعباده حجّ بيته الحرام ليُكَفِّرَ عنهم الذنوبَ والآثام، وأشهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، شهادة تنفي جميعَ الشرك والأوهام، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله خير الأنام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه البررة الكرام، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ كما أمرَكُم بتقواه، وحديثُنا إليكم في هذه الخطبة سيكونُ عن مزايا الحجِّ في الإسلام، وأحكامِهِ العظام، سائلينَ الله لنا ولكم التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح والقبول.

فالحج هو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام: قال الله تعالىٰ: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٧].

أي: لله علىٰ الناس فرضٌ واجبٌ، وهو حجُّ البيت، لأنَّ كلمةَ (علىٰ) للإيجاب وقد أتبعه بقولِهِ جلَّ وعلا: ﴿ **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٧].

فسمَّىٰ تعالىٰ تاركَه كافراً، وهذا مما يدل علىٰ وجوبه وآكديَّته، فمن لم يعتقد وجوبَه فهو كافرٌ بالإجماع، وقال تعالىٰ لخليله: ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾ [الحج: ٢٧].

وللترمذي وغيره وصحَّحه عن علي رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَنْ ملكَ زاداً وراحلة تُبَلِّغُه إلى بيتِ الله ولم يحُجَّ فلا عليه أن يموتَ يهوديًّا أو نصرانيًّا**».

وقال ﷺ: «**بُنيَ الإسلامُ على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**» والمرادُ توفُّرُ الزاد ووسيلة النقلِ التي توصله إلىٰ البيت ويرجع بها إلىٰ أهله، مع توفير ما يكفي أهلَه إلىٰ أن يرجع إليهم بعد سدادِ ما عليه من الديون.

والحكمةُ في مشروعية الحج هي كما بيَّنها الله تعالىٰ بقوله: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ**﴾ [الحج: ٢٨]، إلىٰ قوله: ﴿**ثُمَّ**

﴿لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

فالمنفعة من الحجِّ للعباد، ولا ترجع إلى الله تعالى، لأنه: ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فليس به حاجةٌ إلى الحجاج كما يحتاج المخلوق إلى من يقصدُه ويعظِّمُه، بل العبادُ بحاجة إليه فهم يَفِدُون إليه لحاجتِهم إليه.

والحكمة في تأخير فرضية الحجِّ عن الصلاة والزكاة والصوم، لأنَّ الصلاة عمادُ الدين ولتكرُّرِها في اليوم والليلة خمسَ مرات، ثُمَّ الزكاة لكونها قرينة لها في كثيرٍ من المواضع، ثُمَّ الصوم لتكرُّرِه كلَّ سنة، وقد فرضَ الحج في الإسلام سنة تسع من الهجرة كما هو قول الجمهور، ولم يحُجَّ النبيُّ ﷺ بعد الإسلام إلا حجةً واحدةً هي حِجَّةُ الوداع. وكانت سنةَ عشرٍ من الهجرة، واعتمر ﷺ أربع عمرٍ.

والمقصودُ من الحجِّ والعمرة عبادةُ الله في البقاع التي أمرَ الله بعبادته فيها. قال ﷺ: «**إنما جُعِلَ رميُ الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكرِ الله**».

والحجُّ فرضٌ بإجماع المسلمين وركنٌ من أركان الإسلام، وهو فرضٌ في العمر مرّةً واحدة على المستطيع، وفرض كفاية على المسلمين كُلَّ عام، وما زاد على حج الفريضة في حقِّ أفراد المسلمين فهو تطوُّعٌ.

وأما العمرة فواجبةٌ على قولِ كثير من العلماء بدليلِ قوله ﷺ لَمّا سُئِلَ: هلْ على النساء من جهاد؟ قال: «**نعم، عليهن جهادٌ لا قتالَ فيه: الحجُّ والعمرة**» رواه أحمدُ، وابن ماجه بإسنادٍ صحيح.

وإذا ثبتَ وجوبُ العمرة على النساء فالرجالُ أولى، وقالَ ﷺ للذي سأله: «إنَّ أبي شيخٌ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظَّعَن» فقال: «**حُجَّ عن أبيك واعتمرْ**» رواه الخمسة وصحَّحه الترمذي.

فيجبُ الحجُّ والعمرة على المسلم مرة واحدة في العمر، لقوله ﷺ: «**الحجُّ مرةٌ فمن زادَ فهو تطوُّعٌ**» رواه أحمدُ وغيره، وفي «صحيح مسلم» وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**أيها الناسُ قد فُرِضَ الحَجّ فحُجُّوا**» فقال رجل: أكلَّ عام؟ فقال: «**لو قلتُ: نعم لوجَبَتْ، ولما استطعتُم**».

ويجبُ على المسلم أن يبادرَ بأداء الواجب مع الإمكان، ويأثَمُ إن أخَّره بلا عُذْر، لقوله ﷺ: «**تَعَجَّلُوا إلى الحج** (يعني الفريضة) **فإنَّ أحدكم لا يدْري ما يعْرِضُ له**» رواه أحمد.

وإنَّما يجبُ الحجُّ بشروطٍ خمسة: الإسلامُ، والعقل، والبُلوغ، والحرية، والاستطاعة، فمَنْ توفَّرت فيه هذه الشروط وجَبَ عليه المبادرة بأداءِ الحج.

ويصحّ فعلُ الحج والعمرة من الصبي نفلاً، لحديثِ ابن عباس: إن امرأةً رَفَعَتْ إلى النبي ﷺ صبيًّا، فقالت: ألهذا حجٌّ؟ قال: «**نعم، ولك أجرٌ**» رواه مسلم وقد أجمعَ أهلُ العلم على أنَّ الصبيَّ إذا حجَّ قبل أن يبلُغَ فعليه الحجُّ إذا بلغَ واستطاع، ولا تجزئه تلك الحجة عن حجة الإسلام، وكذا عمرته. وإن كان دونَ التمييز عَقَدَ عنه الإحرامَ وليُّه بأن ينويه عنه، يجنبه المحظورات ويطوف ويسعى به محمولاً ويستصحبه في عرفة ومزدلفة ومنى، ويرمي عنه الجمرات، وإن كان الصبيُّ مميزًا نَوَى الإحرام بنفسه بإذن وليِّه ويؤدِّي ما قَدَرَ عليه من مناسك الحج، وما عجَزَ عنه يفعلُه عنه وليه، كرمي الجمرات، ويُطافُ ويُسعى به راكبًا أو محمولاً إن عَجَزَ عن المشي، وكلُّ ما أمكَنَ الصغيرَ فعلُه مميزًا كان أو دونه بنفسه كالوقوف والمبيتِ، لَزِمَه فعله، بمعنى: أنه لا يصحُّ أن يُفْعَلَ عنه، لعدم الحاجةِ لذلك.

ويجتنب في حَجِّه ما يجتنبُ الكبيرُ من المحظورات.

والقادرُ على الحَجِّ هو الذي يتمكَّن من أدائه جسميًّا أو ماديًّا بأن يمكنَه الركوبَ، ويتحمل السفرَ، ويَجِد من المالَ بُلغتَه التي تكفيه ذهابًا وإيابًا، ويجد أيضًا ما يكفي أولادَه ومَنْ تلزمُهُ نفقتُهم إلى أن يعودَ إليهم، ولا بُدَّ أن يكون ذلك بعدَ قضاء الديون والحقوق التي عليه، بشرط أن يكون طريقه إلى الحج آمنًا على نفسه وماله، وإن قَدَرَ بماله دون جسمه بأن كان كبيرًا هَرِمًا أو مريضًا مرضًا مزمنًا لا يرجى بُرَؤُه لَزِمَه مَنْ يحجُّ عنه ويعتمرُ حجةَ وعمرة الإسلام من بلده، أو من البلد الذي أيسرَ فيه. لما رواه ابنُ عباس رضي الله عنهما: إنَّ امرأة من خَثْعم قالت: يا رسول الله، إن أبي أدركته فريضةُ الله في الحجِّ شيخًا كبيرًا لا يستطيعُ أن يثبت على الراحلةِ، أفأحُجُّ عنه؟ قال: «**حُجِّي عنه**» متفق عليه.

ويُشترط في النائب عن غيره في الحجِّ أن يكونَ قد حجَّ عن نفسه حجةَ الإسلام.
لحديثِ ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ سَمعَ رجلاً يقول: لبيكَ عن شُبرمةَ، قال

«حججتَ عن نفسك؟» قال: لا، قال: «حُجَّ عن نفسك» إسناده جيدٌ وصحَّحه البيهقي.

وحَجُّ النفل تجوزُ النيابة فيه عن القادرِ وغيره، ويُعطىٰ النائبُ من المال ما يكفيه من تكاليف السفر ذهابًا وإيابًا ولا تجوزُ الإجارة علىٰ الحج، ولا أن يُتَّخَذَ ذريعةً لكسب المال، وينبغي أن يكونَ مقصود النائب نفعَ أخيه المسلم المنوب عنه، وأن يَحُجَّ بيت الله الحرام، ويزورَ تلك المشاعر العظام، فيكون حَجُّه لله لا لأجل الدنيا، فإن حَجَّ لقصد المال فحجُّه غير صحيح ولا يجزئُ عن مستنيبه.

الحمد لله رب العالمين وبارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.



في الاستعداد للحج

الحمد لله الذي شَرَعَ لعباده حجَّ بيته الحرام، وجعَلَ ذلك أحدَ أركان الإسلام، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القُدُّوس السلام، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله ليبيِّن لأمته شرائع الإسلام، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الأئمة الأعلام، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعبدوه مخلصين له الدين، كما أمركم بذلك في كتابه المبين.

عباد الله: في هذه الأيام المباركة يستعدُّ المسلمون للسفر لحجِّ بيت الله الحرام منهم المتنفلُ بحجِّه، ومنهم منْ يؤدِّي به فريضةَ الإسلام، ولا شك أنَّ ذلك يحتاجُ إلىٰ استعداد بما يلزَمُ له ماليًّا وبدنيًّا ونية وقصدًا . . . فيحتاجُ إلىٰ استعدادٍ بالنفقة الكافية التي يستغني بها عن الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فأمرَ سبحانه بالتزودِ، وهو أخذُ الزاد الكافي لسفره ذهابًا وإيابًا، وتوفير المركوب المناسب الذي يحمل في سفره ويبلغُه إلىٰ بيت الله، ثم يردُّه إلىٰ وطنه. قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

والسبيلُ الذي اشترطَ الله استطاعته: هو الزادُ والمركوبُ المناسب في كل وقتٍ

بحسبه، ولما كان أناسٌ يحُجُّون بلا زادٍ ويُصبحون عالة على الحُجَّاج، ويقولون: نحن متوكلون، نَهَاهم الله عن ذلك وأمرهم بالتزود بما يُغنيهم عن الناس، فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ولما كانَ أناسٌ يظُنُّون أنَّ الاتجارَ والتكسُّبَ في موسم الحج لا يجوزُ للحُجَّاج أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

بيَّنَ سبحانه في هاتين الآيتين الكريمتين أنه لا بُدَّ من أخذ زادَيْن: زادِ السفر للدنيا، وذلك بالطعام والشراب الكافيين إلى نهاية الرحلة، وزادِ السفر للآخرة وذلك بالعمل الصالح والابتعاد عن المعاصي، ثم بيَّن سبحانه أنَّ مزاولة التجارة والاكتساب وطلبَ الرزق الحلال لا يتعارضُ مع العبادة إذا لم يَطغَ على وقتها ولم يشغل عنها.

كما أنَّ ذلك لا يتنافى مع التوكُّل، ثم لا بد لمن يريد الحجَّ أن يُوَفرَ لأهل بيته ما يكفيهم من النفقة إلى أن يرجعَ إليهم، ولا يجوز له أن يتركُهم بدون نفقة أو يُنقصَ من نفقتهم من أجل أن يوفر ما يكفي لحجِّه، فإنه في هذه الحال آثمٌ لا مأجور، قال ﷺ: «كَفَى بالمرءِ إثمًا إن يُضيِّعَ مَنْ يقوتُ» رواه النسائي.

كما أنَّ على من يريدُ الحج أن يسدِّدَ الديونَ التي عليه أو يوفِّرَ لها ما يسدِّدُها، فإن لم يكن لديه من المالِ ما يكفي لنفقة الحج وسدادِ الدين فإنه يقدمُ سداد الدين، ولا يجوزُ له أن يَحُجَّ في هذه الحالة.

كما أنَّ على الحاج أن يُنفِقَ في حَجِّه من الكسب الحلال، ليكونَ حجُّه مبروراً وذنبه مغفوراً. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرَجَ الحاجُّ حاجًّا بنفقة طيبة، ووضعَ رجلَه في الغَرز، فنادى: لبيكَ اللهُمَّ لبيك، ناداه مناد من السماء: لبيك وسعْديك، زادُك حلالٌ وراحلتُك حلالٌ، وحجُّك مبرورٌ غير مأزورٍ. وإذا خرجَ بالنفقة الخبيثة فوضَعَ رجله في الغَرْز، فنادى: لبيك: ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادُك حرامٌ ونفقتُك حرامٌ، وحجُّك مأزور غير مبرور» رواه الطبراني.

والنفقةُ في الحج إذا كانت من كَسْبٍ حلال تدخلُ في النفقة في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

دلّت هاتان الآيتان الكريمتان على أنّ النفقةَ في الحج من النفقة في سبيل الله حيثُ قُرِنَ ذكرُ الحج والعمرة بذكرِ الإنفاقِ في سبيل الله، وقد كانَ بعضُ الصحابة قد جَعَلَ بعيره في سبيل الله، فأرادت امرأتُهُ أن تَحُجَّ عليه، فقال لها النبي ﷺ: **«حجِّي عليه، فإن الحَجَّ في سبيل الله»** رواه أهل السنن وغيرهم.

ولهذا ذهبَ بعض العلماء، وهو رواية عن الإمام أحمد. إلى أن الحاجَّ يُعْطَى من الزكاةِ، لأنَّ من جملة مصارفها (في سبيل الله) والحجُّ داخلٌ في سبيل الله، فيُعْطَى من الزكاة من لم يَحُج ما يحجُّ به.

ويجبُ على من يريدُ الحج أن يتوبَ إلى الله من سائر الذنوب، وإذا كان عنده مظالمُ للناس فعليه أن يرُدُّها إليهم ويطلُبَ مسامحتَهم، ليستقبلَ حجَّه بالتوبةِ والتخلُّصِ من المظالم، ويجبُ عليه أن يتجنَّبَ الذنوبَ والمعاصي وأن يحافظَ على أداء الصلوات وسائر الواجبات، وهذا أمرٌ يجبُ عليه في كل حياته وفي جميع حالاته، لكنَّ الحاجَّ يتأكَّدُ في حقه ذلك لأنه في عبادة عظيمة، فلا ينبغي له أن يدخُلَ فيه وهو متلبِّس بالذنوب والمعاصي أو يفعلَ الذنوب والمعاصيَ أثناءَ الحج قالَ تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٩٧].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«من حجَّ هذا البيتَ فلم يرفُث ولم يفسُقْ خرجَ من ذنوبه كيوم ولدَته أمُّه»** فمغفرةُ الذنوب بالحجِّ ودخولَ الجنة مرتَّبٌ على كون الحج مبروراً. وإنَّما يكونَ الحج مبروراً باجتماعِ أمرين فيه:

أحدهما: الإتيانُ فيه بأعمالِ البرِّ ومنها الإحسانُ إلى الناس بالبر والصلةِ وحسن الخلق، ولَمَّا سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن البر، قال: **«حسن الخلق»**. وهذا يُحتاجُ إليه في الحجِّ كثيراً، بحيثُ يعامل الناس بالإحسان بالقولِ والفعل سواءٌ كانوا من رفقته في السفر أو من سائر الحُجَّاجِ الذين يلتقي بهم في الحج والمشاعر. وقد قيلَ: إنما سُمِّيَ السفرُ سفراً لإسفاره عن أخلاقِ الرجال.

وفي «مسند الإمام أحمد» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«الحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة»** قالوا: وما برُّ الحجِّ يا رسول الله؟ قال: **«إطعامُ الطعام وإفشاءُ السلام»**.

وسئلَ سعيدُ بن جبير - رحمه الله - أيُّ الحاجِّ أفضلُ؟ قال: «من أطعمَ الطعامَ وكفَّ لسانه».

وفي مراسيلِ خالد بن معدان، عن النبي ﷺ قال: «ما يصنعُ من يَؤُم هذا البيت إذا لم يكن فيه خصالٌ ثلاثة: ورَعٌ يحجزُه عمّا حَرَّمَ الله، وحِلْمٌ يضبطُ به جهلَه، وحسنُ صحابةٍ لمن يصحَبُ وإلا فلا حاجة لله بحجِّه».

فهذه الثلاثة يُحتاج إليها في الأسفار، خصوصًا في سفر الحج، فمن كمَّلها فقد كَمَّل حجَّه. وفي الجملة: فخيرُ الناس أنفعُهم للناس وأصبرُهم على أذىٰ الناس، كما وصفَ الله المتقين بذلك، فقال: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

الأمر الثاني: وهو من أعظمِ أنواع البر في الحجِّ، كثرةُ ذكر الله تعالىٰ فيه، وقد أمرَ الله تعالىٰ بذكره في إقامة مناسك الحج مرةً بعد أخرىٰ خصوصًا في حال الإحرام بالتلبية والتكبير، فما تزوَّدَ حاجٌّ ولا غيرُه أفضلَ من زاد التقوىٰ، فإن التقوىٰ تجمعُ خصالَ الخيرِ كلَّها ويجبُ علىٰ الحاجِّ أن يُخلصَ النية لله في حَجِّه بأن لا يقصدَ به رياءً ولا سُمعةً ولا طمعًا من مطامع الدنيا قال تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وإتمامُ الحجِّ الإتيانُ بمناسكه علىٰ الوجه المشروع، وقولُه (لله) يعني: إخلاص النية فيه لله وحدَه وتخليصَ أفعاله من الشرك الأكبر والأصغر، فلا يكونُ فيه رياءٌ ولا سُمعة ولا فخر ولا خُيَلاء ولا مباهاة، ويتواضَعُ في حَجِّه، فقد حجَّ النبي ﷺ علىٰ رَحْلٍ رثٍّ وقطيفةٍ ما تُساوي أربعةَ دراهم، وقالَ: اللهم اجعلَها حجةً لا رياء فيها ولا سُمعةَ.

وينبغي للحاجِّ أن يَصْبِرَ علىٰ المشقة، ولا يُرَفِّهَ نفسه في الحج، فإنَّ بعضَ الناس في هذا الزمان يُكثرُ من الأبَّهة وأخذ الكماليات الكثيرة من السيارات والأثاث والخيام التي يضايقُ بها الحجاجَ، وبعضُ الناس لا ينزلُ في منىٰ أيامَ التشريق، وإنما ينزلُ في شقق مفروشة ومبرَّدة خارجَ منىٰ، وقد يحتَجُّ بأنه لم يَجِدْ مكانًا في منىٰ.

والواجب علىٰ الحاج أن يبحث عن مكانٍ ينزل فيه من منىٰ، فإن لم يجدْ بعدَ البحث، فإنه ينزلُ قريبًا منها مع الحُجَّاج ولا ينصبُ خيامه بعيدًا عنها بل ينصبُ خيامَهُ مع الحجاج مهما أمكَنه القربُ من منىٰ؛ لأنَّ هذا منتهىٰ استطاعته، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وعلى الحاج قبلَ أن يسافرَ للحَجِّ أن يكتُبَ مالَه وما عليه من الديون وما عندَه من الودائع والأمانات من أجل أنه لو قُدِّرَ أن يجريَ عليه شيء في سفره من موت أو عائق يمنَعُه من الرجوع إلى وطنه فإنه يكونُ قد وثَّقَ هذه الحقوق وبيَّنها، فيضمَنُ بذلك وصولها إلى أهلها وتبرأُ ذمته منها.

فاتقوا الله - عبادَ الله - واستعدُّوا للحج بما يليقُ وأدّوه على الوجه المشروع. وأكمِلُوا مناسكَه، وأخلصوا النيةَ فيه لله مع الخشوع والسكينة والتواضع فيه لله، والإحسان إلى إخوانكم الحجاج وعدم أذيتهم، ومضايقتهم، واصْبِروا على مشاقِّه وما ينالُكُم فيه من التَّعَب، فإنه من الجهاد. والجهادُ لا بُدَّ فيه من مشقةٍ وتَعَبٍ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في الاستعداد للحج

الحمدُ لله رب العالمين، أوجبَ على عبادِه حجَّ البيت من استطاع إليه سبيلاً، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ربُّ المَشرق والمغرب لا إلهَ إلا هو فاتخذه وكيلاً، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين صدقوا ما عاهَدوا الله عليه وما بدَّلوا تبديلاً، وسلَّمَ تسليماً . . .

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وحافظوا على دينكم من جميع جوانبه ولا تكونوا مما يهتَمُّ بجانب منه ويُهملُ الجوانبَ الأخرى، فإنَّ بعضَ الناس يهتمُّ بالحَجِّ والعُمرة ويُضيع بقيةَ أركانِ الإسلام، فلا يهتم بإصلاح العقيدة التي هي أساسُ الدين، فتراه يدعو الموتى ويتقرَّبُ إليهم بأنواع العبادات، أو لا يَهْتمُّ بالصلاة التي هي عمود الإسلام، وتركها كفر بالله وخروجٌ من الدين، ولا يهتم بأداءِ الزكاة التي هي قرينةُ الصلاة، وثالثةُ أركانِ الإسلام، ولا يصومُ رمضان الذي جَعَلَ الله صومَه فريضةً على أهل الإيمان، وهذا

لا يُقْبَلُ منه حجٌّ ولا عمرة مادام مضيِّعًا لأركان الإسلام أو بعضها، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦].

فليسَ الدينُ هو الحج فقط، وإنما الحجُّ جزء من الدين وركنٌ من أركانه، وقبلَه أركانٌ آكدُ منه لا يَصِحُّ فعله ولا يُقْبَلُ إلا بعدَ أدائها، فمَنْ كان مضيِّعًا لشيءٍ من أركانِ الإسلام وهو يريد أن يَحُجَّ فعليه ولا يتوبَ إلىٰ الله توبةً صحيحة ويؤدي ما تركَ، ويحافظُ علىٰ أدائه، ثم يَحُجُّ بعد ذلك، لعلَّ الله يقبَلُ ويتقبل منه حجَّه وسائر عباداته، ثم يستمرُّ علىٰ التوبة، ويستقيم علىٰ الدين والطاعة، ويتجنبُ المعاصي في بقية حياته ومستقبلِ أيامه، فإنَّ الأعمالَ بالخواتيم وبابُ التوبة مفتوح ما لم يحضر الأجلُ، والأجلُ منتظرٌ حضوره في كلِّ لحظة، ولا يدري أحدٌ متىٰ تحين وفاته ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

فاتقوا الله عبادَ الله وبادروا بالتوبة، وحافظوا علىٰ الطاعة، واعلَمُوا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله. إلخ.



بيان صفة الحج

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليُظْهِرَهُ علىٰ الدينِ كلِّه وكفَىٰ بالله شهيداً، وأمرَ بطاعته والاقتداء به، فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأشهَدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا إله معه، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه وكُلِّ من أطاعه واتبعَه، وسَلَّمَ تسليمًا كثيراً..

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واقتدوا برسولِه في جميع عباداتكم وطاعاتكم حتىٰ تكونَ صحيحةً مقبولة عند الله، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

[النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن ذلك الاقتداءُ بالرسول ﷺ في أداء مناسك الحج، فقد حجَّ ﷺ وأمرَ الناس أن يقتدوا به ويفعلوا مثلَ ما يفعَلُ فقال: «خُذُوا عنِّي مناسككُمْ» أي: تعلَّموا مني كيفَ تَحجونَ وتؤدُّون المناسك، وذلك بأنْ تفعلوا مثلَ ما أفعَل، وهذا كلامٌ جامع استدلَّ به أهلُ العلم على مشروعية جميع ما فَعَلَهُ النبيُّ ﷺ وما قاله في حَجِّه وجوبًا في الواجبات ومستحبًا في المستحبات، وقد لَخَّصَ شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ صفةَ حجه ﷺ فقال:

وقد ثبتَ بالنقل المتواتر عند الخاصة من علماء الحديث من وجوه كثيرة في «الصحيحين» وغيرهما أنَّه ﷺ لمَّا حَجَّ حجةَ الوداع أحرمَ هو والمسلمون من ذي الحُليفة، فقال: «من شاءَ أن يُهل بعُمرة فليفعَلْ، ومَن شاء أن يُهلَّ بحجَّة فليفعلْ، ومَنْ شاء أن يُهلَّ بعمرة وحجة فليفعَلْ» فلمَّا قَدموا وطافوا بالبيت وبين الصفا والمروة أمرَ جميع المسلمين الذين حجُّوا معه أن يحلُّوا من إحرامهم، ويجعلوها عمرةً إلا مَنْ ساقَ الهَدْي فإنه لا يحلُّ حتى يبلُغ الهدي مَحلَّه، فراجَعَه بعضُهم في ذلك، فغَضِبَ، وقال: «انظروا ما أمرتُكم به فافعلوه» وكانَ ﷺ قد ساقَ الهَدْيَ، فلم يَحل من إحرامه.

ولمَّا رأى كراهة بعضهم للإحلال، قال: «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لما سُقْت الهَدْيَ ولجعلتُها عمرة، ولولا أنَّ معي الهَدْي لأحللت» وقال أيضًا: «إني لَبَّدْتُ رأسي، وقلَّدت هديي، فلا أحل حتَّى أنحر».

فحَلَّ المسلمون جميعُهم إلا النفر الذين ساقوا الهَدْيَ، منهم رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب، وطلحةُ بن عبيد الله، فلمَّا كان يوم التروية أحرَم المُحلُّون بالحجِّ وهم ذاهبون إلى منى، فبات بهم تلك الليلة بمنى، وصلَّى بهم الظهرَ والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم سار بهم إلى نَمرَةَ على طريق ضب.

ونَمِرَةُ خارجة عن عرفة من يمانيها وغربيها، ليست من الحرم ولا من عرفة، فنُصبت له القبةُ بنَمِرَةَ، وهناك كان ينزلُ خلفاؤه الراشدون بعده، وبها الأسواق وقضاءُ الحاجة والأكل ونحو ذلك، فلمَّا زالت الشمس ركبَ هو ومَنْ رَكِبَ معه وسار المسلمون إلى

المصلَّى ببطن عرنةَ حيثُ قد بُنِيَ المسجدُ، وليس هو من الحَرَم ولا من عرفة، وإنما هو برزخٌ بين المشعرين والحلال والحرام هناك، بينه وبين الموقف نحوُ ميل.

فخَطَب بهم خُطبة الحجِّ على راحلته وكان يوم الجمعة، ثم نَزَلَ فصلَّى بهم الظهرَ والعصر مقصورتين مجموعتين، ثم سارَ والمسلمون معه إلى الموقف عند الجبل المعروف بجبل الرحمة، واسمُه إلال على وزن هلال، وهو الذي تُسمِّيه العامة عرفة، فلم يزل هو والمسلمون في الذكر والدعاء إلى أن غَرَبَت الشمسُ، فدفعَ بهم إلى مزدلفة، فصلى المغرب والعشاء بعد مغيب الشفق قبل حط الرحال حيث نزلوا بمزدلفة، وبات بها حتى طلعَ الفجرُ، فصلَّى بالمسلمين الفجر في أوَّل وقتها مغلسًا بها زيادةً على كل يوم، ثم وقف عند قزح، وهو جبل مزدلفة الذي يُسمى المشعرَ الحرام، وإن كانت مزدلفةُ كلها هي المشعرَ الحرام المذكور في القرآن. فلم يزلْ واقفًا بالمسلمين إلى أن أسفرَ جدًا، ثم دَفعَ بهم حتى قدمَ منى، فاستفتحها برَمي جمرة العقبة، ثم رَجَعَ إلى منزله بمنى، فحلقَ رأسَه، ثم نحر ثلاثًا وستين بدنة من الذي ساقه وأمَرَ عليًا بنحرِ الباقي، وكان مئةَ بدنةٍ، ثم أفاض إلى مكة فطاف طوافَ الإفاضة.

وكانَ قد عَجَّلَ ضَعَفَةَ أهل بيته من مزدلفة قبل طلوع الفجر، فرَمَوا الجمرة بليل، ثم أقامَ بالمسلمين أيامَ منى الثلاث، يُصلِّي بهم الصلوات الخمس مقصورةٍ غير مجموعة برمي كُلِّ يوم الجمرات الثلاث بعدَ زوالَ الشمس يفتتحَ بالجمرةِ الأولى، وهي الصغرى، وهي الدّنيا إلى منى، والقصوى من مكة، ويختتمُ بجمرةِ العقبة، ويقفُ بين الجمرتين الأولى والثانية وبين الثانية والثالثة وقوفًا طويلاً بقدرِ سورة البقرة يذكر الله ويدعو، فإن المواقف ثلاث: عرفة، ومزدلفة، ومنى. ثم أفاض آخر أيام التشريق بعد رمي الجمرات هو والمسلمون، فنزل بالمحصَّب عند خَيْفِ بني كنانة، فبات هو والمسلمون في ليلة الأربعاء.

وبعثَ تلك الليلة عائشة مع أخيها عبد الرحمن تعتمر من التنعيم، وهو أقربُ أطرافِ الحَرَم إلى مكة من طريق أهل المدينة، وقد بُنيَ بعده هناك مسجدٌ سمَّاه مسجد عائشة، لأنَّه لم يعتمرْ بعد الحجِّ مع النبي ﷺ من أصحابِه أحدٌ قطُّ إلا عائشةُ، لأجلِ أنَّها كانت قد حاضَتْ لَمَّا قَدمَتْ، وكانت معتمرة، فلم تطُفْ قبلَ الوقوف بالبيت ولا بينَ الصَّفا والمروة، وقالَ لها النبي ﷺ: **«اقضي ما يقضي الحاجُّ غير أن لا تَطُوفي بالبيت ولا بين الصفا والمروة»** ثم ودَّعَ البيت هو والمسلمون ورجعَ إلى المدينة، ولم يَقُمْ بعدَ أيام التشريق

ولا اعتمر أحدٌ قطُّ على عهده عمرةً يخرجُ فيها من الحَرَم إلى الحلِّ إلا عائشة وحدها، فأخذَها فقهاءُ الحديث كأحمد وغيره بسنته في ذلك كله، وإن كان منهم ومن غيرهم مَنْ قد يخالفُ بعض ذلك بتأويلٍ تَخْفَى عليه فيه السنةُ.

انتهى كلامُه رحمه الله وهو خلاصة جيدة لصفةِ حجِّ رسول الله ﷺ وأصحابه، وقد أُمرنا بالاقتداءِ به في هذا وغيره، فلنفعَلْ مثلَ ما فعل حتي تكونَ أعمالُنا في حجنا وعمرتنا وجميع أمور ديننا صحيحةً مقبولةً عند الله تعالى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في صفة الحج

الحمدُ لله الذي تفضَّلَ علينا بدينِ الإسلام، وببعثة النبي ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهَدُ أن محمداً عبده ورسوله، صَلَّى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تَمَسَّكَ بسنته إلى يوم الدين وسلَّم تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واشكروه حيثُ بَيَّنَ لكم دينكمْ وأتمَّ عليكم نعمتَه فتمسكوا به، واسألُوا الله الثباتَ عليه.

عبادَ الله: اعلموا أنَّ أعمالَ الحج تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أركان لا يَصِحُّ الحج أو لا يتمُّ إلا بها: وهي (الإحرام، والوقوف بعرفة، وطوافُ الإفاضة، والسعي بين الصفا والمروة).

القسم الثاني: واجباتٌ، وهي (الإحرامُ من الميقات المعتبر له، والوقوفُ بعرفة إلى غروب الشمس لمن وقف نهاراً، والمَبيتُ بمزدلفة إلى نصف الليل لمن وافاها قبلَ منتصف الليل، ورميُ الجمار، والحلقُ، أو التقصير، والمبيتُ بمنى ليالي أيام التشريق، وطوافُ الوداع على غيرِ الحائض والنفساء).

القسم الثالث: مستحبات، وهي: ما عدا هذه الأركان والواجبات من أعمال الحج (كالاحرام بالحجِّ في اليوم الثامن، والخروج إلى مِنى في هذا اليوم، والمبيت بها ليلة التاسع وأداء الصلوات الخمس فيها كل صلاة في وقتها مع قصرِ الصلاة الرباعية، والنزولِ بنَمرَةَ قبل الوقوف، والدعاء في عرفةَ وقت الوقوف، وفي مزدلفة بعد صلاة الفجر، والبقاءِ في منى في النهار أيام التشريق، وطوافِ القدوم في حق القارن والمفرد).

ومَنْ ترك ركنًا من أركان الحجِّ فإن كان الإحرام أو الوقوفَ بعرفة لم يصحَّ حجُّه وإن كان غيرهما لم يتم الحج إلا به، ومن ترك واجبًا فعليه دمٌ، ومن تركَ سنةً فلا شيءَ عليه. فاحرِصُوا أيُّها المسلمون على إتمام حجكم على وفقِ ما شرعَهُ الله وبيَّنه رسول الله واعلموا أنَّ خير الحديث كتاب الله . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

توحيد العبادة من خلال مناسك الحج

الحمد لله رب العالمين، خَلَقَ الخلق لعبادته وأمرهم بتوحيده وطاعته، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى جميع بريته، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على نهجِه وتمسَّكوا بسنته، وسلَّمَ تسليمًا كثيراً . . . أما بعد:

أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلمُوا أنَّه خلقَكَم لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبذلك أمرَالله جميع الخلق، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

والعبادة لا تكون عبادةً إلا مع التوحيد، كما أنَّ الصلاة لا تكونُ صلاة إلا مع الطهارة، فكما أنَّ المتطهرَ إذا أحدَثَ بَطلَتْ طهارتُهُ، فكذلك العابدُ إذا أشرك بَطلتْ عبادته، كما قال تعالى لأشرفِ الخلق: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ

لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦].

فالشركُ لا يَصحُّ معه عملٌ ولا تُقبلُ معه عبادة، ولهذا كثيرًا ما يأتي الأمرُ بالعبادة مقرونًا بالنهي عن الشرك، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وكلُّ نبي يقول لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

عباد الله: إن الله شرع لنا حجَّ بيته العتيق، فلنتدبر ما في هذا الحج من مظاهر التوحيد والابتعاد عن الشرك، حتىٰ يكون ذلك درسًا عمليًا نترسمه في كل عباداتنا.

ونحن إذا تدبرنا تأسيسَ هذ البيت وجدناه قد أُسّسَ علىٰ التوحيد، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

فأمرهما الله بتطهير البيت من سائر النجاسات، وأعظَمُها الشرك، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦].

إذًا فهذا البيت أسِّس علىٰ التوحيد، ويجبُ أن يبقىٰ علىٰ التوحيد إلىٰ أن تقوم الساعة، لا يجوز أن يسمَحَ لمشرك بالوصول إليه ولا بمزاولته شركه حولَه، ولهذا لَمَّا فتَحَ النبيُّ ﷺ مكةَ المشرفة دخلَ المسجد الحرام وفوقَ الكعبة وحولَها ثلاث مئة وستون صنمًا، فجعل يطعنُها بالقضيب، ويقول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

فجَعَلت الأصنامُ تتهاوىٰ علىٰ وجوهها، ثم أمرَ بها ﷺ فأخْرجت من المسجد وأحرقت، ثم دَخَلَ ﷺ الكعبة وأزال ما رسم علىٰ جُدرانها من الصُّورَ، وكلُّ ذلك عملاً بقول الله تعالىٰ: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦].

لأنَّ هذا البيت قبلةُ المسلمين، وإليه حجُّهم وعمرتهم، وهو ملتقىٰ قلوبهم وأبدانهم، يأتون إليه من كل فجٍّ عميق، فيجبُ أن يكونَ مصدرَ التوحيد ومنبعَ العقيدة الصحيحة علىٰ مرِّ الزمان وتعاقُبِ الأجيال، ويجبُ أن يُبْعَدَ عنه كلُّ من أراد أن يبذرَ في أرضه بذورَ الشرك، أو يمارس حوله إقامة البدع والخرافات حتي يظل مصدرًا صافيًا للإخلاص لله بالتوحيد وإفرادِهِ بالعبادة، وإحياءِ سنة الرسول ﷺ والدعوة إلىٰ ذلك.

وقد أمَرَ الله بأداء الحجِّ والعمرة خالصين له، فقال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ممَّا يدلُّ على أنَّ كل حجٍّ وعمرة لا يتوفر فيهما توحيدُ العبادة، فليسا بمقبولين عندَ الله سبحانه وتعالى.

عبادَ الله: ومن مظاهرِ توحيد العباداتِ في الحجِّ، رفعُ الأصوات بعد الإحرام بالتلبية لله ونفي الشريك عنه وإعلان انفراده بالحمد والنعمة والملك: «**لبيك اللهمَّ لبيكَ، لبيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملك**» يُردِّدُها الحجَّاج بين كل فترةٍ وأخرى حتَّى يشرَعُوا في التحلُّل من الإحرام.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحجِّ: أنَّ أعظم الذكر الذي يُقالُ في يوم عرفة: «**لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيء قديرٌ**» كما قالَ النبيُّ ﷺ: «**خيرُ الدعاء دعاءُ عرفةَ، وخيرُ ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**».

فهذا إعلان في هذا المجمع العظيم وفي هذا اليوم المبارك لتوحيدِ العبادة بالنطقِ بهذه الكلمة وتكرارها لأجْلِ أن يستشعر الحاجُّ مدلولَها ويَعْمَل بمقتضاها، فيؤدي أعمالَ حجِّه خالصةً لله عز وجل من جميع شوائب الشرك.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحجِّ: أن الله أمر بالطواف ببيتِه، فقال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

مما يدلُّ على أنَّ الطوافَ خاصٌّ بهذا البيت، فلا يجوزُ الطواف ببيت غيره على وجهِ الأرض، لا بالأضرحة، ولا بالأشجار والأحجار، ومن هُنا يعلَمُ الحاج أنَّ كل طوافٍ بغير البيتِ العتيق فهو باطلٌ وليس عبادةً لله عز وجل وإنما هو عبادةٌ لمن شَرَعَهُ وأمر به من شياطين الإنس والجن...

ومن مظاهر توحيد العبادة في الطواف بالبيت العتيق: أنَّ الطائف حينَ يستلِمُ الركن اليماني والحجرَ الأسود يُكبر الله معتقدًا أنه يستلمها لأنَّهما من شعائر الله، فهو يستلمُهما

طاعةً لله واقتداءً برسوله ﷺ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلمَ الحجر وقبَّله: «والله إني لأعلمُ أنك حجرٌ لا تنفع ولا تضرُّ، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبِّلُكَ ما قبَّلْتُكَ».

ومن هنا يعلَمُ المسلم أنه لا يجوزُ التمسُّحُ بشيءٍ من الأبنية والأحجار إلا بالركن اليماني والحجر الأسود، لأنهما من شعائر الله، فلا يتمسَّحُ بالأضرحةِ ولا بغيرها لأنَّه مخالفٌ لشرعِ الله، ولأنَّها ليست من شعائرِ الله.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحجِّ أنَّ الحاجَّ حينما يفرُغُ من الطواف ويصلِّي الركعتين فإنه يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثانية يقرأ سورة الإخلاص، لِما تشتملُ عليه هاتان السورتان من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

ففي السورة الأولى البراءةُ من دين المشركين وإفرادُ الله بالعبادة.

وفي السورة الثانية إفراد الله بصفاتِ الكمال، وتنزيههُ عن صفات النقص، وبذلك يعرفُ العبدُ ربه ويُخْلِصُ له العبادةَ ويتبرأ من عبادةِ ما سواه من خلالِ هذا الدرس العملي العظيم.

ومن مظاهر توحيد العبادة في السعي بين الصفا والمروة أنَّ العبد يسعى بينهما امتثالاً لقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

ومن ذلك يتعلَّمُ المسلم أنه لا يجوزُ السعيُ في أي مكانٍ من الأرض إلا بين الصفا والمروة لأنهما من شعائر الله وأن السعْي بينَهما إنما هو بأمرِ الله، فكلُّ سعيٍ في غيرهما فليسَ عبادةً لله لأنه سعيٌ بغير أمر الله وبغير شعائره.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج ما شَرَعَهُ الله في يوم العيد وأيام التشريقَ من ذكره وحده. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وذكرُ الله في هذه الأيام يتجلَّى في الأعمال العظيمة التي تؤدي في أيام منى من رمي الجمار، وذبح الهدي، وأداءِ الصلوات الخمس في هذا المشعر المبارك والأيام المباركة. كلُّ

هذه الأعمال ذكر لله عزَّ وجلَّ، فرميُ الجمار ذكرٌ لله، ولهذا يقول المسلم عند رمي كل حصاة: (الله أكبر) وذبحُ الهدي ذكرٌ لله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

ومن هنا يتعلَّمُ المسلمُ أنَّ الذبحَ عبادة لا يجوزُ صرفُها لغير الله، فلا يجوزُ أن يذبَحَ لقبرٍ ولا لوليٍّ ولا لجني أو أي مخلوقٍ، لأنَّ الذبحَ عبادةٌ، وصرفُ العبادة لغير الله شرك.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أنَّ الله أمرَ بذكره أثناء أداء مناسكه وبعدَ الفراغ منه، ونهى عن ذكر غيره من الرؤساء والعظماء والأحياء والأموات، وعن المفاخرة في الأحساب والأنساب، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٩٨-٢٠٣].

إنَّ الحج ليسَ مجردَ رحلة استطلاعية، أو متعةٍ ترفيهية، أو مجردَ مظاهر وشعارات ولكنه دروسٌ وعبرٌ، وتعليمٌ عملي للعقيدة الصحيحة ونَبْذٌ للعقائد الجاهلية.

فاتقوا الله - عباد الله - في أداء حجكم وسائر عباداتكم بأن تكونَ خالصةً لوجه الله، وصوابًا على سنة رسول الله حتى يكونَ حجُّكم مبرورًا، فإن الحجَّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في بيان توحيد العبادة من خلال الحج ومناسكه

الحمد لله رب العالمين، شرَعَ لعباده ما يُصلحهم ويُصلحُ دينَهم ودنياهم، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وليُّ المؤمنين ومولاهم، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله أخشى الخلق لله وأتقاهُم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل مَنْ أحبَّهم وتولاَّهم. وسلَّم تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله يا مَنْ مَنَّ الله عليهم بحجِّ بيته العتيق، وتعلمتُم من مناسكِه العقيدةَ الصحيحة، وأدركتم ما كنتم عليه أو ما كان عليه غيرُكم من أهل بلادكم من أخطاء تخالفُ هذه العقيدة، عليكم أن تسعَوا في تصحيح هذه الأخطاء، فإنكم مسئولون عن ذلك أمام الله تعالى، فإن الله حَمَّلَ العالِمَ مسئولية تعليم الجاهل، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فإياكم والمجاملةَ فيما يُغْضب الله، والمداهنةَ في دين الله.

﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالمؤمن يسعى في إصلاح نفسه، ثم في إصلاح غيره، قال ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه**».

فاتقوا الله - عبادَ الله - واهتمُّوا بدينِكم عمومًا وبعقيدتكم خصوصًا، فإنها الأصلُ والأساس، فإنَّ الدين ينبني على أصلين:

الأصل الأول: الإخلاص لله في العبادة.

الأصل الثاني: المتابعةُ للرسولِ ﷺ، وهذان الأصلانِ إنما يُعرفان من تدبُّرِ الكتاب والسنةِ واتباعِهما، فإن خيرَ الحديث كتاب الله وخير الهدي هديُ محمد ﷺ. . . إلخ.



في مشروعية الهجرة وأنواعها بمناسبة بداية العام الهجري

الحمدُ لله ذي الفضل والإحسان، شَرَعَ لعباده هجرةَ القلوب، وهجرةَ الأبدان، وجَعَلَ هاتين الهجرتين باقيتين على مرِّ الزمان، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته الحسان، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، أرسلَهُ بالهدىٰ ودين الحق ليُظهِرَهُ علىٰ سائر الأديان. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين هاجروا وجاهَدُوا حتَّىٰ فَتَحُوا القلوب والبلدان، ونشروا العدلَ والإيمان، وسلَّم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وليكن لكم في سيرةِ نبيكم صَلَّىٰ الله عليه وسلم خيرَ أسوةٍ، وذلك بترسُّمِ خطاه والسيرِ علىٰ نهجه والاقتداء به في أقواله وأفعاله وأخلاقه كما أمركم الله بذلك فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

في هذه الأيام يُكثِرُ الناس من التحدُّثِ عن هجرةِ الرسولﷺ في الخُطَبِ والمحاضراتِ ووسائل الإعلام، ولا يعدو حديثُهم في الغالب أن يكونَ قصصًا تاريخيًا يملئون به الفراغَ في أيام معدودات، ثم يُتْرَكُ ويُنسىٰ دون أن يكون له أثرٌ في النفوس أو قدوةٌ في الأعمال والأخلاقِ، بل لا يعدو أن يكون ذلك عادةً سنوية تُرَدَّدُ علىٰ الألسنة دون فقهٍ لمعنىٰ الهجرة وعملٍ بمدلولها.

إن الهجرة معناها لغة: مفارقةُ الإنسان غيرَهُ ببدنه أو بلسانه أو بقلبه. ومعناها شرعًا: مفارقةُ بلادِ الكفر أو مفارقةُ الأشرار، أو مفارقةِ الأعمال السيئة والخصال المذمومة، وهي من ملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيثُ قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

أي: مهاجرٌ من أرض الكفر إلىٰ أرضِ الإيمان، وقد هاجَرَ عليه الصلاة والسلام ببعضِ

ذريته إلى الشام حيثُ البلادُ المقدسة والمسجد الأقصى، وبالبعض الآخر إلى بلاد الحجاز حيثُ البلدُ الحرام والبيت العتيق كما جاء في دعائه لربه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

والهجرة من شريعةِ محمدٍ ﷺ حيثُ أمرَ أصحابَهُ بالهجرةِ إلى الحبشةِ لمّا اشتدَّ عليهم الأذى من الكفار في مكة، فخرجوا إلى أرض الحبشة مرتين فراراً بدينهم، وبقيَ النبي ﷺ في مكة يدعو إلى الله، ويلاقي من الناس أشدَّ الأذى، وهو يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

فأذنَ الله له بالهجرةِ إلى المدينة وأذنَ ﷺ لأصحابه بالهجرة إليها، فبادروا إلى ذلكَ فراراً بدينهم وقد تركوا ديارَهم وأموالَهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، وينصرون الله ورسوله، وقد أثنى الله عليهم بذلك ومدحَهم ووعدهم جزيلَ الأجر والثواب، وصارَت الهجرةُ قرينةَ الجهادِ في كتاب الله عز وجل، وصارَ المهاجرون أفضلَ الصحابة حيث فَرُّوا بدينهم، وتَرَكَوا أعزَّ ما يملكون من الديارِ والأموال والأقارب والعشيرة، وباعُوا ذلك لله عز وجل وفي سبيله وابتغاءَ مرضاته، وصارَ ذلك شريعة ثابتة إلى أن تقومَ الساعة، فقد جاء في الحديث: «**لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ، ولا تنقطع التوبةُ حتى تخرُجَ الشمسُ من مغربها**» فكُلُّ مَنْ لم يستطع إظهارَ دينه في بلد، فإنه يجبُ عليه أن ينتقلَ منها إلى بلد يستطيعُ فيه إظهار دينه، وإظهارُ الدين معناه: القيامُ بالدعوة إلى الله وإعلانُ البراءةِ من الكُفَّار والمشركين، وبيانُ بُطلانِ ما هُم عليه، وليس معنى إظهار الدين هو تمكينه من القيام بالشعائر التعبدية فقط دونَ القيام بالدعوة إلى الله ومعاداةِ الكفار وإعلان البراءة منهم ومن دينهم وبيانِ بُطلان ما هُم عليه.

وقد توعَّد الله من قَدَرَ على الهجرة فلم يُهاجر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

فهذا وعيدٌ شديد لمن تركَ الهجرةَ بدون عُذرٍ، وهذه الآية الكريمة عامةٌ في كل مَنْ أقام بَين ظهراني المشركين، وهو قادرٌ على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حرامًا بالإجماع وبنصٍّ هذه الآية حيثُ يقولُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ أي: بترك الهجرة. ﴿قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: لِمَ مكثتُم هاهنا وتركتم الهجرة: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾، أي: لا نقدرُ على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض، وهذا اعتذارٌ منهم غيرُ صحيح، لأنَّهم كانوا يقدرونَ على الهجرة فتركوها، ولهذا قالت لهم الملائكة توبيخًا لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾.

فمَنْ لم يستطع إظهارَ دينه في بلدٍ وجبَ عليه الخروجُ إلى بلد يستطيعُ فيها ذلك، فإنَّ بلادَ الله واسعةٌ ولا تخلو من بلادٍ صالحة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

أي: يجد مكانًا يتحصَّنُ فيه من أذى الكفَّار، وسَعَةٌ في الرزق يعوِّضُه الله بهما عما تَركَ في بلده من المال، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

عبادَ الله: ومن أنواع الهجرة هَجْرَ المعاصي من الكُفْرِ والشرك والنفاق وسائر الأعمال السيئة والخصال الذميمة والأخلاق الوخيمة، قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥].

الرجْزُ: الأصنام، وهجرُها: تركُها والبراءةُ منها ومن أهلها.

وقال النبي ﷺ: «**المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجرُ من هَجَرَ ما نَهَى الله عنه**» أي: تركَ ما نهى الله عنه من الأعمال، والأخلاق، والأقوال، والمآكل المحرمة، والمشارب، والنظر المحرم والسماع المحرم، كلُّ هذه الأمور يجبُ هجرُها والابتعاد عنها.

ومن أنواع الهجرة هجْرُ العصاة من الكفار والمشركين والمنافقين والفُسَّاق، وذلك بالابتعاد عنهم قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [المزمل: ١٠].

أي: اصبر على ما يقولُه مَنْ كذَّبك من سُفهاءِ قومك ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ أي:

اتركْهم تركًا لا عتابَ معه .

ومن أعظم أنواع الهجرة هجرةُ القلوب إلىٰ الله تعالىٰ بإخلاص العبادة له في السر والعلانية حتىٰ لا يَقصدَ المؤمن بقوله وعمله إلا وجْهَ الله ، ولا يحبُّ إلا الله ومن يُحبُّه الله ، وكذلك الهجرة إلىٰ رسول الله ﷺ باتباعه وتقديم طاعته والعمل بما جاء به .

وبالجملة فهذه الهجرة هجرةٌ إلىٰ الكتاب والسنّة من الشركيات والبِدَع والخُرافات والمقالات والمذاهب المخالفة للكتاب والسنة ، فتبين من هذا أنَّ الهجرة أنواعٌ وهي :

هجرُ أمكنة الكفر ، وهجرُ الأشخاص الضالين ، وهجرُ الأعمال والأقوال الباطلة ، وهجرُ المذاهبِ والأقوالِ والآراء المخالفة للكتاب والسنة .

فليسَ المقصود التحدث عن الهجرة بأسلوب قصصي وسرد تاريخي ، أو أن تقام لمناسبتها طقوسٌ واحتفالات ، ثم تُنسىٰ ولا يكونُ لها أثرٌ في النفوس أو تأثيرٌ في السلوك ، فإن كثيرًا ممَّنْ يتحدَّثون عن الهجرة علىٰ رأس السنة لا يفقَهُونَ معناها ولا يعملُون بمقتضاها ، بل يخالفونَها في سلوكهم وأعمالِهم فهم يتحدَّثون عن هجرةِ الرسول وأصحابه وتركهم أوطان الكفر إلىٰ وطنِ الإيمان وهم مُقيمونَ في بلادِ الكفار ، أو يسافرونَ إليها لقضاءِ الأجازة أو للنزهةِ ، أو لقضاء شهرِ العسل كما يُسَمُّونَهُ بعدَ الزواج .

يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون عبادةَ القبورِ والأضرحة ، بل يعبدونها من دونِ الله كما تُعْبدُ الأصنام أو أشدَّ ، يتحدَّثون عن الهجرةِ وهم لا يهجرون الكفارَ والمنافقين والفاسقين ، بل يتخذونَهم أصدقاءَ وأولياء من دونِ المؤمنين .

ومنهم من يجلبُ الكفارَ إلىٰ بلاد المسلمين ويُسْكنهم بينَ أظهُرهم ويُمَكّنهم من الدخولِ في البيوت وتربيةِ الأولاد والخلوة بالمحارمِ ويأتمنونهم علىٰ الأسرار ، فأين هجرُ الأشرار؟!

يتحدثون عن الهجرةِ وهم لا يَهْجُرون المذاهبَ الباطلة والآراءَ المُضلة والقوانين الكفرية ، بل يجعلونَها مكانَ الشريعة الإسلامية .

يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون المعاصيَ والأخلاق الرذيلة ، فلا يهجرون الأغاني الماجنةَ والمزامير الفاتنة ، والأفلامَ الخليعة ، والمسلسلات الهابطة .

يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون عاداتِ الكفار وتقاليدهم ، بل يتشبَّهون بهم في

حلقِ اللحىٰ وإطالة الشوارب وسفورِ النساء وغير ذلك من عوائدِ الكُفَّارِ المذمومة، فأينَ هي معاني الهجرة وأنواعُها من تصرُّفات هؤلاء؟

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واقتبسوا من الهجرة وغيرها من أحداث السيرة النبوية دروسًا تنهَجونها في حياتكم، ولا يكُنْ تحدُّثكم عن الهجرة مجردَ أقوال علىٰ الألسنة أو حبر علىٰ الأوراق، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في موضوع الهجرة

الحمدُ لله وحدَه، أنجزَ وعده، وأعزَّ جندَه، وهزَم الأحزاب وحده، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ مَن عَرَفَ ربه، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله خاتم النبين، فلا نبيَّ بعده. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعد: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلَموا أنَّ الهجرةَ من أعظمِ مقامات الدين. بها يفارقُ المسلم الكافرَ في وطنه وفي عقيدته وفي أخلاقه، وبها يحصُلُ اعتزازُ المسلمِ بدينه وفي شخصيته، وبها يحصُلُ الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين وقد كانت هجرةُ النبي ﷺ حدثًا عظيمًا فَرَّقَ الله به بينَ أوليائه وأعدائه، وجَعَلَها مبدأً لإعزاز دينِه ونصرِ عبده ورسوله وميزةً تَميَّزَ بها المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ غيرهم، فكان المهاجرون أفضلَ الصحابة وأسبقَهم ذكرًا في القرآن الكريم.

وقد جَعلَ صحابةُ رسول الله ﷺ الهجرةَ مبدأ لتاريخهم، فصاروا يؤرخون بها وذلك أنَّ عمرَ رضي الله عنه استشارَ أصحابَ رسول الله ﷺ في المبدأ الذي يؤرخُون به خطاباتِهم ومعاملاتِهم، فأشاروا عليه أن يكونَ التاريخُ بهجرةِ النبي ﷺ، وقد قالَ النبيُّ ﷺ: **«عليكُمْ بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»**.

فلا يجوز للمسلمين استعمالُ التاريخ الميلادي أو غيره من تواريخ الكُفَّار تشبُّهًا بالكفارِ ومشاركةً لهم في طقوسهم وأعيادهم، وقد نُهينا عن التشبه بهم، والله قد أغنانا وأعَزَّنا بالإسلام فلنعتَزَّ به وبتاريخه ولنتمسك بكتاب ربِّنا وسنة نبينا، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة. . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في تحريم الضرر والضرار

الحمدُ لله رب العالمين، أمَرَ بالبرِّ والإحسان، ونَهَىٰ عن الظُّلم والعدوان، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملك والحمد والعظمة والسلطان وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان، صَلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين نَشَرُوا دينَه في عموم الأوطان، وسَلَّمَ تسليمًا كثيراً . . .

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقو الله تعالىٰ، وكونوا عباد الله إخوانًا كما سماكم الله، يُحبُّ أحدُكم لأخيه من الخير ما يحبُّه لنفسه، ويكرَهُ له من الشَّرِّ ما يَكْرَهُ لنفسه، يبذُلُ خيره لأخيه، ويكفُّ عنه شرَّه ولا يؤذيه، عن أبي سعيدِ الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ**» حديثٌ حسن رُوِيَ مسنداً ومرسلاً، وله طرقٌ يقوي بعضُها بعضًا، وقد تقبَّلَه جماهيرُ أهلِ العلم واحتجُّوا به، وهو يدلُّ علىٰ تحريم الضَّرَرِ والضرار، والضررُ: ضدُّ النفع، وقد دلَّ الحديثُ علي تحريم إيصالِ الضرر إلىٰ الناس بغيرِ حق في أبدانهم وأعراضهم وأولادِهم وأموالهم، وفي الحديثِ الآخر: «**مَنْ ضَارَّ ضارَّ الله به ومَنْ شاقَّ شاقَّ الله عليه**».

والمضارة بالناسِ على نوعين:

النوع الأول: أنْ يُضارهم في غير مصلحةٍ تعود عليه في نفسه. وهذا لا شك في تحريمه وقبحه وقد ورد في القرآن الكريم النهي عن المضارة في مواضع: منها المضارةُ في الوصية، قال تعالىٰ: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾[النساء: ١٢].

وفي الحديث عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إنَّ العبدَ ليعمَلُ بطاعة الله ستين سنةً، ثم يحضُرُهُ الموتُ في الوصية فيدخُلُ النار**» ثم تلا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤]، وخرَّجه الترمذيُّ وغيره بمعناه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الإضرارُ في الوصيةِ من الكبائر، ثم تلا هذه الآية وذلك لأن الله توعَّده أن يُدخلَه النار خالداً فيها، وذلك لا يكونُ إلا علىٰ كبيرة .

والإضرار في الوصية على نوعين:

النوع الأول: أن يوصيَ لبعض الورثة بزيادة على فرضه الذي فرضَه الله له فيتضررَ بقيةُ الورثة، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه فلا وصية لوارث».

النوع الثاني: أنْ يوصيَ بزيادةٍ على الثُّلث لغير وارث، فينقُصَ حقوقَ الورثة، والنبيُّ ﷺ إنما رخَّص بالوصية بالثُّلث فأقل، فقال: «الثلث، والثلث كثيرٌ».

ومن المضارَّة المنهيِّ عنها في القرآن المضارة في العشرة الزوجية، كالمضارة بمراجعة الزوجة المطلقة إذا طلَّقها ثم راجعها من غير أن يكونَ له رغبةٌ فيها، وإنما قصدُه حبسُها حتى تُصبح لا هي ذاتَ زوج ولا مطلقة.

وفي الجاهلية كان الرجلُ يطلِّقُ المرأةَ فإذا قاربت نهاية العدة راجعَها إضرارًا لئلاَّ تذهَبَ إلى غيره، ثم يطلقُها، قال تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فدلَّ ذلك على أنَّ مَن كان قصدُه بالرجعة المضارَّة بالزوجة فإنه آثمٌ بذلك.

ومن أنواع المضارة في العشرة الزوجية المضارة بالإيلاء بأن يحلفَ على ترك وطءِ زوجته، وقد أمرَ أن يضربَ له مدةَ أربعة أشهر، فإن رَجَعَ في أثنائها وكَفَّرَ عن يمينه ووطئ زوجتَهُ كان ذلك توبته، وإن استمرَّ على يمينه ولم يطأ زوجتَهُ حتى مضَتْ أربعةُ الأشهر ألزمَهُ الحاكمُ بالرجع في وطء زوجته والتكفير عن يمينه، وإمَّا الطلاق وذلك لإزالة الضَّرَرِ عن الزوجة. قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧].

ومن المضارَّة في العشرة الزوجية أن يطيل الزوج السفر من غير عذر، وتطلب امرأتُه قدومَهُ فيأبى، وحكمُه أنه يُمهلُ ستةَ أشهر، فإن أبَى القدومَ بعد مضيِّها فإنَّ الحاكم يُفَرِّقُ بينَه وبينَ زوجته إذا طلبت ذلك دفعًا للضرر عنها.

ومن أنواع المضارة الممنوعة في القرآن المضارَّةُ في تربية الأولاد كالمضارَّة في الرضاع.

قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ

لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

فإضرارُ الوالدةِ بولدها أن يُنْزَعَ ولدُها منها من أجل الإضرار بها، وإضرار المولود له (وهو الأب) بولدِه أن تأبىٰ أمُّه أن تُرضعه، ليتكلَّفَ الأبُ طلبَ المراضع والمربيات له من غيرها.

ومن أنواع الضـرَر المنهـي عنه في القـرآن المضارة في المعاملات. كمضارَّة الكُتَّابِ والشهود الذين يكتبونَ الوثائقَ ويثبتون الحقوقَ بكتاباتهم وشهاداتهم، وقد نَهَىٰ الله عن المضارَّة بهم والمضارة منهم بأصحاب الحقوق، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فالإضرارُ بالكاتب والشاهد أن يُدعَيا للكتابَةِ والشهادة في وقتٍ أو حالةٍ تضرُّهما مضارَّة الكاتبِ والشاهد لأصحابِ الحقوق أن يكتُبَ الكاتبُ غيرَ ما يُمْلَىٰ عليه، ويشهَدَ الشاهد بخلافِ ما رأىٰ أو سمع، أو يكتمَ الشهادة بالكلية عند الحاجة إليها.

ومن المضارة في المعـاملات المضارة بالمدين المُعسر الذي أمر الله بإنظاره إلىٰ ميسرة أو إعفائه من الدَّين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، فلا تجوزُ مطالبتُهُ ولا حبسهُ ما دام معسراً، كما لا يجوز أن يضار المدين الواجد بالدائن فيما طلبه من قضاء حقه.

ومن المضارة المنهي عنها فـي المعاملات بيعُ المضطر، وذلك بأن يضْطَرَّ الفقيرُ إلىٰ شراءِ سلعةٍ، فلا يجِد من يبيعُ عليه إلا بغَبْنٍ فاحش، أو يضطَرَّ إلىٰ بيع سلعة فلا يجد من يشتريها منه إلا برخصٍ كثير، وقد رَوَىٰ أبو داود بسنده عن النبي ﷺ أنه خطَبَ الناسَ فقال: «**إنه سيأتي على الناس زمانٌ عضوضٌ يَعَضُّ الموسرُ على ما في يديه، ولم يؤمَرْ بذلك**» قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ويبايع المضطرون وقد نَهَىٰ رسولُ الله ﷺ عن بيعِ المضطر.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «**إنْ كان عندَك خيرٌ تعودُ به على أخيك وإلا فلا تزيدنَّه هلاكًا إلى هلاكه**».

وقد سُئِلَ أحمدُ عن بيعِ المضطر ما معناه؟ قال: يجيئك وهو محتاجٌ، فتبيعهُ ما يساوي عشرةً بعشرين.

عبادَ الله: إنه لا مانعَ من البيع المؤجَّل بثمنٍ أكثرَ من الثمن الحاضر للمحتاج وغير المحتاج، ولكن لا ينبغي أن تكون الزيادة كثيرة مجحفة، لا سيَّما إذا كان المشتري مضطراً إلى الشراء، فلا ينبغي أن تستغل ضرورته، ويُحمَّلَ الزيادات الباهظة، لأنَّ هذا إضرارٌ يتنافى مع الرحمة والفضلِ بين المسلمين.

ومن أنواع الضَرر الممنوع في الإسلام الضررُ في مجال العبادات. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

فاعتبر الضرر الحاصل في اتخاذ هذا المسجد في مطلع المقاصد السيئة، ومَنَعَ رسوله من الصلاة فيه وأمرَ بهدمه.

النوع الثاني: من أنواع المضارة: أن يُضارَّ الناسُ بما فيه له منفعةٌ خاصة، مثل أن يتصرَّف في ملكه بما يترتَّبُ عليه الإضرار بجيرانه مثل أن يغرس في ملكه شجراً تتمدد أغصانُه وعروقه على أملاك جيرانه، أو يحفرَ بئراً تجذبُ الماء عنهم، أو ينشئ مصنعًا في ملكه يتضرَّرُ منه جيرانُه بالدخان أو الغبار أو الأصوات أو الروائح، أو يفتحَ في جداره نوافذَ تُطلُّ على جيرانه أو يُعليَ البناءَ عليهم فيمنَعَ عنهم الهواءَ، والشمس إلى غير ذلك فإنَّ هذا الضرر ممنوع تجبُ عليه إزالته.

وكذلك من أعظم المضارة بالجيران أن يؤجرَ بيته لأناسٍ لا يُصلون ولا يخافون الله، فإن هؤلاء يُضرُّون المسلمين ويُضايقونهم وقد يؤثرون على أولادهم ومَنْ خالطهم، فاتقوا الله يا مَنْ تؤجرون البيوت لا تجلبوا الكفرة والفساق وتسكنوهم بجوارِ المسلمين، فإن الأجرة التي تحصل منهم لكم حرامٌ، والمسلمون يدعون عليكم فتلحقُكم الآثام، وكذلكم يحرُمُ تأجيرُ الدكاكين والمحلات لبيع المواد المحرمة كتسجيلات الأغاني وأشرطة الفيديو أو جعلها محلات للتصوير أو بيع التبغ ويجبُ على الحاكم إزالةَ الضرر إذا اشتكى منه الجيرانُ وامتنع من إزالته.

ومن الإضرار الممنوع في حقِّ الجار منعُهُ من الارتفاق بملك جاره على وجهٍ لا يضرُّ به، كأن يحتاجَ إلى وضع خشبةٍ على جدارِ جاره، والجدارُ يتحمَّلُ، فإنَّه على صاحب الجدار

أن يمكنه من ذلك، لما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال «**لا يمنَعَنَّ أحدُكم جارَه أن يغرزَ خشبة على جداره**» وقضىٰ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن يُجريَ ماءَ جاره في أرضه لمّا احتاج إلىٰ ذلك، وقال: لتُمرَّنَّ به ولو علىٰ بطنك.

ومن الإضرار الممنوع أن يُمنَعَ الناسُ من الانتفاع بالمباحات المشتركة، كالمنع من فضول المياة الجارية في الأنهار والأودية والمجتمعة في الخوابي وغيرها، أو يُمنَعُوا من الرعي في الفلوات. أو الاحتشاش أو الاحتطاب من الأراضي الموات، أو الانتفاع بالمعادن المباحة كمعادن الملح وغيره في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تمنَعوا فضلَ الماء لتمنعوا به الكلأ**» وفي «سنن أبي داود»: أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ: يا نبي الله، ما الشيءُ الذي لا يَحِلُّ منعهُ، قال: «**الماء**»، قال: يا نبيَّ الله ما الشيءُ الذي لا يَحِلُّ منعه؟ قال: «**الملح**» قال: يا نبيَّ الله ما الشيء الذي لا يَحِلُّ منعُهُ؟ قال: «**أن تفعَلَ الخيرَ خيرٌ لك**» وقال ﷺ: «**الناسُ شركاءُ في ثلاث: الماء، والنار، والكلأ**».

ومن الإضرار الممنوع: مضارةُ الناس في طرقاتهم بوضع الأذىٰ فيها، أو وضع ما يمنع المرور أو يسبِّب الحوادث. أو مخالفة أنظمة السير بما يعرِّضُ الناسَ للخطر، كل هذا ضررٌ محرّمٌ.

فاتقوا الله عباد الله وعليكم ببذل النفع لإخوانكم وجيرانكم ومنع الضرر والضرار: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في التحذير من الضرر والضرار

الحمد لله رب العالمين الذي خلقَ فسوَّىٰ، والذي قدر فهدَىٰ، وأشهدُ أن لا إلا الله وحده لا شريكَ له، له الأسماء الحسنىٰ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله بعثه بالدين والهُدىٰ وكلمة التقوىٰ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا في الآخرة

والأولى . . .

أما بعد: أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أنه كما يَحْرُمُ على المسلم أنَّ يَضُرَّ بالناس يحرُمُ عليه أن يُضِرَّ نفسَه كأن يعرِّضَها للخطر من غيرِ مصلحةٍ راجحة ، قال تعالى ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

وقد توعَّدَ الله مَنْ قَتَلَ نفسَه بأشدِّ الوعيد ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٢٩-٣٠] .

وكذلك من تسبَّبَ في قتل نفسه أو إمراضِ جسمه أو الإخلالِ بعقله بتناول المسكرات والمخدرات وشرب الدخان والقات ، فإنه متوعَّدٌ بأشد الوعيد ومعرَّضٌ لأشنعِ العقوبات في الدنيا والآخرة .

ومن الإضرار بالنفس: التشديدُ عليها وتعريضُها للمشقة في أمور العبادات ، وقد شَرَعَ الله لعباده شريعةً سَمْحَةً لا حرجَ فيها ، فقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ شَرَعَ لأصحاب الأعذار من المَرْضَى والمسافرين والخائفين أحكامًا تخُصُّهم في الصلاة والصيام وتتناسَبُ مع أحوالِهم ، وشَرَعَ لعباده الاقتصادَ في العبادة مع المداومة عليها ، فخيرُ العمل ما دامَ عليه صاحبُه وإن قَلَّ .

ونَهى عن الغُلُوِّ والتشدُّد ، قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [المائدة: ٧٧] .

وقال النبي ﷺ : «**إيَّاكُمْ والغُلُوَّ فإنما أهلَكَ مَنْ كان قبلَكم الغلوُّ**» .

والغلوُّ : هو الزيادةُ عن الحدِّ المشروع ، ولَمَّا بلغَ النبيَّ ﷺ أنَّ ثلاثةً من أصحابه أرادَ أحدُهم أن يصومَ فلا يُفطِر ، وأرادَ الآخرُ أن يقومَ الليلَ ، فلا يرقُد وأرادَ الثالثُ أن لا يتزوَّجَ النساء ، قال ﷺ : «**أمَّا أنا فأصومُ وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوَّجُ النساء، ومَنْ رَغِبَ عن سنتي فليس مني**» فعليكم - عباد الله - باتباعِ الكتاب والسنة في عباداتكم ، فخيرُ الحديث كتاب الله ، وخيرُ الهديِ هديُ محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها . . . إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

في معنى قوله ﷺ:

«إن الحلالَ بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ»

الحمدُ لله على جميع نعمه وأجلِّها نعمةُ الإسلام، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملكُ القدُّوس السلام، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسوله، بَيَّنَ لأمته الحلالَ والحرام. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، وسلَّمَ تسليماً كثيراً ما تعاقبت الليالي والأيامُ . . .

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلَمُوا أنَّ في الحلال غنيةً عن الحرام، ومنجاةً من العقوبات والآثام.

في «الصحيحين» عن النعمانِ بن بشيرٍ رَضِيَ الله عنهما، قالَ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الحلالَ بيِّنٌ، وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ، وبينَهما أمورٌ مشْتبهاتٌ لا يعلَمُهُن كثيرٌ من الناس، فمن اتَّقى الشُّبهاتِ فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَنْ وقَعَ في الشبهاتِ وقَعَ في الحرام، كالراعي يَرْعَى حولَ الحمى يوشكُ أن يرتَع فيه، ألا وإنَّ لكلِّ ملك حمىً ألاَ وإنَّ حمَى الله محارمُهُ، ألا وإنَّ في الجسدِ مضغةً إذا صَلَحتَ صَلَحَ الجسدُ كُلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهيَ القلبُ».

ففي هذا الحديث قسَّم النبيُّ ﷺ الأشياء إلى ثلاثة أقسام، وبين موقف المسلم من كل قسم:

القسم الأول: الحلال البيِّن: وهو الطيبات من المآكل والمشارب والملابس والمناكح والمكاسب وغيرها ممَّا نصَّ الله على حلِّه، أو لم يَرِدْ دليلٌ بتحريمِهِ، فيبقى على الإباحة.

القسم الثاني: الحرامُ البيِّن: وهو الخبائث من المآكل والمشارب والملابس والمناكح والمكاسب وغيرها مما نصَّ الله على تحريمه، أو ظَهَرَ خُبْثُه وضررُه: كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، والخمرِ والزنا، ونكاحِ المحارم، والرِّبا، والميسر، وأكلِ أموال الناس بالباطل من الغصب، والسرقةِ، والظلمِ، والرشوةِ، والغِشِّ، والخديعة أو أخذها بالخصوماتِ

الفاجرة والأيمان الكاذبة وشهادات الزور إلى غير ذلك من أنواع الظلم.

فالحلالُ البيّن كل يعرفُه، العالم والجاهل، ونفسُ المؤمن تطمئنُّ إليه، وله آثار طيبة على القلب والسلوك، وله فوائدُ صحية للجسم والقلب، لأنَّه يغذِّي تغذية طيبةً، ويقوي على الطاعة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**﴾ [المؤمنون: ٥١].

وموقفُ المسلم من هذا القسم أن يأخُذَه ويتمتَّع به من غير إسرافٍ، ويتقوىٰ به على طاعة الله، ويشكُرَ الله عليه.

والحرامُ البَيِّنُ: أيضًا كلٌّ يعرفه: العالمُ والجاهل، ونفسُ المؤمن لا تطمئنُ إليه، وله آثارٌ قبيحة على القلبِ والسلوك، وله أضرارٌ صحية على الجسم والقلب، لأنَّه يغذِّي تغذيةً خبيثة.

وموقفُ المسلم من هذا القسم اجتنابُه والابتعادُ عنه. لا يُدْخِلُه في ماله، ولا يأكلُ منه، ولا يلبَسُ منه ولا يستعملُه بأي نوعٍ من الاستعمال، لأنه مأمورٌ بتركه واجتنابِه وعدم القرب منه.

القسم الثالث: المشتبهُ وهو ما يخْفَىٰ حكمُهُ على كثير من الناس، فلا يدرون: هل هو من قسم الحلال، أو من قسم الحرام؟ ولا يَظْهَرُ حكمُهُ إلا للراسخين في العلم، فيعرفون من أي القسمين هو:

وهذا مثلُ المسائل المختلف فيها بَيْنَ أهلِ العلم نظرًا لاختلافِ الأدلَّة فيها وحاجته إلى نظرٍ دقيق، ومثلُ اختلاطِ المال الحلال بالمال الحرام على وجهٍ لا يمكنُ التمييزُ بينهما، ومثلُ اختلاطِ ملكه بملك غيره، واختلاطِ الميتة بالْمُذَكَّاة من الحيوان، ومثلُ وجودِ شبهة تحريم الرضاع فيمن يريدُ أن يتزوَّجها.

وموقفُ المسلم من هذا القسم أن يتوقَّفَ عنه تورُّعًا حتي يتبيَّنَ له حكمهُ تغليبًا لجانبِ التحريم وإيثارًا للسلامة وبراءة الذمة، وكما قال ﷺ: «**فمن اتَّقى الشبهاتِ فقد استبرأ لدينه وعِرْضه**» أي: طلبَ البراءَة لدينِه من النقصِ ولعرضه من الذم.

والعِرْضُ: هو موضعُ المدح والذم من الإنسان، . فمن تجنَّبَ الأمورَ المشتبهة فقد حَصَّنَ عرضه من الذمِّ والعيب كما أنه قبلَ ذلك قد حَصَّنَ دينَه من النقص والخَلَل وعلى الجاهل مع ذلك أن يسألَ أهلَ العلم عمَّا اشتبهَ عليه، قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن**

﴿كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

فبسؤالِ أهل العلم يزولُ الجهلُ ويتضحُ الحقُّ لمن أراده، وكما أنَّ في اجتناب الشبهات وقايةً للدين والعِرْضِ، ففيه أيضًا حصولُ الحاجز بين الإنسان وبينَ الوقوعِ في الحرام، لأنَّ مَن تَوَرَّعَ عن المشتبهات كان متورعًا عن الحرامِ من باب أولى.

وقد كانَ النبي ﷺ يَرَىٰ التمرةَ ساقطةً في بيتِه أو في الطريق فلا يأكُلها خشية أن تكونَ من الصدقة، لأنَّ الصدقة محرمة عليه ﷺ.

وقال لسبطه الحَسَنِ بن علي رضي الله عنهما: «دعْ ما يريبك إلى ما لا يريبكَ».

ولهذا قال ﷺ في الذي يأتي الشبهات ولا يتورَّعُ عنها معَ اشتباهها: «ومَنْ وَقَعَ في الشبهات وَقَعَ في الحرام» إما لأنه حينئذٍ يفقدُ الوَرَعَ الذي يحجُزه ويبعدُه عن الحرام، فإذا تجرأ على المشبهات تجرأ على الحرام بالتدريج، وإما لأنه لا يؤمن أن يكون في تناوله للمشتبه وقع على القسمِ المحرَّم منه، فيكونَ قَد وقَعَ في الحرامِ حقيقةً، وكلُّ هذا لعدمِ مبالاته، وقد ضَرَبَ النبيُّ ﷺ مثلاً شبَّه فيه هذا الذي لا يتورَّعُ عن الشبهاتِ بالراعي الذي يرعىٰ دوابه حولَ حِمىً حماه أحدُ الملوك، فَمُنعَ من الرعي فيه، فإنَّ الراعي إذا سَمَحَ لدوابِّه أن ترعىٰ قريبًا من حدود هذا الحمىٰ فإنه لا يأمَنْ أن تدخُل في الحمَىٰ وترعىٰ فيه فيعاقبَه المَلِكُ.

كذلك فإنَّ الله سبحانه له حِمىً مَنَعَ الدخولَ فيه، وهو ما حرَّمه على عباده، فمن قاربَ حِمَىٰ الله بتناوُلِ المشتبهات وقَعَ في حِمَىٰ المحرمات، وحَلَّتْ عليه العقوباتُ، والله سبحانهُ حَمَىٰ هذه المحرماتِ وسمَّاها حدودَه، فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: لا تقربوا المحرمات التي حَرَّمها، وقال تعالىٰ: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]. ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وأما الحلالُ فقد نهىٰ الله عن تعدِّيه، فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فقد حدَّدَ الله للناس الحرامَ والحلالَ، ونهىٰ عن القُربِ من الحرام وعن تعدِّي الحلال.

عبادَ الله: إنَّه لَمَّا قَلَّ الخوفُ من الله في هذا الزمان في قلوبِ كثير من الناسِ، وزالَ

عنها الوَرَعُ تجرأ كثير من الناس على فعل المحرمات وترك الواجبات، فكَثُرَ الظلمُ والعدوان، والزورُ والبهتان، وكَثُرت الخصوماتُ الفاجرة والحيل الباطلة، وضاعت الأمانةُ وكثُرت الخيانة، وأُكل الربا، وأُخذت الرشوةُ وكَثُرَ الغشُّ والخديعة والكذبُ في المعاملات، وقُطعت الأرحام، وأُكلت أموال الأيتام، وتباغضَت القلوب، وتناكرت النفوسُ، وكَثُرَ في الناس تضييعُ الصلوات، ومنعُ الزكاة، والتهاونُ بالجُمَع والجماعات، وفَشَا في الناس عقوقُ الوالدين وقطيعةُ الأرحام، كل ذلك بسبب عدم التقيُّد بأحكام الحلال والحرام، والتورُّع عن المتشابه وما يَجُرُّ إلى الآثام.

فاتقوا الله - عباد الله، وتوبوا إلى الله جميعًا - أيُّها المؤمنون - لعلَّكم تفلحون: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحلال والحرام

الحمدُ لله على فضله وإحسانه، هدانا للإسلام، وبَيَّنَ لنا الحلالَ والحرام. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال والإكرام، وأشهَدُ أن محمدًا عبده ورسوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُلَ السلام. صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البَرَرَة الكرام، وسلَّم تسليمًا كثيرًا على الدوام...

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنَّ التقوى هي صلاحُ القلب، فإذا صَلَحَ القلبُ صَلَحَتْ الأعمالُ والتصرفات، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقال النبيُّ ﷺ في الحديث الذي ما زلنا نتأملُ في معانيه: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحَتْ صَلحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ**» فصلاحُ حركاتِ العبد واجتنابُهُ للشبهاتِ بحسب صلاح قلبه، فإن كان قلبُه سليمًا ليس فيه إلا محبة الله ومحبةُ ما يُحبُّه الله، وخشيةُ الله وخشيةُ الوقوع فيما يكرَهُهُ الله، صَلَحَتْ حركاتُ الأعضاء كلها، ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرمات كلها وتَوَقِّي الشبهات حَذَرًا من الوقوع

في المحرمات، وإن كان القلبُ فاسداً قد استولى عليه اتّباع الهوى وطلبُ ما يشتهيه الإنسان ولو كرهَه الله فَسَدت حركاتُ الجوارح كلها وانبعثَتْ إلى المعاصي والمشتبهات، ولا ينفَعُ عند الله إلا القلبُ السليم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

واعلموا أن القلب يتأثّرُ ويمرض بفعل المعاصي وترك الطاعات، فيمرضُ بالنفاق، قال تعالى في المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

ويحْجبُ بالمعاصي فيُغلفُ بغلافٍ كثيفٍ فلا يَصِلُ إليه نورٌ، ولا تؤثرُ فيه موعظةٌ، وهذا هو الران الذي قال تعالى فيه: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

كما أنَّ أكلَ الحرام، وعدمَ التورع عن الآثام يُقسِّي القلبَ فلا يستجابُ له دعاء، قال ﷺ: «أبعدُ الناس من الله القلبُ القاسي» رواه الترمذي.

فاتقوا الله عباد الله وحافظوا على صحةِ قلوبكم من أمراض المعاصي، أكثرَ مما تحافظون على أجسامكم من الأمراض الحسية، وداووها بكتابِ الله وسنّة رسوله فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله. . . إلخ.



في بيان الربا وحكمه

الحمدُ لله ربِّ العالمين، أحَلَّ البيع وحرم الربا ـ لما فيه من الأضرارِ البالغة والأخطارِ المدمرة، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعدُ: أيُّها الناس: اتقو الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

فاحذَرُوا فتنة المال، فإنها خطيرةٌ، ونحن نَخُصُّ في هذه الخطبة التحدث عن موضوع من أخطر المواضيع المالية، ألا وهو موضوعُ الربا الذي أجمعت الشرائعُ على تحريمه،

وتوعَّدَ الله المتعامل به بأشد الوعيد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فأخبر سبحانه أنَّ الذين يتعاملون بالربا ﴿لا يَقُومُونَ﴾ أي: من قبورهم عند البعث (إلا كما يقوم الذي يتخبَّطُه الشيطانُ من المَسّ) أي: إلا كما يقومُ المصروعُ بالجنون في حالِ صَرْعِه، وذلك لتضخُّم بطونهم بسبب أكلهم الربا في الدنيا.

كما توعَّدَ الله سبحانه الذي يعودُ إلى أكل الربا بعدَ معرفة تحريمه بأنه من أصحاب النار الخالدين فيها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

كما أخبرَ الله سبحانه أنه يمحَقُ بركةَ الربا، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

أي: يمحقُ بركة المال الذي خالطَه الربا، فمهما كثُرت أموالُ المرابي وتضخمت ثروتُه فهي ممحوقة البركة لا خيرَ فيها، وإنما هي وَبالٌ على صاحبها تعبٌ في الدنيا وعذابٌ في الآخرة، لا يستفيدُ منها، وقد وَصَفَ الله المرابي بأنه كفارٌ أثيمٌ.

قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

فأخبر الله سبحانه أنه لا يُحِبُّ المرابي، وحرمانُه من محبةِ الله يستلزمُ أنَّ الله يُبغضُه ويمقته. وتسميته كَفَّاراً، أي: مبالغًا في كُفرِ النعمة، وهو الكفرُ الذي لا يُخرجُ عن الملة فهو كَفَّارٌ لنعمةِ الله؛ لأنه لا يرحم العاجز ولا يساعدُ الفقير، ولا يُنظرُ المعسرَ. أو المرادُ أنه كَفَّارٌ الكفرَ المخرج من الملة إذا كان يستحِلُّ الربا. وقد وَصَفَهُ الله في هذه الآية الكريمة بأنه أثيمٌ، أي: مبالغ في الإثم منغمسٌ في الأضرارِ المادية والخلقية، وقد أعلنَ الله الحرب منه ومن رسوله على المرابي لأنه عدوٌّ لله ولرسوله إن لم يترُك الربا، ووصفَه بأنه ظالمٌ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

وإلى جانب هذه الزواجر القرآنية من التعامل بالربا، جاءت زواجرُ في سُنَّة الرسول ﷺ فقد عدَّه النبيُّ ﷺ من الكبائر الموبقة، أي: المهلكة، ولَعَنَ ﷺ آكلَ الربا ومُوكلَهُ وشاهدَيْه وكاتبهُ، كما أخبر ﷺ أنَّ درهمًا واحداً من الربا أشدُّ من ثلاثٍ وثلاثين زنية في

الإسلام، أو ستّ وثلاثين زنية، على ما في الزنا من شناعة.

وأخبرَ أن الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجلِ أمَّه. قالَ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله: وتحريمُ الربا أشدُّ من تحريم الميسر، وهو القمار؛ لأنَّ المرابي قد أخذَ فضلاً محققًا من محتاج، المقامرُ قد يحصلُ له فضلٌ، وقد لا يحصل له. فالربا ظلمٌ محقَّقٌ؛ لأنَّ فيه تسليطَ الغني على الفقير بخلاف القمار، فإنه قد يأخُذُ فيه الفقيرُ من الغني، وقد يكون المتقامران متساويين في الغنى والفقر فهو وإن كانَ أكلاً للمال بالباطل وهو محرَّمٌ فليسَ فيه من ظُلم المحتاج وضررِه ما في الربا.

وأكل الربا من صفات اليهود التي استحقوا عليها اللعنةَ الخالدة والمتواصلة، قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠ ـ ١٦١].

والحكمةُ في تحريم الربا أن فيه أكلاً لأموال الناس بغير حقٍّ؛ لأنَّ المرابي يأخُذُ منهم الربا من غيرِ أن يستفيدوا شيئًا في مقابله، فيه إضرارٌ بالفقراء والمحتاجين بين الناس وسدٌّ لباب القرضِ الحسن، وفتحٌ لباب القرض بالفائدة التي تُثقل الغنيَّ والفقير، وفيه تعطيلٌ للمكاسب والتجارات والحرف والصناعات التي لا تنتظمُ مصالح العالم إلا بها، لأنَّ المرابي إذا تحصَّلَ على زيادةِ ماله بواسطة الربا بدون تعبٍ، فلن يلتمس طرقًا أخرى للكسب الشاق مادامَ أنَّ ماله يزيدُ تلقائيًا في ذمةِ المدين.

والله تعالى جَعَلَ طريقَ تعامُلِ الناس في معايشهم قائمًا على أن تكونَ استفادةُ كل واحد من الآخر مقابلَ عمل يقوم به له، أو عين يدفَعُها إليه، والربا خالٍ من ذلك؛ لأنه عبارةٌ عن إعطاء المال مضاعفًا من طَرَفٍ لآخر بدون مقابلة من عينٍ ولا عملٍ.

أيُّها المسلمون: بعدما سمعتم شدةَ تحريم الربا والوعيد عليه أظنُّكم تسألون ما هو الربا؟ فاعلموا أنَّ الربا في اللغة: معناه الزيادةُ، وفي الشرع: زيادةٌ في أموال مخصوصة، وينقسم إلى قسمين، ربا النسيئة، وربا الفضل، وربا النسيئة: مأخوذ من النسأ، وهو التأخيرُ، وهو نوعان:

أحدهما: قلب الدين على المعسر، وهذا هو أصلُ الربا في الجاهلية: أن الرجلَ يكونَ

له على الرجلِ المالُ المؤجل، فإذا حَلَّ الأجلُ قال له: أتقضي أم تربي؟ فإن وفَّاه وإلا زادَ هذا في الأجل، وزاد هذا في المال فيتضاعف المال في زمة المدين، فحرَّمَ الله ذلك بقوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

فإذا حَلَّ الدينُ وكان المَدينُ معسرًا لم يجُزْ أن يقلبَ الدينَ عليه، بل يجبُ إنظارُه، وإن كان موسرًا كان عليه الوفاءُ فلا حاجةَ إلى زيادة الدينِ مع يسار المدين، ولا مع إعساره، ولا يَحِلُّ للدائنِ إلا رأسُ ماله في ذمة المدين.

النوع الثاني: من ربا النسيئة: ما كانَ في بيع كل جنسين اتَّفقا في علة الربا الفضل مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما، كبيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مؤجلاً، وكذا بيعُ جنسٍ بجنسٍ آخَر من هذه الأجناس مؤجلاً، وما شاركَ هذه الأشياء في العلة يجري مجراها.

والقسم الثاني: ربا الفضل: وهو عبارة عن الزيادة في أحد العوضين إذا بيع بجنسه حالاً، وقد نَصَّ الشارعُ على تحريمه في ستة أشياء هي: (الذهب، والفضة، والبُرّ، والشعير، والتمر، والملح) فإذا بيعَ أحدُ هذه الأشياء بجنسه حُرِّمَ التفاضلُ بينهما قولاً واحدًا، لحديث عُبادةَ بن الصامت رضيَ الله عنه مرفوعًا: **«الذهب بالذهب، والفضةُ بالفضة، والبُرُّ بالبُرِّ، والشعيرُ بالشعير والتمر بالتمر، والمِلحُ بالمِلحِ، مثلاً بمِثل يدًا بيد»** رواه الإمام أحمد ومسلم.

فدَلَّ الحديثُ على تحريمِ بيع الذهب بالذهب بجميع أنواعه من مضروب، وغيره مضروبٍ، وجيدٍ، ورديء، ومن بيع الفضة بالفضة بجميع أنواعها كذلك إلا مثلاً بمثل يدًا بيد سواءً بسواء، وعن بيع البرِّ بالبُرِّ، والشعير بالشعير والتمر بالتمر بجميع أنواعه، والملح بالملح إلا متساويةً: مثلاً بمثل سواءً بسواء يدًا بيد ويُقاسُ على هذه الأشياء الستة ما شارَكَها في العلة فيحرُمُ فيه التفاضل عند جمهورِ أهل العلم إلا أنَّهم اختلَفُوا في تحديدِ العلة.

والصحيحُ أنَّ العلةَ في النقدين الثمنية، فيقاسُ عليها كلُّ ما جُعِلَ أثمانًا أي: نقودًا كالأوراق النقدية المستعملة في هذه الأزمنة فيحرمُ التفاضلُ إذا بيعَ بعضها ببعض مع اتحادِ الجنس.

والصحيحُ أن العلة في بقية الأصناف الستة: البُرِّ والشعيرِ والتمر والملح، هي الكيلُ أو الوزن مع كونها مطعومةً، فيتعدىٰ الحكمُ إلىٰ ما شاركَها في تلك العلة ممَّا يُكالُ أو يوزَنُ، وهو مما يُطْعَمُ، فيحرم فيها ربا التفاضلِ.

فَعَلىٰ هذا كُلُّ ما شاركَ هذه الأشياء الستة المنصوص عليها في تحقُّقِ العلة فيه بأن يكونَ كيلاً مطعومًا أو موزونًا مطعومًا، أو تحققت فيه علةُ الثمنية بأن كان من النقود فإنه يدخُلُهُ الربا، فإن انضاف إلىٰ العلة اتحادُ الجنس كبيع بُرٍّ ببُـرٍّ حُرِّمَ فيه التفاضل والتأجيلُ، لقوله ﷺ: «**الذهبُ بالذهب، والفضةُ بالفضة، والبرُّ بالبر، والشعير بالشعير، والتمرُ بالتمر، والملحُ بالملح مثلاً بمثل يدًا بيد**».

وإن اتحدت العلةُ مع اختلافِ الجنس كالبُرِّ بالشعيرِ حُرِّمَ التأجيل، وجازَ فيه التفاضُلُ، لقوله ﷺ: «**فإذا اختلفت هذه الأشياء فبيعوا كيفَ شئتُم إذا كانَ يدًا بيد**» رواه مسلم وأبو داود، ومعنىٰ قوله: «يدًا بيد»، أي: حالاً مقبوضًا في المجلس قبلَ افتراقِ أحدهما عن الآخر.

وإن اختلفت العلة والجنس جازَ الأمران: التفاضل والتأجيل، كالذهبِ بالبُرِّ، والشعير بالفضة، ثم لنعلمْ أنه لا يجوزُ بيعُ مكيلٍ بجنسه إلا كيلاً، ولا موزونٍ بجنسِه إلا وزنًا، لقوله ﷺ: «**الذهبُ بالذهب وزنًا بوزن، والفضةُ بالفضة وزنًا بوزن، والبر بالبر كيلاً بكيل، والشعير بالشعير كيلاً بكيل**» ولأن ما خالف فيه معياره الشرعي لا يتحقق فيه بالتساوي وكذلك لا يجوزُ بيع مكيلٍ بجنسِه جزافًا، ولا بيعُ موزونٍ بجنسِه جزافًا، لعدمِ العلم بالتساوي، والجهل بالتساوي كالعلمِ بالتفاضلِ.

أيها المسلمون: ومما يتعلَّقُ بهذا الباب: ما يسَمَّىٰ بالصرفِ، وهو بيع نقدٍ بنقدٍ، سواءٌ اتحدَ الجنسُ أو اختلفَ، وسواءٌ كان النقدُ من الذهب أو الفضةِ أو من الأوراقِ النقدية المتعامل بها في هذا الزمان، فإنها تأخُذُ حكم الذهب والفضة لاشتراكها معها في علةِ الربا، وهي الثمنية، فإذا بيع نقدٌ بجنسه كذهبٍ أو فضة بفضة أو ورق نقدي بجنسه كدولار بمثله، أو دراهم ورقية أجنبية أو سعودية بمثلها وجَبَ حينئذٍ التساوي في المقدار والتقابُضِ في المجلس، وإن بيعَ نقدٌ بنقد من غير جنسه كدراهمَ سعوديةٍ ورقيةٍ بدولارات أميركية مثلاً، وكذهبٍ بفضل وَجَبَ حينئذٍ شيءٌ واحد وهو الحلولُ والتقابضِ في المجلس، وجاز التفاضل في المقدار، وكذا إذا بيع حليٌّ من الذهب بدراهم فضة أو بورَقٍ

نقدي وجَبَ الحلولُ والتقابض في المجلس.

أيها المسـلمون: إنَّ خطرَ الربا عظيمٌ ولا يمكن التحرُّزُ منها إلا بمعرفة أحكامه، ومن لم يستطع معرفتها بنفسه فعليه أن يسألَ أهلَ العلم عنها، ولا يجوزُ له أن يُقدِمَ علي معاملة أو يُسْهِمَ في شركة أو مؤسسة إلا بعدَ تأكده من خلوها من الربا، ليسلمَ بذلك دينُه وينجُوَ من عذاب الله الذي توعد به المرابين ولا يجوز تقليد الناس فيما هم عليه من غير بصيرة خصوصًا في وقتنا هذا الذي كثُرَ فيه عدمُ المبالاة بنوعية المكاسب، وقد أخبرَ ﷺ، أنه آخر الزمان يَكْثرُ استعمالُ الربا، ومَن لم يأكله ناله من غباره.

نسألُ الله العافية والسلامة، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٨١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم



خطبة ثانية في تتمة الكلام في موضوع الربا

الحمدُ لله رب العالمين، جعلَ في الحلال غُنيةً عن الحرام، وبينَ لعباده تفاصيلَ الأحكام، وأشهدُ أن لا إله إلا الله الملك القُدُّوسُ السلام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله خيرُ الأنام. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام...

أما بعدُ: أيُّها المسلمون: اتقوا الله تعالى، واجتنبوا ما نَهاكم عنه لعلَّكم تُفلحون، يقولُ الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٢٧٨].

ونحن نتحدث إليكم في هذه الخطبة عن بيان أنواع من المعاملات الربوية الواقعة بينَ الناس اليوم، ليتجنَّبَها المسلمُ، ويحذَرَ منها خوفًا من عذابِ الله تعالى، وابتعاداً عن

المكسب الخبيث الذي يكونُ وَبالاً على صاحبه في الدنيا والآخرة، فأحدُ هذه المعاملات الربوية وأشدها هو قلبُ الدَّينِ على المعسر، إذا حَلَّ، ولم يكن عنده سداد ولا يريد التسديد، زيدَ عليه الدينُ بكمياتٍ ونسبةٍ معينة حسبَ التأخير، وهذا هو ربا الجاهلية، وهو حرامٌ بإجماع المسلمين، وقال الله تعالى فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٨٠].

ففي هذه الآية الكريمة جملةُ تهديدات عن تَعاطي هذا النوع من الربا:

أولاً: أنه سبحانه نادى عبادَه باسم الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فدَلَّ على أن تعاطي هذا النوع لا يليقُ بالمؤمن.

ثانيًا: قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فدَلَّ على أن الذي يتعاطى هذا النوع من الربا لا يتقي الله ولا يخافُهُ.

ثالثًا: قال تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ أي: اتركوا، وهذا أمرٌ بترك الربا، والأمرُ يفيدُ الوجوبَ، فدلَّ على أنَّ من يتعاطى الربا قد عَصَىٰ أمر الله.

رابعًا: أنه سبحانه أعلنَ الحرب على مَنْ لا يتركُ التعامل بالربا، فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾، أي: لم تتركوا الربا، ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: اعلموا أنكم تحاربونَ الله ورسوله، ومَنْ حارب الله ورسوله فهو مهزومٌ ولا بد. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

خامسًا: تسميةُ المرابي ظالمًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، كل هذه التهديدات الربانية صدرت على تعاطي المعاملات الربوية.

ومن المعاملات الربوية القرضُ بالفائدة بأن يُقرضَه شيئًا بشرطِ أن يُوفيه أكثرَ منه، أو يدفَع إليه مبلغًا من المال على أن يُوفيه أكثرَ منه بنسبةٍ معينة كما هو العملُ في البنوك، وهو ربا صريحٌ.

فالبنوك: تقوم بعقدِ صفقات القروض بينها وبين ذوي الحاجات وأرباب التجارات

وأصحاب المصانع والحِرَف المختلفة، فتدفع لهؤلاء مبالغَ من المال نظيرَ فائدة محددة بنسبة مئوية، وتزدادُ هذه النسبة في حالة التأخُّرِ عن السداد في الموعد المحدَّدِ، فيجتمعُ في ذلك الربا بنوعيه: ربا الفضل، وربا النسيئة.

ومن المعاملات الربوية ما يجري في البنوك من إيداع بالفائدة، وهي الودائع الثابتة إلىٰ أجل يتصرَّف فيها البنكُ إلىٰ تمامه، ويدفَعُ لصاحبها فائدةً ثابتة بنسبة معينة في المئة عشرة أو خمسة.

ومن المعاملات الربوية: بيع العينة، وهو أن يبيعَ سلعة بثمنٍ مؤجل علىٰ شخص ثم يعود ويشتريها فيه بثمن حالّ أقل من الثمن المؤجل، وسُميت هذه المعاملةُ بيع العينة، لأنَّ مشتريَ السلعة إلىٰ أجل يأخُذُ بدلَها عينًا، أي: نقدًا حاضرًا، والبيعُ بهذه الصورة إنما هو حيلةٌ للتوصُّل إلىٰ الربا، وقد جاء النهيُ عن هذه المعاملة في أحاديثَ وآثارٍ كثيرة منها قولُه ﷺ: «**إذا تبايعتُم بالعِينة، وأخذتُم أذنابَ البقرِ، ورَضيتمُ بالزرع، وتركتُم الجهاد سَلَّطَ الله عليكم ذُلًا لا ينزِعُه حتى ترجِعوا إلى دينكم**» رواه أبو داود. وقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمانٌ يستحلُّون الربا بالبيع**».

أما إذا اشترىٰ السلعة إلىٰ أجل، ثم باعها علىٰ غيرِ مَنْ باعها عليه لينتفعَ بثمنها، فهذه تُسمَّىٰ مسألة التورق، وهي جائزة عند الجمهور، ويسمِّيها بعض العامة بالدينةِ أو الغائبة، ولا بأسَ بها إنْ شاء الله لحاجة الناس إليها، لكن بشرطِ أن لا يبيعَ السلعةَ التي استدانها علىٰ مَنِ استدانَها منه.

أيها المسلمون: احذروا من دخولِ الربا في معاملاتكم واختلاطِه بأموالكم، فإن أكلَ الربا وتعاطيَه من أكبرِ الكبائر وما ظَهَرَ الربا والزنا في قومٍ إلا ظَهَر فيهم الفقرُ والأمراضُ المتسعصية، وظلمُ السلطان وحلول الكوارث والإفلاس.

والربا يُهْلِكُ الأموالَ ويمحَقُ البركات، ولقد شدَّدَ الله الوعيد علىٰ آكل الربا وجعل أكلَه من أفحش الخبائث وأكبرِ الكبائر، وبيَّنَ عقوبةَ المرابي في الدنيا والآخرة، وأخبرَ أنه محارِبٌ لله ولرسوله فعقوبتُه في الدنيا أنه يمحَقُ بركة المال ويعرِّضُهُ للتلف والزوال.

فكم تسمعون مِنْ تلفِ الأموال العظيمة بالحريقِ والغرقِ والفيضان، فيصبحُ أهلُها

فقراءَ بين الناس، وإن بقيت هذه الأموال الربوية بأيدي أصحابها فهي ممحوقة البركة، لا ينتفعون منها بشيءٍ إنما يقاسون أتعابها، ويتحملون حسابَها، ويُصْلَوْن عذابَها.

والمرابي مُبغَضٌ عند الله وعند خلقه، لأنه يأخذُ ولا يعطي، يجمعُ ويمنَعُ، لا ينفقُ ولا يتصدق، شحيحٌ جشعٌ، جَموعٌ مَنُوعٌ، تنفرُ منه القلوبُ، وينبذُه المجتمعُ، وهذه عقوبةٌ عاجلة، وعقوبته الآجلة أشدُّ وأبقى، كما بينها الله في كتابه، وما ذاك إلا لأنَّ الربا مَكْسَبٌ خبيثٌ، وسُحْتٌ ضارٌّ، وكابوسٌ ثقيل على المجتمعات البشرية.

ومن أنواع الربا صرفُ العملات بعضها ببعض من غير تقابضٍ في المجلس وكذا، بيعُ الحلي من الذهب أو الفضة بجنسهِ مع الزيادة في أحد العوَضين، كأنْ يبيعَ الحليَّ من الذهب بحليٍّ من الذهب مع الزيادة، بسبب أنَّ أحدَ الحليين أحسنُ من الآخر نوعًا أو صنعةً، ومَنْ أرادَ أن يبيعَ حليًّا رديءَ النوع أو الصنعة بحليٍّ من جنسه أحسنَ منه، فالطريق الصحيح أن يبيعَ الحليَّ الذي لا يرغبُه بدراهم أو غيرها ويقبضَ الثمن، ثم يشتريَ به النوعَ الذي يريدُه من الحلي الجيد، أمَّا إذا باعَ الحليَّ بغير جنسه كأنْ باعَ حليَّ ذهبٍ بحلي فضة أو بدراهم فضة أو دراهم ورقية، فلا بأسَ بالزيادة، لكنْ بشرطِ التقابضِ في المجلس.

وبعض الناس يقعُ في هذا المحذور بحيثُ يشتري الحلي من الذهب أو الفضة بدراهم ولا يسدِّدُ القيمة في المجلس أو لا يسدِّدُها كاملةً، وإنما يسدِّدُها بقيمتها متأخرًا، وهذا ربا صريحٌ. وكذا لا يجوزُ بيعُ النوع الجيد من التمر أو البر وغيرهما من الأصناف الربوية بنوع رديءٍ من جنسه أكثرَ منه، كأن يبيعَ الصاعَ من الجيد بصاعين من الرديء، فإنَّ هذا هو الربا، والطريقُ الصحيح أن يبيعَ الرديءَ بدراهم، ثم يشتريَ بالدراهم من الجيد.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واحذَروا التعامل بالربا بجميع أنواعه، فإن خطرَه عظيم وعاقبَته وخيمةٌ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في موضوع الربا

الحمدُ لله رب العالمين، جَعَلَ الخير والبركة في الكسب الحلال. وأَمَرَ بالاستعانة به على صالح الأعمال، وأشهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له الكبير المتعال، وأشهَدُ أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً يتكرران بتكرارِ الغُدوِّ والآصال. . . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنَّ ضررَ الربا وإثمه لا يقتصران على آخذه، فقط بل يستوي في ذلك الآخذُ له والمعطي له والمعين على أخذه، فقد لَعَنَ النبي ﷺ آكلَ الربا، وموكلَه، وشاهدَيه، وكاتبه فاللعنة شملت الأربعةَ لتعاونهم على الإثم والعدوان، فالذي يقترضُ بالفائدةِ ويدفعُها ملعون، والذي يقرضُ بها ويأخذُها ملعون، والكاتبُ الذي يكتبُ عقودَ الربا ملعونٌ، وكذلك الموظَّفُ الذي يشتغلُ بالبنوكِ والمؤسَّسات الربوية تشملُهُ اللعنة والإثمُ - والجميع محاربون للهِ ولرسولهِ.

فقد أعلن الله الحربَ منه ومن رسوله على المرابين، ومَنْ حاربه الله ورسوله فهو مهزومٌ، أرأيتم - ولله المثل الأعلى - لو أنَّ دولة قوية تملكُ مختلفَ الأسلحة الفتاكة تعلن الحرب على دولةٍ ضعيفة لا تملكُ شيئًا من السلاح ماذا سيكونُ من الدولةِ الضعيفة المهدَّدةِ من الخوفِ والقلق وعدم الاستقرار، فإذا كان هذا الخوفُ من المخلوق، فكيفَ الخوفُ من الخالق العظيم الذي لا يعجِزُه شيءٌ الذي له جنود السموات والأرض التي لا يعلَمُها إلا هو؟ فقد يُسلِّطُ على المرابين أنواعًا من جنوده التي يرونها أو لا يرونها:

فقد يُسَلِّطُ العبادَ بعضَهم على بعض، ويلهمُهم اختراعَ الأسلحة الفتاكة المدمرة التي تهدِّدُ البشرية بالفناء والدمار، كما هو الواقعُ اليوم، حتى إن مخترعي تلك الأسلحة وممتلكيها يخافون منها أكثر من غيرهم.

وقد يسلط الله الأمراض الفتاكة التي لم يعثر لها على علاج، فتأكل المجتمعات، كما هو الواقع الآن من حدوثِ هذه الأمراض التي لم تكن في أسلافنا الذين مَضَوْا.

وقد يُسَلِّط الله الجرادَ والبعوض والحشرات، فتأكلُ المحاصيلَ، وتُقلقُ راحةَ السكان، ولا يستطيعون مدافعتها بأيِّ وسيلة.

وقد يسلِّطُ الله الجبابرة والأحزاب على الشعوب فتسلبُ أموالها، وتُقلق أمنها، وتسومها سوءَ العذاب.

وقد يسلِّطُ الله على الأموال ما يُتلفُها من الكوارثِ كالفيضانات والغَرَقِ والحرائق وكسادِ الأسعار وغير ذلك من أنواع النقص.

وقد يعاقبُ الله الناسَ بانحباس الأمطارِ، وغَوْرِ الآبار، وقلة المياة أو انعدامها، فينشأُ عن ذلك هلاكُ الزروع والأشجار والمراعي، وغلاءُ الأسعار، وغيرُ ذلك من الأضرار.

وجنودُ الله التي يسلطها على من حاربه كثيرة ومتنوعة لا يعلَمُها إلا هو. قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الانعام: ٦٥].

فاتقوا الله - عباد الله - واحذَرُوا موجباتِ غضبِه وعقابِه، واعلمُوا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

في تحريم أذية المسلمين في مرافقهم

الحمدُ لله رب العالمين، أمرَ بالإحسان والتعاون على البر والتقوى، ونَهَى عن الإساءة والأذى، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرة والأولى، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله جاءَ بالحقِّ والهُدى، وأمر ببذلِ النَّدى وكفِّ الأذى، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والذين أنزلَ الله سكينتَه عليهم وألزمهم كلمة التقوى، وسلَّم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واحذَرُوا أذيةَ المسلمين في طُرقاتهم وجميع مرتفقاتهم، فقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ إماطةَ الأذى عن الطريقِ من شُعَبِ الإيمان، وأسبابِ دخولِ الجنان، وأنَّها من أنواعِ الصدقةِ والإحسان، وأنَّ وضعَ الأذى في الطريق من أعظمِ الإساءة والعصيان، ومن أسباب اللعنة والخذلان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وستُّونَ أو**

سبعون شعبة، أعلاها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان» رواه البخاري ومسلم وغيرُهما.

والأذى: كلُّ ما يُؤذي المارَّ كالحجر، والشوكة، والعظم، والنجاسة، والحديد، والزجاج، وغير ذلك، وإماطتُه: تنحيتُه وإزالته.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: **«عُرضت علي أعمالُ أمتي حَسَنُها وسيئُها، فوجدتُ في محاسن أعمالها الأذى يماطُ عن الطريق، ووجدتُ في مساويء أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تُدْفَنُ»** رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«كُلُّ سُلامَى منَ الناس عليه صدقةٌ، كلَّ يوم تطلعُ فيه شمسٌ تَعْدلُ بينَ الاثنين صدقةٌ، وتعينُ الرجلَ في دابته فتحملُ عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطَّيبة صَدقةٌ، وبكلِّ خطوة يمشيها إلي الصلاة صدقةٌ، ويُميطُ الأذَى عن الطريق صدقةٌ»** . رواه البخاري ومسلم.

والسُّلامَى: هي العظامُ الدقيقة، والمفاصلُ التي في جسم الإنسان، ومعنى الحديث أنَّ تركيبة هذه العظام وسلامتَها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاجُ كلُّ عظم منها إلى صدقة يتصدقُ ابنُ آدم عنه بها، ليكونَ ذلك شكرًا لهذه النعمة.

ومن أنواع هذه الصدقة إزالة الأذى عن طرقات المسلمين. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«بينما رجلٌ يمشي بطريق وَجَدَ غُصنَ شوك فأخذَه، فشكرَ الله له، فغَفَرَ الله له»** رواه البخاري ومسلم، وفي روايةٍ لمسلم: **«لقد رأيتُ رجلاً يتقلَّبُ في الجنة في شجرة قطعَها من ظهرِ الطريق كانت تُؤذي المسلمين»**.

وكما جاءَ الترغيب في إزالة الأذى عن طُرقات المسلمين من أجل سلامة المارة، فقد جاء الوعيدُ الشديد في حقِّ مَنْ يلقي الأذى في الطرقات، ويؤذي المارة ويعرقلُ السيرَ في الطريق.

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«اتقوا اللاعنين: الذي يتخلَّى في طريق الناس أو ظلِّهم»** ومعناه: النهيَ عن قضاء الحاجة في الطريق الذي يسلُكُه الناس، أو في الظلِّ الذي يجلسون فيه، وأنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك فهو مستحقٌّ للعنْة والعقوبة، لأنَّه يؤذي الناسَ بذلك وينجسهم أو يحرمهم المرورَ في الطريق،

والجلوسَ في الظلِّ وهم بحاجة إلىٰ ذلك، فيدعون عليه باللعنة.

وقد تساهَلَ كثيرٌ من الناس اليومَ في هذا الأمر، فصاروا لا يبالُون بأذية الناس في طُرقاتهم وأمكنةِ جلوسهم واستراحاتهم، يحفِرُونَ الحُفَرَ في الطريق ويطرَحُونَ القمامة ويُلقون الأحجارَ، والحديدَ وقطَعَ الزجاج، ويُرسلونَ المياه، ويوقفون السيارات، في الطرقات، ولو كان في ذلك أذية الناس وسدُّ الطريق، وعرقلةُ السير وتعريضُ المارة للخَطَرِ، ونَسُوا أو تناسَوْا ما في ذلك من الوعيدِ والإثم، ولا تجد مَن يحتَسب الأجرَ، فيُزيلُ هذا الأذىٰ أو يتسبَّبُ في إزالته بمراجعةِ المسئولين عن ذلك، وإذا كان هناك ظلٌّ حولَ الطرق العامة الطويلة من شجَرٍ أو كباري يستريح فيها المسافرون جاءَ من يُفسد ذلك عليهم بوضع القاذورات والأوساخ فيها، أو التبوُّلِ والتغوُّطِ، أو تفريغ زيت السيارة، أو ذبح الأغنام، وتركِ الدم والفَرْثِ والعظام ومُخلَّفاتِ الطعام أو غير ذلك مِمَّا يفسدُ الظلَّ علىٰ مَن جاء بعده!! أينَ الإيمان؟ أين الإنسانية؟ أين الشيمةُ والمروءة؟ أين خوف الله من هؤلاء المستهترين بحُرمات المسلمين وحقوقهم ومرتفقاتهم؟ ماذا سيكون شعورُ المسلم إذا سُدَّ الطريق في وجهه أو مُلئ بالأوساخ والوَحْلِ، أو مُلئ بالأحجارِ والحديد وقطعِ الزُّجاج والعلب والكراتين الفارغة، أو عُمِّقت فيه الحُفَرُ، أو دُنِّسَ بالأنجاسِ والروائح الكريهة؟!!

وماذا سيكونُ شعورُ المسلم إذا أجهدَه السيرُ في السفر، ومَسَّه حرُّ الشمس والسموم فأَوَىٰ إلىٰ ظل ليستريح فيه، وعندما يصلُ إليه يجدُه مليئًا بالقاذوراتِ والروائح الكريهة والمناظر البشعة؟، ماذا سيكون في نفسه من الغضبِ؟ وماذا سيقول بلسانه في حقِّ مَنْ فعلَ ذلك من الدعاءِ عليه. وهو مستحقٌّ لذلك بقبيحِ فعله وإساءته إلىٰ إخوانه المسلمين؟

فاتقوا الله، يا من تُؤذونَ الناس في طُرقاتهم وأمكنةِ استراحاتهم، كُفُّوا أذاكُم، واحترِمُوا حقَّ إخوانكم، واتَّقُوا دعواتِ المظلومين، فإنها ليس بينها وبينَ الله حجابٌ.

ومن أذية المسلمين في طُرقاتِهم ما يفعلُه بعضُ السفهاءِ مِنْ وقوفِهم بالسياراتِ في وسطِ الشوارع بعضُهم إلىٰ جانب بعضٍ يتحدَّثون ويتمازحُون ويحجزون الطريقَ علىٰ المارةِ ويعرِّضون الناسَ للخَطَرِ.

وهذا منكرٌ ظاهرٌ يجب إنكارُه وتأديب مَن فعله، ومن ذلك ما يفعلُه بعضُهم من ترويع الناس وإزعاجهم بالعبث بالسيارات. بما يسمُّونه بالتفحيط، وهو في الحقيقة مَظْهَرٌ من مظاهر السُّخف والتخلُّفِ الحضاري وكفران للنعمة.

ومن ذلك الطيشُ في قيادة السيارات، والتهوُّرِ في السرعة، وإزعاجُ الناس بأصوات أبواقِ السيارات، خصوصًا عندما يسمَعُونَ بانتصارِ فريق رياضي على فريق آخر حسبَ تعبيرهم، وهو في الحقيقة ليس بانتصار، وإنما هو خسارٌ وهبوطٌ وتأخُّرٌ، لأنَّ الانتصارَ الحقيقي هو التقدم والظفر بما ينفع الأمة ويزيد في قوتها وما فيه رفعة دينها.

ومن أذية المسلمين في طرقاتهم وتعريضهم للخطرِ أنْ يتولَّى قيادَةَ السيارات بعضُ من لا يُحسنون القيادة، أو لا يستطيعون السيطرةَ عليها لِصغَرِ أسنانهم من الأطفال، فيُعَرِضُون أنفسَهم ويعرِّضُون غيرَهم للخَطَرِ. فيجبُ على ولاة الأمور وعلى أولياء الصغار منعهم من قيادة السيارات إشفاقًا عليهم وعلى غيرهم من الخَطَر، ويجبُ التعاونُ مع ولاةِ الأمور في دَرْءِ هذا الخطر عن المسلمين.

ومن أذية المسلمين الجلوسُ على الطُّرقاتِ لما في ذلك من الاطلاع على شئونهم الخاصة التي لا يُحبونَ الاطلاعَ عليها، ولما في ذلك من النظرِ إلى ما لا يجوزُ النظرُ إليه من النساءِ وغير ذلك من المحاذيرِ، وأشدُّها عدمُ القيام بالواجب نحوَ المارة.

عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوسَ في الطُّرقات**» فقالوا: يا رسولَ الله، ما لنا من مجالسنا بُد، نتحدَّثُ فيها! فقال رسولُ الله ﷺ «**فإذا أبيتُم إلاَّ المجلس فأعطُوا الطريقَ حقَّه**» قالوا: وما حقُّ الطريقِ يا رسولَ الله؟ قال: «**غضُّ البصر، وكفُّ الأذَى، وردُّ السلام، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر**» متفقٌ عليه. فدَلَّ هذا الحديث على منع الجلوس في الطريق إلا لِمَنْ قام بحقِّه من هذه الأمور.

وأمَّا مَنْ جَلَسَ للتفرُّج، ولم يقُمْ بما أرشدَ إليه ﷺ من هذه الأمور فهو آثم، ويجب على ولاة الأمور منعُه من ذلك، خصوصًا مَنْ يحصُلُ منهم فعلُ المنكر، كالذين يغازلون النساءَ، ويلاحقونهن بقصد الفساد.

ومن أذية المسلمين تحويلُ الشوارع إلى ملاعبَ للكرة، مما يتسبَّبُ بكثرةِ الصَّخَب والتجمُّعاتَ حولَها مما يؤذي المارة وأصحابَ البيوت وربَّما يتسبَّبُ عنه أضرارٌ كثيرة

وتجمعات مشبوهةٌ.

ومن أذية المسلمين في الطريق مخالفة بعض سائقي السيارات لأنظمة المرور وأصول القيادة كالتهورِ في السرعةِ، وعدمِ التزام خطِّ السير، وقطعِ إشارةِ الوقوف أو الوقف في الأمكنةِ التي يُمْنَعُ الوقوفُ فيها.

أو قيادة السيارة وهو في حالةٍ لا يتمكَّنُ من ضبط القيادة كما ينبغي، كمن يغالبُه النُّعاسُ، وجميع هذه الأحوال تعرِّضُ الإنسان وتعرِّضُ غيره للخطرِ، فيجبُ تلافيها والحَذَرُ منها.

فكم نَجَمَ عن هذه الأحوال من حوادثَ ذهبَتْ فيه أنفسٌ كثيرة محترمة، أوتعطَّلت فيها أعضاءٌ. وتعيَّبت فيها أجسامٌ، وتعطَّلت فيها حواسٌ، وكلُّ ذلك راجعٌ إلى تفريطِ السائقين، أو تهوُّرِهم، أو جهلِهم بأصولِ القيادة، أو تهاوُنِهم بأرواحِ الناس.

إنَّ مسئولية هذه الحوادث وما ينجُمُ عنها من الأضرارِ؛ مِنْ تلفِ الأموال والأنفس يتحمَّلُها هؤلاء السائقون، ومن يُمكِّنُهم من قيادة السيارات وهم لا يُحسنونها.

إنَّ السياراتِ بمثابة الأسلحة الفتاكة لا يجوزُ أن يتولاَّها إلا مَنْ يُحسنُ استعمالَها والتصرفَ فيها، ويجبُ الحَذَرُ من التلاعب بها والتساهُلِ في شأنها.

فاتقوا الله عباد الله في أنفسكِم وفي إخوانكم، واحترموا حقوقَ المسلمين واجتنبوا أذيَّتَهم والإضرار بهم.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في التحذير من الإضرار بالناس في مرافقهم

الحمدُ لله ذي الفضل والإنعام، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، ذو الجلال والإكرام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله المبعوث بالهُدىٰ ودينِ الإسلام، عليه وعلىٰ آله وأصحابه أفضلُ الصلاةِ والسلام. . .

أما بـعدُ: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنه يحرُمُ علىٰ المسلم أن يُحْدِثَ في طريق المسلمين ما يَضُرُّ بهم وإن كان هو ينتفعُ بذلك، فلا يجوزُ لأصحاب البنايات وقتَ البناء وضع موادِّ البناء في الطريق، ولا حَفْرُ الحفر، وإقامةَ الحواجز التي تمنع المارة أو يشق عليهم تجاوزها، ولا يجوز لأصحاب البيوت وضع الخزَّانات البارزة للماء أو الغاز أو تركيبُ أجهزة التكييف إذا كانت تأخذ جزءًا من الطريق، وتُضايقُ المارة بالاصطدام بها أو تتسرَّبُ منها المياهُ علىٰ الطريق، ولا يجوزُ إرسالُ ماء الغسيل من البيوت إلىٰ الشوارع، ولا عملُ الدرجِ للمداخل، أو بناءُ الدَّكات التي يُجْلَسُ عليها، أو عملُ الروشن المعترض أو الجانبي إذا كانت هذه الأشياء تُضيِّقُ الشوارع، وتَضُرُّ بالمارة، ولا يجوزُ ربطُ الدوابُ وإيقاف السيارات في الشوارع، إذا كان في ذلك احتجازٌ لشيء من الطريق وإيذاءُ للمارة، وكذا لا يجوزُ من باب أولىٰ ترك الدواب تعترضُ في الشوارع أو في طُرُقِ السيارات العامة في الصحراء، لما يترتَّبُ علىٰ ذلك من تعريضِ الناس للخَطَرِ بالاصطدام بها، وكم حَصَلَ من جرَّاءِ ذلك من كوارثَ مُرَوِّعةٍ، ولا يجوزُ غرسُ الأشجار وغرزُ المواسير والقضبان في الشوارع والطُّرقات؛ لأنها مشتركة بين المسلمين، فلا يجوز لأحدٍ الاستئثار بها، لما يترتَّبُ علىٰ ذلك من الإضرار بالناس.

فاتقوا الله - أيُّها المسلمون - وكُفُّوا أذاكم عن الطرُّقات، تسْلَمُوا من العقاب، وأميطوا عنها الأذىٰ الحاصلَ من غيركم تفوزوا بالثواب.

واعلمُوا أنَّ خير الحديث كتاب الله... إلخ.



بمناسبة تأخر نزول المطر

الحمدُ لله ربِّ العالمين، يبتلي عبادَه، بالشدائد ليُذيقَهم بعضَ الذي عَمِلُوا لعلهم يرجعون، وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلَمُ ما كان وما يكونُ، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله أرسلَه رحمةً للعالمين، وحجَّةً علىٰ الخلقِ أجمعين، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الأكرمين، وسَلَّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى، واحذروا عقابه وحاسبوا أنفسكم وتوبوا من ذنوبكم، فإنَّ الله لا يُغَيِّرُ ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم.

عباد الله: إنكم في هذا العام تشكُونَ من امتناع المطر الذي به حياتُكم وحياة مواشيكم وزروعكم وأشجارُكمْ، فتذكَّروا أنه ما حُبِسَ عنكم إلا بذنوبكم، وأنَّ الله غنيٌّ كريم، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقد أمر الله عند انحباس المطر بالاستغفار من الذنوب التي هي السببُ في منعه، فقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقال تعالى على لسان نبيه عليه السلام: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾ [هود: ٥٢].

وقد شرَعَ لنا نبيُّنا محمدٌ ﷺ صلاةَ الاستسقاء عندَ انحباس الأمطار، ليرجعَ الناس إلى ربهم ويتوبوا من ذنوبهم.

وليس الاستغفارُ مجردَ لفظٍ يُرَدَّدُ على اللسان، وليست صلاةُ الاستسقاء مجردَ عادةٍ تُفعَلُ في الأوطان، وإنما هما توبةٌ وندم، وعبادةٌ وخضوعٌ لربِّ العالمين، وتحولٌ من حالة فسادٍ إلى حالة صلاح، فلا بُدَّ أن تكون حال المسلمين بعد صلاة الاستسقاء أحسن من حالهم قبلَها، إذا كانوا صادقين في توبتهم، ومعترفين بذنوبهم، لقد كان النبيُّ ﷺ يرفَعُ يديه في دُعاء الاستسقاء فلا يَحُطُّها إلا وقد نشأ السحابُ، وسالت الأودية والشعاب؛ لأنه صادق مع ربه، وكذلك خلفاؤه الراشدون، وصحابته الأكرمون، كانوا يستسقون... فيُسْقَوْنَ ويَسْأَلون فيُعْطونَ، لصدقهم مع الله في توبتِهم ورغبتِهم إلى الله في دعائهم.

استسقى النبيُّ ﷺ في بعضِ غزواته لَمَّا سبقَه المشركون إلى الماء، فأصابَ المسلمين العطشُ، فشكَوْا إلى رسول الله ﷺ، وقالَ بعضُ المنافقين: لو كانَ نبيًا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه، فبلَغَ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**أو قد قالوها: عسى ربُّكم أن يَسقيكَمْ ثم بَسَطَ يديه ودعا، فما رد يديه من دعائه حتى أظلَّهُم السحابُ، وأمْطروا، فأنعَم**

السيلُ الوادي، فشربَ الناسُ وارتووا».

ولمَّا شكَىٰ المسلمون في المدينة إلىٰ رسول الله ﷺ قُحُوطَ المطر، خَرَجَ فصلىٰ بهم، ثم دعا الله تعالىٰ، فأنشأ الله سحابةً، فرَعَدَتْ وبَرَقَتْ، ثم أمطرتْ بإذن الله تعالىٰ، فلم يأتِ مسجدَه حتىٰ سالت السيول، فلما رأىٰ سرعتهم إلىٰ الكنِّ ضحك حتىٰ بدَت نواجذُه، فقال: **«أشهدُ أن الله على كل شيءٍ قديرٌ وأني عبدُ الله ورسوله»**.

وعن أنسِ بن مالك أنَّ رجلاً دَخَلَ المسجد يوم الجمعة من باب كانَ نحوَ دارِ القضاء ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يخطُبُ، فاستقبلَ رسولَ الله ﷺ قائمًا، ثم قالَ: يا رسولَ الله هَلَكت الأموال، وانقطعت السُّبُلُ، فادعُ الله يُغيثُنا، قال: فرفَعَ النبيُّ ﷺ يديه، ثم قالَ: **«اللهمَّ أغثنا، اللّهُمَّ أغثْنَا، اللّهم أغثْنا»** قال أنس: فلا والله ما نرىٰ في السماء من سحاب ولا قزَعةٍ وما بيننا وبين سلْعٍ من بيتٍ ولا دارٍ، قال: فطلعت من ورائه سحابةٌ مثلُ التُّرسِ، فلما توسَّطَت السماء، انتشرتْ، ثم أمطَرَت. قال: فلا والله ما رأينا الشمسَ سبتًا، أي: أسبوعًا، قال: ثُمَّ دَخَلَ رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ يخطُبُ، فقال: يا رسول الله هلكَت الأموالُ وانقطعت السُّبلُ، فادعُ الله يُمسكُها عنَّا، فَرَفَعَ رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: **«اللّهمَّ حوالَيْنا ولا علينا، اللهمَّ على الآكام والظرابِ وبطون الأودية ومنابتِ الشجر، فأقلعَتْ، وخَرَجنا نمشي في الشمس»**.

فقد استجاب الله دعاءَ رسولِ الله ﷺ في الحال بالاستسقاء والاستصحاء. كذلك هو سبحانه قريبٌ مجيبٌ، يستجيبُ من عباده إذا دَعَوْه صادقين مُخلصينَ له الدين. قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أمّا إذا دَعَوْهُ بألسنةٍ كاذبةٍ وقلوب غافلة وأفعالٍ فاسدةٍ، وهم مُصِرُّون علىٰ الذنوب والمعاصي لا يغيِّرون من أحوالهم شيئًا، فهؤلاء لا يُستجابُ لهم دعاءٌ، قال بعضُ السلف: أنتم تستبطئون نزولَ الغيث وأنا أستبطئُ نزول الحجارة من السماء. ولذلك ترون الناس اليوم يستغيثون ويستغيثون، ولا يُستجابُ لهم، لا لقلةٍ في خزائن الله، ولكن لذنوبهم ومعاصيهم، أما تَرَوْنَ الصلاة قد أُضيعت؟ أما تَرَوْنَ المحرمات قد انتهكت؟ أما تَرَوْنَ جانبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد خَفَّ؟ أما تَرَونَ الأماناتِ قد ضُيِّعَتْ؟ أما ترون المعاملاتِ قد فَسَدَتْ؟ أما ترون الربا قد فشا وانتشر؟ أما ترونَ المعازفَ والمزاميرَ قد

عَلَت أصواتُها في البيوت والأسواق؟ أما تَرَوْنَ الغيرةَ قد ذهبت؟ أما ترون المساجد قد هجرت فلا يرتادها إلا القليل؟ أما تَرَوْنَ الآباء قد أهملُوا أولادَهم والأولادِ عَقُّوا آباءهم؟! هل غيَّرنا من هذه الأمورِ شيئًا قبل أن نستسقيَ، حتى يغيِّرَ الله ما بنا؟!

لا نقولُ: إن هذه الأوصافَ السيئة عمَّت جميع المسلمين، فهناك من عبادِ الله الصالحين مَنْ هم سالمون منها في أنفسهم، لكنهم لا يحاولون إصلاحَ غيرهم، ولا يقومون بواجبِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسبَ استطاعتهم، والعقوبة إذا نزلت عمَّت الجميع، عمَّت العاصينَ لمعصيتهم والصالحين بسكوتهم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه» رواه النسائي بإسناد صحيح وابن حبان في «صحيحه».

وعن أبي الأحوص قال: قرأ ابنُ مسعود: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

فقال: كادَ الجُعْلُ يعذَّبُ في جحرِهِ بذنبِ ابن آدم. رواه الحاكمُ، وقال: صحيح الإسناد.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

أنَّ الحشرات تلعَنُ عصاةَ بني آدم، وتقول: إنما مُنعنا القَطْرَ بسببهم.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

أي: أصابَهم الله بالجَدبِ والقَحطِ، وأصاب ثمارَهم وغلاَّتهم بالآفات، والعاهاتِ ليتَّعظُوا بذلك، ويتوبوا.

وها هي سنةُ الله لا تتبدَّلُ في عالمنا المعاصر، فكم أصابَهم من احتباسِ الأمطار، واجتياح الثمار والأمراض والمجاعات، فهل غَيَّروا من حالهم، أو أصلَحوا ما فَسَدَ من أعمالِهم، هل تَذَكَّروا ذنوبهُم، فأصلَحُوا عيوبَهم؟ إنَّ الكثير والكثير في غفلةٍ مُعرضون، ونخشى أن يُصيبنا ما أصاب الأولين.

إنَّ في تصريف الأمطار بإنزالها في بعض الأقطار، وحبسها عن بعض الديار، لَعبرةً لأولي الأبصار، وعظةً للعصاة والفجار. قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨-٥٠].

وإنَّ القادرَ علىٰ منع نزول الأمطار قادر علىٰ تغوير المياه من الآبار. قال تعالى مخوِّفًا عبادَه من ذلك: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

أي: لا تقدرون علىٰ حفظه في الآبار والغدائر والعيون، بل نحنُ الحافظون له فيها ليكون ذخيرةً لكم عند الحاجة إليه. وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

أي: كما قَدَرنا علىٰ إنزاله فنحن قادرون علىٰ سَحْبِهِ من مخازنه في الأرض وتغويره في أعماقها، فلا تستطيعون الحصولَ عليه مهما بذلْتُمْ في طلبه والبحث عنه، حتىٰ يهلِكَ الناس بالعَطَشِ، وتهلكَ مواشيهم وحروثهم.

فاتقوا الله - عباد الله، واحذَروا من هذه التهديدات، وتوبوا إلىٰ ربكم وادعوه أن يُغيثكم ويسقيكم، فإنه قريبٌ مجيب، يجيبُ مَن دعاه ولا يُخيِّبُ من رجاه.

وإياكم وقسوةَ القلوب عند نزول المصائب، فإنها سبب الهلاك والدمار قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في التذكير بمناسبة تأخر المطر

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبيرُ، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، صلَّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، والذينَ هم في الحروبِ أُسُودٌ وفي الظُّلَم بدورٌ، وسَلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم البعث والنشور . . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وتوبوا إليه، واعلموا أنه مهما بلغَ العبدُ من الذنوب والمعاصي، فإنه لا يجوزُ له القنوطُ من رحمة الله وتركُ التوبة، فإنَّ القنوط من رحمة الله كفرٌ وضلال. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

فتوبوا إلى الله، واسألوه أن يُغيثكُم، وأحيُوا سنةَ نبيكم بإقامةِ صلاة الاستسقاء، فإنها من آكدِ السنن، فِرُّوا إلى الله، واخرجوا إلى مصلاَّكُم متواضعين متخشعين مُظهرين لفقرِكم وحاجتِكم، كما كانَ يفعَلُ رسولُ اللهِ ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، في وصف خروج النبيِّ ﷺ للاستسقاء قال: خرجَ النبيُّ ﷺ متواضعًا متبذِّلاً متخشعًا مترسِّلاً متضرِّعًا، فصلَّى ركعتين كما يصلي العيدَ.

واعلموا أن خيرَ الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها . . . . إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

التذكير بما حصل في بعض البلاد من حوادث الفيضانات

الحمدُ لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمدُ في الآخرة وهو الحكيم الخبير، يعْلَمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يخْرُجُ منها وما ينزلُ من السماءِ وما يعرُجُ فيها، ، وهو الرحيمُ الغفور، وأشهَد أنَ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملك وله الحمدُ يحيي ويُميتُ وهو على كلّ شيء قدير، وأشهَدُ أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ الجدِّ والتشمير، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وتفكروا فيما يجري من الحوادث وما فيها من العبَرِ وتذكَّروا، فإنَّ العاقلَ مَنْ تَذَكَّرَ واعتبرَ ولا يكُنْ حظُكم منها مرورُها على الآذان دونَ أن تنفُذَ إلى القلوب، لا بُدَّ أنكم قد سَمِعتم ما جَرَى في بعضِ الدول من كثرة السيول التي تسببَتْ في هلاك كثير من الأنفس، وتَلَفِ الكثير من الأموال والممتلكات، وخرابِ الكثير من المدن والقرى، حتى أصبحَ أهلُها بلا مأوى ولا مال، وليس عندهم ما يلبَسُون ويفترشون، ولا ما يأكلون ويشربون، وقد عَجَزَت الإمداداتُ، والمساعدات الدولية ومنظماتُ الإغاثة أن تَسُدَّ حاجتَهم، وكلما اتَّجَهت المساعداتُ إلى بلدٍ أُصيبَ البلدُ الآخر بأشدَّ مما أُصيبَ به البلدُ الأول، كوارثُ يُنْسي بعضُها بعضًا ولا حولَ ولا قوة إلا بالله. . . . ألمْ يكن هذا مُذَكِّرًا بما جري للأمم السابقة مِمَّا قَصَّه الله علينا في القرآن العظيم لنعتبرَ به ونتعظَ؟ ألم يكن مذكِّرًا بما جرى لقومِ نوحٍ من الغَرَقِ بالطُّوفان الذي عَمَّ الأرض وعلا قِمَمَ الجبال، ولم ينجُ منه إلاَّ نوحٌ عليه الصلاة والسلام وأصحابُ السفينة؟ ألم يكن مذكِّرًا بما جَرَى لعادٍ الذين أرسلَ الله عليهم الريحَ العقيمَ؟

﴿**مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ**﴾ [الذاريات: ٤٢].

ألم يكن مذكِّرًا لما جَرَى لفرعونَ وجنوده حيثُ أغرقَهم الله في البحر عن آخرهم في لحظةٍ واحدة؟ ألم يكن مذكِّرًا بما جَرَى لسبأ؟ ملوك اليمن وأهلها الذين كانوا في نعمةٍ عظيمة في بلادهم من اتساع أرزاقهم ووَفْرَة زروعهم وثمارهم وجمالِ بلادهم، ولَمَّا بعثَ

الله تعالىٰ إليهم الرسلَ تأمرُهم أن يأكلوا من رزقِ ربهم، ويشكروا له، ويفرده بالعبادة، ويتركوا عبادةَ غيرِه من الأصنام والأنداد، أعْرضوا عمَّا أمروا به وكَفَروا نعمةَ الله فعاقَبهم الله بإرسالِ سيل العرم، أي: السد الذي انهارَ، فاجتاح الماءُ بلادَهم، واجتَثَّ زروعَهُم وأشجارَهم وأغرقَ ديارهم، ودكَ حصونَهم، وأتلفَ أموالَهم ومحاصيلهم، فذُلُّوا بعد عزَّة، وضَعُفوا بعد قوةٍ، وتفرَّقوا بعد اجتماع وألفة، وخافوا بعد أمن ومَنَعة، قال الله تعالىٰ في قصتهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

قال ابنُ كثير رحمه الله: فهذا الذي صارَ أمرُ الجنتين إليه بعدَ الثمار النضيجة، والمناظر الحسنة، والظلال العميقة، والأنهار الجارية، تبدَّلت إلىٰ شجر الأراك والطرفاء والسِّدر ذي الشوك الكثير، والثمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلىٰ الباطل، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

قال بعض السلف: جزاءُ المعصية الوهنُ في العبادة، والضِّيقُ في المعيشة، والتعسُّرُ في اللذة. قيل: وما التعسُّر في اللذة؟ قال: لا يصادفُ لذة حلالٌ إلا جاءهُ من يُنَغِّصُه إياها.

والحاصلُ يا عباد الله: إننا إذا تفكَّرنا فيما يجري من الحوادث وربطناها بمثيلاتها مما ذكره الله في كتابه نجدُ أنَّ سنةَ الله لا تتغيَّرُ، كما قال تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢].

يجبُ علينا نحو هذه الحوادث والكوارث عدةُ أمور:

الأول: أن نستدلَّ بها علىٰ قدرةِ الله سبحانه، وشدة عقوبته للعصاة والمذنبين، فنخشىٰ أن يُصيبنَا مثلُ ما أصابهم، فنتوب إلىٰ الله تعالىٰ من ذنوبنا، لكن مع الأسف الشديد البعضُ منا يعتبرُ هذه الحوادثَ من الأمورِ العادية، ويفسرُها بأنها حوادثُ طبيعية وظواهرُ كونية، فلا يكونُ لها وقعٌ في نفسه ولا تأثيرٌ في قلبه، ولا تغييرٌ في سلوكه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

إنَّ نسبةَ هذه الحوادث إلىٰ الطبيعة والظواهر الكونية أو الحركات الفَلَكيَّة كفرٌ بالله تعالىٰ، فقد رَوَىٰ الإمامان البخاري ومسلم ـ رحمهما الله ـ عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «صَلَّىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاةَ الصبح بالحديبية علىٰ أثرِ سماء أي: مطر كانت من الليل، فلمَّا انصرفَ أقبلَ علىٰ الناسِ، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذاك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما مَنْ قال: مُطرنا بنَوْءِ كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمن بالكوكب**».

ففي هذا الحديث دليلٌ علىٰ أن إنزالَ المطر وحدوث الحوادث من الله عز وجل هو الذي خلقَها وقَدَّرها، فمن نَسَبَ ذلك إلىٰ الله فقد آمن بالله وشكر نعمتَه ومن نسبها إلىٰ غير الله فقد كفرَ بالله ولم يشكُرْ نعمتَه وهذا الكفر فيه تفصيل، فإن كان يعتقدُ أنَّ الكواكبَ والطوالعَ والحركاتِ الفلكية والظواهر الكونية هي التي تتصرف في نزول المطر أو انحباسه، فهذا كفرٌ أكبرُ، وهو قولُ أهل الطبيعة الذين لا يؤمنون بالله.

وأما إن كانَ لا يعتقدُ أنَّ لهذه الأشياء تأثيرًا في نزولِ المطر وانحباسه، وإنما ذلك إلىٰ الله، ولكنه أضاف حدوثَ هذه الأشياء إليها من إضافة الشيء إلىٰ سببِه، فهذا كفرٌ أصغرُ، لأنه نَسَبَ أفعالَ الله إلىٰ غيره.

والواجب نسبةُ نزول المطر وجميع النِّعم أو النِّقم إلىٰ الله سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨ـ٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣].

الأمر الثاني: يجبُ علينا أن نعتقدَ أنَّ هذه الحوادث تجري من الله سبحانه وتعالىٰ لينبِّه بها العباد. كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

الأمر الثالث: يجب علينا أن نساعدَ إخواننا المسلمين الذين أُصيبوا بهذه المصائب، فنُرسل لهم المعونات التي تُخفِّف عنهم مُصابَهم، فبادروا ـ رحمكم الله ـ بمساعدتِهم فإنَّها

فرصةٌ لذوي الإحسان أن يقدِّموا لأنفسهم ما يجدونه عندَ الله خيراً وأعظمَ أجراً .

الأمـر الرابع: يجبُ على عموم المسلمين أن يتَّعظوا ويعتبروا بهذه الحوادث المروعة ، ويتوبوا من ذنوبهم ، ويشكروا الله على نعمه العظيمة بالاعتراف بها باطنًا ، والتحدث بها ظاهراً ، وصرفها في طاعة الله ، وأن لا يُسرفوا في استعمالها ، ويُبذروا في إنفاقها ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٦-٢٧] .

فإنَّ بعض الناس لما أفاض الله عليهم المال وأعطاهم الثروة أسرفوا في الإنفاق على الحفلات والولائم في الزواجات والمناسبات ، فأكثروا من أنواع الأطعمة واللحوم والفواكه التي يذهب غالبها هدراً ، لأنَّهم يدعُون إليها أقوامًا ليسوا بحاجةٍ إليها ، فلا يتناولون منها إلا القليل ، وتبقى هذه الأطعمة واللحوم كما هي ، ثم يكون مصيرها الإهدارَ والوضع مع القمامة . فاتقوا الله يا مَنْ تعملون هذا العمل ، واعلموا أنكم مسئولون عن كل حبة تهدرونها ، وعن كلِّ درهم تُنفقونه في غير موجب ، وتذكروا حالتكم قبل سنين وأنتم لا تجدون ما تأكلون ، ولا تستقرون في بلادكم ، بل تسافرون إلى البلاد الأخرى للبحث عن العمل الذي تعيشون منه ، واليوم قد أفاء الله عليكم من الخير وأسدى عليكم من النعم المتنوعة ، فاشكروا الله على ذلك وتذكَّروا أنَّ هناك أكبادًا جائعة ، هناك أراملُ وأيتامُ ، وهناك شيوخٌ وعجائز قد أصيبت بلادُهم بالحروبِ والزلازل والفيضانات ، فأصبحُوا بلا مالٍ ولا بيوت ولا طعام ولا كسوة ، فاعتبروا بحالهم وفقرهم وحاجتهم ، واخشَوْا أن يُصيبَكم ما أصابَهم ، وارحموهم يرحمكُم الله : «**ارحَمُوا مَنْ في الأرض يرحَمْكُمْ مَنْ في السماء**» .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد : ١١-١٧] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في التذكير بالحوادث

الحمدُ لله الذي جَعلَ فيما تجري به الأقدارُ عبرةً لأولي الأبصار، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له الواحد القهار، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار، وسلَّمَ تسليماً كثيراً ما تعاقب الليل والنهار. . . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واحذرُوا عقابه، فقد كانَ النبي ﷺ يقولُ عند المطر: **«اللَّهُمَّ سُقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هَدْم ولا غَرَق»** ويقولُ: إذا كثُرَ المطرُ وخيفَ منه الضررُ: **«اللَّهم حوالينا، ولا علينا، اللَّهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر»**.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إذا تَخيَّلت السماء تغيَّرَ لونُه ﷺ، وخرجَ ودخلَ وأقبلَ وأدبرَ، فإذا أمطرتْ سُرِّيَ عنه، فعرَفَتْ ذلك عائشةُ، فسألته، فقال رسولُ الله ﷺ: **«لعلّه يا عائشة كما قال قوم عاد ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾** [الأحقاف: ٢٤].

وهذه النصوصُ تدلُّ على أن المطر قد يجعلُه الله عذابًا يهلك به من يشاء ويدمر به ما يشاء من المدن والمزارع، وقد يجعله الله رحمةً يحيي به الأرضَ بعد موتها، وهذا دليلٌ على قدرة الله الذي يصرفه كيف يشاء، كما قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾** [الفرقان: ٤٨-٥٠].

وهذا الذي حَصَلَ هذه الأيام في بعض البلاد أكبرُ دليل على ذلك، وهذا مما يوجبُ علينا الاعتبارَ والاتعاظَ والتوبة إلى الله مما نحن فيه لئلا يَحلَّ بنا مثلُ ما حلَّ بهم، فإنَّ المعاصي تُوجبُ زوالَ النعم ونزولَ النقم وخرابَ الديار، فقد كانت بعضُ البلاد المجاورة زهرة الحياة كما تعلمون، فيها من رغَدِ العيش وجمال المنظر ووفرة المال ما جعَلَها أحسن بلاد العالم، وصارَ الناس يتوافدون إليها للنزهة والمصيفَ، ثم أنزلَ الله بها عقوبتَهُ وأزالَ ما فيها من مُتَع الحياة، وسَلَّطَ أهلها على أنفسهم، فصاروا يتقاتلون من غيرِ سبب،

وانقسموا شيَعًا وأحزابًا، وهلكَ منهم الكثيرُ وشرد الكثير أليسَ في هذا لنا عبرةٌ وموعظة، أما نخشىٰ أنْ يُصيبنا مثلُ ما أصابهم.

ونحن كما لا يخفىٰ علىٰ الجميع تساهَلْنا في ديننا وأهملْنا جانبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتىٰ في بيوتنا، تكاسَلنا عن أداءِ الصلاة، تعامل الكثيرُ منا بالربا والرّشوةِ والغِشِّ، كَثُرَ التزوير والفجور في الخصومات، تبرَّجَ كثيرٌ من النساء بالزينة وخرَجْنَ إلىٰ الأسواق كاسياتٍ عاريات، استقدمَ الكثيرُ منا رجالاً ونساءَ أجانبَ، وأدخلوهم في بيوتهم، وخَلَطوهم مع عوائلهم ومحارمهم باسمِ سائقين، وخدِّميين وخدِّيمات، ارتفعَت أصواتُ المزامير والأغاني في كثير من البيوت والمحلات، وعُرضت فيها أفلام الفيديو الخليعة والمسلسلاتُ الهابطة.

كلُّ هذا وأكثرُ منه يحدثُ في بلادِنا، وكثيرٍ من بيوتنا، ولا نُنكر، ولا نغارُ، ولا نخافُ أن يَحِلَّ بنا ما حلَّ بغيرنا من العقوبات. فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ وتوبوا إليه واستدركوا الأمرَ قبل فواته، فإننا علىٰ خَطَرٍ، واعلموا أنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة .... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحث على الزواج وتسهيله

الحمدُ لله رب العالمين، خَلَقَ بقدرته الذكرَ والأنثىٰ، وشَرَعَ الزواج لهدف أسمىٰ وغاية عظمىٰ، أحمدُه علىٰ نِعَمه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصىٰ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماءُ الحسنىٰ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، أُسريَ به ليلاً من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، ثم عُرجَ به إلىٰ السماء العلا فرأىٰ من آيات ربه الكُبرىٰ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين جاهدُوا في الله حقَّ جهاده، وتمسَّكوا بالعروة الوثقي، وسلَّم تسليمًا كثيراً ...

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ شَرَعَ الزواجَ لمصالحَ عظيمة.

منهـا: أنه يصونُ النظرَ عن التطلُّع إلى ما لا يَحِلُّ له، ويُحَصِّنُ الفرجَ، ويحفظه، كما قـال النبي ﷺ: «**يا معشـرَ الشباب مَن استطاعَ منكـم الباءةَ فليتزوَّجْ، فإنَّه أغـضُّ للبصرِ وأحصنُ للفرجِ**».

ومنهـا: أنه يبعَثُ الطمأنينة في النفس، ويحصُلُ به الاستقرارُ والأنسُ، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١].

ومنها: أنه سببٌ لحصول الذرية الصالحة التي ينفَعُ الله بها الزوجين، وينفع بها مجتمع المسلمين، قـال ﷺ: «**تزوجـوا الودود الولودَ، فـإنِّي مـكاثرٌ بكم الأممَ**» رواه أبـو داود والنسائي والحاكمُ، واللفظ له، وقال صحيح الإسناد.

ومن مـصـالح الزواج: قيامُ الزوج بكفالة المرأة ونفقتها: وتوفير الراحة لها وصيانتها ورفعتها عن التبذُّل والامتهان في طلب مؤونتها، وإعزازها من الذِّلَّة والعنوسة والكساد في بيت أهلها قال تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٣٢].

والأيامَى: جمع أيِّم، وهو مَنْ لا زوجَ له من رجلٍ وامرأة.

عباد الله: لما كان الزواجُ بهذه الأهميةِ في الكتاب والسنة، وفيه هذه الفوائد العظيمة، فإنَّه يجبُ على المسلمين أن يهتموا بشأنه، ويسهِّلوا طريقَهُ، ويتعاونوا على تحقيقِه، ويمنعوا من يريدُ تعويقَهُ من العابثين والسفهاء والمُخَذِّلين الذين يُفسدون في الأرض ولا يصلحون، فإنَّ هناك مَنْ إذا سَمِعُوا بخطبةِ رجل لامرأةٍ حاولُوا حرمانه منها، وهناك من يريدونَ أن يستغلُّوا الزواجَ لمصالحِهم الخاصة، ويُخضعوه لرغباتهم الهابطة الدنيئة، فمِن الناس من لا همَّ لهم إلا الإفسادُ والوقوفُ في سبيل كل إصلاحٍ، وتنفيذُ ما في صدورهم من الغلِّ والحسدِ لأهل الخير والصلاح، ومن أجلِ إيقاف هؤلاء عند حدهم، وعدم تمكينهم من كيدهم ومكرهم، وليأخُذَ الزواجُ طريقَهُ المشروع جَعَلَ الله سبحانه أمرَ التزويج بيد الرجال الراشدين، والأولياء الصالحين، فقال تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ**﴾ [النور: ٣٢].

وهذا خطابٌ للرجال العقلاء، كما خاطبهم النبيُّ ﷺ بقوله: «**إذا أتاكم من ترضَون دينه وخُلقه فأنكحُوه، إلاَّ تفعلوه تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبير**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

ومن العراقيل التي وُضعت في طريق الزواج: التكاليفُ الباهظة من ارتفاع المهور، والمباهاة في إقامة الحفلات، واستئجار أفخم القصور، مما لا مبرِّرَ له إلا إرضاءُ النساء والسفهاء، ومجاراة المبذرين والسخفاء: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٧].

فيجبُ على المسلمين القضاءُ على هذه العادات السيئة، والعملُ بسنةِ الرسول ﷺ في تيسير مؤنة الزواج وتخفيف المهور.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تَغْلوا في صُدُق النساء، فإنَّها لو كانت مكْرُمةً في الدنيا أو تقوىً في الآخرة، كان أولاكم بها النبيُّ ﷺ ما أصدقَ رسولُ الله ﷺ امرأةً من نسائه، ولا أصدقت امرأةٌ من بناته أكثرَ من ثنتي عشرة أوقيةَ. رواه الخمسة وصحَّحه الترمذي.

واثنتا عشرةَ أوقية تساوي مئة وعشرين ريالاً سعوديًا بالريال الذي هو من الفضة أينَ هذا المبلغُ من مبالغ المهور التي تعلمونها اليوم؟

ولقد استنكر النبيُّ ﷺ المغالاةَ في المهور، كما رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال لرجلٍ: «**على كم تزوجت؟**» قال على أربع أواقٍ، فقال له: «**على أربع أواق، كأنما تنحتُون الفضة من عُرْض هذا الجبل**» قال العلماء: أنكرَ عليه ﷺ هذا المبلغَ؟ لأنه كان فقيرًا، فالفقير يُكْرَهُ له تحمُّل الصَّداقِ الكثير، بل يحرُمُ عليه إذا لم يتوصَّل إليه إلا بمسألةٍ أو غيرها من الوجوه المحرمة.

والغني يُكْرَهُ له دفعُ المبلغِ الكثير في الصَّداقِ إذا كانَ من بابِ المباهاة، لأنَّه يَسُنُّ سنةً سيئة لغيره، وأمَّا الوليمةُ بمناسبة الزواج فهي مستحبَّةٌ، فقد قال النبي ﷺ لبعضِ أصحابِه لَمَّا تزوج: «**أولِمْ بشاة**» وهي على قدرِ حالِ الزوج، فلا ينبغي تركها، ولا يجوز المبالغة في حفل الزواج باستئجار القصور الفخمة، ويحرُمُ أن يشتملَ الحفلُ على المنكرات كاختلاط النساء بالرجال، أو يكونَ فيه أصوات، مطربين ومزامير وتصويرٌ وسُفورٌ، ولا يجوزَ

للمسلم أن يحضُرَ حفلاً فيه مثلُ المنكرات إلا إذا كانَ يقدرُ على إزالتها.

عباد الله: ومن معوقات الزواج ما يتعلَّلُ به كثيرٌ من الفتيات أو أولياؤهُن من أنه لا بُدَّ أن تُكْمِلَ الفتاةُ دراستها الجامعية، حتى فَوَّتَ ذلك على الكثير منهن زهرة عمرها، وصرف عنها الخُطَّابَ الأكفاءَ، مع أنَّ الدراسة ليست ضرورية، بينما الزواجُ أمرٌ ضروري لها، ثم ماذا إذا حصلتْ البنتُ على أعلى الشهادات الدراسية، وفاتَها الزواجُ المناسب في الوقت المناسب، إنها تخسَرُ حياتها الزوجية التي لا تعويضَ لها، لأنَّ سعادة المرأة في حصولِ الزوج الصالح، لا في حصولها على المؤهَّلِ الدراسي، لأنَّها تستغني عن الدراسةِ ولا تستغني عن الزوج.

فاتقوا الله أيها المسلمون في بناتكم، لا تُضَيِّعوا عليهن فُرصة الزواج المبكر من أجلِ الدراسة، وحتى لو رَغبت هيَ عن الزواجِ من أجلِ الدراسة فإنها قاصرة النظر، فيجبُ على وليِّها أن يأخُذَ على يدها وأن يؤثِّر عليها في اختيار الزواج على الدراسة ويبين لها الأخطارَ التي تترتبُ على تفويته وتأخيره، وأنَّ الدراسة لا تُعَوِّضُ عما يفوتُ عليها من مصالحِ الزواج.

والأخطرُ من ذلك أنَّ بعض الفتيات قد تكونُ موظفةً فتتركُ الزواجَ أو لا تحرِصُ عليه من أجلِ البقاء في وظيفتها، وقد يكون بعضُ الأولياء لا يريد أن تتزوج موليته من أجلِ أن تستمرَّ في الوظيفة ويستفيدَ من مُرَتَّبِهَا، غيرَ مبالٍ بما تتعرَّضُ له من الفتنة وما يفوت عليها من المصالح العظيمة في ترك الزواج، أليس هذا هو العضلَ الذي نهى الله عنه وحرَّمه في محكم كتابه؟ بلى والله هو ذاك.

فإن العضلَ أن يمنعَ الوليُّ تزويجَ موليته من خاطب كُفءٍ رضيته من أجل مصلحته الشخصية، قال شيخُ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إذا خطبها كفؤٌ وآخرُ وآخرُ فمَنَعَ؛ صار ذلك كبيرة يمنَعُ الولاية، لأنَّه إضرارٌ وفسقٌ.

وقد ذكرَ العلماءُ - رحمهم الله - إنه إذا عَضَلَ الوليُّ الأقربُ، فإنَّ الولاية تنتقلُ عنه إلى الوليِّ الأبعد، فإن لم يكن لها وليٌّ غيرُ العاضل أو كان لها أولياءُ، ورفضوا تزويجَهَا، فإن السلطانَ يتولَّى تزويجها كما قال النبي ﷺ: «**فإن اشتَجَرُوا فإن السُّلطانَ وليُّ مَنْ لا وَلِيَّ**

لـه» أي: إذا امتنَع الأولياءُ من تزويج موليتهم من كُفْءٍ رضيته، فإن السلطان يزوِّجها به، سواءٌ كان العَضْلُ من أجلِ بغض الولي للخاطب، أو كان من أجلِ المطمعِ في مرتَّب موليته الموظفة أو غير ذلك من المقاصد السيئة.

أمَّا منعُ تزويجها ممن رضيت به وهو ليس كفؤاً لها، فهذا منعٌ بحقٍّ وليس عَضْلاً، لأنه من أجل مصلحتها ودفع العار عن أُسرتها. فاتَّقي الله ـ أيتها الفتاةُ المسلمة ـ لا تتركي الزواجَ من أجل الدراسة أو من أجلِ الوظيفة، فإنك ستندمين وتخسرين خسارةً لا تعوِّضُها الدراسة ولا الوظيفة، فإن الزواج لا عوض له.

واتقوا الله أيها الأولياءُ لا تمتنعوا من تزويجِ مولياتكم من أجلِ أهوائكم ورغباتكم الشخصية، أو من أجل أطماعِكم الدنيئة، أو عدم مبالاتكم، فإنَّهن أمانات في أعناقكم وقد استرعاكم الله عليهن: **«وكلٌّ راعٍ مسئول عن رعيته»** وربما يسبِّبُ منعُ تزويج الفتيات أو تأخيرُهُ عاراً أو خُزياً لا تغسلُه مياه البحار.

فاتقوا الله ـ عبادَ الله ـ واهتموا بهذا الأمر غاية الاهتمام، فإنه جديرٌ بذلك: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢ـ٣].

ولا يكنْ همُّكم الطمع في المهور، أو المباهاةَ والمفاخرة في المظاهر معَ نسيانِ العواقب، واعتبروا بالمجتمعات التي اشتغلت نساؤها بالدراسات والوظائف وعطَّلت الزواج أو قلَّلت الاهتمام به، ماذا حصلَ فيها من فساد الأخلاق وانتهاكِ الأعراض وتفكُّك الأسر وفساد التربية وخواءِ البيوت من الزوجات الصالحات حتى صارت النساء كالرجال ربَّات أعمال لا ربَّاتِ بيوتٍ، ولا مربيات أطفال، بيوتهن كبيوت العُزَّاب بحاجةٍ إلى مَنْ يقومُ بها، والسعيدُ من وعظَ بغيره، والشقيُّ من لم تنفعُه المواعظُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٣٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الحث على الزواج

الحمد لله رب العالمين: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ كله يَرِثُ الأرض ومن عليها، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله إلى الناس كافة، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاهُ دخل النار. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار. وسلَّم تسليمًا كثيرًا . . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنَّ من معوِّقاتِ الزواج وأعظم العضلِ وأشدِّ الظلم للنساء ما يفعلُهُ بعضُ القبائل من تحجيرِ المرأة على ابن عمِّها أو قريبها، ولا يزوِّجها إلا به، ولو كانت لا تريدُه، وإذا تزوَّجت من غير ابن عمها بغير إذنه وتنازله عن حقِّه الذي يزعمُه فإنه يهدِّدُ بالانتقام، وهذه عادةٌ جاهلية وظلمٌ عظيم يجبُ منعُهُ والقضاء عليه، وهذا التحجيرُ الباطلُ شبيهٌ بما كان أهلُ الجاهلية يفعلونَهُ في النساء، فقد كانوا إذا ماتَ الميتُ وله زوجةٌ ورِثَها قريبه كما يرثُ ماله، فإن شاءَ تزوَّجها وإن شاءَ زوَّجها من غيره، وأخذَ مهرها، وإن شاء استبقاها حتى تُعطيه ما يطلبُ منها من مال. فأنزلَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩].

فأبطَلَ الله العادة الجاهلية، ورفَعَ الظلمَ عن المرأة وأعطاها الحقَّ في اختيار الزوج الذي يصلح لها، وجعلها أحقَّ بنفسها، فهؤلاء الذين يحجرون على النساء اليومَ يُريدون أن يعيدوا سنةَ الجاهلية في الإسلام.

فيجبُ عليهم التوبةُ إلى الله وتركُ هذه العادة القبيحة، ومَنْ لم يتركها وَجَبَ على وليِّ أمرِ المسلمين منعُه وردعُه بالعقوبة الصارمة، فاتقوا الله يا معشرَ الأولياء في بناتكم وأخواتكم، ومَنْ هُنَّ تحت ولايتكم من النساء في المبادرة بتزويجهنَّ واغتنام الزوج الصالح في دينه وخُلُقه، دونَ نظرٍ إلى المظاهر البرَّاقة والاعتبارات الزائفة، عملاً بقوله ﷺ: «**إذا أتاكم مَنْ ترضَوْنَ دينه وخُلُقه فزوِّجوه، إلاَّ تفعلوا تكُن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبيرٌ**».

ومن الظلم العظيم للنساءِ وعرقلةِ طريق الزواج عليهن أن يمتنعَ الوليُّ من تزويج موليته

إلا بشرط أن يزوِّجه الآخرُ موليته. وهو ما يسمَّىٰ عند العامة بالبَدَل، ويسمَّي في الشرع نكاح الشِّغَار.

فإن لم يسم فيه مهر لهما، وجعلت المرأة في مقابل المرأة فهو نكاح باطل بإجماع أهل العلم، وإن سمي فيه مهر فقد اختلف العلماء في صحته، والصحيح أنه باطل. لأن الرسول ﷺ نهىٰ عن ذلك وحذر منه. ففي «الصحيحين»: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهىٰ عن الشغار.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أنَّ الرسول ﷺ نَهَىٰ عن الشغار، وقال: «**الشغارُ: أن يقولَ الرجل زوِّجني ابنتكَ وأزوجُك ابنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أُختي**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا شغار في الإسلام**».

لأنَّ الشغار يفضي إلىٰ إجبار النساء علىٰ نكاح مَنْ لا يرغَبْنَ فيه إيثاراً لمصلحة الأولياء علىٰ مصلحة النساء، ولأنه يُفضي إلىٰ حرمانِ المرأة من مهر مثلها، ولأنَّه يُفضي إلىٰ النزاع والخصومات بعدَ الزواج، لأنه لو حَصَلَ، اختلافٌ بين إحداهن مع زوجها أثَّرَ علىٰ نكاح الأخرىٰ مع زوجها ولو لم يكن بينهما اختلافٌ، لأنَّ كل واحدة مرهونة بالأخرىٰ.

فاتقوا الله عباد الله وانتهوا عمَّا نهىٰ الله عنه ورسوله، واعلَموا أنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله



في أحوال الإنسان في هذه الدنيا

الحمد لله الذي خَلَقَ الموتَ والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً وهو العزيز الغفور.

وأشهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يُحيي ويُميت وهو علىٰ كل شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراجُ المنير. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين وَعَدَهم الله بالمغفرة والأجر الكبير، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلَمُوا أنكم ما خُلقتم عبثًا، ولم تتركوا سُدىٰ، خلقكم الله لعبادته، وأمركم بتوحيده وطاعته، وأوجدكم في هذه الدارِ،

وأعطاكم الأعمارَ، وسخَّرَ لكم الليل والنهار، وأمدَّكم بنعمه وسَخَّرَ لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، لتستعينوا بذلك على طاعة الله، وأرسلَ إليكم رسوله، وأنزلَ عليكم كتابه ليبيِّنَ لكم ما يجبُ وما يحرُمُ، وما ينفعُ وما يضُرُّ وما أنتم قادمون عليه من الأخطار والأهوال لتأخذوا حِذْرَكُم وتستعدوا لما أمامكم، جَعَلَ هذه الدنيا دارَ عمل، والآخرةَ دار جزاء، وحذَّركم من الاغترار بهذه الدنيا والانشغال بها عن الآخرة، لأنَّ الدنيا ممرٌّ والآخرة هي المقرُّ، وإذا لم تَسر أيُّها العبدُ إلى الله بالأعمال الصالحة، وتطلُبِ الوصولَ إلى جنته، فإنه يُسارُ بك وأنت لا تَدري، وعمَّا قريب تَصِلُ إلى نهايتك من هذه الدنيا وتقول: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

ابن آدم: إنَّك في هذه الدنيا تتقلَّبُ بينَ أحوالٍ ثلاث:

نعَمٌ تتوالَى من الله عليك تحتاجُ إلى شكرٍ، والشكرُ مبْنيٌّ على أركان ثلاثة: الاعترافُ بنعم الله باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في طاعة موليها ومعطيها، فلا يتمُّ الشكرُ إلا بهذه الأركان، ولا تستقرُّ النعم إلا بالشكران.

الحال الثاني: مما يجري على العبد في هذه الدنيا من محن وابتلاءات من الله يبتليه بها، فيحتاج إلى الصبر، والصبر ثلاثة أنواع: حبسُ النفس عن التسخُّط بالمقدور، وحبسُ اللسان عن الشكوىٰ إلى الخلق، وحبسُ الأعضاء عن أفعالِ الجَزَعِ، كلطم الخدودِ وشقِّ الجيوب، ونتف الشعر، وأفعال الجاهلية، ومدارُ الصبر على هذه الأنواع الثلاثة فمَنْ وفَّاها وُفِّي أجرَ الصابرين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والله سبحانه لا يبتلي العبدَ المؤمن ليهلكه، وإنما يبتليه ليمتحنَ صبرَه وعبوديته لله، فإذا صبرَ صارت المحنة في حقِّه منحةً، واستحالت البليةُ في حقه عطيةً، وصار من عبادِ الله المخلصين الذين ليس لعدوِّهم سلطانٌ عليهم، كما قال تعالى لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠].

الحالُ الثـالث: ابتلاؤه بالهوىٰ والنفس والشيطان، فالشيطانُ العدوُّ الأكبر، وهو ذئب الإنسان، وعدوُّه، وإنما يغتالُهُ ويظفَرُ به إذا غَفَلَ عن ذكرِ الله وطاعته، واتبعَ هواه وشهوتَهُ، ولكنَّ الله سبحانه فتحَ لعبدِه بابَ التوبة والرجوع إليه، فإذا تابَ إلىٰ الله توبةً صحيحة تاب الله عليه وخلَّصه من عدوه وردَّ كيده عنه. وإذا أراد الله بعبده خيراً فتحَ له باب التوبة والندم والانكسار والاستعانة بالله ودعائه والتقرُّب إليه بما أمكنَ من الحسنات، وأراه عيوبَ نفسه وسَعَةَ فضل الله عليه، وإحسانَه إليه ورحمتَه به. فرؤيةُ عيوب النفس توجبُ الحياءَ من الله والذلَّ بين يديه، والخوفَ منه. ورؤيةُ فضلِ الله توجبُ محبتَه والطمعَ بما عنده، فيكون بينَ الخوف والرجاء، ويكونُ من الذين يدعُونَ ربَّهم خوفًا وطمعًا.

عباد الله: إنَّ الإنسان إذا طَالَعَ عيوب نفسه عَرَفَ قدرَها واحتقرها. فلا يدخُلُه عجبٌ ولا كبرٌ، وإذا نظر في فضلِ ربِّه عليه أحبَّه وعظَّمه. وأول مراتبِ تعظيم الله سبحانه تعظيمُ أوامرِه ونواهيه، وذلك بفعل ما أمر الله به من الطاعات، وتركِ ما نهىٰ عنه من المعاصي والسيئات.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: تعظيمُ الأمر والنهي أن لا يُعارضَا بترخُّصٍ جافٍّ، ولا بتشدُّدٍ غالٍ، ولا يُحملاَ علىٰ علةٍ توهن الانقيادَ.

وقد وَضَّح ابن القيم كلام شيخه هذا فقال: ومعنىٰ كلامِه: أنَّ أولَ مراتب تعظيم الله عز وجل تعظيمُ أمرِه ونهيه، وذلك لأنَّ المؤمن يعرفُ ربه عز وجل برسالته التي أرسَلَ بها رسولَه ﷺ إلىٰ كافة الناس، ومقتضاها الانقيادُ لأمرِه ونهيه، وإنما يكونُ ذلك بتعظيم أمر الله عزَّ وجل واتباعه. وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكونُ تعظيم المؤمن لأمر الله تعالىٰ ونهيه دالاً علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، فيكون بحسبِ هذا التعظيم من الأبرار المشهودِ لهم بالإيمان والتصديقِ وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر، فإنَّ الرجلَ قد يتعاطىٰ فعلَ الأمر لنظرِ الخلق وطلبِ المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشيةَ سقوطه من أعينهم، وخشيةَ العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتَّبها الشارعُ ﷺ علىٰ المناهي، فليس فعلُه وتركُه صادراً عن تعظيم الأمر والنهي ولا تعظيم الآمر والناهي، فعلامة التعظيم للأوامر رعايةُ أوقاتها وحدودها والتفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها والحرص علىٰ فعلها في أوقاتها والمسارعةُ إليها عندَ وجوبها، والحزنُ والكآبة والأسف عند فَوْتِ حقٍّ من

حقوقها كَمَنْ يحزنُ على فوت صلاة الجماعة، ويعلَمُ أنَّه لو تُقُبِّلت صلاتُه منفردًا فإنه قد فاتَه سبعةٌ وعشرون ضعفًا، ولو أن رجلاً يعاني البيعَ والشراء يفوتُه سبعةٌ وعشرون دينارًا لأكلَ يديه ندمًا وأسفًا، فكيفَ: وكلُّ ضعفٍ مما تضاعَف به صلاةُ الجماعة خيرٌ من ألفٍ وألف ألفٍ وما شاء الله تعالى فإذا فَوَّتَ العبدُ عليه هذا الربح وهو باردُ القلب فارغٌ من هذه المصيبة غيرُ مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمرِ الله تعالى في قلبِه. وكذلك إذا فاته أولُ الوقت الذي هو رضوانُ الله تعالى، أو فاته الصفُّ الأول الذي يُصَلِّي الله وملائكته على ميامنه، ولو يعلَمُ العبدُ فضيلته لجاهدَ عليه ولكانت قرعةً، وكذلك الجمعُ الكثير الذي تُضاعفُ الصلاةُ بكثرته وقلته، وكلَّما كَثُرَ الجمعُ كان أحبَّ إلى الله عز وجلَّ، وكلما بَعُدَت الخُطى إلى المسجد كانت خُطوةٌ تحُطُّ خطيئةً وأخرى ترفعُ درجة، وكذلك فوتُ الخشوعِ في الصلاة وحضورِ القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحُها ولبُّها، فصلاةٌ بلا خشوعٍ ولا حضورٍ قلب كبدنٍ ميتٍ لا روحَ فيه، أفلا يستحي العبدُ أن يهديَ إلى مخلوقٍ مثله عبدًا ميتًا أو جاريةً ميتة، فما ظنُّ هذا العبد أن تقعَ تلك الهديةُ ممَّن قصدَه بها من ملكٍ أو أمير أو غيره، فهكذا سواءً الصلاةُ الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمةِ على الله تعالى فيها، فهي بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميتين اللذين يرادُ إهداءُ أحدهما إلى بعض الملوك، ولهذا لا يقبلُها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، فإنه ليس للعبدِ من صلاته إلا ما عَقَلَ منها، كما في السنن والمسند وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن العبدَ ليصلِّي الصلاةَ وما كتبَ له إلا نصفُها إلا ثلثُها إلا ربُعُها إلا خُمُسُها حتى بلغ: عُشرها**».

ومحبطاتُ الأعمال ومفسداتُها أكثرُ من أن تحصَر، وليسَ الشأنُ في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يُفسدُه ويُحبطه، فالرياءُ وإن دقَّ محبطٌ للعمل، وكونُ العمل غير مقيدٍ باتباع السنة محبطٌ له أيضًا لقوله ﷺ: «**مَنْ عملَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رد**» أي: مردودٌ على صاحبه غيرُ مقبول عند الله تعالى. والمنُّ بالعمل على الله مفسدٌ له. قال تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الحجرات: ١٧].

والمنُّ بالصدقة والمعروف والبر والإحسان مفسدٌ لها. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقد تُحبطُ أعمالُ الإنسان وهو لا يشعرُ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

حذَّرَ المؤمنين من حبوطِ أعمالهم بالجهرِ لرسول الله ﷺ كما يجهرُ بعضُهم لبعضٍ وهم لا يشعرون بذلك، وليس ذلك بردَّةٍ، بل معصيةً تحبطُ العملَ وصاحبُها لا يشعر بها.

وقد يتساهلُ الإنسان بالشيء من المعاصي وهو خطيرٌ، وإثمه كبيرٌ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

وفي الحديث: «إيَّاكم ومحقرات الذنوب، فإن لها عندَ الله طالبًا» وقال بعضُ الصحابة: إنَّكُم لتعملُون أعمالاً هي في أعينكم أدقُّ من الشعرِ، كنَّا نعدّها على عهدِ رسول الله ﷺ من الموبقات.

عباد الله: ومن علامات تعظيم حرمات الله ومناهيه أن يكرَهَ المؤمن ما نهىٰ الله عنه من المعاصي المحرمات، وأن يكره العصاةَ، ويبتعدَ عن الأسباب التي توقعُ في المعاصي، فيغُضَّ بصرَهُ عما حرَّمَ الله، ويصونُ سمعَهُ عمَّا لا يجوزُ الاستماع إليه من المعازفِ والمزامير والأغاني والغيبة والنميمة والكذب وقولِ الزور، ويصون لسانَهُ عن ذلك، وأن يغضَبَ إذا انتهكت محارمُ الله فيأمرَ بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ويقومَ بالنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وأن لا يتبعَ الرُّخَصَ والتساهُلَ في الدين، ولا يتشدَّدَ فيه إلىٰ حدٍّ يخرجُه عن الاعتدالِ والاستقامة.

لأنَّ من تتبعَ الرُّخَصَ من غيرِ حاجة إليها كان متساهلاً، ومن تشدَّدَ في أمور الدين كان جافيًا، ودينُ الله بين الغالي والجافي، وما أمر الله عز وجل بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزْعتَان: إما تقصيرٌ وتفريطٌ، وإمَّا إفراطٌ وغلُوٌّ، فإنه يأتي إلىٰ العبد، فإن وجَدَ فيه فتوراً وتوانيًا وترخّصًا ثَبطه وأقعدَه وضَرَبَه بالكَسَلِ والتواني والفتور وفتحَ له بابَ التأويلات، حتىٰ ربما يتركُ هذا العبدُ أوامرَ الله جُملةً، وإن وَجَدَ عنده رغبةً في الخيرِ وحبًّا في العملِ وحرصًا علىٰ الطاعة وخوفًا من المعاصي أمره بالاجتهادِ الزائد حتىٰ يزهِّده بالاقتصار علىٰ الحدِّ المشروع، فيحملَه علىٰ الغلُو والمجاوزة وتَعدِّي الصراط المستقيم، كما يُحْمَلُ الأول علىٰ القصور دونَ هذا الصراط، ويحولُ بينه وبينَ الدخول فيه.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥-٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية
في أحوال الإنسان في هذه الحياة

الحمد لله على نعمه الباطنة والظاهرة، جَعَلَ الدنيا مزرعةً للآخرة. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، له الحمدُ في الأولى والآخرة، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله المؤيدُ بالمعجزات الباهرة. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى الزاهرة، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا. . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى وتأملُوا في دنياكم وسرعة زوالها وتغيُّر أحوالها، فإن ذلك يحملُكم على عدم الاغترار بها، وحفزكُم على اغتنامِ أوقاتها قبلَ فواتِها.

يقولُ الإمام ابن القيم رحمه الله: فإن ضعُفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه، فليتدبر قولَه عز وجل: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقولَه عز وجل: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ۝ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤]، وقولَهُ عز وجل: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ۝ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾ [طـه: ١٠٢-١٠٤].

وخطَب النبيُّ ﷺ أصحابَه يومًا فلمَّا كانت الشمس على رءوس الجبال، وذلك عند الغروب قال: «**إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه**».

فليتأمل العاقلُ الناصح لنفسه هذا الحديث، وليعلم أي شيء حصل له من هذا الوقت

الذي بقي في الدنيا بأسرها ليعلم أنه في غرورٍ وأضغاثِ أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ بخس خسيس لا يُساوي شيئًا، ولو طلب الله تعالىٰ الدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئًا موفورًا، وأكمل منه.

كما في بعض الآثار: «**ابن آدم: بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعًا، ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعًا**».

وقال بعض السلف: ابن آدم: أنتَ محتاج إلىٰ نصيبك من الدنيا، وأنت إلىٰ نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة وكنت من نصيب الدنيا علىٰ خطر، وإن بدأت بنصيبك في الآخرة مر بنصيبك من الدنيا فانتظمه انتظامًا.

فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أن الدنيا محطة تنزلون فيها في سفركم إلىٰ الآخرة لتأخذوا منها الزاد لذلكم السفرِ فتزودوا: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله... إلخ.



في الدين الحق

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما كان وما يكون. وما تسرون وما تعلنون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق المأمون، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم يبعثون. أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ واشكروه إذ هداكم للإسلام وجعلكم إن تسميتم به خير أمة أخرجت للناس. فإن الإسلام أكبر نعمة أسداها الله للبشرية، قال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ

النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

انظروا إلىٰ الناس من حولكم تجدونهم ما بين ملاحدة تنكّروا للأديان وأنكروا الخالق وتجبروا علىٰ الخلق وتسموا بأسماء مختلفة ما بين شيوعية وبعثية وقومية واشتراكية وقد استدرجهم الله فأعطاهم من السلطة والقوة والاختراع والتكتل ما أرهبوا به العالم واغتروا به في أنفسهم، ثم إن الله سبحانه دمرهم بسهولة فأضعف قوتهم وشتت شملهم ومزق وحدتهم وسلط عليهم الفقر والفاقة حتىٰ أصبحوا عبرة للمعتبرين، وما أغنت عنهم قوتهم ولا نفعتهم جموعهم وجنودهم ولا حمتهم أسلحتهم الفتاكة، لقد انهارت الشيوعية لأن أصحابها لم يبنوها علىٰ دين ولم يقيموها علىٰ أساس، بل بنوها علىٰ شفا جرف هار فانهار بهم في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين، ومن الناس من يتمسك بدين وضعه لنفسه أو وضعه له شياطين الجن والإنس يعبد صنمًا أو قبرًا أو شجرًا أو حجرًا لا ينفع ولا يضر. ولا يسمع ولا يبصر. بل هو أضعف ممن عبده كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

وذلكم هو دين الوثنيين علىٰ اختلاف أجناسهم وتنوع معبوداتهم قديمًا وحديثًا. ومن الناس من يتمسك بدين مبدل محرف أو منسوخ قد انتهىٰ العمل به. وأولائكم هم اليهود والنصارىٰ وهم المغضوب عليهم والضالون الذين نسأل الله أن يجنبنا طريقهم في آخر سورة الفاتحة في كل ركعة من صلاتنا ومن الناس من ينتسب إلىٰ الدين الصحيح وهو الإسلام انتسابًا في الظاهر وهو يكفر به في الباطن وإنما انتسب إليه ليعيش مع المسلمين ويخادعهم. أولائكم هم المنافقون الذين أخبر الله أنهم في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا. ومن الناس الآن من ينتسب إلىٰ الإسلام بأقواله لكنه يخالفه بأفعاله وتعبداته فيدعو غير الله ويذبح لغير الله ويستغيث بالأموات ويعبد القبور، أو يتقرب إلىٰ الله بدين لم يشرعه فيتقرب إليه بالبدع والمحدثات، يفني عمره ويتعب جسمه وينفق ماله في إحياء البدع والخرافات باسم الإسلام والدين، وهو يبعد عن رب العالمين، وأولائكم هم عُبَّاد الأولياء والصالحين الذي يقولون: (وما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ) (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) أولائكم هم الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، وقال تعالىٰ فيهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٢-٧].

ومن تمام عقوبتهم وابتلائهم أنهم يحسبون أنهم علىٰ حق فلا يقبلون النصيحة ولا يفيد فيهم التوجيه: (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون) ومن الناس من ينتسب إلىٰ الإسلام الآن لكنه لا يقيم أركانه فلا يصلي ولا يزكي ولا يصوم ولا يحج ولا يحكم بشرع الله ولا يحرم ما حرم الله ورسوله من الربا والمكاسب الخبيثة.

وإنما يكتفي بمجرد التسمي وما يكتب في جواز السفر وحفيظة النفوس قد اتخذ إلهه هواه وأضله الله علىٰ علم، ومن الناس اليوم خَلْقٌ كثير ينتسبون إلىٰ الإسلام لكنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعًا. فانقسموا إلىٰ جماعات وجمعيات وأحزاب وفرق لكل فرقة وجماعة منهج يختلف عن منهج الفرق الأخرىٰ في الاعتقاد والتعبد والدعوة ولم يبق علىٰ الحق من هذه الفرق إلا من تمسك بالكتاب والسنة وسار علىٰ منهج السلف الصالح كما قال النبي ﷺ: «**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة،** قيل من هي يا رسول الله: قال: **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» ولقد أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن براءة النبي ﷺ من الفرق المخالفة للفرقة الناجية قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وبيَّن سبحانه طريق النجاة من هذا الاختلاف بقوله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إنه لا صلاح ولا فرج ولا نجاة من عذاب الله إلا بالتمسك بالإسلام علمًا وعملاً، واعتقادًا قولاً وفعلاً وحكمًا به بين الناس: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وهناك من يتحمسون للإسلام اليوم ويقومون بالدعوة إليه بزعمهم وهم جهال

بأحكامه أو مغرضون يريدون الدس فيه وإثارة الفتن بين المسلمين فيروجون الشبهة ويزهدون في علم السلف ويصفون العلماء بأنهم قاصروا النظر لا يفهمون فقه الواقع وهم يريدون بذلك أن يفصلوا المسلمين عن علمائهم حتى يدخلوا عليهم مبادئهم، وأفكارهم المنحرفة وقد يستخدمون لذلك بعض أبنائنا المغرورين، فتنبهوا لذلك واحذروا فتنتهم ولا تروجوا أقوالهم بينكم، فإنها سبب فتنة وشر رعانا الله وإياكم وجميع المسلمين من الفتن إن الذي لا يفهم فقه الواقع في الحقيقة هو الذي لا يتنبه للدعوات المدسوسة باسم الإسلام من أجل إثارة الفتنة وشق عصا الطاعة وتفريق الكلمة فاحذروا هذا الصنف واحذروا من دعاة السوء ـ واتقوا الله لعلكم ترحمون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية في الدين الحق

الحمد لله رب العالمين، رضي لنا دين الإسلام، فلا يقبل دينًا سواه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أعلم الخلق وأخشاهم وأتقاهم لله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أنه لا يتحقق للإنسان التمسك بدين الإسلام حتى يتبرأ مما سواه من سائر الأديان. لأنه لم يبق بعد بعثة محمد ﷺ دين صحيح إلا دين الإسلام الذي جاء به. قال ﷺ: «**والله لو كان أخي موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي**» وقال ﷺ: «**لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**» وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [الكافرون: ١-٦].

بعض الجهال يقول إن الإسلام جاء بحرية الأديان والتعايش بين أصحابها وهذا خطأ واضح. وجهل فاضح، فالإسلام لا يقر الأديان الباطلة ولذلك شرع عند القدرة قتال أهلها لإزالتها قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: ٣٩].

وإنما أمر بترك اليهود والنصارى على دينهم إذا بذلوا الجزية وخضعوا لدين الإسلام

وهم صاغرون وذلك لأنهم أهل دين سماوي منسوخ فَأُعْطوا الفرصة من أجل أن ينتقلوا منه إلىٰ دين الإسلام بعد تأمله بخلاف الوثنيين والدهرية فهؤلاء لا يجوز تركهم علىٰ كفرهم، فالواجب علىٰ المسلم ألا يتكلم في هذه المسائل الخطيرة إلا عن علم وبصيرة.

عباد الله: إن دين الإسلام دين العزة فهو يعلو ولا يعلىٰ عليه فما بال بعض المسلمين يذلون أنفسهم للكفرة والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا أردنا العزة بغيره أذلنا الله فالواجب علىٰ المسلم أن يعتز بدينه ولا يذل ولا يهون.

والواجب علىٰ المسلم أن يترفع بدينه الدنايا والرذائل والأخلاق الفاسدة والصفات الهابطة، ولكن بعض المنتسبين إلىٰ الإسلام إذا سافروا إلىٰ بلاد الكفار صاروا عاراً علىٰ الإسلام بأخلاقهم وتصرفاتهم القبيحة يمارسون أقبح الفحش والإجرام، ولا يتورعون عن الحرام. يعاقرون الخمور. ويغْشَون مجالس اللهو والفجور، ويظهرون نساءهم بأقبح مظاهر العري والسفور. فيشوهون الإسلام عند من لا يعرف الإسلام وهم في الحقيقة إنما يمثلون أنفسهم الحقيرة ويظهرون ما تكنه قلوبهم من مرض ونفاق، والإسلام بريء منهم ومن تصرفاتهم، فاتقوا الله عباد الله واحمدوا الله علىٰ دين الإسلام واعتزوا به وأظهروه علىٰ حقيقته في أي مكان يعزكم الله وينصركم، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله... إلخ.



بمناسبة ظهور مرض الإيدز

الحمد لله رب العالمين، علىٰ فضله وإحسانه، حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص لله في السر والعلن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ترك أمته علىٰ البيضاء لا يزيغ عنها إلا من فتن، صلىٰ الله عليه

وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بهديه فأدوا الفرائض والسنن. وتجنبوا المحارم ما ظهر منها وما بطن، وسلم تسليمًا كثيرًا . . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واحذروا المعاصي فإنها سبب العقوبات العاجلة والآجلة فما حل في العالم بلاء إلا وهي سببه.

وقد تناقل العالم في هذه الأيام بواسطة وكالات الأنباء العالمية ووسائل الإعلام المختلفة نبأ حدوث وباء خطير سموه طاعون العصر يسمى بمرض الإيدز أو فقد المناعة في الجسم الإنساني حتى يصبح معرضًا للإصابة بالأمراض والأورام الخطيرة التي تقضي عليه بسرعة، ورغم البحوث الطبية لم يتوصل الطب على تقدمه إلى علاج له، فصار مرضًا مستعصيًا وقد ذكر الأطباء أن السبب لهذا المرض هو الزنا واللواط وتناول المخدرات وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقول النبي ﷺ: «**ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا**» صدق الله ورسوله. الآن اعترف العالم كله ضمنًا بما نصت عليه هذه الآية الكريمة والحديث الشريف لكن هل نعتبر، بل لقد ذكروا أن هذا المرض لا يقتصر على من أصيب به بل ينتقل منه إلى زوجته وأولاده، بل وينتقل عن طريق نقل الدم من شخص مصاب به إلى شخص سليم، وعن طريق مصافحة المصاب أو معانقته للشخص السليم وعن طريق اختلاط المصابين بهذا المرض بالسالمين منه في المجالس والمواطن المزدحمة أو التعاقب على دورات المياه، وتقدر منظمة الصحة العالمية أن ما يقرب من عشرة ملايين من البشر مصابون الآن بهذا المرض ويتوقع أن ينتشر بشكل أكثر ما لم يقضى على أسبابه من الزنا واللواط وتناول المخدرات ولا يمكن القضاء على هذه الأسباب إلا بتطبيق الحدود الشرعية على الزناة واللوطية ومروجي المخدرات، فقد أمر الله برجم الزاني المحصن حتى يموت، وخسف الأرض باللوطية وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود، وأمر النبي ﷺ بقتل الفاعل والمفعول به في اللواط، وأجمع الصحابة رضي الله عنهم على وجوب قتله، لكنهم اختلفوا في كيفية قتله، فمنهم من قال: يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط. ومنهم من قال: يحرق بالنار كما حرق خالد بن الوليد اللوطي بأمر أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ومنهم

من قال: يقتل بالسيف. فهم لم يختلفوا في وجوب قتله، وإنما اختلفوا في كيفية تنفيذ القتل وهذا اختلاف لا يؤثر.

وأمر الله سبحانه بقتل المفسدين في الأرض ومنهم مروجو المخدرات بزراعتها أو بيعها من أجل راحة البشرية من شرهم والقضاء على الآثار القبيحة التي تنتج منه جرائمهم وأمر الله سبحانه بغض البصر وحفظ الفروج، وتحجب النساء عن الرجال، وقرارهن في البيوت وحرم سفر المرأة بدون محرم ومنع من الاختلاط بين الرجال والنساء، وحرم خلوة الرجل بالمرأة التي لا تحل له. كل ذلك من أجل القضاء على هذه الجرائم ووقاية الناس من آثارها القبيحة ولكن يأبى الذين في قلوبهم مرض إلا أن يُمدوا المرأة على هذه الأحكام الشرعية ويصفوها بأنها تقاليد قديمة وظلم للمرأة وهضم لحقوقها... إلخ ما يقولون من الزور والأقوال الخبيثة، والآن ليذوقوا وبال أمرهم.

قال الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله: ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقي ما يوقع أعظم العدواة والبغضاء بين الناس من إفساده كل منهم امرأة صاحبه وبنته وأخته وأمه في ذلك خراب العالم كانت مفسدة الزنا تلي مفسدة القتل في الكِبَر، ولهذا قرنه الله سبحانه بها في كتابه ورسوله ﷺ في سنته قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف المهين ما لم يرفع العبد موجبَ ذلك بالتوبة والإيمان والعمل الصالح فاتقوا الله عباد الله واعملوا الأسباب الواقية من عقوباته العاجلة والآجلة بالتوبة إلى الله وحفظ أنفسكم وحفظ محارمكم من الفواحش وأسبابها لعلكم تفلحون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

من الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين أمرنا بالتمسك بهذا الدين لنكون من المفلحين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصًا له الدين . وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا . . .

أما بعدُ: أيها الناس : اتقوا الله تعالى واحذروا من عقابه . يا من تسافرون للخارج إلى مواطن الوباء ومعاطن البلاء ، اتقوا الله في أنفسكم وفي أهلكم وعوائلكم وفي مجتمعكم لا تتمرغوا في الوحل وتغمسوا أنفسكم في البلاء وتجلبوه إلى بلادكم كالذباب الذي يقع على النجاسة والقاذورات ثم يحملها برجليه إلى أجسام الأبرياء . يقول الأطباء : إن جرثومة هذا المرض الخطير الذي سمعتم شيئًا عن آثاره المدمرة لا تنتشر بشكل عارض وإنما تنتقل نتيجة لسلوك بشري يمكن للإنسان أن يتوقاه بالدين والقيم الأخلاقية النزيهة والابتعاد عن مواطن الفساد وقرناء السوء وتجنب الاستمتاع المحرم والابتعاد عن تعاطي المخدرات وتجنب نقل الدم من شخص لآخر قبل التأكد من سلامته . فاتقوا الله عباد الله واحمدوا الله على هذا الدين القويم الذي بين لكم الخير والشر وشرع لكم ما يكفل سلامتكم في الدنيا والآخرة ، وقد يقول قائل إن الرسول ﷺ قد نفى العدوى بقوله ﷺ: «**لا عدوى ولاطيرة**» فما بالك تذكر لنا قول الأطباء في إعداء هذا المرض - ونقول : إن النبي ﷺ نفى العدوى التي كانت تعتقدها الجاهلية من أن المرض يعدي بنفسه وأثبت العدوى التي تكون بقضاء الله وقدره عقوبة منه سبحانه بسبب مخالطة المجذوم ومخالطة الممرض للمصح والقدوم على بلد الوباء ، فالواجب علينا تعاطي أسباب النجاة ، وتجنب أسباب الهلاك والعقوبات ، فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن خير الحديث كتاب الله . . . إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات في سورة العصر

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن هدىً للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده، بالمال واللسان والسنان وسلم تسليمًا كثيرًا ـ أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ وتأملوا كتاب ربكم ففيه الهدىٰ والنور، وشفاء الصدور ومعنا الآن سورة وجيزة من كتاب الله هي «سورة العصر» قال فيها الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم. وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا لا يتفرقوا إلا بعد أن يقرأ أحدهم علىٰ الآخر «سورة العصر».

وذلك من أجل العمل بها ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

ثلاث آيات تتضمن بيان أسباب الخسران والربح ولا شك أن كل عاقل يريد الربح ولا يريد الخسارة لكنه لا يعلم الأسباب الموصلة إلىٰ الربح فيطلبها. وقد من الله علىٰ عباده فبين ذلك لهم في سورة وجيزة يحفظها ويفهمها الكبير والصغير والعامي والمتعلم لتقوم بذلك حجته علىٰ خلقه. وليعمل بها من يريد النجاة لنفسه فلله الحمد والمنة، وله الحجة البالغة علىٰ خلقه.

أقسم سبحانه بالعصر الذي هو الوقت الذي يعيشه الناس في هذه الحياة وهو سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه، وأما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم إلا بالله؛ لأن القسم من المخلوق بغير الله شرك وهو سبحانه لا يقسم بشيء من خلقه إلا إذا كان فيه سر عظيم وحكمة بالغة من أجل أن يلفت الأنظار إليه إما للاعتبار به أو الاستفادة منه. وهو هنا أقسم بالعصر الذي هو الزمان والوقت الذي يعيشه الناس في هذه الحياة لما فيه من العبر،

من تقلب الليل والنهار وما يجري فيهما من الحوادث والمتغيرات والمتضادات وما فيه من الفائدة العظيمة للإنسان إذا استغل هذا الوقت فيما ينفعه ويفيده، أقسم سبحانه أن كل إنسان خاسر في الدنيا والآخرة سواء كان ملكًا أو صعلوكًا. أم غنيًا أو فقيرًا، أم عالمًا أو جاهلاً أم شريفًا أو وضيعًا أم ذكرًا أو أنثىٰ. إلا من استغل هذا الوقت بأربعة أشياء: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فالإيمان هو تصديق القلب لا ينفع بدون عمل - كما قال الحسن البصري رحمه الله -: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، وما كل عمل يكون صالحًا إن ما توفر فيه الإخلاص لله من جميع أنواع الشرك، والمتابعة للرسول ﷺ وترك جميع البدع والمحدثات وهناك كثير من الخلق يعملون أعمالاً يرجون فائدتها وثوابها وهي تبعدهم عن الله وعن جنته وتدخلهم نار جهنم لما كانت فاقدة لهذين الشرطين أو أحدهما - الإخلاص والمتابعة قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٢-٧].

يعني حارة شديدة الحرارة: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦-٧].

قال ابن عباس وقتادة: تخشع ولا ينفعها عملها (ناصبة) عملت عملاً كثيرًا تعبت فيه دخلت به النار لأنه ليس علىٰ المنهج المشروع وإذا كان هذا حال الذين يعملون - لكنهم يعملون علىٰ غير هدىٰ - فما حال الذين لا يعملون أصلاً وإنما يعيشون في هذه الدنيا عيشة البهائم لبطونهم وفروجهم فلا يصلون ولا يزكون ولا يتورعون عن حرام، ولا يكفون عن الإثم والإجرام.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ التواصي بالحق وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوىٰ إلىٰ الله علىٰ بصيرة وبحكمة. وتعليم الجاهل وتذكير الغافل - فلا يكفي أن الإنسان يعمل العمل الصالح ويقتصر علىٰ إصلاح نفسه بل لابد أن يعمل علىٰ إصلاح غيره. لأنه لا يكون مؤمنًا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولا يكون الإنسان ناجيًا من الخسار حاصلاً علىٰ الربح إلا إذا عمل علىٰ إصلاح نفسه وإصلاح غيره. وهذا يدل علىٰ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يعد تدخلاً في أمور الناس كما يقول بعض

السفهاء في هذه الأيام، إن هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتدخل في أمور الناس ولا يدري هذا الجاهل أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يريدون الخير للناس والنجاة لهم من عذاب الله وإنقاذهم من الهلاك. وقد جاء في الحديث أن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده . وقد لعن الله بني إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ الصبر هو حبس النفس علىٰ طاعة الله وإبعادها عن معصيته وهو ثلاثة أنواع:

صبر علىٰ طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة، ومناسبة ذكر الصبر بعد ذكر التواصي بالحق؛ لأن الذي يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر يتعرض لأذىٰ الناس القولي والفعلي فعليه أن يصبر علىٰ ذلك ويستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحمل ما يناله من الناس من الأذىٰ؛ لأن الذي لا يصبر علىٰ أذاهم لا يستمر علىٰ نصيحتهم، وقد قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال الأنبياء عليهم السلام لأممهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: ١٢].

والذي ليس عنده صبر لا يصلح للقيام بإصلاح الناس بل لا يقوىٰ علىٰ القيام بإصلاح نفسه، ولهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد**» وقال الإمام أحمد رحمه الله: وجدنا خير أمورنا بالصبر. إن «سورة العصر» سورة عظيمة معجزة وجيزة في ألفاظها غزيرة في معانيها. جامعة لأسباب السعادة بحذافيرها ومحذرة عن أسباب الشقاوة جميعها، ولو أراد أبلغ الناس وأفصحهم أن يبين أسباب السعادة وأسباب الشقاوة لاحتاج إلىٰ مجلدات وقد لا يصل إلىٰ المطلوب لكنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بسورة من مثله.

فاتقوا الله أيها المسلمون واجعلوا «سورة العصر» منهاجًا تسيرون عليه في طريقكم إلىٰ الله ولا تضيعوا العمل بها فتكونوا من الخاسرين.

بارك الله لي ولكم في القرآن

من الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واحفظوا أوقاتكم من الضياع وأعمالكم من الفساد. واغتنموا أعماركم بالطاعة والأعمال الصالحة قبل أن تندموا على فواتها يوم لا ينفع الندم: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨].

إنه عمرك أيها الإنسان فرصة وهبها الله لك لتنفقه فيما ينفعك فاحرص على حفظه أكثر مما تحرص على حفظ مالك لأن المال إذا ضاع يمكن التعويض عنه أما وقت العمر فلا يمكن التعويض عنه، كثير من الناس يشكو من الفراغ ويريد أن يشغل الوقت بما يستنفده ولو كان ضاراً أو لا فائدة منه. يسهر الليل على اللهو واللعب وينام عن الصلاة يسافر للنزهة وقضاء الإجازة الصيفية ولو في أفسد البقاع يعطي نفسه ما تشتهي ولو كان فيه مضرتها وشقاوتها، لا يحسب حسابًا لغده ومستقبله، لا يفكر في الموت والقبر والحشر والحساب والمصير الدائم لا يتأمل في «سورة العصر» وما تطلبه منه. لا يفكر في العواقب ولا يعتبر بما حصل لغيره من سوء العواقب فاتقوا الله واعلموا أن خير الحديث كتاب الله.



في النهي عن تغيير العبادات عن وضعها الشرعي

الحمد لله أمرنا بطاعته واتباع رسوله. ونهانا عن اتباع أهوائنا والقول عليه بلا علم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل:

«وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل محدثة بدعة. وكل بدعة ضلالة» صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ واتبعوا ما أنزل إليكم ربكم ولا تغيروا ولا تبدلوا فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وإن بعض الناس في هذا الزمان يحاولون تغيير العبادات عن وضعها الشرعي ولذلك أمثلة كثيرة، فمثلاً صدقة الفطر أمر رسول الله ﷺ بإخراجها من الطعام في البلد الذي يوجد فيه المسلم عند نهاية شهر رمضان بأن يخرجها في مساكين ذلك البلد وقد وجد من يفتي بإخراج القيمة بدلاً من الطعام ومن يفتي بدفع دراهم يشتري بها طعام في بلد آخر بعيد عن بلد الصائم وتوزع هناك. وهذا تغيير للعبادة عن وضعها الشرعي فصدقة الفطر لها وقت تخرج فيه وهو ليلة العيد أو قبله بيومين فقط ولها مكان تخرج فيه وهو البلد الذي يوافي تمام الشهر والمسلم فيه، ولها أهل تصرف فيهم وهم مساكين ذلك البلد، ولها نوع تخرج منه وهو الطعام فلا بد من التقيد بهذه الاعتبارات الشرعية وإلا فإنها لا تكون عبادة صحيحة ولا مبرئة للذمة، وقد اتفق الائمة الأربعة علىٰ وجوب إخراج صدقة الفطر في البلد الذي فيه الصائم ما دام فيه مستحقون لها. وصدر بذلك قرار من هيئة كبار العلماء في المملكة فالواجب التقيد بذلك وعدم الالتفات إلىٰ من ينادون بخلافه لأن المسلم يحرص علىٰ براءة ذمته والاحتياط لدينه وهكذا كل العبادات لا بد من أدائها علىٰ مقتضىٰ الاعتبارات الشرعية نوعًا ووقتًا ومصرفًا فلا يغير نوع العبادة الذي شرعه الله إلىٰ نوع آخر فمثلاً: فدية الصيام بالنسبة للكبير الهرم والمريض المزمن اللذين لا يستطيعان الصيام قد أوجب الله عليهما الإطعام عن كل يوم بدلاً من الصيام قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وكذلك الإطعام من الكفارات، كفارة الظهار وكفارة الجماع في نهار رمضان وكفارة اليمين. وكذلك إخراج الطعام في صدقة الفطر، كل هذه العبادات لا بد من إخراج الطعام فيها ولا يجزئ عنه إخراج القيمة من النقود؛ لأنه تغيير للعبادة عن نوعها الذي وجبت منه؛ لأن الله نص فيها علىٰ الإطعام فلا بد من التقيد به. ومن لم يتقيد به فقد غيّر العبادة من نوعها الذي أوجبه الله، وكذلك الهدي والأضاحي والعقيقة عن المولود، لا بد

في هذه العبادات أن يذبح فيها من بهيمة الأنعام النوع الذي يجزئ منها ولا يجزئ عنها إخراج القيمة أو التصدق بثمنها. لأن الذبح عبادة، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

والأكل من هذه الذبائح والتصدق من لحومها عبادة، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

فلا يجوز ولا يجزئ إخراج القيمة أو التصدق بالدراهم بدلاً من الذبح؛ لأن هذا تغيير للعبادة من نوعها الذي شرعه الله، ولا بد أيضًا أن تذبح هذه الذبائح في المكان الذي شرع الله ذبحها فيه. فالهدي يذبح في الحرم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣].

وقال تعالى في المحرمين الذين ساقوا معهم الهدي: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦].

والأضحية والعقيقة يذبحهما المسلم في بلده وفي بيته ويأكل ويتصدق منهما ولا يبعث بقيمتهما ليشترى بها ذبيحة تذبح وتوزع في بلد آخر - كما ينادي به اليوم بعض الطلبة المبتدئين أو بعض العوام بحجة أن بعض البلاد فيها فقراء ومحتاجون - ونحن نقول إن مساعدة المحتاجين من المسلمين مطلوبة في أي مكان - لكن العبادة التي شرع الله فعلها في مكان معين لا يجوز تجاوز الصفة التي شرعها الله بها، وهؤلاء شوّشوا على الناس حتى كثر تساؤلهم عن هذه المسألة، ولقد كان النبي ﷺ يبعث بالهدي إلى مكة ليذبح فيها وهو مقيم بالمدينة، ويذبح الأضحية والعقيقة في بيته بالمدينة ولا يبعث بهما إلى مكة مع أنها أفضل من المدينة وفيها فقراء قد يكونون أكثر حاجة من فقراء المدينة، ومع هذا تقيد بالمكان الذي شرع الله أداء العبادة فيه فلم يذبح الهدي بالمدينة ولم يبعث بالأضحية والعقيقة إلى مكة بل ذبح كل نوع في مكانه المشروع ذبحه فيه **«وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»** نعم لا مانع من إرسال اللحوم الفائضة من الهدي والأضاحي إلى البلاد المحتاجة، لكن الذبح لا بد أن يكون في المكان المخصص له شرعًا، ومن أراد نفع المحتاجين من إخواننا المسلمين في البلاد الأخرى فليساعدهم بالأموال

والملابس والأطعمة وكل ما فيه نفع لهم، أما العبادات فإنها لا تغير عن وقتها ومكانها بدعوىٰ مساعدة المحتاجين في مكان آخر والعاطفة لا تكون علىٰ حساب الدين وتغيير العبادة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

من الخطبة الثانية في النهي عن تغيير العبادات

الحمد لله رب العالمين، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وأوضح لنا الأحكام.

وأمرنا بتعلمها والتقيد بها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اتبع هديه وتمسك بسنته وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعدُ: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ كما أمركم الله واعبدوه علىٰ نور من هدي كتابه وسنة نبيه واحذروا القول عليه بلا علم والفتوىٰ في دينه بغير بصيرة، فإن ذلك أعظم المحرمات، وإذا أشكل عليكم شيء من أمور دينكم فراجعوا فيه أهل العلم كما أمركم الله بذلك في قوله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

فالفتوىٰ في الدين لا تؤخذ عن كل أحد. وإنما تؤخذ عن أهل الذكر. وأهل الذكر هم العلماء بكتاب الله وسنة رسوله، وإننا نرىٰ في هذه الأزمنة تساهلاً في أمر الفتوىٰ وقبولها من كل أحد. فعندما يخطب خطيب أو يتكلم متكلم في مسألة من مسائل الدين يبادر كثير من الناس إلىٰ قبولها والعمل بها دون رجوع إلىٰ أهل العلم، وهذا الأمر ينذر بخطورة شديدة. إن الكثير ممن يخطبون ويتكلمون ليسوا فقهاء والفقهاء قليل. وقد جاء في الحديث أنه في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء. فعليكم عباد الله بالتثبت في أمور الأحكام الشرعية. فإن هذا من دينكم. واعلموا أن خير الحديث كتاب الله... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من علينا بالأمن والإيمان. وغمرنا بالفضل والنعم والإحسان وأشهد أن لا إله إلا الله الرحيم الرحمن، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان. وسلم تسليمًا

كثيراً. أما بعدُ أيها الناس اتقوا الله واشكروا نعمه فقد تأذن بالمزيد لمن شكره وتأذن بالعذاب الشديد لمن كفره. تعلمون ما كانت تنعم به هذه البلاد منذ أن من الله عليها بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومؤازرة آل سعود له ـ رحم الله الأموات ووفق الأحياء للقيام بمناصرة هذه الدعوة المباركة التي أزاح الله بها عن هذه البلاد كثيراً من الشرور والفتن، وحل محلها الاجتماع والوفاق وسلامة الاعتقاد والأخلاق، فأهل هذه البلاد ولله الحمد جماعة واحدة في الاعتقاد والسلوك والحكم قادتهم ورعيتهم يحرسون العقيدة ويحكمون الشريعة ويقيمون الحدود ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصونون الأعراض والأموال، لا نقول: إنهم كاملون في كل شيء ولا نقول: إنه لا تقع عندهم بعض المخالفات لكن ما يقع من ذلك فإنه ولله الحمد يعالج على ضوء الشريعة وكان مثل هذا يقع في عهد النبي ﷺ فقد وجد من يسرق ومن يزني ومن يشرب الخمر ومن يقطع الطريق لكنه كان يقيم الحدود ويردع المجرمين وكانت بلادنا ولله الحمد تسير على هذا النهج المستقيم. ولكن في هذه الأزمان المتأخرة بحكم تقارب العالم واختلاط الناس، وحدوث وسائل الإعلام التي تبث ما يقال وما يفعل هنا وهناك تأثر بعض شباب هذه البلاد وخصوصاً بعض المتدينين منهم بأفكار غريبة تفد إليهم من مجتمعات أخرى، ومن جماعات تنتسب إلى الإسلام والدعوة إليه لكن عندها جهل كثير وفيها أخلاط مشبوهون مندسون بين تلك الجماعات ترى تضليل من خالفها ـ بل إن هذه الجماعات يضلل بعضها بعضاً وربما يكفر بعضها بعضاً، فتأثر بذلك بعض شبابنا وتشربوا أفكار هذه الجماعات وتنكروا لما كانت عليه هذه البلاد الطيبة من منهج سليم واتباع لمذهب سلف هذه الأمة وصاروا يسيئون الظن بعلماء هذه البلاد وقادتها. ويطبقون عليهم ما تقوله الجماعات التي في البلاد الأخرى في بعض علمائهم المنحرفين وقادتهم المخالفين لهدي الإسلام ويأخذون من الزلات اليسيرة والأخطاء القليلة التي تقع في هذه البلاد حجة لهم فيما يقولونه من سيئ القول ولا يفرقون بين الخطأ اليسير الذي يمكن علاجه في هذه البلاد وبين الخطأ الكبير الموجود في البلاد الأخرى. ولا ينظرون إلى ما تنعم به هذه البلاد في ظل الحكم الإسلامي وتطبيق الشريعة وما تعيشه البلاد الأخرى من انحرافات في العقيدة وتعطيل لأحكام الشرع مما سبب لها الفوضى والقلق واختلال الأمن. وبلغ الأمر ببعض هؤلاء الشباب هداهم الله إلى الوقيعة في العلماء، وولاة

الأمور، والتهور في الأقوال. بل لقد حصل بين فئات هؤلاء الشباب من الاختلاف والمهاترات فيما بينهم في المجالس وفيما يسجلونه على الأشرطة أو يقولونه في محاضراتهم ما يندى له الجبين وذلك بسبب أن كل طائفة من هؤلاء الشباب انتمى إلى جماعة من الجماعات المعاصرة المختلفة في مناهجها ومقاصدها، ولم يبق من شبابنا سالمًا من هذه الأفكار إلا من منَّ الله عليه بالتعقل واتباع المنهج السليم الذي تسير عليه هذه البلاد، وهو منهج السلف الصالح الذي دعا إليه الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وسارت عليه سياسة هذه البلاد من بعده. لقد عظم الأمر وتجاوز حده وصار شغل كثير من الناس الشاغل هو القيل والقال وتذاكر العيوب والبحث عن النقائص ودفن الفضائل وترديد ما يقوله أناس يعيشون في مجتمعات تختلف عن بلادنا كثيرًا في عقائدها ونزعاتها، وثقافتها وأفكارها. وربما استغلَّ بعض أفراد هذه الجماعات الأجنبية عن بلادنا وبعض قادتها حماس بعض شبابنا وجهلهم بدينهم وبواقعهم فلقنوهم تلك الأفكار ونموها في رءوسهم من أجل إزالة ما تنعم هذه البلاد به من وفاق، ووئام وأمن واستقرار لأنها هي الدولة الوحيدة التي تحكم بكتاب الله وسنةرسوله وتحارب الشرك والبدع والمذاهب الهدامة والنحل الضالة، وتساعد المسلمين في أقطار الأرض وتنشر فيهم العقيدة الصحيحة والمفاهيم السليمة، ولا شك أن هذا سيغيظ أصحاب العقائد الفاسدة والمبادئ المنحرفة والمناهج المعوجة، فلذلك صاروا يكيدون لها بمختلف الدسائس حتى شوشوا على شبابنا وشككوهم في صحة مسيرة هذه البلاد ونوايا قادتها وعلمائها ـ حتى وجد من شباب هذه البلاد ومثقفيهم من ينتقص علماءنا ويرميهم إما بالمداهنة وإما بقصور الأفهام وعدم فقه الواقع ـ إن الذي لا يفهم فقه الواقع في الحقيقة هو الذي لا يميز بين المناهج المنحرفة والمنهج السليم. هو الذي يتقبل الأفكار المشبوهة ويترك فقه الكتاب والسنة، هو الذي لا يميز بين الضار والنافع هو الذي يترك منهج أهل السنة والجماعة الذي لا انقسام فيه ولا اختلاف ويستبدله بمناهج مستوردة مشبوهة لم تنفع أهلها ولم تصلح بلادها، ولم تصدر عن علماء محققين وإنما صدرت عن جهلة وأصحاب ثقافات ضحلة لا تسمن ولا تغني من جوع.

أيها المسلمون: إن الذي ندعو إليه أمتنا عمومًا وشبابنا خصوصًا هو معرفة الحق والثبات عليه والسير على ما سار عليه سلفنا كما قال الإمام مالك رحمه الله: لن يصلح

آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها إن هذه البلاد والحمد لله ليست بحاجة إلى استيراد الأفكار إنها بحاجة إلى التمسك بعقيدتها والمحافظة على منهجها السليم الذي سارت عليه من مئات السنين بنجاح ووفاق ووئام، وكان يجب أن تؤثر على غيرها بالدعوة الصحيحة والعقيدة السليمة لا أن تتأثر بما يخالف منهجها وعقيدتها،

فاتقوا الله أيها المسلمون واسمعوا قول الله لكم: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

من الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وجعله عصمة لمن تمسك به عند حصول الامتحان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته الحسان. وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الثقلين الإنس والجان - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي البر والإحسان، وسلم تسليمًا كثيراً. . .

أما بعدُ: أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أن نبينا ﷺ أخبرنا أنها ستكون فتن وأمرنا أن نتمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا لننجو من شرها فقال عليه الصلاة والسلام: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي» وقال عليه الصلاة والسلام: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وقال: «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة. كلها في النار إلا واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله ؟فقال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وقد وعد الله من اتبع السلف الصالح بالرضا والجنة فقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فلا خروج لنا من هذه الاختلافات الواقعة اليوم وتعدد الجماعات إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بمنهج السلف الصالح في العقيدة والدعوة والسلوك وهو المنهج

الذي كانت تسير عليه هذه البلاد - بحمد الله - من ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها إلىٰ الآن - ونرجو الله أن يستمر هذا الخير - ولن يستمر إلا إذا حفظناه من الدخيل وعمقناه في نفوس شبابنا وحذرناهم من التيارات المضادة له، أي خير في تلك الجماعات المختلفة المتصارعة المختلطة من كل جاهل ومبتدع وقبوري وصوفي ومعتزلي لا تقيم للعقيدة وزنًا ولا تنتمي لمذهب السلف وإنما تركز في دعواتها علىٰ جوانب جانبية كل يهدف من ورائها إلىٰ مطامع وأهداف مشبوهة؟ ولذلك تفرقوا واختلفوا فهم بحاجة إلىٰ دعوة ولن يجمعهم إلا الرجوع لكتاب الله وسنة نبيه والتمسك بمنهج السلف وأن يكونوا جماعة واحدة علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه . وفق الله المسلمين للتمسك بكتابه وهدي نبيه فإن خير الحديث كتاب الله . إلخ .

* * *



فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات